

سوريا ولبنان في الحرب العالمية



عزيز بك

تعريب فؤاد ميداني

بيروت : الاحرار، 1932

سوريا ولبنان في الحرب العالمية

عزيز بك

تعريب فؤاد ميداني

بيروت : الاحرار، 1932



المؤلف عزيز بك
مدير الامن العام في السلطنة العثمانية.

كلمة للمعرب

نضع بين ايدي القراء السلسلة الثالثة من المذكرات التي نشرناها على صفحات «الاحرار» الغراء .

الاولى « كيف دخلت تركيا الحرب العالمية » موضحة لمتبعي تاريخ تركيا الحديث المناورات السياسية التي قام بها الالمان لاجبار تركيا على دخول الحرب العالمية وما كان من قن ودسائس حاكها جماعة حزب الاتحاد .
والثانية (كيف جلت القوات العثمانية عن بلاد العرب) حاملة تفاصيل المعارك الحربية التي دارت في هذه البلاد اثناء الحرب العالمية وما تخللها من خطيئات حربية وتطاحن بين ضباط الترك والالمان قضت على الدولة واقتدتها نفوذها واضطرتها للجلاء عن بلاد العرب بصورة معيبة لم يرو التاريخ افطع منها .
وجاءت هذه السلسلة الجديدة المنشورة في هذا الكتاب موضحة الاسرار السياسية ، ومناورات بعض الاشخاص ، ودعايات الخلفاء والترك والالمان ، وحوادث الجواسيس متممة للكتابين السابقين عن هذه البلاد .

لماذا طبعنا المذكرات

ان الاقبال الذي لقيه الجزآن الاولان - رغم الازمة المالية الحاضرة - ومئات التحارير التي تلقيناها من مواطنينا هي التي اهابت بنا طبع هذه السلسلة من المذكرات لانتوحي منها الاضافتها الى السلسلتين السابقتين ائشكون منها كلها مجموعة يعرف منها المطالع جميع الادوار التي مرت بهذه البلاد منذ بدء الحرب العالمية الى انتهائها .

المؤلف

وقد لاقت هذه المذكرات استحسانا عظيما من القراء لاننا لانكاد نتلقى رداً على احد الاقسام حتى تردنا عشرات الكتب من الاهلين يشجعوننا على متابعة نشرها و يويدوننا فيها حتى اننا لما جمعنا من الكتب الواردة اليها من المؤيدين وجدنا ٢١٧ كتابا هي بمجموعها خير تشجيع ولم نر من القراء من يرغب في معرفة اسم المؤلف الا شخص واحد هو الامير شكيب ارسلان الذي استفزته الحقائق الواردة في الكتاب فقام يرد عليها بصورة لا تتفق مع الحقيقة قط .
ومع ذلك فاننا الآن نصارح القراء باسم المؤلف وهو عزيز بك الذي تولى في اواخر سنة ١٩١٧ مديرية الامن العام في السلطنة العثمانية .

الردود

وقد ادرجنا في نهاية هذه المذكرات بعض الردود التي وردتنا على المذكرات وكان يودنا ان ننشر كل الردود الا انها تستوعب صفحات كثيرة تسدعي مصاريف باهظة ليس في مقدورنا القيام بها ولكننا على استعداد لطبعها في كتاب خاص نلحقه بهذه المذكرات ونوزعه على المشتريين اذا تفضل اصحاب الردود وارسلوا قيمة طبعتها خصوصا وان الملزمة الواحدة تكلفنا مع ثمن الورق لبرتين عثمانيتين ذهبا .

نوطنة للمؤلف

ليس في السلطنة العثمانية دائرة خاصة للجاسوسية السياسية والعسكرية كما هي الحالة في بقية بلدان العالم فدوائر الاستخبارات عندنا خلقت للوشاية والتشكيل ، و يمكنني وصفها انها اداة اتخذها المسيطرون على مقدرات البلاد للبش بخصومهم ولهذا ترى الجواسيس الذين استخدموا لهذه الغاية ، لا هم لهم الا تطمين روء سائهم بنقل الافتراءات المختلفة عن خصومهم واذا اراد الحاكم ان يحصل على معلومات حقيقية عما يجري في البلاد صعب عليه الامر ، وارتد الى الورا مكتفيا بالوشايات التي كثيراً ما عرقلت سير اعمال الدولة وتركتها في حالة فوضى شديدة

هنا من الوجهة الداخلية اما من الوجهة الخارجية فيمكنني ان اوء كد انه ليس هناك شبكة خارجية للجاسوسية في الخارج حتى ان سفراءنا في العواصم الاوربية يجولون اكثر مما يجري هناك ونرى ان الصحافة سبق منهم في استقاء المعلومات المتعلقة ببلادهم العثمانية والجاسوسية لم يقل نفوذها بعد اعلان الحرية العثمانية عما كانت عليه قبله ، بل ان هو لاء الجواسيس الذين كانوا يخدمون السلطان عبد الحميد من ناحية واحدة ما لبثوا ان وسعوا منطقة وشاياتهم فتفرقوا الى اقسام كل منها يخدم احدى الشخصيات و ينقلون اليها الوشايات التي توزعت بين زعماء الادارة المركزية ولهذا رأينا القوات المتحدة المجاهدة للسلطان عبد الحميد تنقلب في السنة الثانية الى عشرين جبهة اخذت تتوسع بثمادي القتال حتي اضعفت من القوات الرئيسية القابضة على زمام الحكم في السلطنة العثمانية فاصرفت الى محاربة بعضها البعض وبذلك تركت المجال للعدو فتقسمها من هنا وهناك ورأينا كيف فقدنا في خلال عام اعلان الحرية ، بلغاريا والبانبا ثم سلايك وبعض مدن البلقان فالبوسنة والهرسك ثم جزر الارخبيل فطرابلس الغرب وكل آخر ذلك ضياع السلطنة العثمانية وتلاشيها وحدث ذلك كله في خلال مدة لا تتجاوز العشر سنوات . هذه المصائب كان سببها الجاسوسية السافلة التي كانت متسلطة على سائر انحاء السلطنة العثمانية .

الفصل الاول

حادث ٢٨ اذار

في اليوم الثاني من شهر نيسان سنة ١٩٠٩ دعت لمقابلة الدكتور ناظم بك عميد الاتحاديين فليت الدعوة وذهبت الى قصره

وكانت الوضعية حزجة في البلاد والافكار مضطربة على اثر حادث ٣١ اذار ذلك الحادث المشؤوم الذي ثار فيه بعض الجنود الموجودين في الاستانة قصد احداث انقلاب في تركيا ولهذا ما كدت ادخل عتبة القصر حتى بادرنى وجيبي بك من رجال الدكتور وقال:

— ان مولاي بانتظارك وقد سأل عنك ثلاث مرات
— ولكنه عين لي موعداً لمقابلته الساعة العاشرة ونحن الان في العاشرة الاربع
وقد دأبني هذه المحاورة القصيرة على ان الدكتور المشهور برويته وصبره شديد الاضطراب في ذلك اليوم وان هناك امراً ما يشغل افكاره ولهذا عجلت الدخول عليه في مكتبه فوجدته يقطع الغرفة ذهاباً واياباً وعلائم الاضطراب ابادية على عيائه وما كاد ينظرني حتى صاح قائلاً:

— ماذا ترى في حوادث هذين اليومين؟

— ارى انها دسيسة مدبرة

— نعم ومن السلطان عبد الحميد

— كلا

— ماذا تقول ليس السلطان عبد الحميد مدير هذه المؤامرة ؟

— ...

— لماذا لا تجب ، والتقارير الموجودة لدي تثبت ان المؤامرة دبرت من قبل السلطان عبد الحميد الذي يقصد بها هدم نفوذنا واعادة سيادته الاستبداديا كما كانت في الماضي

ولم ارض معارضة السيامي الطبيب في نظريته هذه لانني لم ادخل في درس هذه القضية بعد الا ان اعتقادي كان وطيداً بأنه ليس هناك من دخل للسلطان عبد الحميد واذا كان السلطان قد اظهر سروره من الحادث فلانه كان يريد ان يظهر للعالم وللرأي العام العثماني سمعة نظريته بان الدولة العثمانية لا يمكن ان تدار بالنظم النيابية الدستورية بل بالنظم الاوتوقراطية التي وضعها
و بعد ان هدأت ثائرة الدكتور ناظم بك عاد الى هدوئه المعتاد وقال :

— انني شديد الثقة بمقدرتك واريد منك الان معرفة مقدار تدخل السلطان عبد الحميد في هذه القضية . اي ان تدخل الى قصر يلدز وتأتيني بالمعلومات الحقيقية عن موقف السلطان

— ان لكم عشرات الجواسيس في قصر يلدز

— ان هؤلاء الجواسيس ادباء فهم ينقلون الينا الاخبار المثيرة لاعصابنا ، واليك بعض تقاريرهم

وتناولت هذه التقارير وعددها ١٨ قراءتها كلها ملياً وكان اسمي في خمسة منها مع اسماء اربعة اشخاص آخرين من اننا اجتمعنا مع السلطان عبد الحميد حتي ان اثنين منهم تجاسروا ونقلوا نص حديث داريني وبين حسين ماهر بك والسلطان عبد الحميد فالقيت هذه التقارير جانباً وقلت :

— هل تريد مثالا على دناءة هؤلاء اكثر من هذه التقارير التي يذكرون لكم اسمي واسم ماهر بك فيها مع انني كنت معك في نفس الوقت الذي يقولون فيه انني كنت مع السلطان عبد الحميد

— لهذا انا شديد التأثر وراغب في معرفة الحقيقة

في قصر يلديز — لم يكن قصر يلديز في تلك الايام ذلك الحصن الحصين الذي يخشى ولوجه كما انه لم يبق في ذلك القصر التدابير الشديدة التي تحول دون دخول القصر ومع هذا فانه يصعب جداً دخول دائرة السلطان الذي زادت مخاوفه في ذلك الوقت فهو كان يخشى دائماً ان يكون عرضة لمؤامرات دعاة الحرية ومع هذا فقد تمكنت من تذليل الصعوبات ودخول دائرة المايين ثم ولوج الدائرة الخاصة حيث سمعت السلطان عبد الحميد يحدث احداً من المايين زكي بك في موضوع ثورة ٣١ اذار معلناً تأثره من الحادث طالباً اليه الذهاب بامره الى مجلس النواب والى عائلات الشهداء وابداء تأثره من هذه الفاجعة . وقد خاطبه زكي بك قائلاً :

— الا ترون جلالكم ضرورة حل مجلس النواب في هذه الظروف الحرجة فاجابه السلطان فوراً :

— كلا كلا فانا كثيراً ما حاولت اعلان الدستور الذي اوقفته في بدء حكمي الا ان وزرائي كانوا يمانعون في ذلك اما وان الامة قد نالت ما تريده الان فلا بأس من ان نجرب هذه اللعبة من الحكم ثم سكت السلطان عبد الحميد برهة وقال :

— . . ومع هذا ! فانا كنت ارغب ان لا تكون فاتحة الحياة الدستورية هذه المناسبة المخزنة والماسي المتعددة التي سبقتها ومع هذا فقد تكون هذه الامور خير رادع لرجال الحكم الحاضرين فيعرفون كيف يتصرفون في مقدرات الامور عندما عدت الى قصر ناظم بك وجدت عنده بعض اركان الاتحاديين وفي مقدمتهم طلعة بك ، يتجادثون في الموقف الحاضر وما كاد يراني ناظم بك و يفهم مني الحقيقة حتى قال :

— ان بقاء السلطان عبد الحميد على العرش ليس من اللائق ومن الضروري وضع حد لحكمه

وقد كانت هناك فكرة ترمي الى تنفيذ هذا المشروع بالقوة فالأتاحاديون رغم استسلامهم مقدرات الامور في البلاد ورغم ادعائهم الحرية والمساواة كانوا يخشون السلطان عبد الحميد كثيراً و يعتقدون ان خلعه سيقودهم الى مصائب جمة وان السلطان قد يعتمد الى الفرار اذا هم تركوه وشأنه فاقترح احدهم تدبير مؤامرة لاغتياله كما قتل السلطان عبد العزيز والسلطان مراد وولي العهد يوسف عز الدين فيما بعد وكما قتل غيره من سلاطين آل عثمان ولكن كيف ينفذون هذه المؤامرة؟؟ انهم اذا وضعوا له السم صعب عليهم تنفيذ هذه المؤامرة والسلطان شديد اليقظة وارسال من يقتله قد يفصح امرهم ويؤدي والحالة هذه الى ويلات عجيبة فماذا يصنعون؟

لقد طالت المذاكرة حول هذا الامر وفي النهاية قرروا خلعه وتوقيفه وارساله الى المحاكمة على الجنايات التي ارتكبها مدة وكان هذا الامر من اقترح احسان جودة بك ولكن طلعة بك (باشا) عارضه في هذا الامر قائلا :

— ان توقيف السلطان عبد الحميد امر لا يمكن ان يكون الا في حالة الثورة والغاء السطنة ولما كانت البلاد في غير هذه الحالة فهو يقترح الاكتفاء بخلع السلطان ونفيه الى خارج العاصمة

فوافق الدكتور ناظم بك على هذه الفكرة على ان يوضع السلطان هناك تحت المراقبة الشديدة حتي اذا وجدوا في حركاته ما يتنافى مع موقفهم الحاضر وسباستهم عمدوا الى قتله او محاكمته بتهمة المؤامرة ضد سلامة الدولة

وانا على اعتقاد وطيد انه لو لم يفقه طلعة باشا يومئذ ذلك الموقف الهاديء العاقل لكان المجتمعون قرروا اغتياله ولكانت نفذت مؤامرة قتله التي كان في الامكان ان تؤدي الى حوادث مؤلمة ودامية في البلاد العثمانية

وفي هذه الجلسة وقعت حادثة ثانية فان الكل كانوا مجمعين على ان السلطان محمد رشاد كان ضعيف البنية قد انهكت جسمه الحجرة والموبقات و بات في حالة لا يصلح معها لادارة احكام البلاد ورجل مثل هذا لا يصح ان يكون

سلطاناً واقترح البعض اصدار نشرة تتضمن عدم امكانه تولي العرش والناداة بيوسف عز الدين سلطاناً على تركيا الا ان الدكتور ناظم بك وظلعة بك عارضاً هذه الفكرة لانها لا يريان في يوسف عز الدين ذلك الرجل المستسلم لارادتها وان وجوده على العرش خطر على حزمها وان الاوفق والحالة هذه ان يكون الملك المريض المستسلم لارادتهم ولهذا اقترحا تاليف لجنة مؤلفة من ثلاثة منهم يكون على رأسها الدكتور ناظم بك لتفحص صحة الرجل وقواه العقلية فوافق المجتمعون على هذه الفكرة وذهبت هذه الهيئة وعادت تملي تقريرها كما نصه عليها الدكتور ناظم بك الذي رأي في السلطان المقبل خير من يعتمد عليه في تصديق مشاريعهم الواسعة وهكذا كان حيث خلع السلطان عبد الحميد وولى العرش مكانه محمد رشاد واستلم الاتحاديون مقدرات امور الدولة مكان عبد الحميد

مؤامره ضد السلطان

في اليوم الرابع من شهر ايلول سنة ١٩١٠ تلقت اشعاراً سرياً من نظارة الضابطة يشير الى ان المعارضة تدبر مؤامرة جديدة ضد الحكومة و يطلبون مني القيام بتحقيقات دقيقة عن الامر ، فقصدت فوراً ناظر الضابطة اتلقى معلوماته فقال : لقد تلقى السلطان محمدرشاد اشعاراً سرياً من مجهول يقول فيه ان الحكومة الحاضرة تتأمر على سلامته وان هناك خطة تدبر ضد العائلة المالكة ، وقد وصلتنا هذه العريضة قبل وصولها الى السلطان ولهذا ارغب منك معرفة مرسلها وعلى اعتقادنا انها مديرة من قبل اعداء الحكومة الحاضرة فطلبت منه العريضة فاذا هي مكتوبة بلغة عالية وبعبارات منمقة وخط جميل وعلى وزق ابيض من المعروف باسم « اثر جديد » والعريضة اودعت في اداة يريده غلطة كبقية التحارير العادية وليس فيها اقل ميزة تمكنا من معرفة مرسلها بصمات الاصابع — وفن بصمات الاصابع لم يكن منظماً في دوائرنا يومئذ ومع هذا فقد كان في امكاننا معرفة شيء من هذا لو ان هذا التحريير حفظ دون

ان يمس الا ان الذي علمته ان التحرير بعد ان فوج من قبل احد رجال المالبين
سله الى رئيس الكتاب ثم الى الصدر الاعظم ثم الى وزير الداخلية فوزير الخارجية
فوزير العدلية ثم الى ناظر الضابطة وبذلك تلقفته ايد عديدة وبات من المستحيل
معرفة حقيقة بصمات اصابع اليد التي كتبت والتي وضعت في ادارة البريد وقد
ايدت فكرتي هذه مصلحة الادلة حيث انه عندما عرض عليها التحرير وجدت
عادة بصمات لم تمكنها من معرفة بصمة مرسل التحرير ولهذا فكرت في تحري
الامر من جهة ثانية فقصدت ادارة البريد لمعرفة مرسل هذا التحرير من الموظفين
لعل احدا منهم رأى واضع التحرير ولكن دون جدوى لان احداً لم يتمكن
من معرفة الرجل الذي وضع هذا التحرير

وفي اليوم الثالث لهذا الحادث دعيت ثانية لمقابلة ناظر الضابطة فاطلعتني على
سبعة تحارير واردة الى رئيس كتاب المالبين والى الصدر الاعظم والوزراء
تضمن تهديدهم بالقتل لانهم حالوا دون وصول التحرير الذي ارسله الى السلطان
ويعانهم بأنه مطلع على كل الادوار التي يلبسونها وانه على استعداد تام لان يوصل
اخبارهم جميعها الى السلطان وانه لهم بالمرصاد يحول دون محاولتهم اغتيال السلطان
وفي اليوم الثاني تلقى ناظر الضابطة مثل هذا التحرير وفيه يهدده بالقتل اذا اصر
على مساعدة الحكومة والتآمر معها ضد جلالة السلطان

وقد دلتنا هذه التحارير على ان الرجل اما ان يكون معتوها لانه في الحقيقة
ليس هناك مواءمة تديرها الحكومة او ان الخصوم يمازحون الحكومة ويهزأون
بها في تلك الصورة الشائنة وكان لا بد لنا والحالة هذه من معرفة مرسل هذه
التحارير باي وجه كان من الوجوه .

مراقبة دقيقة — ولم يحن اليوم الخامس والعشرين من شهر ايلول حتى بلغت
التحارير التي ترد الى اركان الحكومة المركزية العشرات والذي يهاب
بالحكومة للاهتمام بها انها كانت تنقل اليهم بعض احاديثها وبعض التدابير السياسية
والادارية التي يتخذونها الامر الذي يدل على ان مرسل هذه التحارير شخص

مطلع على ما يجري في مجلس الوزراء وعلى علاقات الوزراء مع ومفاوضاتهم
القصر السلطاني .

وقد ذهبت الجهود التي بذلتها في سبيل معرفة الرجل عبثا لانه كان يتمكن
من ارسال هذه التحارير الى ادارة البريد دون اقل مقاومة ودون ان يتمكن
احد من الاطلاع على شخص مرسلها

ورأيت بعد استفحال امر هذه التحارير ان اشتغل موظفا في ادارة البريد
وفي اليوم الخامس والعشرين من شهر ايلول كنت جالسا على نافذة بيع الطوابع
في شعبة غلظه اراقب بدقة الذين ياتون لمشتري الطوابع فلفت نظري عبد
اسوداتي في خلال هذه المدة واشترى طوابع وذهب دون ان ياضقها على المغلفات
اشتبهت به وادرت ان اويد شبهتي فوضعت اشارة على بضعة طوابع بعته اياها في
اليوم التاسع والعشرين من شهر ايلول وفي اليوم الثاني وردت التحارير ولم تكن
حاملة هذه الاشارة فترثت للمرة الاخرى وفي يوم اول تشرين الاول وردت
تحارير اخرى واشد ما كان سروري عظيما عندما رأيتها حاملة هذه الاشارة
حيث اعتقدت بانني نجحت في مهنتي هذه .

وفي اليوم الثالث اتى هذا العيد واشترى الطوابع المذكورة وذهب
وفي المساء كنت في ادارة الضابطة حيث اعلمني الناظر ان العبد يدعى الماس
آغا وهو من رجال مرجان آغا رئيس اغوات السلطان عبد الحميد والذي ظل في
خدمة السلطان محمد رشاد وفي الحال قصدت مع ناظر الضابطة الى دائرة مرجان
آغا وكان متغيبا عن دائرته فحضر بناها فوجدنا فيها الطوابع التي وقعها اله ظر
وعندها اعلنا السلطان محمد رشاد بالامر فطلب اخفاء هذه الحقيقة واكنفي باخراج
مرجان آغا من الخدمة

سياسة فرنسا في الشرق

قبل ان ابدأ في بحث الادوار التي لعبتها في السياسة السورية العربية اري
للضرورة توجب ان اصور للقراء السياسة الافرنسية في الشرق لان الابحاث التي
سأخوضها في هذا السبيل توجب ذلك

ان السياسة الافرنسية الشرقية لاقت تبدلات خطيرة عقب الثورة
الكبرى وكانت الحكومة الافرنسية تسير من السلطنة العثمانية على سياستين
متناقضتين

الاولى - سياسة الاستيلاء والاستعمار في ولايات سوريا وافريقيا العثمانية

الثانية - سياسة الصداقة والحفاظة على بقية اقسام السلطنة العثمانية

ففي اواسط القرن التاسع عشر تزايد نفوذ الافرنسيين في القطر المصري حتي
باتت سوريا وجبل لبنان على وشك السقوط في ايديهم وكان في امكانهم في
ذلك الوقت لو مدوا ايديهم الى سوريا ان يستولوا عليها غنيمة باردة

ولهذا فانه ما كاد نابوليون الثالث يجلس على عرش فرنسا حتي عادت الى
الاذهان فتوحات نابوليون الاول في وادي النيل ومحاولاته فتح لبنان ومصر

و يقول « آلبرواندال » عن المنافع الافرنسية يومئذ ما نصه:

« وقد بات يومئذ في مقدور فرنسا ان تستعمل الاسطول العثماني ضد اعدائها
كما انه كان في امكانها بواسطة الحماية التي بسطتها على الكاثوليك المتوطنين في
تركيا ان ترفع مكانتها في العالم المسيحي اما علاقتها التجارية فكانت السائدة على
الكل في سائر انحاء السلطنة العثمانية »

وقد كان لا قوال البرواندال هذه النصيب الوافر من الصحة حتي ان
نابوليون الاول اندي كان يعرف هذه الحقيقة ما لبث ان تمكن من ايجاد علاقات
ودية بينه وبين السلطان سليم وحمله على تجهيز حملة سنة ١٨٠٦ لمحاربة الروس
الذين كانوا يحاربون قواته

و بعد مرور نصف قرن ، لولم تقع الحوادث المفجعة التي امرعت في سقوط نابوليون الثالث اكان في امكان فرنسا ان تستفيد من معاونة السلطنة العثمانية التي استمرت لها منذ عهد فرنسوا الاول ضد الحكومة الالمانية

ان نابوليون الثالث استناداً الى العهد القديم التي مزجت دولته حق حماية الكنائس في الشرق عمد الى زيادة نفوذها في الشرق وعلى الاخص في المحيط المسيحي وكان من جراء ذلك ان وقعت بين قواته وقوات نقولا الاول القيصر الروسي لحماية الارثوذكسية المعارك الدامية في القرم حتي ان الكردينال فيلوري في كتابه قال :

« ان المحافظة على حدود السلطنة العثمانية بات من السياسة الرئيسية التي تتمشي عليها الحكومة الفرنسية »

وهذا دليل على مقدار تدخل الفرنسيين في الشؤون العثمانية ولكن هذا الدور المملوء بالسعد والرفاهية لم يدم طويلا حيث كتب الصدر الاعظم عالي باشا لايحة بتاريخ ٣ شعبان سنة ١٢٨٤ (١٨٦٦) الى السلطان عبد العزيز خان يقول فيها :

« . . . وقبل ان تجف معاهدة باريس التي وقعناها مع الامبراطور نابوليون نراه يعمل على تقليص نفوذ النمسا عن ايطاليا باستمالة روسيا الى جانبه كي لا نعد الى مساعدة النمسا غير حافل بالمعاهدة المنعقدة فيما بيننا سائراً في طريق حافلة بالمسائل المختلفة المضرة بسيادتنا وسيادتنا قصد معاونة روسيا

و كان كل هذا لم يكفه فعمد الى سياسة التدخل في شؤوننا الداخلية والمسائل المتعلقة في صربيا ولبنان وكربد . وقد زاد في المدة الاخيرة في تحريض اللبنانيين على الثورة مدخلا في عقولهم ان كل امة لها الحق المطلق في اختيار الحاكم والحكومة التي تريد وانها ليس لاي كان اجراء الحكم على امة لا ترغب في حكمه » .

الطوائف المسيحية

هذا نص التفرع المرفوع الى جمال باشا عن الطوائف غير الاسلامية الموجودة في البلاد

الى صاحب الدولة احمد جمال باشا القائد العام للجيش الرابع :

بيروت في ١٠ اذار سنة ١٣٣٢

الارثوذكس — ان القسم الاعظم من مسيحيي الشرق تابعون الى الكنيسة الارثوذكسية و يستعملون في عباداتهم اللغة العربية الا ان رومسنة الرهبنة الذين يشكلون اكثرية اجنبية يونانية مالبثوا ان اثرها على اللغة العربية و بدأوا في استعمال اللغة اليونانية التي اخذت تتكاثر في الطقوس الدينية ، وللارثوذكس اليوم بطريركيان الاول في القدس والثانية في انطاكية ، و مركزها الحالي دمشق والروم يكرهون ويحقدون على اللاتين اكثر من حقد البروتستانت عليهم ونزاهم شديدي التعصب ضد اللاتين ولغاية اعلان الحرب العالمية الحاضرة تمكن هؤلاء الاروام بواسطة الدعايات التي كانت تقوم بها « الجمعية الروسية الفلسطينية » من التمتع بنفوذ كبير في البلاد وتأمين سيادتهم الدائمة

وابناء هذه الطائفة هم اكثر اخلاصا للدولة العثمانية من بقية الطوائف الكاثوليك واللاتين — ان رئيس الرهبنة الحائز على الوكالة البابوية يقطن اليوم في بيروت وقد اودعت تحت عهده ادارة الكنائس اللاتينية الروحية في بيروت ودمشق وحلب

ولهذه الطائفة الدينية في البلاد عدة جمعيات مذهبية عرفت باسم الفرنسي سكان جزويت ، لازاريس ، سوردي سان جوزيف ، وردي لازاريس وهذه الجمعيات تمكنت منذ القديم من التحكم في حياة الطوائف النصرانية وعلى الاخص الكاثوليكية حتى المادية منها

وقد بذلت هذه الجمعيات حتي الحرب العالمية الحاضرة بما كانت تناوله من

اموال من الدول الكاثوليكية الكبرى في اوربا من القيام بتلقيات ودعايات سياسية كانت سببا لمضار عظيمة اصابا الجامعة العثمانية والامة الاسلامية وسببا للفرقة بين عناصر الامة جمعاء

الموارنة — ان هذه الطائفة التي تقطن المنطقة الممتدة من نهر الكلب الى نهر البارد ككتلة متكاتفه والتي يقطن قسم قليل منها في بيروت واللاذقية وطرابلس معروفة باسم الموارنة وبلغ عدد افرادها ما يقارب الـ ٣٥٠ الفا اعتنقت المذهب الماروني في القرن السادس للميلاد بناء على تلقين الراهب حنا مارون الذي مكنتها من ان تظل حرة مستقلة وقد تمتعت باستقلالها التام للعصر الثاني عشر للميلاد وقد تمكنت الدولة العثمانية في القرنين الاخيرين من اظهار قوتها وسطوتها عليهم حتى تمكنت من ان تنشيء بعض القرى الدرزية في المناطق المارونية البحتة وليس في امكان الموارنة ان يصلوا في وقت من الاوقات الى الكرم المعروف عند العرب باكرام الصيف واحترام الغريب (كذا) وقد كانت نسائهم لغاية النصف الاخير من القرن التاسع عشر يخرجن متحجبات الا انهن ما لبثن ان خفن هذا الحجاب وبنن يخرجن سافرات وباتت السيدات المارونيات في وقتنا هذا لا يفرقن قط عن السيدات الاوربية في سائر مظاهرهن الخارجية والهيئة المارونية الروحانية التي تملك زهاء ربع الاراضي في الجبل لديها اكثر من مئتي دير والكاهن الماروني وان كان يملك حق الزواج الا ان هذا الامر محرم عليه فيما اذا توفت زوجته الاولى

والمطارنة هم الذين لهم الحق في انتخاب البطريرك الماروني الذي يشترط تصديق انتخابه من المقام الباباوي وينتخبون هم ايضا بدورهم من قبل الرهبان في القرى وعباداتهم تجري في اللغة السريانية التي لا يعرفها احد من الموارنة وفي السنوات الاخيرة تمكنت الجمعيات الكاثوليكية وفي مقدمتها الجيزويتية من احداث مئات المدارس في المناطق المارونية عاملة على تعميم اللغة الافرنسية والشيبية في المدن الكبيرة باتت عارفة باللغة الافرنسية ومتقنة سائر العلوم بها اكثر

من لغة آبائنا واجدادنا

المؤسسات الاجنبية الكاثوليكية — ان الغاية الاساسية من الحروب الصليبية هو انقاذ البلاد المقدسة من ايدي الاسلام ولهذا الغاية عملت الجمعيات المسيحية والمؤسسات الكاثوليكية التي انشئت لاجل نشر وتعميم النصرانية في البلاد تعمل عندنا لهذه الغاية من جهة ولنشر الدعايات السياسية لامة اخرى من جهة ثانية .

والحكومات الاجنبية التي ترى هذه العناصر الدينية مضرّة لسياساتها في بلادها نفسها تدعو لها في بلادنا بالنجاح وتصرف لها المبالغ المأهولة الطائلة في سبيل تعزيز سياساتها حتى انتشرت هذه المؤسسات في القدس ووجه خاص في بيروت وسائر السواحل السورية حتى قل ان تمر بالشارع ولا ترى فيه عشرات الرهبان والراهبات وغيرهن من مرتدي الملابس الدينية وفي امكاننا اليوم نقول ان عدد البعثات الدينية الكاثوليكية يبلغ الثلاثين واليكم نصارسميا يبلغ عدد الرهبان الموجودين في المؤسسات الكاثوليكية في القدس ٨٦٠ راهبا و ٤٢٠ راهبة وفي مدارس الرهبنة ٢٤٠٠ طالب و ٢٨٠٠ طالبة وفي دار اليتام ٣٦٠ ذكرا و ٤٣٠ انثى»

وبلغ عدد المرضى الذين دخلوا المستشفيات التابعة لهم مجانا في خلال سنة ١٩١٤ ستة الاف شخص ، والذين عوملوا واخذوا وصفات ٣٠٠ شخص فاذا قسنا هذه الارقام بحالة البلاد ادر كنا مقدار تأثيرها على الرأي العام وانتشار دعاياتها في البلاد .

اليسوعيون — تأسست الطريقة الجزويتية سنة ١٥٤٠ من قبل اغناطيوس دي لوبولا الاسباني وقد حضر هو لاء منذ ثلاثة عصور الى سوريا لانهم لم يفلحوا ففوزوا عنها ثم عادوا الى بيروت ثانية سنة ١٨٣١ وفي سنة ١٨٤٣ شيدوا اول مدرسة لهم في غزير التابعة للبنان وفي سنة ١٨٧٦ شيدوا المدرسة اليسوعية

في بيروت مع الدير الكبير ثم شيدوا معابد ومدارس نهائية في بكفيا ، المعلقة ،
زحلة ، شام ، حلب ، تعنابل ، جزين . وقد بدأوا بواسطة هذه المعابد في نشر
دعائياتهم الدينية لتنضير الاهلين ، والسباسبية لاجراج ابناة البلاد عن محبة الدولة
العثمانية وتأييد السياسة الافرنسية في هذه البلاد

الفرنسيسكان — تأسست هذه الطريفة سنة ١٢١٠ ب م .

وكانوا منذ الحرب الصليبية يقطنون في سوريا والاراضي المقدسة وفي
القرن الاخير اي في سنة ١٨٤٨ نشطوا دعائياتهم فعمدوا لاكثر عدد اديريتهم
من جهة واقامة المآوي للزوار الذين يؤمنون الاراضي المقدسة وهؤلاء في
القدس نفسها ستة اديرة وستة مآوي وواحد في بيت لحم وآخر في عين كرم ،
فطبريا فالناصرية ، عكا ، صور ، صيدا ، بيروت ، حريصا « من اعمال لبنان » ،
طرابلس ، لاذقية ، شام ، حلب ، اسكندرون ، عيتاب ، نصيبين ، بتي قلعه ،
ولهم عدا ذلك مكتب في حلب ويعرفون في سوريا باسم (الاباء الفرنسيسكان)
ويعمل هؤلاء في الدرجة الاولى على نشر الدعاية بين الزوار ضد الجامعة العثمانية
الاباء الكرمليون — تقطن هذه الشعبة في اعالي جبل الكرمل ولهذا

اطلق عليهم اسم الاباء الكرمليين نسبة لهذا الجبل وكان هؤلاء قد نزحوا عن
البلاد مع آخر قافلة من قوافل الصليبيين عن جبل الكرمل الذي يعتبرونه
مقدساً ثم عادوا اليه في سنة ١٦٣٦ فانشأوا فيه ديراً وداراً للضيافة وهؤلاء اديزه
في حيفا ، طرابلس ، عكا ، القبيات . ورغم انه ليس من عادات هذه الرهبنة
الاشتغال بالشؤون التعليمية فقد انشأوا مدرسة في بشري

وهذه الارسالية وان كانت لم تتدخل بعد في شؤون الدولة السياسية الا
انها على كل حال لا تعد خطرة على سلامة الدولة بالنسبة الى بقية الارساليات
الدينية الاجنبية

راهبات سان جوزيف — نزحت راهبات سان جوزيف من مرسيليا الى
القدس في سنة ١٨٤٨ وقد عرفن في سوريا باسم راهبات اليوسفيات ولهن في

فلسطين ١٣ مؤسسة و ٣ مستشفيات في القدس و يافا والناصرة و ٣ دور
للإيتام ومكتبان نهاريان وخمس مدارس دينية تحوي الف طالبة
وعدا ذلك فلهن في بيروت مدرسة ليلية نهارية وفي صيدا دير ومدرسة
نهارية وفي دير القمر دير ومدرسة نهارية وفي حلب دير ومدرستان ليليتان
ومستشفى وفي الاسكندرون دير ومكتب

وهذه الارساليات تعمل بكل قواها في سبيل تعزيز الدين النصراني وتعليم
امهات الفسد الكره الشديد للدولة العثمانية والمسلمين وتملك نفوذاً كبيراً على
بنات المستقبل وتعد شديدة الخطورة على سيادة الدولة العثمانية ومستقبلها

راهبات الناصرة — انشأت هذه الارسالية في بادي الامر في الناصرة لغاية
دينية بحجة واكلتها ما اثبت ان سارت ضد رفيقاتها وانشأت مدرسة نهارية في
حيفا واخرى في شفا عمر وثالثة في عكار ولها دير عظيم في بيروت يعرف باسم
دير الناصرة

وهن شديداً الكره للدولة العثمانية وكن في مقدمة المساعدات على تقليص
ظلمها عن اناطيق المقدسة

الراهبات الكرمليات — اسست هذه الرهبنة الاخت تاريز في روما سنة
١٥٧٠ ونزحن الى فلسطين سنة ١٨٧٣ حيث شيدن في جبل الزيتون في اعالي
القدس ديرهن المشهور ولهن دير في بيت حمدة وآخر في حيفا وثالث على سفح
الكرمل وهن منصرفات الى الشؤون السياسية

الفرير — تأسست هذه الارسالية في فرنسا سنة ١٨٢٤ بمساعي جان بانيسست
ولاسال ونزحو الى سور ياسنة ١٨٧٨ وعرفوا باسم «اخوة المدارس المسيحية»
ولهم تشكيلات واسعة جداً حيث توجد لهم مدارس في القدس وحيفا والناصرة
وبيت لحم وكلبات منظمة في طرابلس وبيروت واسكندرون ليلية ونهارية
وهذه الارساليات شديدة الخطر على السياسة العثمانية يعمل اركانها كل ما في

في قواهم في سبيل تعميم المبادي، النصرانية وغرس محبة الفرنسيين وكره الدولة العثمانية في قلوب أبناء البلاد، وليس بين طلاب هذه المدارس من يفكر بوطنه أو لغة آبائه .

و يوجد عدا هؤلاء « رهبان مار يوحنا الالهي » وهؤلاء نزحوا الى البلاد سنة ١٨٧٩ حيث اسسوا على طريق بيت لحم في (طنطور) مستشفى ومثله في الناصرة وهؤلاء اقل من الاولين تقربا من الشوون السياسية وليس من وراء وجودهم اقل خطر في الوقت الحاضر يهدد سياسة الدولة العلية

راهبات الفرنسيسكان — امت هذه الارسالية القدس سنة ١٨٨٥ واسست

في القدس مؤسسة تسنوع ب ٦٠ يتما فقط ثم عادت واسست مدرسة اخرى في يافا للبنات تسنوع مئة طالبة ثم اسست في السنوات الاخيرة مؤسسة في دمشق وليس لهذه البعثة اقل تأثير في الوقت الحاضر على سياسة السلطنة العمومية

راهبات المحبة — تأسست هذه الجمعية في فرنسا سنة ١٦٣٢ من قبل الاب

دي بول ونزحت الى القدس سنة ١٨٨٦ و يعمل راهبات هذه الارسالية في مساعدة اليتام، الفقراء والعجزة والعميان و بشغلن ايضا في مستشفيات الحكومة ولهن في بيت لحم مستشفى ودار لليتام وفي حيفا مستشفى ومدرسة وفي الناصرة مستشفى وفي بيروت مستشفى كبير ودار لليتام ودار لصنائع خاص الفتيان والفنيات وعدا هذا هن ثلاث مدارس صغيرة في بيروت وفي طرابلس دار لليتام ومدرسة صنائع وفي اهدن و بجنس سنانور يوم ومدرسة في برج البراجنة

وهذه البعثة وان كانت لا تتدخل مباشرة في الشوون السياسية الا انها تعمل بكل قواها على نشر النصرانية حتى تمكنت من ان توجد من اليتام المختلفي الاديان مسيحيين يدينون بدينها ووجود هذه المؤسسة خطر شديد يلزم وضع حد له باليجاد مراقبة عليا عليها

العارار يون = نزح هؤلاء الى القدس سنة ١٨٩٠ وشيدوا اول مدرسة في الباب الشرقي وهؤلاء هم الالمان
اما الافرنسيون منهم فقد انشأوا مدارس في ازمير وطرابلس وعين طورا في جبل لبنان واهلن ودمشق وريغون

ولما كان هؤلاء يشتغلون في الامور التجارية ايضا فهم شديدو الخطر على الدولة وكثيرو الدعاية الى الافرنسيين

الآباء الساليزيون — نزح هؤلاء سنة ١٨٩١ الى القدس من ايطاليا وانشأوا مؤسسات في بيت لحم وبيت جبال وقرى ميزات والناصره وداراً للابنام في بيت لحم وليس هناك من خطر منهم ما داموا تابعين الى الدولة الايطالية الصديقة للدولة العلية ومع هذا يحسن جداً وضع مراقبة عليهم ما داموا مشتركين فعلا منع بقية الارساليات ويخشى ان يكونوا علة مخايبة مع الخارج اما الراهبات الساليزيات فقد نزحن ايضا مع الاولين الى القدس

الطرق المسيحية — هذه هي المعلومات التي استقيتها عن البعثات الدينية المسيحية وهناك بعض طرق مسيحية هي :

اولا — لادام دوسيون ، نزح رجال هذه الطريقة التي تأسست في ته كسهمومو الى القدس سنة ١٨٥٦

ثانيا — الآباء البيض ، نزحوا الى القدس سنة ١٨٧٨ واسسوا فيها كاتدرائية سان آن و كاتدرائية به تاسدا

ثالثا — آباء القلب المقدس في بيت لحم ، نزحوا الى القدس سنة ١٨٧٩ وشيدوا مؤسسة لهم بالقرب من بيت لحم

رابعا — الراهبات الورديات ، مؤلفة من الراهبات الوطنيات

خامسا — آباء نوتر دام ده سيون ، نزحوا الى القدس سنة ١٨٨٤

سادسا — رهبان مار عبد الاحد او الدومينيكان ، نزحوا الى القدس
سنة ١٨٨٤

سابعا — الصعوديون ، نزحوا الى القدس سنة ١٨٨٧ و يديرون اليوم مأوي
(نوتر دام ده فرانس)

ثامنا — الآباء الترابيون ، نزحوا الى البلاد سنة ١٨٩٦ ولهم موءسسة في
البثرون يشتغلون في الزراعة وتربية الماشية

تاسعا — البندكتيين ، نزحوا سنة ١٨٩٦ يسكنون جبل الطور وهم
مؤلفون من ١٣ راهبة فقط

عاشرا — الراهبات الكاثوليكيات الاميركيات ، وهو لاء نزحوا الى
القدس من اميركا سنة ١٩٠١ واسسوا في بيت لحم ديرآ لهم

الفصل الثاني

منساعي العرب في تركيا

في اليوم الثاني من شهر ايلول سنة ١٩١١ تلقت وزارة الخارجية اشعاراً من سفيرها في باريس يقول فيه :

« لقد قابلت وزير الخارجية الفرنسية وباحثه بصدد موقف دولته تجاهنا في البلقان فاجاب ان الحكومة الفرنسية على استعداد لمعاودة الحكومة العثمانية في سياستها البلقانية هذه على شرط تنفيذ اللائحة التي قدمها سفيرها في الاستانة المسبوقه بمبادور بتاريخ ٧ تموز سنة ١٩١٠

وقد اجبت الوزير اني مستعد لان اعرض شروطه هذه على حكومتي والذي علمته من بعض المصادر الخاصة ومن التقارير السرية الواردة الي ان الحكومة الفرنسية بعثت بتعليمات سرية الى سفيرها في الاستانة والى قناصلها في بيروت ودمشق والقدس تتعلق بخطة العمل الواجب ان تسير عليها في السياسة المقبلة

وهذه الخطة تلخص بضرورة الاعتماد على العنصرين الكاثوليك والماروني في اثاره شغب في سوريا ولبنان يدفع الفرنسيين لان يتدخلوا فعلياً في شؤون تلك المنطقة ، ويدبر هذه الحركة مباشرة السفير الفرنسي في الاستانة الرقابة حول السفارة — وفي اليوم الثاني لورود هذا التقرير الى الخارجية دعيت لمقابلة ناظر الضابطة الذي اطلعني على نص هذا التقرير وطلب الي مراقبة السفارة الفرنسية ومعرفة الاشخاص الذين يترددون اليها من سائر الطبقات

العثمانية فرضت الامر وذهبت و كان اول من شهده يدخل السفارة الفرنسية اكثر الجميع تردداً عليها ، شفيق المؤيد وقدزارها في الساعة الثانية من بعد ظهر ٦ منه وهو الموعد الذي يمنع فيه السفير عن استقبال اي كان ومع هذا فقد استقبل الرجل بحفاوة زائدة وظل في السفارة الى الساعة الرابعة والدقيقة ١٥ ثم قصد على اثر ذلك الى داره ومكث فيها الى الساعة السادسة والنصف فحضر الى زيارته الشيخ عبد الحميد الزهراوي وموسى كاظم باشا ونافع بك نائب حلب وظلوا مجتمعين الى الساعة التاسعة مساء وفي صباح اليوم الثاني قصد شفيق بك المؤيد بنفسه دار البريد الفرنسية ووضع فيها توجيهاً لم يتمكن من معرفه عنوانه ، وكان شفيق بك وغيره من الذين يشتغلون ضد الدولة العثمانية ويرسلو تحاريرهم بواسطة البريد الفرنسي لا اعتقادهم بعدم امكاننا الحصول عليها وانه يمكنهم معها ارسال هذه التحارير بحرية دون ان يخشوا افشاء امرها

ومع هذا فقد تمكنت بعد الظهر من الحصول على احد تحاريره وهو مرسل الى باريس بالعنوان التالي

باريس . طالب بك النقيب

شارع موسمان رقم ٦٩

وقد تضمن هذا الكتاب الذي حرر باللغة العربية معلومات خطيرة عن السياسة العربية ، حيث اشار فيه شفيق بك الى ان (جمعية الاخاء العربي العثماني) لم تحل لان الحكومة العثمانية وان كانت قد حلت هذه الجمعية رسمياً الا انها في الوقت نفسه قائمة تعمل في سبيل تحقيق اماني العرب ثم قال :

— ان الجمعية القحطانية التي طلبت مني افادتك عن مصيرها فهي قد تلاشت تقريباً لان مؤسسها خليل باشا حماده لم يحسن اختيار الوقت والخطا الواجب عليه ان يسير بموجبها ومع هذا فقد كان لها الفضل في توطيد كلمة العرب وجعلها في حلقة واحدة ، ولست لاشك في ان كل حركة يمكن ان تصدر من ابناء العرب

تأتي بالفائدة المرجوة لنا»

وهنا فصل شفيق بك في كتابه هذا الحركة وانتقد بشدة عز يز علي المصري الذي ترك اليمن دون ان يتم مهمته في طرابلس الغرب
المؤلف : سنأتي في فصول قادمة على ذكر موقف عز يز علي والاسباب التي دعت انور باشا لارساله للديوان العرفي
ثم انتقل الى النقطة الهامة من الموضوع فقال :
وقد قابلت السفير الافرنسي وتحدثت اليه عن الاجتماعات التي تعقد في القاهرة لتأليف حزب اللامر كزية العثماني الذي باحثم بشأنه الرفاق عند مروركم بالقاهرة فاجابني :

ان الضرورة توجب تكوين وحدة عربية من مختلف العناصر في منطقة غير مصر وهو (اي السفير الافرنسي) يحاول من وراء ذلك افهامي اننا نحن العرب اذا ما عقدنا مؤتمرًا في باريس واتخذنا فيه بعض المقررات وتوطننا فرنسا لمساعدتنا عليها فهي لا تتأخر في ذلك ولهذا اري ان تعملوا وانتم في باريس للاتصال مع الخارجية الافرنسية لتهيئة جو صاف الى مؤتمر عربي يعقد في باريس

هذه خلاصة ما جاء في التقرير الذي بعث به شفيق بك المؤيد الى طالب بك النقيب وفيه ما يوضح لنا حقيقة اتصال الرجل بالسفارة الافرنسية وفي مساء اليوم الذي تناوات فيه منه هذا التحري بالصورة التي بينها انفا حضر هذه الدكتور اسعد بك حيدر وتوجها معا في الساعة السابعة مساء الى السفارة الافرنسية ثم تكررت الزيارات

وقد كانت شبهة نظارة الضابطة منحصرة في العرب المسلمين دون غيرهم لاعتقادهم ان العناصر غير المسلمة سوف لا تعاضدهم قط وانها ستظل متأثرة من الدعايات القائمة في البلاد بواسطة الافرنسيين ورسلمهم من اركان الهيئات لا كليركية .

عز يز علي المصري - وكانت هناك شخصية ثانية موضع اهتمام الانديسة التركية وهي شخصية عز يز علي بك فان هذا الضابط الشاب الذي تخرج من المدرسة الحربية سنة ١٩٠٤ كان عثمانيا محضا فقد عرف ببطولته في مقاومة العصابات المقدونية وفي سائر المعارك التي نشبت مع اليونان ومع العصابات البلغارية والالبانية حتى انه كان في مقدمة القواذ الذين داهموا الاسطانة بعد حادثة ٣١ اذار سنة ١٩٠٩ عندما انت قوات الخلاص بقيادة محمود شوكة باشا فلهذا اسمه يومئذ حتى بات بعد بعد محمود شوكة باشا

وكان يومئذ برتبة بنباشي و بعد هذه المعركة رقي الى رتبة قائمقام ار كان حرب و كان الى ذلك الوقت شديد الاخلاص للجمعية الاتحاد والترقي حتى انهم كانوا يعتبرونه من ار كلها و يروي بعض الكتاب ان عزيز علي بك عندما اشترك مع جماعة جون ترك اشترط عليهم للتأييد في حركتهم هذه اعطاء العرب بعض الامتيازات مع ان امراً من هذا لم يكن خصوصاً وانه كان معروفاً لدى الجميع انه تركي من اهالي القوقاس وهو كان دوماً يفتخر باصله القوقاسي لان والده وجدته نشأ في القوقاس « كذا » وما كان الضباط الترك ليعتبرونه غير تركي خصوصاً وانه ما كان ليتحدث قط بالعربية وقد بدأت فكرته العربية بعد تعيين عثمان باشا قائداً للقوات في دمشق

لقد بدأت انفعالات عزيز علي بك من الاتحاديين منذ الوقت الذي عين فيه الغازي عثمان باشا مشيراً للقوات العثمانية في دمشق و عزيز بك رغم انه قائد شديد حازم فانه كثير الغرور بنفسه شديد العصبية ، ففي سنة ١٩٠٦ عندما كان الغازي عثمان باشا يستعرض القوات العثمانية في اسكوب وضواحيها قام بتفتيش القوات التابعة للالاي الرابع عشر المعسكر في (قرشانه) ان الذي كان بقيادة عزيز علي بك الذي نظمه خير تنظيم وتركه في حالة حسنة يحق له في الحقيقة ان يفتخر به جد الافتخار

ولكن الغازي عثمان باشا الذي كان ضابطاً قديماً شديداً اراد ان يكسر

قديلاً من غرور عزيز علي بك الذي اراد ان يظهر له انه قائد مجرب فقال :
— ايه يا عزيز هل تعتقد ان تخرجك من المدرسة الحربية كاف لان تتفوق
على بقية رفاقك من ضباط الالاي
— نعم ياسيدي القائد ومفرزتي امامك خير دليل حيث توافني افوق بتدريتها
غيري من كبار القواد الذين لا يحسنون العمل
— ماذا انيها الوقع اتجاسر على مثل هذا القول
— انت هو الوقع

وقد دارت هذه المحاوره امام الجنود في حفلة التفتيش الرسمية فالقائد عزيز
علي بك كان على حق في عدم قبوله الكلمة الجارحة التي وجهها الغازي عثمان
باشا كما ان الغازي ساءه ان يرد عليه ضابط بسيط وهو القائد العام الالهانة امام
اركان حربته وعلى ملاء من الجنود فامر فوراً بتوقيفه وسجنه
وهذه الحادثة كانت سبباً في سخط الضابط الدائم على المشير وازدياد حقه
حتى اذا جاء الى الاستانة على رأس قوات الخلاص التي انقذت العاصمة من
ثوار ٣٩ اذار سنة ٩٠٩ اعتقد انه بات ذا نفوذ بين رجال جمعية الاتحاد والترقي
ولهذا ما كاد يبلغه نبأ اعداد مشروع بتعيين الغازي عثمان باشا مشيراً للجيش
الخامس في دمشق حتى ثارت ثائره وسعى في الحيلولة دون تحقيق هذا المشروع
حتى وصل به الامر الى مصارحة وزير الحربية قائلاً :

— انني بصفتي عربياً اعارض في تعيين هذا الرجل لمشيرية الجيش الخامس
.. ولكن ما وجه الاعتراض يا حضرة القائد ؟

انتم لا تعرفون يا حضرة الوزير مقدار استياء العرب من التتر فالشير الذي
هو من سلالة هولاء الكو الذي حارب بغداد والبلاد العربية رجل يكره العرب
ويعتبرونه عدواً لهم فتعيين هذا الرجل في القيادة العامة في دمشق يعد تحدياً للعرب
ومشيراً لاستيائهم وسخطهم ولهذا ارى ان الضرورة توجب استبداله
— اظن انك تعارض في ذلك للحادثة التي وقعت بينك وبينه

هذه المخالفة هي دليل على كرهه للعرب فهو لم يعتمد الى تحقيري الاله عرف
انني عربي وما دام هذا شأنه معي وانا الضابط القائد فكيف يكون شأنه مع
بقية افراد العرب

— ولكن الضرورة توجب اسناد ذلك المركز اليه

— ان هذه الضرورة ستفرق حتما بين العرب والترك

— انك على خطأ

ولما لم يجد عز يز علي بك من وسيلة لاقتناع وزير الحربية برأيه هذا تركه
وانصرف وقد اجتمعت به على اثر انصرافه في دار الدكتور ناظم بك حيث بين له
هذه المحاورة و اضاف اليها قائلا :

— ان هذه الخطة التي تسيرون عليها ستوجدهم بين صفوف الانحاديين
لان العرب الذين عملوا معكم الى هذا الوقت ما عاد في امكانهم متابعة عملهم هذا
الى النهاية وانتم تسيرون على هذه الخطة وتصدمونهم في اعز امانيتهم القومية
بارسالكم مثل هذا القائد العدو الى بلادهم
وقد تدخلت عند ذاك في الحديث وقلت :

— انك على خطأ في هذا القول يا بك فاذا كان هناك حقد على الباشا فليس
معناه ان الترك يحقدون على العرب و يضمرون لهم العدا
— كلا ليس لحقد لي على الباشا قول ذلك فنحن امة ليس في امكانها
السكوت على الاهانات المتوالية التي نلقاها من الترك و كان من الواجب ان
يعرف كل حده و يقف عنده

اليس من العار ان نسمع رجالكم يتادون الكلاب السوداء باسم «عرب»
اليس انتم الذين تصفون المسائل المعقدة الحل بقولكم «عرب حامي كبي»
الستم انتم القائلين «نه عرب بك يوزي» نه شامك شكري و بعد كل هذه
الامور ماذا تريدون منا ؟

وهنا ازدادت حدة عز يز علي بك وقال :

— الم تكفكم كل هذه الامور حتى تعدوا الى ارسال هذا الرجل العدو الى بلادنا لحكمها ان التادي في هذه الامور معناه توسيع شقة الخلاف بين الترك والغرب وفي هذه الحالة ماذا تكون النتيجة ؟

سفر عزيز علي الى اليمن — وهذه المحاورة الاولى التي وقعت بيني وبين عزيز علي دلتي على ان الرجل هو اشد خطراً على السياسة العثمانية من شفيق بك المؤيد وغيره من الشبان الذين يشتغلون في القضية العربية وعندها اعلت فكري هذه ناظر الضابطه وطلبت اليه حصر الرقابة في عزيز علي بك لانه اذا ظل يثبت افكاره هذه بين ابناء قومه تمكن من ان يؤلف حولاً قوة كبيرة تكون ذات خطر على سيادتنا وتحول دون تنفيذ السياسة الرئيسية التي تعمل لها في القضاء على الفكرة العربية التي تزايدت بعد اعلان الحربه العثمانية والتي باتت تهددنا بمخاطر تزيد على المخاطر الارمنية

وكانت المعارك شديدة في المنطقة اليمنية والتقارير الواردة من عزة باشا قائد قواتنا في تلك المنطقة تدل على ان الموقف شديد الخطورة خصوصاً بعدمعركة « جيزان » التي ذبح اليمنيون فيها عدداً كبيراً من جنودنا فقررت وزارة الحربية ارسال عزيز علي الى اليمن كرئيساً لاركان حرب عزة باشا قصد التخلص منه . وما كاد يبلغني الخبر حتى اسرعت الى نظارة الضابطه ابين لها الخطأ الذي ترتب عليه الوزارة في ارسال هذا القائد الى منطقة عربية خصوصاً وان التقارير الواردة الي من جواسيس العديدين تدل على ان الرجل يواصل الاجتماع باركان الحربية العربية وانه قد يغتنم فرصة وجوده في اليمن للاتصال مع القبائل الثائرة فيشتعل ضدنا ففرض الناظر هذه الملاحظات على وزيري الداخلية والحربية اللذين لم يعبراها اقل اهمية لان همما الوحيدان ان يتخلصا من الرجل فيعدانه عنهما ولا فرق اكان وهو في اليمن في صفوفهما ام في صفوف الاعداء ولست اشك في انها كانا يفضلان ان يقتل او ينضم الى الاعداء من ان يعود الى الاسنانة سالماً منتصراً على الاعداء

لم تسفر المساعي التي بذلتها في سبيل اقناع 'لوز يرين' بضرورة عدم ارسال
عز يز علي بك الى اليمن عن فائدة بل انهما ما لبثا ان استصدرا ارادة بتعيينه في
اركان حربية عزة باشا وارسلاه الى اليمن

وفعلا فقد صحت مخاوفي بالرجل فانة ما كاد يذهب الى اليمن حتي قام
ببعض المسائل المعلقة للترك واليك نص ما قاله لي بهذا الشأن القائد سليمان بك
العسكري (المعرب : ان سليمان بك العسكري قائد خبير انتحر على اثر اتخذه
في المعركة الشعبية العراقية خلال الحرب العالمية) - « ان عز يز علي بك لم يكن
بالرجل المخلص للقضية العثمانية بل كان عربيا بكل ما في هذه الكلمة من معنى ،
يكبره الترك كثيرا وكرمه للترك لم يكن لدافع وطني محض بل لان الترك
لم ينزلوه المرتبة الرفيعة التي كان يطمح بها فهو كان راعيا في ان يتولى مركزاً
رفيعاً اي ان يولى قيادة احد الجيوش فعدم ترقية الترك له لهذه المرتبة حوله الى
قائد عربي املا منه ان هذا المسعى سيحمل الترك على توليته مركزاً ساميا او ان
ينال هذا المركز السامي عن يد العرب فعندما جاء الى اليمن بذل جهوده في
سبيل تعزيز موقفه لدى عزة باشا وان يكون الباشا تابعا له الا ان الباشا ما لبث
ان ادرك حقيقة نيافته فجنبه وعند ذاك عمد الى مفاوضة الامام يحبي على
مداومة القتال

وفي احد الايام دخلت (اي سليمان بك) علي عز يز علي فوجدت عنده
احد رجال الامام يحبي فسالته عنه فاجاب :

— انه رسول من الامام يحبي بعث الي به يفاضني في عقد الصلح

الا ان الحقيقة التي علمتها ان الرجل لم يكن في الحقيقة الا وسيط المخابرات
بين الامام والقائد وهو يرمي بعمله هذا الى ان يحمله على مداومة القتال وان
يوسع دعاياته الى النهاية وقد نصحت يومئذ عز يز علي بك بضرورة الاقلاع عن
هذا العمل الذي يضره كثيرا »

هذا ما رواه العسكري اما انا فلا اعلم عن حوادثه في اليمن شيئا الا انه عندما

نشبت الحرب الايطالية التركية سافر عزيز علي بك الى طرابلس الغرب عن طريق مصر وقد تقيت يومئذ تفريرامن احد رجالي في القاهرة هذا نصه ه
«وصل عزيز علي بك الى القاهرة في الساعة العاشرة من هذا الصباح وقابل في اليوم الثاني الخديوي عباس حلمي باشا ، وقد كانت هذه المقابلة بناء على طلب الخديوي نفسه الذي دعاه الى العدول عن الذهاب للقطر الطرابلسي وقد صرح لي شوقي بك ان الخديوي يري ان من العبث ارسال القوات العثمانية لمقاومة الايطاليين الى النهاية خصوصا وان الطريق منقطعة بين البلدين وانه ما دام الامر هكذا فليس من المفيد للبلاد اراقة دماء جديدة وانه بين فكرته هذه الى عزيز علي بك المصري الذي وعده بدرس الموقف هناك واقناع رفاقه بما يراه مفيداً ، وطلب الخديوي من عزيز علي بك ان يكون على اتصال دائم معه»

وفي اليوم نفسه تلقت تقريراً ثانياً من الرجل المذكور يقول فيه ما نصه :
« ان المعلومات الاخيرة التي تلقيتها تدل على ان المقابلة التي تمت بين الخديوي عباس حلمي باشا وعزيز علي بك المصري ترمي الى امرين :
الاول - ان الخديوي الطامع في ضم منطقة ليبيا الى مملكته او توسيع المملكة المصرية الى البلاد المجاورة رغب في ان يستميل عزيز علي بك اليه حتى اذا كان في مقدور القوات العثمانية الوقوف تجاه اعدائها بعد عزيز علي الى استلام مقدرات الامور في البلاد واعلن ضم هذه المنطقة الى الخديوية المصرية .
الثاني - في حال عدم امكانه تحقيق هذا المشروع يعمد الى مفاوضة الايطاليين بواسطة الخديوي عباس حلمي باشا ، على ان تسلم هذه المنطقة الى الايطاليين مقابل الاعتراف بتوسيع الحدود المصرية من جهة ليبيا .

والذي علمته ان الخديوي عباس حلمي باشا قد تمكن من ان يستميل الرجل الى صفوفه

هذان هما التقريران اللذان تلقيتهما وسلمت نسختا منهما الى ناظر الضابطة
ونؤزيري الحربية والداخلية اللذين وان كانا قد تأكدنا من حقيقة هذه الاقوال
الا انها سكنتا عنها مكثفين بالاشارة الى ضرورة مداومة المراقبة
الا ان هذه المراقبة الخارجية لم تدم طويلا لان عزيز علي المصري ما لبث
ان عاد الى استمبول واخذ يعمل في تأليف حزب سياسي هذا ما وردني من
معلومات بشأنه من الجواسيس العديدين

التقرير الاول - في الساعة التاسعة من مساء اليوم (١٠ ايلول - ٢٣
ايلول سنة ١٩١٣) عقد اجتماع في منزل عزيز بك وحضره ٥٠٠٠ وعدادهم
احدى عشر شخصا واخذوا بتنظيم المواد الاساسية للحزب الذي اعتمدوا تأسيسه
وفيه يعترفون بان الحزب سيكون سريا يعمل على تحقيق امانى العرب وسلبها
عن السلطنة العثمانية

التقرير الثاني - « لقد شرح لي الضابط نوري افندي ان الغاية من هذه
الاجتماعات تأسيس حزب عسكري يعمل على استقلال البلاد العربية وان
هذا الحزب سري سيعمل على ادخالي به
التقرير الثالث - ويقول التقرير الثالث : « ان عزيز بك ورفاقه اقساموا
ان لا يَبْوَحوا بينود الحزب الذي يعمل على استقلال البلاد العربية »
وهناك عشرات التقارير التي تلقيتها حول هذا الامر لا فائدة منها وفيها
معلومات بسيطة عن حركات هذا الحزب

منهاج حزب العهد - والى القراء نص منهاج حزب العهد السياسي
التي عرفت

المادة الاولى - ان جمعية العهد سياسية سرية انشئت في الاستانة وغايتها
السعي وراء الاستقلال الداخلي للبلاد العربية على ان تكون متحدة مع حكومة
الاستانة اتحاد الجبر مع النمسا

المادة الثانية — نرى جمعية العهد ضرورة بقاء الخلافة الاسلامية وديعة مقدسة
بايدي ال عثمان

المادة الثالثة — تهتم هذه الجمعية بامر سلامة الاستانة من مطامع الدول
الاجنبية اهتماما خاصا لاعتمادها ان الاستانة رأس الشرق فلا يمكن ان يعيش اذا
اقتطعت احدى الدول الغربية الاستعمارية منه

المادة الرابعة — على رجال العهد ان يفرغوا قصارى جهدهم في انشاء المزايا
المحمودة وبث الدعوة لتمسك بالاخلاق الفاضلة لان الامة لا تحفظ بكيانها
السياسى القومى ما لم تكن مجهزة بالاخلاق الصالحة .

هذا هو البرنامج الذي وضع لحزب العهد الذي اعتبر مرعى الاجراء بتاريخ
٢٨ تشرين الاول سنة ١٩١٣ وقد سعى عزيز بك الى تنفيذه حتى اوجد جولة
كتلة كبيرة وعندها اشتد الخلاف بينه وبين انور باشا الذي كان في وزارة
الحربية الامر الذي دعاه لتقديم استقالته بتاريخ ٢ كانون الثاني سنة ١٩١٤

وبعد تقديمي هذا التقرير صدرت الاوامر في شباط ١٩١٤ باعتقال عزيز
علي المصري الذي اثار اعتقاله ضجة شديدة في الاندية العربية وغير العربية اسفرت
عن اخلاء سبيله وابعاده نهائيا عن العاصمة وهكذا انتهت رواية عزيز علي
بك المصري .

الفصل الثالث

مراسم تحية القيصر

جرت العادة ان توفد الحكومة العثمانية كل سنة وفداً من قبلها لتحية القيصر الروسي حين قدومه الى ساحل البحر الاسود لتمضية فصل الصيف وحين ذهابه منها .

وكان الوفد هذه المرة مولفا برئاسة وزير الداخلية طلعت باشا قبل سفر الوفد بيومين اي في اليوم الرابع من شهر نيسان ١٣٣٠ (١٩١٤) دعيت لمقابلة الوزير فلبيت الدعوة فقال :
ان التقارير السرية الواردة الي تدل على ان العصاة يدبرون مؤامرة لاغتيالي فهل علمت بذلك ؟

و كنت في الحقيقة جاهلا تفاصيل هذه المؤامرة خصوصا وقد كنت اجهل من هم الاشخاص الذين يلقبهم الوزير « بالعصاة » وليس في البلاد يومئذ ثورة فابديت دمشق من الامر فقال :

عقد اجتماع في قصر نظام الدين بك تقرر فيه اغتيالي قبل سفري الى « ليفاديا » ولهذا انارغب في ان تعرف ادوار هذه المؤامرة خصوصا وانه لم يبق لسفري هذا الا يومين

قال طلعت باشا ذلك وسلمني التقارير الواردة اليه ثم وقف فودعته وانصرفت
تقارير الجواسيس — والتقارير المذكورة لا تحوي معلومات مفصلة فالاول منها وهو مؤرخ في ٢٠ نيسان يشير الى ان اجتماعا عقد في قصر نظام الدين بك

حضره بعض الائتلافيين الذين لم يذكر اسماءهم فقررُوا فيه اغتيال طالت باشا
والثاني مؤرخ في اليوم نفسه يشير الى زيارة نظام الدين باشا لا مقارة
البريطانية عند الساعة العاشرة

والثالث مؤرخ في ٣١ نيسان وفيه ان مهندسا بلجيا يدعى كارل فون
شميد قد شوهد يتردد حول وزارة الداخلية ثم حول وزارة الحربية
مهاره الشرطي — وليس في التقارير الاربعة اقل حادث يستلفت الانظار
لولا معرفة طلعت باشا بحقيقة نوايا نظام الدين ضده والجملة الواردة من ان هناك
محاولة لاغتياله وسلسلة حوادث الاغتيالات التي وقعت بعد اعلان الحربه العثمانية
تركت طلعت باشا يخاف من كل شيء ويعتقد ان حياته باتت مهددة بالخطر
ولهذا استدعاني اليه ليتأكد من حقيقة هذه المؤامرة ويؤمن على حياته قبل
ركوبه الباخرة ومع هذا فقد استلقت التقرير الثالث اتعنه بذلك المهندس
البلجيكي حيث وجدت في نفسي رغبة تدفعني لاقاء التقارير الثلاثة جانباً
والاحتفاظ بالتقرير المتعلق بالمهندس البلجيكي تأمله واحاول ان استنتج منه شبح
المؤامرة الوهمية المدبرة لاغتيال الباشا

ولهذا دعوت اثنين من رجالي للتحقيق في صحة الاجتماعات التي تعقد في
قصر نظام الدين وانصرفت انا للتحقيق عن الحادث من وجهته الثانية وقد كانت
الحقيقة كما حدثتني بها نفسي والى القراء ذلك

زواج لا مؤامرة — ذهب رجال يتحققون عن حقيقة الاجتماعات التي
عقدت في قصر نظام الدين وسرعان ما عدوا لي بالحقيقة التي تدل على دناءة
الجوايس فان نظام الدين شاب في العقد الثاني من عمره يدعى عمر ممتاز بك
احب كريمة احمد زكي باشا واراد الزواج منها قبل الفريقان بالامر وعقدوا ليلة
٢٠ نيسان اجتماعاً تذاكروا فيه بالمهر وكيفية اجرائه ثم عقدوا اجتماعاً ثانياً للغاية
نفسها ولكن وضوان نافذ بك وهو من المولعين بالفتاة ساها ان يحصل عليها
عمر ممتاز فاوعز الى احد الجوايس بكتابة ذلك التقرير وقد اوقفنا في اليوم نفسه

ذلك الجاسوس فاعترف لنا بالحقيقة فاكتمنى طلعت بأشأ بعزله لانه اطمأن انه ليس هناك اقل خطر على حياته

موءامرة ضد القيصر — ولكن هذا التقرير الوهمي الذي ارسله الجاسوس الواشي وان كان وشى به الا انه كان في الحقيقة سببا في تاخير الحرب العالمية عدة اشهر فان طلعت بأشأ لم يتلق هذا التقرير ويوعز الي في التحقيق فيه لما وقع بيدي التقرير العادي الذي وقع صدفة مع بقية التقارير عن المهندس البلجيكي فان نفي رجالي وجود موءامرة في قصر نظام الدين لم يحولني عن معرفة حقيقة هذا الرجل كارل شميدين لهذا قصدت مساء ٢٤ نيسان سنة ١٣٣٠ - ١٩١٤ - محلة بشكطاش حيث قبل انه يقطن في بانسيون مدام فينالي فعلت من ربة المنزل ان الرجل حضر لعندها في اليوم الثالث من شهر شباط من السنة نفسها واعلنها انه مهندس في فن الميكانيك وكان يلزم غرفته ليلا ونهارا فلا يخرج الا بضع دقائق اشترى حاجيات لا تعرفها حيث كانت تأتيه هي بطعامه وظل عندها شهرا ونصف ومنذ عشرة ايام حضر اليه رجل طويل القامة حليق الشاربين ابيض الوجه وطلب مقابلة المهندس الذي استقبله في حجرته وظل عنده مدة ثلاث ساعات سمعت خلالها انفجارا خفيفا فطرقت الباب تسأله عن ذلك فاجابها ان سلكا كهربائيا قد انتزع بالقوة فحدث هذا الصوت وانه لم يفتح لها الباب فسالها عن هيئة اترجل الغريب فاجابت :

— لقد حادثني بالفرنسية الا ان لهجته الي كانت روسية لهذا حادثته بها فسكت وابتسم دون ان يجيبني وراح ورائي الى غرفة المهندس — والمهندس الشاب كيف كانت اخلاقه ؟

— هبادة تماما فهو جد منهمك في عمله يكتفي عند روءيتي بتحيتي فقط وقد رفض السماح لي بدخول الغرفة لتنظيفها فعلمنا انه يقوم باختراع آلة يخشى عليها فاكتمت منه بذلك خصوصا وقد كان كريما من جهة المال = متى غادرك ؟

— منذ عشرة ايام اي ثاني يوم قدوم ذلك الروسي المشؤوم
التحقيقات السرية — وكانت معلومات السيدة « فيتالي » قيمة جداً بنظري
لأنها دللتني على ان ذلك الشاب البلجيكي كان يقوم بتوضيب احدي الآلات
الميكانيكية ومع انه قال للسيدة فيتالي انه يعمل على توضيب اختراع حديث له
الا انني كنت معتقداً بأنه يدير غير ذلك وسرعان ما تبادر الى ذهني القذيفة
الميكانيكية و كنت وانا اصغي الى السيدة فيتالي اتمثل ادوار المؤامرة التي دبرها
الارمن لاغتيال السلطان عبد الحميد سنة ١٩٠٤ واتساءل عما اذا كانت هناك
مؤامرات ارمنية جديدة ، ولكن سرعان ما نبذت هذه الفكرة جانباً اعتقاداً
مني انه ليس هناك ما يوجب على الارمن تدبير مثل هذه المؤامرة خصوصاً وان
الاتحاديين لا يزالون اصدقاء لهم كما انه ليس في الامكان الاقدام على اغتيال
السلطان محمد رشاد ذلك الرجل الوديع المسالم الذي يبتعد عن اذى اي كان

اذا ماذا يعمل هذا الرجل ؟

وهل يدير حقبة قذيفة ميكانيكية ؟

وما غاية من هذه المؤامرة ؟

هذه هي الاسئلة التي كانت تتبادر الى ذهني وانا قاصد نظارة الضابطة لروية
الجانوس الذي وضع تقريره عنه والاعمدف اجتمعت به هناك وسالته الغاية من
ارساله هذا التقرير وكان في الحقيقة نبيها قال :

— كنت يوم ٢٥ شباط منتدباً لمراقبة مهرابي الاسلحة الممنوعة عندما

رأيت هذا الرجل يقترب من احد المهرابين كريم ضيا ويتناول منه شيئاً لم اتبينه
فتعقبته دون ان اترك احداً منها يشعر بما يري حتى رأيته يدخل بانسيون مدام
فيتالي فتركته وعدت مفقشاً عن كريم ضيا حتى وجدته في ميدان تقسيم فاوقفته
وتحررته فوجدت معه مسدسين وكمية من الخرطوش وقدمته الى المركز وفي
الطريق اخذ يغربني لاخلأه سبيله فقلت له انك الامر مستحيل خصوصاً وهو
متفق مع احد الاجانب على تدبير مؤامرة ضد سلامة الدولة ونحت له على ذلك

الغريب فأنكر كل صلة له معه ولما عينت له المقر الذي اجتمع به فيه والورقة التي معه والتي قدمها له لم يسعه الانكار فاعترف لي بأنه اجتمع بالرجل مرتين حيث اشترى منه بعض المواد المنفجرة الخطرة .

وعند ذلك اعلتته بانني اخلي سبيله واتركه حراً واعيد اليه ما اخذته منه اذا ما اطلعني على حركات ذلك الشاب وزدت على ذلك بان وعدته بجائزة مالية اذا ما تمكنا من معرفة سائر اسراره فقبل بذلك وانصرف مسروراً وفعله لا خدمني بعدئذ بامانة واخلاص حيث اطلعني على ما طلبته منه ومن ذلك تأكد لي ان الرجل يدبر قذيفة شديدة الخطورة

و كنت دوما ارفع تقاريري الى رئاسة الضابطة ولوزارة الداخلية فكانت تأتي في سلة المهملات حتى انني لم اسأل عن معني هذه التقارير التي كنت اتني ان افاتح بشأنها وقد زاد اهتمامي على اثر اقدام الشاب على ترك بانسيون مدام فيتاني فجأة وذهابه الى منزل مدام انستاسيا الكائن في شارع « اولوشله » رقم ١٦٥ ولقد كان سلامه بك وهو اسم ذلك البوليس السري الذي ادلى الي بهذه المعلومات والذي هو اليوم من ار كان الشرطة المعروفين في الجمهورية على حق في قوله ان رؤساء اهلوا تقاريره وهم لا يعرفون واجبه تمام المعرفة

وقد كان في الامكان ان لا نعرف نحن ايضا بهذه الموامرات الخطيرة لولا الصدف التي اوقعت هذا التقرير بين التقارير الوهمية عن الموامرة المدبورة ضد طلعت باشا ولهذا فأنني بعد حصولي على هذه المعلومات قصدت فوراً بانسيون مدام انستاسيا وكان الوقت صباحا (٢٥ نيسان) فعلت منها ان الرجل ذهب ومعه حيا ائجه حيث استخدم ميكانيكها في اليخت « ارطغرل » وقد كان لهذا النبأ تأثيره العظيم لدي لان اليخت « ارطغرل » هو الذي سينقل طلعت باشا ووفده الذاهب اتحبة القيصر الروسي في « ليفاديا » فهل ان الاستعدادات التي عملها هذا الرجل هي لا غتيال طلعت باشا ؟

عند وزير الداخلية — وهنا رأيت من واجبي ان اذهب لمقر الوزير واطلعه

على المعلومات واخذ رأيه في الامر فقصدته في الساعة العاشرة
ورغم انهياك الوزير في عدة شؤون خطيرة استعداداً لسفره فانه ما كاد
يعلم من الحاجب نبأ قدومي حتى صرف جميع من كان عنده وامرني بالدخول
فدخلت واعلمته الحقيقة فقال :

— ولكنني لا ارى في هذه القائمة اسم ذلك الرجل
وكانت القائمة تحوي اسماء سائر افراد البحارة الذين سيرا فقول الوفد
فاستأذنته بئلاوتها ثم وضعت اصبعي على احد الاسماء وقلت :
— هذا هو

فالتفت الى الاسم فذا هو ايفان ابن بطرس شار كوف فقال :

— ولكن هذا اسم روسي

فقلت — نعم الا انه رئيس الميكانيكيين ومدام انتسابا تقول ان كارل
شميد قد عين في هذه الوظيفة ومع هذا فيه كتنا التأكيد من حقيقة هوية الرجل
بارسال سلامه بك لروثيته وهو يعرفه
وهنا قاطعني طلعت باشا قائلاً :

— حتي اذا تأكدت هويته اوقفته فوراً واعلني بالامر لاذهب بنفسني
واحقق معه واياك ان يعلم احد غير الربان بالامر
فوعده بتحقيق امره هذا بعد ان تلفنت من مقامه الى نظارة الضابطة لترسل
الي فوراً سلامه بك الى المرفأ

الرجلان انواحد — عندما وصلت الى المرفأ وجدت سلامه بك قد سبقني
اليه وهناك اعلته باختصار ما اطلبه منه ثم استقلينا زورقاً ووصلنا في الحال الى
اليخت « ارطغرل » ودخلنا تواء على ربانه عزيز بك وسلمته امر وزير الداخلية
حتى اذا ما اطلع عليه سألني ما اريد فقلت :

— جل ما نريده ان نختبيء في مكان نرى منه من ستحدثه دون ان يرانا
فارشدنا الى غرفه رقاده المطلة على الغرفة التي نحن فيها وفيها كوة يمكننا اذا اقفلنا

النوافذ روية ما في هذه الحجرة دون ان يرانا
وعندما طلبنا اليه ان يستدعي رئيس الميكانيك الجديد ويحادثه باي امر
كان يريده فلبى الطلب ودخلت انا مع سلامه الى الغرفة الثانية حتى اذا حضر
ايغان همس سلامه في اذني قائلاً :

— هذا هو

— اذا هو بنفسه

— نعم

وعندما تحدث معه الربان ببعض الشؤون المتعلقة بوظيفته وامره بالانصراف
وانا ارسلت سلامه بك برقعة الى وزير الداخلية ليحضر الي البيخت ثم امرت الربان
ان يدعو ثلاثة من الجنود المسلحين و يقيمهم حوالي الغرفة ثم يدعو الرجل ثانياً
حيث في النية توقيفه فرضخ للامر وتم توقيف الرجل وبعدها قصدت مع الربان
الى غرفة رقاذه وتحر بناها فلم نجد فيها ما يربب الا ان هناك محفظة يدوية بطول
٤٠ سنتيمترًا وعرض ٣٠ لغت نظري بينما احد البحارة بهم بفتحتها فصرخت به
طالباً اليه ان لا يفعل فرضخ الرجل والتفت الي الربان متسائلاً عن السبب فقلت
-- لو لم انتبه اسكننا الان مع البيخت طعنا للاسماك

وفعلاً كانت هذه المحفظة التي لا تدل ظواهرها على شيء تحوي ثمرة جهود
الرجل طيلة شهرين في تحضير قذيفة مميتة

تحقيقات وزير الداخلية — وعندما وصل وزير الداخلية طلعت باشا الى البيخت
كنا قد اكتشفنا القذيفة وثلاث نماذج مكتوبة بطريقة سرية روسية الاول
الي بترو بروفيتش في شارع نقولا الاول رقم ١٨ والثاني لنقولا والدميروفيتش
والثالث لفيلدمير بترو سيمونوفتش في شارع نقولا الاول رقم ٢٠

وعندما استدعى وزير الداخلية اليه كارل المذكور ووعدته
باخلاء سبيله وتسفيره الى بلاده اذا ما هو روي له حقيقة المؤامرة التي يديرها
فقال — ولدت في اليوم العاشر من شهر تموز سنة ١٨٩٠ في مدينة بروكسل

وكان والذي مهندس ميكانيكي والدي معلمي مدرسة ودأبت انا على التعليم حتي حصلت وانا في العشرين من عمري على شهادة الهندسة فطرقت سائر ابواب العمل ، وكان والداي قد توفيا ولم يترك لي شيئا فوجدت الابواب جميعها مقفلة بوجهي فنقمت على هذه الحياة وقررت الانحياز وفي اليوم السابع من شهر تشرين الاول سنة ١٩١٣ بينما كنت اعم بالقراءة نفسي في نهر السين بباريس شعرت يد توقفني عن متابعة عملي فعارضت بذلك الا ان اليد كانت قوية بحيث لم اتمكن من انتزاع نفسي من قبضتها وكان الرجل المسك بي في العقد الخامس من عمره طويل القامة عليه ملامح القوة والهول معاً وبعد ان تغرس بي مدة طويلة وهو في سكوته لفظ كلمة واحدة وهي - هيا بنا

وتجاه قوة ساحرة تبعته بضع خطوات حيث اوقف احدى السيارات التي سارت بنا الى منزله الكائن في ضواحي باريس في منطقة «فيل نوف سانت جورج» وهناك علمته بوقتي وانا فيه من ضحك حتي مضى علي بضعة ايام دون عمل فوعد باستخدامي في اعماله الكبرى في الشرق ومكثت معه في باريس الى اخر تشرين الاول حيث ابحرنا الى سلاويك ومنها تجولنا بين اليونان وبلغاريا وفي اول شباط سنة ١٩١٤ حضرنا الى الاستانة وخلال ذلك علمت انه من رجال الثورة الروسية وكان بحاجة الى مهندس ميكانيكي فالفقتني الصدف بين يديه فقبلني بترحاب ولما كنت نائمة علي الحياة والحكام الذين يتمتعون بمقاعد الحكم وهم ليسوا اهلها قبلت مشاركتي في مؤامراته هذه ودبرت هذه القديفة وها انا انقلها الى بتر وبتروفيتش الذي يرأس هذا الفرع في «ليفاديا» قال كارل حكايته هذه ببساطة تامة ثم سكثت وعند ذاك سألته طلعت باشاعما يريد عمله اذا هو اخلي سبيله اجاب - انك اذا اخليت سبيلي جعلتني مديونا لك مدى الحياة

وفي الحال امرنا طلعت باشا باخلاء سبيل الرجل وتركه في الدخيت يتمم وظيفته بشرط ان لا يذكر حرفاً واحداً عن هذه الحادثة وفي اليوم الثاني اقلع اليخت الى البحر الاسود وظل الرجل مخلصا لطلعة باشا الا ان الفوضويين الذين

علموا بخيانة الرجل لهم لم يقولوا عليه فانه ما كاذ يعود في البيخ من رحلته حتى
تلقاه الرجل الحديدي الذي انقذه من الموت ، يدعى سيزار ارانوف في محطة
سركه جي وهو يهيم بر كوب القطار وذلك في اليوم الاول من شهر حزيران
سنة ١٩١٤ و امام الجماهير الغفيرة من الناس اطلق عليه ثلاث رصاصات اودت
بحياته وانتهت هذه الرواية

الفصل الرابع

في طريق سوريا

في اليوم الثالث عشر من شهر تشرين ثاني سنة ١٣٣٠ المصادف ٢٦ تشرين
ثاني سنة ١٩١٤ صدرت الارادة السنية بدعوة الفريق ذكي باشا من قيادة الجيش
الرابع في سوريا وتعيين احمد جمال باشا مكانه
والفريق ذكي باشا لم يكن من الرجال الحزبيين بل كان قائداً عسكرياً
شريفاً حياًداً يحب للجماعة العثمانية الا ان هذه الصفات ما كانت لتروق للقباضين
على زمام الحكم في السلطنة العثمانية فهم يريدون ان تكون البلاد التابعة للجيش
الرابع مرتبطة مباشرة بهم وان يكون هناك رجل قوي يعرف كيف ينفذ
ارادتهم و يقضي قواها على فكرتهم العربية والغربية معا فالقائد ذكي باشا عندما
ذهب الى سوريا سار على سياسة سائر قواد الجيوش الذين سبقوه بمثل هذه المهام في
بلادهم حيث مثل هناك عظمة القيادة كما مثل نزاهة الجندي واخلاصه و كان يعامل
الجميع على السواء كثير التقرب من العرب فهذه الصفات الطيبة لم ترق رجال
الحكم قروا استبداله باحد جمال باشا يدهم اليمنى الذي مهد لهم سبيل الحكم بعد
مقتل محمود شوكة باشا

كيف استبدل ذكي باشا ؟ - وقد دبر امر هذا الاستبدال انور باشا حيث ما لبث يوم ٢٨ تشرين ثاني سنة ١٩١٤ ان اصدر بلاغا هذا نصه :

« ان الحضرة الشاهانية المقدسة رغبة منها في اظهار الاتفاق الودي الذي يربط الحكومة السنية والحكومة الالمانية بمظهره العالي العظيم قد تفضلت وعينت الفريق في الجيش العثماني ذكي باشا مرافقا حريا لدى صاحب الجلالة الامبراطور الالمانى وبالقبلة فان صاحب الجلالة الامبراطور ويلهم عين المشير فون درغولتز باشا مرافقا حريا لدى صاحب الجلالة السلطان محمد الخامس »

فالذي يتبين من هذا البلاغ ان كلا العاهلين انتقيا اكبر رجالهما العسكريين ليمثلاهما لدى بلاط بعضها البعض . وهكذا انتهت وظيفة ذكي باشا العملية في بلاد العرب وتولاها بدلا منه احمد جمال باشا

تدابير الترك بعد الحرب - دخلت تركيا الحرب العالمية في ١٦ تشرين الاول ١٩١٤ - ايمه في اخر سنة ١٩١٤ وكان اول قرار اتخذته بعد دخولها الحرب العالمية ان قررت ما يلي :

اولا - تأليف لجنة للنظر في المؤسسات الرسمية والخصوصية العائدة الى الروس والانكليز والافرنسيس

ثانيا - صرف المستخدمين من رعايا هذه الدول

الخوف على سوريا - وكانت القيادة العامة تخشى ان يعتدي الحلفاء على السواحل السورية خصوصا والكل يعلمون ان الحكومة الفرنسية تعمل منذ مدة طويلة على احتلال هذه البقعة من السلطنة العثمانية

والقيادة العامة على حق في مخاوفها هذه فهي من جهة غير قادرة على حيازة هذه السواحل الواسعة نظرا لعدم وجود قوات حربية لهذه الغاية من جهة ولان الاستعدادات لم تتخذ بعد لاقامة التحصينات في الداخلية ولهذا ابرقت وزارة الحربية الى قائد موقع بيروت بريقة مؤرخة في ١٠ تشرين ثاني سنة ١٣٣٠ - ٢٣ تشرين ثاني ١٩١٤ - تحت رقم ١٩٥ - ١٥٢ تطلب اليه فيها ان يرفع

مذكورة الى القنصليات الحابدة في بيروت وبواسطتها الى اميرالية اسطول الحلفاء في البحر المتوسط يدعونها الى احترام هذه الشواطيء غير الحربية وعدم اطلاقها قنابلها عليها او على المؤسسات الحكومية غير العسكرية والا نأته في حال اقدم الاسطول على مثل هذا الامر فان الحكومة تصدر فوراً سائر المؤسسات الدينية والخصومية العائدة الى رعايا دول الحلفاء وتتصرف بها كيف تشاء»

وفي مساء اليوم نفسه وضع قائد موقع بيروت هذه المذكرة وذهب بنفسه الى القنصليات الحابدة وسلها إليها وارسل نسخة عنها بواسطة زورق رفع العلم الاميركي وكان فيه ترجمان القنصلية الاميركية في بيروت واحد ضباط القيادة الى احدى الدوارع الافرنسية التي كانت تتجول قرب شواطئ بيروت وسلمت هذه المذكرة الى رانها الذي رفعها فوراً الى الاميرالية

والمرء كد هو ان الحلفاء احتراموا هذه الشواطيء وقد يكون احترامهم ناشئاً عن غير تهدينا بل عن رغبة في ان لا يسفكوا دماء احد من ابناء تلك البلاد التي وقعت اليوم تحت حكمهم والتي كانوا يريدون الحصول عليها ، وعلى كل حال فان الذي اعتقده ان تلك المذكرة لم تكن خالية قط من الفائدة

في بلاد العرب — انصرفت القيادة العامة منذ اليوم الذي دخلت فيه تركيا الحرب العالمية الى تهيه الوسائل التي تراها ناجحة لتؤمن لها احتلال مصر ، وهي في الحقيقة عملت في هذا السبيل منذ ان اتفق رجالها مع الالمان في سبيل ادخال السلطنة العثمانية الحرب العالمية

فمكرة احتلال مصر كانت الخطة الشيطانية التي دبرها انور باشا لاستمالة البرنس سعيد حليم باشا الى صفوفه وحمله على الموافقة على دخول تركيا الحرب العالمية

فالالمان كانوا على ثقة من ان انور باشا بات آله بيدهم وكان من الضروري لهم ان تبعد بريطانبا عن ساحة القتال في اوربا وان تتركها منفردة مع فرنسا وهذا الامر يستلزم ايجاد جهة جديدة فوضت انور باشا لتحقيقها وهي جهة مصر

فقررها انور تحقيقا لغايات سيده الامبراطور غير حافل بالدماء التي ستراق في هذا السبيل

وفي الشهر الذي دخلت فيه تركيا الحرب العالمية اي في اليوم الواحد والعشرين من شهر تشرين الثاني سنة ١٩١٤ دعا انور باشا اليه عبد الكريم باشا الطبيب ، كبير الجالية الكلدانية في الاستانة ، وحمله على وضع منشور وقعته وارسله الى بطريرك السريان الكاثوليك و بطريرك الكلدان الكاثوليك واسائر العشائر النسطورية والكلدانية يدعوها فيه للعمل بـدأ واحدة مع الدولة العثمانية وكان هذا المنشور مملوا بالعبارات الوطنية الخلابه

وقد كان في الامكان المحافظة على صداقة هذين العنصرين الدولة لو ظلت الدولة قوية في البلاد العربية ولكن هذه الصداقة لم تدم الا بمقدار ما دامت به قوات الدولة في تلك الارحاء حتى اذا اخذت في الضعف قام هؤلاء يبطشون في اقصيتها عاملين في سبيل استرضاء الانكليز الذين كانوا يقدمون اليهم ما هم بحاجة اليه من مال وعتاد حربية

اما عبد الكريم باشا الطبيب فقد عرف كيف يستفيد من وراء توقيع هذا المنشور فهو من جهة قد نال ارفع اوسمة الدولة جزاء له على اخلاصه وتفانيه له حساب الدولة العثمانية من جهة كما انه نال الاموال الغزيرة باسمه واسم جماعته فتنعم بهذه الاموال كما اراد

اما الموقف في جزيرة العرب فقد كان غامضا في ذلك الوقت والى القراء نص التقرير الوارد الى الحكومة من الاحساء :

الاحساء في ١٥ تشرين ثاني سنة ١٩١٤

رقم عمومي ٧١٨

رقم خصوصي ١٩١ شيفرة

لقد كان للداه الذي وجهه صاحب الجلالة الخليفة الى العالم الاسلامي تأثيره المرغوب لدى سائر سكان الجزيرة العربية وقد بعثت به حال وصوله الى امير

حائل وامير الرباض اللذين ابديا كل رغبة صادقة في سبيل تأييد دولة الخلافة العلية .

وقد علمت ان الامير عبد العزيز آل سعود يرى ان الموقف يوجب اليقظة والانتباه فجرد ارساله القوات الى المناطق الساحلية ومهاجمة العدو فوراً لا تنتج الا احداث ضحايا لا فائدة منها و يرى ان تجهز قواته بسائر ما هي بحاجة اليه من سلاح وعناد حربية حتى اذا حاول الانكليز خرق حياد الجزيرة العربية وحدود الكويت بادر هو ورجاله لمطاردتهم وايقافهم عند حدهم ان الموقف في الجزيرة العربية اليوم هو :

اولا — ان ابن السعود يقول ان في مقدوره تجهيز حمله مؤلفة من مئة الف مقاتل ليست بحاجة الا للعتاد الحربية والاسلحة فقط الا ان الذي اعتقده ان ابن السعود يبالغ في تقدير القوة التي بقدر على جمعها الا انها لا تقل على كل حال عن ٢٠ الف مقاتل في مقدورهم حماية السواحل

ثانياً — ان الامير ابن الرشيد مستسلم تمام الاستسلام او كيله رشيد باشا الموجود في طرفكم وفي الامكان الاتفاق معه على هذه النقاط كشخص الامير ثالثاً — است وانما من نتيجة ثبات الشيخ مبارك الصباح تجاه الانكليز فهو رجل طماع ان كان اليوم يتظاهر بالصداقة للدولة العثمانية والابتعاد عن التعاون مباشرة فلان ذلك ناتج عن تخوفه من قوة الدولة وامكان مهاجمته من قبل القوات النجدية فاذا حصل على معاونة فعلية من بريطانيا لا يلبث ان ينضم اليها . وقد علمت من جهة ثانية ان المفاوضات لا تزال مستمرة بين الانكليز والشيخ وقد وعده الانكليز مقابل انضمامه اليهم الاعتراف باستقلال امارته تحت سيادته وسيادة نولاده واحفاده من بعدهم وان يعطوه الحصص التي ينالونها من صيد اللؤلؤ وان يقدموا له السلاح اللازم مع المال ودلت بغض استخباراتنا الخاصة على ان الاتفاق تم بين الفريقين الا ان الامر لم يوه كد لي بصورة راهنه

رابعاً — اغرق الانكليز على شط العرب في خليج البصرة زوارق الخفر

الصغيرة .

قتل في هذه الحادثة ٢٢ جنديا دون ان يتمكنوا من الدفاع ومعهم قائدهم
الملازم الاول جر كس رضا افندي

الميرالايه -- ادم

هذا هو التقرير الذي بعث به الميرالاي ادم بلك من الاحساء الى وزارة
الحربية عن الموقف في جزيرة العرب في الشهر الذي دخلت فيه الدولة الحرب
العالمية وفي المعلومات التي اوردها القائد في تقريره هذا كثير من المعلومات التي
تدل على حقيقة الموقف الذي كان على كثير من الخطورة في الجزيرة العربية
خصوصا وانه ما كاد يمضي الشهر على وصول هذا التقرير حتى رأينا الانكليز
يسيطون حمايتهم على اماره الكويت حيث لم يحفل الامير ببناء الخليفة ولا
بقرار الجهاد فارتمى بين احضان الانكليز وكان هذا الامر مصير الكثير من
الامارات العربية بحيث لم يزل منها مخلصا لنفسه محبا لبلاده واستقلاله الا اميرين
هما الامير عبد العزيز السعود والامام يحيى حميد الدين

الصهيونيه واسبابها

كان اليهود في فلسطين في بدء القرن التاسع عشر عبارة عن خليط من
يهود الغرب والاسبان الذين هاجروا بلادهم على اثر المظالم التي اقواها من الملك
فردينسان وفيليب الثاني وهو لاء يعرفون باسم « سفارديم » اي اهل الكتاب
وفي اواسط القرن التاسع عشر هاجرت الى فلسطين كتلة ثانية من اليهود لا صلة
لها قط بالفئة الاولى وهي قافلة المهاجرين من روسيا والمعروفة باسم « اشكنازيم »
اي يهود اوروبا الشرقية وكان هو، لاء يقطنون منطقة صفد اعتقاداً منهم ان
المسيح الجديد سيظهر في هذه البقعة من الارض الفلسطينية

وفي اواخر القرن التاسع عشر اشتدت الهجرة اليهودية من روسيا على اثر المظالم
التي ارتكبت ببعض اليهود وبذلك اخذوا في توسيع حركاتهم والاقتكار
بضرورة احياء مجد اسرائيل السابق

فكرة الوطن القومي — ان الهجرة اليهودية الى فلسطين لم تكن في حد ذاتها منظمة في بادئ الامر الا انها ما اثبتت ان تكونت وتولدت منها الفكرة السياسية على اثر المؤتمرات الذي عقده بعض زعمائهم في فلسطين وكان اول مؤتمرها عقد لهذه الغاية سنة ١٨٨٠ حيث قام لوانتن وواينبرغ الروسي وفراين البولوني وهابسم الروسي وهايفمن والقوا جمعية غايتها العمل على حمل اليهود على الهجرة الى فلسطين وتأسيس مستعمرات يهودية في المنطقة المعروفة باسم (بلاد يهودا) .

وكان اول عمل اقيم ان اجس اليهود القادمون من روسيا سنة ١٨٨٢ قرية « ريشون لريون » وفي حنة ١٨٨٣ جمع يهود رومانيا من بينهم الاموال اللازمة واوفدوا عشر عائلات استوطنت قطعة ارض كانت في جوار حيفا شيدوا فيها بعض الاكواخ الحديثة في السنة نفسها واطلقوا عليها اسم « زمارين » او في تعبيرهم اليهودي « زيكرون زمارين »

ثم انصرفت هذه الجمعية بعد تأسيسها هاتين القريتين الحديثتين الى تعزيز الزراعة وحمل اليهود القاطنين غربي فلسطين على الاشتغال في الشؤون الزراعية ولكن الوضعية لم تسر في بادئ الامر على ما يرام وكانت الاموال قليلة جداً ولهذا قررت الجالية اليهودية او الجمعية اليهودية المذكورة ارسال « لوانتين ونيبرغ » الى اورباللقيام بسد عايات لارض اسرائيل في اوربا وجمع المال اللازم لهذه الغاية وقد سافر الرجل لتحقيق هذه الغاية سنة ١٨٨٧

ولما وصل الى باريس اقي فيها رجال الدين وقدمه احد حاخاميهم للبارون : مون دي روتشيلد الذي تمكن من التأثير عليه ففتح له الاعتمادات الضافية اوفد وكيلا عنه الى « ريشون لريون »

ومنذ ذلك التاريخ اخذت القضية اليهودية دوراً جديداً مكن منها التقدم لولا اقدام روتشيلد على هذه المساعدة لما وصل الموقف الى ما هو عليه ولظلت وضعية اليهود سيئة

ولما اشتدت مظالم الروس على اليهود في اواخر القرن الماضي وكثرت المذابح قام تارسيس ليتون ، فرنسيس فيليبيون ، ادمون لاهمن ، سلورن وايناق ، هنري فرنك ، وغيرهم من اغنياء الانكليز والفوا جمعية باسم «الشركة الاستعمارية اليهودية» في لندن سنة ١٨٩٠ غايتهما العمل على مشتري الاراضي اللازمة لليهود ليس في فلسطين فحسب بل في الارجتين والبرازيل وكندا ايضا .

وكان اعضاء هذه الجمعية من ذوي الشهرة في اوربا ومن كبار رجال المال حتى ان احدهم وهو البارون هيرش صاحب امتياز شركة حديد الروملي قد وهب ثروته البالغة ٤٠٠ مليون فرنك الى الجمعية المذكورة وقد ترأس هذه الجمعية المسيو تارسيس ليتون رئيس جمعية مدارس الاليانس الاسرائيلية الذي غل في رئاسة هاتين الجمعيتين الى الحرب العالمية حيث فارق الحياة والمؤء كدان هذه الجمعية قامت بخدمات عديدة لليهود في فلسطين لانها بواسطة الاموال التي جمعتهال هذه الغاية وطلت نفوذ اليهود واقامت حجر الذابضة للوطن القومي الذي بنافس اليوم عرب فلسطين منشأ الوطن القومي — اما العمل على تحقيق الوطن القومي فقد بدأ فعليا سنة ١٨٨٢ حيث كان العاملون منقسمين الى قسمين :

الفئة الاولى منهم اخذت تعمل تحت ادارة البارون روتشلد الفرنساوي في سبيل احياء الوطن القومي اليهودي في فلسطين حيث كان هذا البارون يبذل الاموال في سبيل تحقيق هذه الغاية والثانية اخذت تعمل في سبيل تحقيق هذه الفكرة في الارجتين تحت ادارة البارون هرشه النمساوي

وظلت الافكار قائمة على هذا المنوال الى سنة ١٨٩٦ حيث اصدر اليهودي الحبري المشهور «مرتزل» كتابه «الحكومة اليهودية» وضع فيه خطط اليهود الصهيونيين النهائية في هذا السبيل وابت هذا الكتاب مقدسا في نظر اليهود حتي

فكرة الوطن القومي — ان الهجرة اليهودية الى فلسطين لم تكن في حد ذاتها منظمة في بادئ الامر الا انها ما اثبتت ان تكونت وتولدت منها الفكرة السياسية على اثر المؤتمر الذي عقده بعض زعمائهم في فلسطين وكان اول مؤتمرها عقد لهذه الغاية سنة ١٨٨٠ حيث قام لوانثن وواينبرغ الروسي وفرايمن البولوني وهابسم الروسي ومايغمن والقوا جمعية غايتها العمل على حمل اليهود على الهجرة الى فلسطين وتأسيس مستعمرات يهودية في المنطقة المعروفة باسم (بلاد يهودا) .

وكان اول عمل اقيم ان اسس اليهود القادمون من روسيا سنة ١٨٨٢ قرية «ريشون لريون» وفي حنة ١٨٨٣ جمع يهود رومانيا من بينهم الاموال اللازمة واوفدوا عشر عائلات استوطنت قطعة ارض كائنة في جوار حفاشيدوا فيها بعض الاكواخ الحديثة في السنة نفسها واطلقوا عليها اسم «زمارين» او في تعبيريهم اليهودي «زيكرونا باكوب» .

ثم انصرفت هذه الجمعية بعد تأسيسها هاتين القريتين الحديثتين الى تعزيز لزراعة وحمل اليهود القاطنين غربي فلسطين على الاشتغال في الشؤون الزراعية ولكن الوضعية لم تسر في بادئ الامر على ما يرام وكانت الاموال قليلة جداً ولهذا قررت الجالية اليهودية او الجمعية اليهودية المذكورة ارسال «لوانثين ونيبرغ» الى اوربالقيام بدعايات لارض اسرائيل في اوربا وجمع المال للازم لهذه الغاية وقد سافر الرجل لتحقيق هذه الغاية سنة ١٨٨٧

ولما وصل الى باربس لقي فيها رجال الدين وقدمه احد حاخاميهم للبارون مون دي روتشيلد الذي تمكن من التأثير عليه ففتح له الاعتمادات الضافية اوفد وكيلا عنه الى «ريشون لريون»

ومنذ ذلك التاريخ اخذت القضية اليهودية دوراً جديداً ممكن منها التقدم لولا اقدام روتشيلد على هذه المساعدة لما وصل الموقف الى ما هو عليه ولظلت وضعية اليهود سيئة

ولما اشتدت مظالم الروس على اليهود في اواخر القرن الماضي وكثرت
المذابح قام تارسييس ليثون ، فرنسيس فيليبسيون ، ادمون لاهمن ، سلورن-
رايناق ، هنري فرنك ، وغيرهم من اغنياء الانكليز والفوا جمعية باسم «الشركة
الاستعمارية اليهودية» في لندن سنة ١٨٩٠ غايته العمل على مشتري الاراضي
اللازمة لليهود ليس في فلسطين فحسب بل في الارجتين والبرازيل وكندا
ايضاً .

وكان اعضاء هذه الجمعية من ذوي الشهرة في اوربا ومن كبار رجال المال
حتى ان احدهم وهو البارون هيرش صاحب امتياز سكة حديد الروماني قد
وهب ثروته البالغة ٤٠٠ مليون فرنك الى الجمعية المذكورة وقد ترأس هذه
الجمعية المسيو تارسييس ليثون رئيس جمعية مدارس الاليانس الاسرائيلية الذي
ظل في رئاسة هاتين الجمعيتين الى الحرب العالمية حيث فارق الحياة
والموء كدان هذه الجمعية قامت بخدمات عديدة لليهود في فلسطين لانها
بواسطة الاموال التي جمعتها هذه الغاية وطدت نفوذ اليهود واقامت حبر الذاوية
للوطن القومي الذي بنافس اليوم عرب فلسطين
منشأ الوطن القومي — اما العمل على تحقيق الوطن القومي فقد بدأ فعليا سنة
١٨٨٢ حيث كان العاملون منقسمين الى قسمين :

الفئة الاولى منهم اخذت تعمل تحت ادارة البارون روتشلد الفرنسي
في سبيل احياء الوطن القومي اليهودي في فلسطين حيث كان هذا البارون يبذل
الاموال في سبيل تحقيق هذه الغاية
والثانية اخذت تعمل في سبيل تحقيق هذه الفكرة في الارجتين تحت ادارة
البارون هرشه النمساوي

وظلت الافكار قائمة على هذا المنوال الى سنة ١٨٩٦ حيث اصدر اليهودي
المجري المشهور «هرتزل» كتابه «الحكومة اليهودية» وضع فيه خطط اليهود
الصهيوتيين النهائية في هذا السبيل وبات هذا الكتاب مقدسا في نظر اليهود حتي

فكرة الوطن القومي — ان الهجرة اليهودية الى فلسطين لم تكن في حد ذاتها منظمة في بادئ الامر الا انها ما اثبتت ان تكونت وتولدت منها الفكرة السياسية على اثر المؤتمرات الذي عقده بعض زعمهم في فلسطين وكان اول مؤتمرها عقد لهذه الغاية سنة ١٨٨٠ حيث قام لوانتن وواينبرغ الروسي وفراين البولوني وهايسمن الروسي وهايفمن والقوا جمعية غايتها العمل على حمل اليهود على الهجرة الى فلسطين وتأسيس مستعمرات يهودية في المنطقة المعروفة باسم (بلاد يهودا) .

وكان اول عمل اقيم ان اسس اليهود القادمون من روسيا سنة ١ٸ٨٢ قرية « ريشون لريون » وفي حنة ١٨٨٣ جمع يهود رومانيا من بينهم الاموال اللازمة واوفدوا عشر عائلات استوطنت قطعة ارض كائنة في جوار حيفا شيدوا فيها بعض الاكواخ الحديثة في السنة نفسها واطفوا عليها اسم « زمارين » او في تعبيرهم اليهودي « زيكرون زمارين »

ثم انصرفت هذه الجمعية بعد تأسيسها هاتين القريتين الحديثتين الى تعزيز لزراعة وحمل اليهود القاطنين غربي فلسطين على الاشتغال في الشؤون الزراعية ولكن الوضعية لم تسر في بادئ الامر على ما يرام وكانت الاموال قليلة جداً ولهذا قررت الجالية اليهودية او الجمعية اليهودية المذكورة ارسال « لوانتين ونيبرغ » الى اورباللقيام بسدعايات لارض اسرائيل في اوربا وجمع المال للازم لهذه الغاية وقد سافر الرجل لتحقيق هذه الغاية سنة ١٨٨٧

ولما وصل الى باريس اقي فيها رجال الدين وقدمه احد حاخاميهم للبارون مون دي روتشيلد الذي تمكن من التأثير عليه ففتح له الاعتمادات الضافية اوفد وكيلا عنه الى « ريشون لريون »

ومنذ ذلك التاريخ اخذت القضية اليهودية دوراً جديداً مكن منها التقدم لولا اقدام روتشيلد على هذه المساعدة لما وصل الموقف الى ما هو عليه ولظلت وضعية اليهود سيئة

ولما اشتدت مظالم الروس على اليهود في اواخر القرن الماضي وكثرت المذابح قام تارسيس ليثون ، فرنسيس فيليبسون ، ادمون لاهمن ، سلورن رابناق ، هنري فرنك ، وغيرهم من اغنياء الانكليز والفوا جعية باسم «الشركة الاستعمارية اليهودية» في لندن سنة ١٨٩٠ غابتها العمل على مشتري الاراضي اللازمة لليهود ليس في فلسطين فحسب بل في الارجتين والبوازيل وكندا ايضاً .

وكان اعضاء هذه الجمعية من ذوي الشهرة في اوربا ومن كبار رجال المال حتى ان احدهم وهو البارون هيرش صاحب امتياز سكة حديد الروملي قد وهب ثروته البالغة ٤٠٠ مليون فرنك الى الجمعية المذكورة وقد ترأس هذه الجمعية المسيو تارسيس ليثون رئيس جمعية مدارس الاليانس الاسرائيلية الذي ظل في رئاسة هاتين الجمعيتين الى الحرب العالمية حيث فارق الحياة

والموء كدان هذه الجمعية قامت بخدمات عديدة لليهود في فلسطين لانها بواسطة الاموال التي جمعتها لهذه الغاية وطدت نفوذ اليهود واقامت حجر الزاوية للوطن القومي الذي يناقش اليوم عرب فلسطين

منشأ الوطن القومي — اما العمل على تحقيق الوطن القومي فقد بدأ فعلياً سنة ١٨٨٢ حيث كان العاملون منقسمين الى قسمين :

الفئة الاولى منهم اخذت تعمل تحت ادارة البارون روتشيلد الفرنسي في سبيل احياء الوطن القومي اليهودي في فلسطين حيث كان هذا البارون يبذل الاموال في سبيل تحقيق هذه الغاية

والثانية اخذت تعمل في سبيل تحقيق هذه الفكرة في الارجتين تحت ادارة البارون هرشه النمساوي

وظلت الافكار قائمة على هذا المنوال الى سنة ١٨٩٦ حيث اصدر اليهودي المغربي المشهور «مرتزل» كتابه «الحكومة اليهودية» وضع فيه خطط اليهود الصهيونيين النهائية في هذا السبيل وبات هذا الكتاب مقدساً في نظر اليهود حتي

انهم ينظرون اليه اليوم كدوراة ثانية انزلت من عند الله
وهو نزل لم تبحث في كتابه هذا عن المكان الذي يجب ان تكون فيه
ارض الميعاد لانه كان يرغب من وراء كتابه هذا ان يوحد الفكرة بين اليهود
وان يعمل على تحقيق مساعيهم وقد اثمرت مساعيه هذه عن الغاية التي يريدونها
حيث مالبت الرأسماليون اليهود ان ذهبوا يخطبون ودد ومفاوضته وقرروا عقد
مؤتمر عام اجتمع من ٢١ آب الى اول ايلول سنة ١٨٩٧ في مدينة «بال»
حضره ٢٠٠ مندوب عن سائر طبقات اليهود في العالم وفيه قرروا ان غاية
الصهيونية انشاء قري يهودية في فلسطين مؤمنة من سائر وجوهها ولتحقيق هذه
الغاية قرروا مايلي :

اولا — استعمار فلسطين بواسطة اليهود المزارعين واصحاب الصناعات
المستقلة والعمال من مختلف الصناعات

ثانيا — ايجاد وحدة وطنية بين سائر اليهود المنتشرين في مختلف انحاء
الكرة الارضية .

ثالثا — انتخاب هيئة تبشيرية لتنزيل الفكرة التي بثها البعض في عقول
اليهود عن عدم فائدة الوطنية القومية وضرورة التمسك بالوطنية اليهودية
رابعا — التوسل بسائر الخطط الممكنة لافهام سائر حكومات العالم غاية
الصهيونية وحملها على الاعتراف بها

خامسا — تأليف لجنة تنفيذية مؤلفة من ٢٣ عضواً بصورة دائمة
ومركزها في فيانا .

سادسا — انتخاب الدكتور هرزل رئيساً للجنة التنفيذية
سابعا — على كل صهيوني ان يدفع رسماً سنوياً قدره فرنك واحد
وهكذا اخذت القضية دوراً جديداً عقب هذه الحادثة راح يتسع الى ان
رأينا الصهيونية بشدتها التي نراها عليه في الوقت الحاضر في فلسطين
وقد ساعد على انتشار الصهيونية في البلاد تمسك هؤلاء في جنسيتهم الاجنبية

حيث كانوا بما هو موجود في البلاد من امتيازات اجنبية عارفين كيف يدافعوا عن حقوقهم غير عابئين في قوة الحكومة وتمهيداتها ، ولهذا رأينا الحكومة تضع بعض الشروط عندما ابرق اليها خمسة الاف يهودي روسي من سكان منطقة يافا يطلبون الجنسية العثمانية اعتقاداً منها ان هؤلاء وان كانوا حقيقة يطلبون الجنسية العثمانية فانها لهم في النفس ليس الا

الفصل الخامس

الدعايات ضد الدولة العثمانية

كثرت الدعايات الاجنبية في البلاد الغربية ضد الدولة العثمانية واخذت الصحافة تتخبط في نشر الاخبار عن مراكز الجيش والحالة في البلاد العثمانية ويرجع السبب في ذلك لوجود شبكة منظمة للدعايات لدى الحلفاء التي تمكنت من قلب كثير من الخيالات الى حقائق راهنة وكانت الحكومة الالمانية قد استت مثل هذه الهيئة لنفي هذه الاشاعات المتعلقة ببلادنا

وعقد اجتماع يوم ٣٠ تشرين ثاني في وزارة الداخلية تقرر فيه تاليف ادارة باسم «عثمانلي هيئة اخباريه مي» اي الهيئة الاخبارية العثمانية لتعمل في سبيل مقاومة هذه الدعايات ، ووجه في منهاجها ان الغاية الظاهرة او الاساسية من تاليف هذه الادارة نفي الدعايات التي تنشر ضد السلطنة العثمانية في خارج البلاد وارشاد الشعب الى حقيقة الموقف الا ان هذه الهيئة التي ما لبثت ان احدثت لها فروعا في سوريا ولبنان وفلسطين انقلبت الى ادارة لنشر الدعايات الالمانية والجاسوسية لها وكان اكبر عامل لها في البلاد السورية اهر كارل هويل الذي لعب فيها دوراً خطيراً سنعود لدرسه وتبياناه

تصريحات رئيس الحزب الوطني — والحزب الوطني المصري عمل بكل قواه قبل الحرب العالمية في سبيل اخراج الانكليز من مصر وكان من جراء ذلك ان اضطر رئيس الحزب فريد بك وبعض رفاقه مغادرة مصر الى اوربا ، وقد عرف فريد بك بما كان من مساعي الترك في سبيل فتح مصر فظن ان هذه المحاولة ناجحة وان في امكان الاتراك احتلال مصر ولهذا المشائات رأيتاه يغادر اوربا عائداً الى البنا

وقد اغتنم القابضون على زمام الحكم في تركيا هذه الفرصة للاستفادة من قدومه قصد تشجيع القوات العثمانية لفتح مصر من جهة وحمل المصريين من جهة ثانية على القيام لمعاودة القوات العثمانية الذاهبة اليهم وكنت يومئذ في الانكليزاة عندما دعاني طلعت بك وطلب الي ان اذهب لمقابلة فريد بك واقناعه بضرورة الادلاء بتصريحات موافقة لصالح الدعوة له الى الصحفيين قبل وادلى الى صحافة استمبول بتصريحات نشرت في ١٩ تشرين ثاني ١٩٣٠ « ٣ كانون اول سنة ١٩١٤ هذا نصها قال فريد بك :

اعرف ان الجيش العثماني المظفر اي جيشنا بات على ابواب السويس وانه قد حل اليوم الذي سنحاسب به الانكليز الا انه يقتضي لاعطائكم معلومات مفصلة عن تلك الحركات ضرورة كوني عسكريا وانا اجهل هذا الفن الا ان ما اعرفه من حماسة الجيش العثماني رافع لواء الاسلامية المقدس يجعاني على اعتقاد وطيد بإمكان اجتياز القناة بسهولة تامة وان في مقدوره ان يزيل سائر الازايق التي يحاول العدو اقامتها تجاهه

— ١٠ — هو مقدار القوة التي اقامها الانكليز في مصر

— اعرف ان الانكليز قد اقاموا في مصر منذ ثلاثة اسابيع قوة يبلغ مقدارها خمسين الف جندي وهذه القوة مؤلفة من الانكليز لانه بعد اعلان جلالة الخليفة الجهاد المقدس بات من المستحيل على الانكليز الاعتماد على صداقة المصريين المسلمين لهم والعمل معهم اما القوات المصرية الموجودة في داخل القطر المصري فقد

قسموها الى قوات جزئية لا يتعدى اكبرها المئتي جندي وارسلوها الى المناطق الداخلية البعيدة ، ولست اعرف ماذا كان الانكليز قد ارسلوه قوات جديدة الى مصر غير هذه

— ماذا تعلمون عن امكان قيام المصريين بشورة ضد الانكليز ؟
— ان المتعين للسياسة المصرية يعلمون ان المصريين وعلى الاخص المسلمين منهم ينفرون ويكرهون الانكليز بكل ما في هذه الكلمة من معنى وليس هناك من شك قط في ان تقدم القوات العثمانية الى مصر سيولد في القلوب فكرة انتقام شديدة تدفع الجميع الى الشعور بواجبهم وان وقت العمل قد حان
— ان الثورة المصرية وان لم تكن قد بدأت فلان وقتها المعين لم يحن بعد لان المصريين لا يزالون لغاية هذه الساعة يترقبون الفرص وعندما يقترب الجيش العثماني اكثر من ذلك ترون قوات مصر الثائرة في المقدمة والدليل على ذلك البرقية التي طبرها قبلا اشرف مصر الى جلالة الخليفة

— وماذا تعتقدون في موقف السودانيين تجاه ذلك
— انا على اكثر من واثق بان السودانيين المعروفين بغيرتهم الدينية الاسلامية هم اكثر من غيرهم استعداداً ورغبة في الدفاع عن كلمة الجهاد التي اعلنها الخليفة المقدس وفي هذه الحالة يتخرج موقف الانكليز تماما

هذا من جهة ومن جهة اخرى هناك القوات السنوسية فانتم تعلمون ان الشريف السنوسي قد غادر مركزه في جغبوب وهو سائر الى الامام لتلبية نداء الخليفة ويلزم لقواته التي تركت جغبوب من ١٠ الى ١٥ يوما لتصل الى الحدود المصرية وعندها يتخرج موقف الانكليز لانهم يصبحون محاطين من الغرب بالسنوسيين ومن الجنوب بالسودانيين ومن الشرق بالقوات العثمانية ومن الداخل بالمصريين فتجاه هذا الموقف الخرج يصعب تماما على القوات العسكرية الانكليز الثبات في مصر طويلا

— هل تريدون الذهاب الى مصر بعد دخول القوات العثمانية اليها ؟

— بدون شك لانني ارى بمشاركه بني وطني في عهد الخلاص الذي
سيعيدونه هناك

— ولكنكم محكومون في مصر

— نعم انني محكوم ولكن الحكم صادر علي من الادارة الظالمة ودخولي
اليها سيكون عقب تقاض هذه الادارة

هذه هي النصريات التي ادلى بها فريد بك وقد كانت ذات تأثير شديد
ليس على رجال الادارة المركزية الذين يعرفون حقيقتها بل على القوات الداعمة
لفتح مصر حيث سار الجميع الى الامام وهم على اعتقاد وطيد بان القوات الزاحفة
سائرة الى الامام وانها ستلاقي من الجهات الثلاث التي اشار اليها فريد بك كلها هي
بحاجة اليه من معونة

فهل كان ذلك حقيقي ؟

كلا ، لان قواتنا تراجع ولم تلق اذني معارضة من المصادر الثلاثة التي ذكرها
فريد بك في حديثه بل كان الامر عكس ذلك حيث رأينا المصريين انفسهم
يشغلون خطنا بدلا من ان يعملوا بجانبنا

الفصل السادس

المعارك الحربية في الشهر الاول لدخول الحرب

في تركيا، والقفقاس، وبلاد العرب

دخلت تركيا الحرب في اليوم السادس عشر من شهر تشرين الاول سنة ١٣٣٠ (٢٩ تشرين ثاني) عقب المعركة التي نشبت في البحر الاسود يوم ١٦ تشرين اول بين الاسطولين الروسي والعثماني وفي ١٩ منه هاجمت القوات الروسية جيمتنا القفقاسية بنحس فبالق و بدأت تتقدم الى الامام اليوم الثالث والعشرين منه حيث اخترقت مساحة شاسعة من الاراضي ووصلت لحدود منطقة «كوي كوي» حيث تواجعت قواتنا الى الورا.

وفي ٢٥ منه صمدت لها القوات التركية في تلك الجهات ولكن هذا الفوز لم يدم طويلا لان القوات الروسية التي تواجعت في معركة ٢٥ منه عشر كيلو مترات الى الورا عادت يوم ٢٦ منه بقوات اكلي واحتلت مرا كزنا في جبهة قوية تمتد لمساحة ١٥ كيلو مترا يحتملها من الجنوب مجرى نهر آراس الكبير ومن الشمال سلسلة طويلة من الجبال الشاخنة الوعرة المسالك

وفي صباح ٢٨ تشرين الاول (١١ ت ٣ سنة ١٩١٤) بدأت قواتنا بهجومها العام على جناحي العدو وقد تمكنت في الساعة العاشرة منه من ضبط «كوي كوي» بعد معركة دامت ثلاث ساعات قتل خلالها من قواتنا الحاربة ٣٥٣ جنديا و٤٧ ضابطا وقتل من العدو اكثر من هذا العدد

وفي مساء اليرم نفسه اخذت مدفعية العدو في اطلاق قنابلها على مواقعنا فحدثت نضعضا شديداً في معسكرنا واضطرت قيادتنا لان تسحب قواتها المعسكرة هناك الى الجبهة الخلفية بعد ان هامت قرية « كوبري كوي » وحالت دون تمكن القيادة من اقامة الاستحكامات الجديدة ، وفي المساء استمر العدو يلقي قذائفه على مواقعنا الامامية طيلة الليل تحت الانوار الكهر بائية وفي الساعة الرابعة من صباح ٢٩ ت ١ اخذت قوات العدو تتقدم الى جبتنا من الشرق حيث نصبت مدفعتها على الهضبة رقم ١٩٠٥ وفي الساعة السابعة من صباح اليوم نفسه كانت قواتنا مشتبكة بمعركة دامية بالسلاح الابيض في منطقة (سبه) بعد ان سكنت، المدفعية وطأت هذه الحجرة البشرية مستمرة بين الفريقين الى الساعة الثالثة بعد الظهر فاسفرت عن تراجع العدو الى الوراء بعد ان احتلت قواتنا مواقعه والهضبة ١٩٠٥ مع مدفعتها التي لم يتمكن العدو من تحريرها او سحبها وعلى اثر هذه المعركة نقل العدو جهته العمومية الى الخط الممتد من آزاب - زازاق - خوشاب على مساحة ١٢ كيلومترا فتعقبت قواتنا الى الامام الان مدفعية العدو ما لبثت ان صدتها عن تقدمها واضطرتها الى التوقف في تلك المنطقة وفي مساء ٣١ تشرين الاول فاجأت قواتنا العدو في جوار لازستان حيث جناح قواتنا الايمن فاحتلتها بعد ان قتلت من العدو ٨٥ جنديا وامرت ٣٠٠ جندي اخرين وفي اليوم الثاني تقدمت قواتنا الى (لمان) فاحتلتها واخذت قواتنا في الجناح الايمن تتقدم والعدو يتراجع امامها الى ان تمكنت يوم ٩ ت ٣ سنة ١٣٣٠ (٢٢ ت ٢ سنة ١٩١٤) من حمله على عبور نهر (جوروخ) الى ضفته الثانية واسترداد مدينة (ارتوين)

اما الجناح الايسر فقد بدأ حركته عقب احتلال قوات الجناح الايمن ارتوين حيث هاجم في اليوم ١٢ ت ٢ قوات العدو في (مورغول) فاحتلها بعد معركة دامت سبع ساعات قتل خلالها من قواتنا ٩١ جنديا ومن العدو ٤١٧ جنديا حسب تقرير وزارة الحربية الروسية الذي نشر بعد الحرب العالمية ثم اخذت

قواتنا تتقدم الى الامام الى ان تمكنت في هذا اليوم من احتلال « بور جيجا »
المؤدية الى ولاية باطوم

وقد كان الفوز الذي احرزته قواتنا في الشهر الاول من الحرب العالمية على
قوات الروس الفائقة العدد الامر الذي زاد في غرور القابضين على زمام الحكم
في بلادنا حتي اعتقد الجميع ان الموقف اذا استمر على هذا المنوال سيؤدي الى فوز
قواتنا في سائر الجبهات

حتي ان امبراطور المانيا نفسه خدع بهذا الفوز الوقي فابرق الى السلطان
محمد رشاد بهنئه بفوز قواته على الروس في الجبهة القفقاسية

الموقف على حدود مصر - تحركت قواتنا الى مصر في اليوم الخامس
والعشرين من شهر تشرين الاول سنة ١٣٣٠ المصادف لليوم السابع من
شهر ت ٢ سنة ١٩١٤

ولما كانت المنطقة التي سارت بها قواتنا خالية من القوات المصرية والانكليزية
الا من نفر قليل من الحراس الذين لم يبدوا مقاومة تتقدم من قواتنا الى الامام فاحتلت
يوم ٢٨ ت ١ موقع (الشيخ زور) واسرت حاميته المولفة من ثمانية من الحراس
ثم تقدمت الى العريش فاحتلتها يوم ٣٠ منه وفي ٥ ت ٢ - ١٨ منه - احتلت
قلعة النحل التي تبعد ١٢٠ كيلومتراً عن الحدود العثمانية

وقد حاولت الحكومة ان تهلل للفوز الذي احرزته قواتنا في هذه المنطقة مصورة
ان تقدم القوات العثمانية ١٢٠ كيلومتراً في مدة اسبوعين يعد من الامور الخارقة
ضرب العقبة وفي اليوم الثالث لدخولنا الحرب العالمية اي في ٣ تشرين
ثاني سنة ١٩١٤ ضرب الاسطول الانكليزي العقبة وعادوا الى ضربها ثانيا في
اليوم السابع منه وقد اكتفوا خلال هذا الشهر من اطلاق القنابل على هذين
المركزين فقط

في منطقة الفاو - وفي ١٦ تشرين ثاني سنة ١٩١٤ قام الانكليز بحركة
اخراج جنود في منطقة الفاو (في الخليج) وقد اتلفوا في هذه المحاولة سائر الزوارق

الموجودة هناك والمعدة لخفر الساحل وبذلك مهدوا الذيل لاجراج جنودهم هناك وقد
نشبت من جراء ذلك عدة معارك بين قواتنا والقوات الانكليزية اذت الى تسكيدنا
خسائر عظيمة فالحكومة في بلاغا الذي نشرته عن هذه المعارك قالت ان خسائر
العدو في هذه المعركة كانت ٧٥٠ قتيلا والف جريح وان خسائرنا لا تتعدى
العشرين قتيلا مع ان الحقيقة الراهنة اكدت لي ان خسائرنا في هذه المعارك زادت
على التخمينة قليل اما خسائر العدو الرسمية فلم اعلم مقدارها تماما الا انها على كل
حال ليست باقل من خسائر قواتنا لانها كانت مهاجمة

المعركة البحرية - هذا هو الموقف الحربي في المنطقة البرية خلال الشهر
الاول من الحرب العالمية اما الحالة في البحر فانه بعد المعركة التي نشبت بين
اسطولنا في البحر الاسود وبين الاسطول الروسي عاد الاتراك وارسلوا في اليوم
الثاني الدرعة (مدالي) الى نغر «توروسيدق» حيث اطلقت قنابلها على المراكز
اروسية فاغرقت احدى بواخر النقلات العسكرية ثم ضربت بعض المراكز
العسكرية قنابلها ومن ثم عادت الى مدخل المضائق

وفي اليوم نفسه قصد الطرادان «معاونت مليت» و«غيرت وطنية» الى نغر
اردهما فخربت خمس بواخر نقلية عسكرية وهدمت بعض المباني العسكرية
اما الدارعة كوين «ياووز» فانها قصدت مع بحر بين الى نغر سبواستابول
وامطرتها بوابل من القنابل ثم القت في البحر بعض الطوربيلات السابحة وغادت
ادراجها الى الاسنانة .

مقابلة الروس -- ولكن الروس لم يسكتوا على ضيق قائلهم ما لبثوا ان جمعوا
في اليوم الثاني سائر الطوربيلات السابحة التي القاها الالمان وجوزوا قسما من
اسطولهم المؤلف من ١٥ قطعة حربية تتقدمها المدرعتان «بامبات مرقويا»
و«قاغول» وسارت الى الشواطئ التركية فاغرقت البواخر التركية «بزم
عالم» و«بحر احمر» و«مدخت باشا» بعد ان اسرت ربابتها ثم اقلت قذائفها
على مرفائي (زونغولداق) و(قوزني) فاحدثت فيها تلفا شديدا وكانت

خسائرنا في هذه الحادثة عظيمة جداً لان القنابل التي القاما العدو على هذين المرفأين وعلى البواخر الثلاث كانت سبباً في فقدان ٤٢٠ قتيلاً و ٨٠٠ جريح كما انها هدمت قسماً وافراً من الاملاك الرسمية والخصوصية

وقد كان في الامكان ان تحدث هذه المعركة تأثيراً سيئاً في معنويات الدولة ولكن الاميرال سوشن ما لبث ان قام بعن الى الحكومة ان في مقبوره ان يجابه باسطوله الصغير قوات العدو البحرية الفاتكة ولهذا ارسل في ٢٥ تشرين الاول « ٨ تشرين ثاني ١٩١٤ » عمارة بحرية مؤلفة من خمس قطع الى مرفأ (بوني) الروسي الا ان قواتنا لم تقدر ان تنال من هذا الموقع المستحكم شيئاً بل ان المدفعية الروسية كانت تهدد بقنابلها اسطولنا الذي ما لبث ان اضطر الى التراجع الى الوراء بعد ان صرف مئات القنابل هدراً حتى ان قنبلة واحدة لم تقع من قنابل اسطولنا في الهدف الذي كانت مرسله اليه

وقد زاد الامر حرجاً ان الاوامر وردت الى هذه القطع العثمانية بالتراجع فوراً الى الوراء لان المعلومات الواردة اليها تدل على ان الاسطول الروسي يستعد لقطع خط الرجعة عليها وتناولها بسائر افرادها اسيرة وعادت هذه القطع فوراً الى الاستانة ولو تأخرت في مراكزها ثلاث ساعات اخرى لكانت حتماً عرضة الى تهجمات الاسطول الروسي ووقوعها اسيرة بين يديه

الموقف في جزيرة العرب

وفي اليوم الاول من شهر كانون الاول سنة ١٩١٤ اعلن حاكم عدن الانكليزي انه بحاجة الى استخدام متطوعين في القوات البريطانية ويدفع الى المتطوع في الجندية الماربة ١٢ ليرة انكليزية في الشهر والى القوات التي تستخدم في الحافظة ١٤ ربالاً وقد اثر هذا البيان في القبائل الموجودة هناك حتى ان حاكمية عدن تمكنت في مدة شهر من اذاعتها هذا البيان من استخدام عشرة آلاف

شخص من أبناء الجزيرة العربية استخدمتهم في القوات الزاحفة على جزيرة العرب
من جهة البصرة .

وقد كان الشيخ عبد الرحمن شيخ مشايخ « قاطبة » اليمنية قد أعلن بموجب
بيان نشره بتاريخ ٢٥ تشرين ثاني سنة ١٩١٤ استعدادة لنصرة قوات الخليفة
ودعا رجاله الى العمل معه تلبية لداعي الجهاد وفعلا زحف بقواته في اليوم الاول
من شهر كانون الاول الى الامام واحتل موقعي « قعره » و « اوق-لا » وطرد
منها القوات البريطانية الموجودة هناك ، ولكن حاكم عدن الانكليزي ما لبث
ان عرف كيف يتدير الامر فارسل يا عوشبخت « قاطبة » الى ولا الدولة البريطاني
على ان يعترف له باستقلال بلاده وسيادته عليها هو واولاده من بعده وان يخصص
له راتباً شهرياً قدره خمسمائة ليرة انكليزية قبل الشيخ عبد الرحمن بما طلبه منه
حاكم عدن وبذلك عدل الشيخ المذكور عن مناصرة قوات الخليفة وترك مسألة
تلبية الجهاد جانباً

الفصل السابع

اعلان الحصار على سوريا - ضرب بيروت - الغاية من ضرب بيروت
وتأثيرها - تهجير المسيحيين - الحلفاء - واثولون عن المجاعة

لم تكن الطريق مقفلة في شهري الحرب الاولين بين الشواطئ السورية بل بدأ في اواسط كانون الاول سنة ١٩١٤ فقد ورد اشعار من قيادة قوات فلسطين بتاريخ ١٧ كانون الاول يفيد ان ثلاث دوارع بريطانية القت القنابل على المخافر العسكرية بين يافا وغزة فهدمتها وقتلت خمسة من الجنود وثلاثة من الاهلين وفي صباح اليوم نفسه رست في مياه بيروت الدارعة الروسية « اسقوت » وبعد ان تجولت قرب شواطئ بيروت وقفت تجاه المرفأ واخذت في القاء قنابلها فاغرقت باخرتين صغيرتين كانتا داخل المرفأ

ثم طاردت مركبا شراعيا في جوار جونبة والقت بضعة قذائف من قنابلها على الساحل بين جونبة وجبيل حيث المخافر التركية فاحدثت فيها ضرراً غير قليل

وبعد ظهر اليوم نفسه عادت هذه الدارعة الروسية وطاردت بعض المراكب الشراعية التي كانت تنقل الحبوب بين بيروت والسواحل الكائنة في جنوبها وشمالها فاغرقت ثلاثة منها بعد ان اسرت بحارتها

ثم اتجهت الدارعة نفسها الى جهات اللاذقية والاسكندرون فاغرقت في اليوم الثاني باخرة صغيرة وابربعة مراكب شراعية كانت تنقل الحبوب الى

الغاية من ضرب الموافي. - وكان الحلفاء يرمون من وراء ضرب بيروت أو ضرب البواخر الراسية في ميناء بيروت اثارة الرأي العام اللبناني ضد الدولة العثمانية واثبات ان الحلفاء على مقربة منهم في مقدورهم ساعة يقوم ابناء لبنان بشورتهم ان يقدموا على مساعدتهم ولكن الامر لم يكن كما اراد هؤلاء، فالحكومة التركية مثلت دوراً اهم من الدور الذي مثله الحلفاء فقد اشاعت ثاني يوم ضرب الدارعة الروسية للبواخر العثمانية ان الغاية من ذلك احتلال بيروت ولما كان المسلمون لا يزالون يعطفون على الدولة العثمانية في ذلك الوقت فقد تأثروا من هذه الدعايات وحققوا فكرة الدولة من انهم يؤيدونها ضد الحلفاء فعمدوا الى الهجرة من بيروت الى الداخلية وقد اضطرت الحكومة في هذه الحالة لتخصيص عدة قاطرات يومية لنقل الالهين المهاجرين الى دمشق بحيث زاد عدد الذين هاجروا في ذلك الاسبوع على العشرة الاف نفس

وكانت ولاية بيروت خلال هذه الحادثة على اتصال مع الداخلية من جهة وقنصل الولايات المتحدة الاميركية حيث اعلنته حقيقة استياء الشعب وما كان من افتاء الحلفاء على مرفأ غير حربي وضررهم السفن التجارية بصورة مخالفة وقد ساعد قنصل الولايات المتحدة الاميركية بحمل الحلفاء على عدم تكرير محاولة الاعتداء على المدن في سوريا

تأثير هذه الحادثة - وقد كان لهذه الحادثة تأثير شديد على الاندية التركية وعلى الاخص على شخص احمد جمال باشا الذي اعتقد من هذه الحادثة انه ليس في امكانه الثقة قط بالجماعات غير المسلمة الموجودة في لبنان وبيروت لان عائلة مسيحية واحدة لم تهاجر من بيروت في الوقت الذي هاجرت فيه الاف العائلات الالامية الى الداخل الامر الذي ولد في ذهن جمال باشا فكرة عدم الثقة بالمسيحيين

ومن هنا اخذت تتولد في مخيلة جمال باشا فكرة ابعاد المسيحيين عن بيروت

وسائر السواحل السورية — اللبنانية الى الداخل وقد انتظر الفرص الى ان جاءت
له فعمد الى تنفيذها

الخلفاء مسؤولون عن المجاعة

ونحن لانرمي القول جزافاً في سبيل اتهام الخلفاء وتحملهم قسماً من مسؤولية
المجاعة في سوريا ولبنان والقول بانهم كانوا سببها او الدفاع عن جمال باشا بل
نروي الحقائق ونستشهد على ذلك بأشخاص لهم معرفة واتصال

فلما حضرنا الى بيروت كنا في اواخر سنة ١٩١٤ وكان موسم الحصاد قد
انتهى وبيع القسم الاوفر من المحصول وكان في البلاد كميات وافرة من الحبوب
تكفي الشعب والجيش لاكثر من سنة في داخلية سوريا بعكس فلسطين
ولبنان المنطقتين اللتين كانتا خاليتين من الحبوب وكانتا تناولان حبوبهما دوماً
عن طريق البر لان هذه الطريق اقرب تناولاً واكثر سهولة من غيرها من
الطرق ولما وقعت حادثة اعتداء الدارعة الروسية وامتنع البحارون من التنقل
على مراكبهم وزوارقهم انصرف الفلسطينيون لتأمين ما هم بحاجة اليه من حبوب
عن طريق حوران واللبنانيون عن طريق حمص وحماه وحلب ولكن هذا الامر
لم يدم كثيراً لان ولاية دمشق وجدت ان هذا الامر سيقضي على موسمها ولهذا
اصدرت قراراً في اليوم العاشر من شهر كانون الثاني سنة ١٩١٥ بناء على قرار اتخذته
مجلس ادارة ولاية دمشق منعت بوجبه اخراج الحبوب منها الى منطقتي لبنان
وفلسطين وقد اثار هذا القرار ضجة شديدة في الاندية المذكورة لانه كان سبباً
لارتفاع اسعار الحبوب في هذه المناطق واقدام والي بيروت ومتصرفي القدس
ولبنان على الشكوى من هذه الحالة وطلب وضع حد لهذه الاعمال الجائرة

وهذا اول طلب يتقدم به الحكام الاداريون من قائد الجيش الرابع الذي
اعتزم منذ قدومه الى هذه البلاد ان لا يتدخل في مثل هذه الشؤون قط
وقد استاء احمد جمال باشا من هذا القرار لسببين :

الاول — انه لا يريد ان يجرّد تفرقة بين الولايات الموجودة تحت مطلق

نفوذه العسكري

الثاني - انه يعلم ان هذا القرار سيفتح المجال لبعض المحتكرين لان يرفعوا الاسعار ويستبدوا قوت العباد

ولهذا راجع حكومة سوريا في الامر فاجيب بموجب مذكرة مؤرخة في اول شباط ١٩١٥ ان مجلس ادارة ولاية سوريا يصير على قراره لانه يخشى المستقبل وانه لا يمكنه العدول عن قراره هذا قبل حلول موسم الحصاد المقبل الذي مواعده اول تموز من السنة المذكورة فاذا جاء الموسم موافقات في امكان الولاية ان تسمح بتصدير ما يزيد عنها الى ولاية بيروت ومصر في لبنان والقدس اما ان تفرط في الكميات المدخرة باسمها فهذا ما لا قبل لها على احتماله

وجاء شهر نيسان من السنة المذكورة وانتابت البلاد فاجعة ما كانت بالفكر قط حيث هاجمت اسراب الجراد البلاد السورية و كنت يومئذ في بيروت فرأيت اياماً سماءها مغطاة ببلايين الجراد الذي قضى على كل ما هو اخضر وقضى على كل امل بالمحافظة على الموسم الذي كان ينتظره الجميع بفارغ صبر لتخفيف وطأة الحاجة التي بدأت تظهر بوادرها في المنطقة اللبنانية والسواحل القريبة منها . وقد زادت الفاجعة سوءاً على اثر النكبة الثانية التي اصاب الموسم في سنة ١٩١٦ حيث هبت في شهر حزيران من السنة المذكورة ربيع شديدة حارة قضت على قسم لا يستهان به من الموسم بحيث ان الحالة تطورت بصورة خطيرة للغاية وبات من الضروري اتخاذ تدابير شديدة فعالة لانقاذ القسم الممكن انقاذه من افراد الشعب من الموت جوعاً

ففي اليوم الثالث من شهر ايار سنة ١٩١٦ دعاني احمد جمال باشا اليه فليت الدعوة وحضرت الى دائرته في دمشق فوجدت عنده رئيس اركان حربته فؤاد بك ومرافقه نظام الدين بدت ووالي دمشق تحسين بك وكانت الغاية من دعوته ابائي الحصول على المعلومات الرسمية عن المساعدات التي كان يقدم الولاية الى بعض الهيئات والمراجعات الواردة اليها من الملحقات عن طلب الاعانات

اللازمة الى غيرهما من الهيئات فقدمت اليه التقارير التي طلبها مني وكان الموقف في ذلك الوقت كما يلي:

اولا = ان الجيش الرابع كان بعيداً عن التدخل في شؤون اعاشة البلاد الداخليه ضمن منطقة نفوذه

ثانياً - ان والي دمشق رغم قراره الذي اصدره بتخصيص حاصلات حوران ونواحي الشام لاعاشة دمشق ومحصول الكرك لاعاشة متصرفية القدس ومحصول حمص وحماه الى بيروت ولبنان فان المستحصلين رفضوا بيع محصولهم الا اذا نالوا ثمنه عملة ذهبية

ثالثاً - ان التجار اللبنانيين والبيرونيين الذين كانوا يشترون رطل القمح من خمسة الى عشرة غروش ذهبية ما كانوا ليكتفوا بالبيع القليل بل كانوا ينقلون هذا المحصول وبيعونه بأسعار تعادل اربعة او خمسة اضعاف السعر الذي اشتروه به دون ان يشعروا بوخر ضمير او بمسؤولية وجدانهم

رابعا - ان المساعي التي بذلها والي بيروت عزمي بك باقامة مطابخ مجانية للفقراء ما كانت لتكفي جزءاً من الاهلين الذين بات السواد الاعظم منهم بحاجة الى القوت ولهذا كانت المجاعة تشتد من يوم لآخر ونفس هذه الحالة كانت في لبنان رغم الجهود التي كان يبذلها المتصرف منيف بك حتى وقع الرجلان بحيرة لا يعرفان ماذا يعملان لانقاذ الموقف .

تدابير احمد جمال باشا -- وعلى اثر هذا الامر اتخذ جمال باشا سلسلة تدابير

هذه هي :

اولا - تأمين معيشة مدارس الدولة الرسمية وطلاب الجامعة الاميركية وعائلات الرعايا الاجانب الموجودين في بيروت وبيشة الاكليروس لمختلف الطوائف والمأمورين للمساكين والانتشفيات الرسمية والغير الرسمية وذلك بان يعطى هؤلاء مبيشتهم عن سنة واحدة يدفعون نصف اسعارها حسب السعر الذي يدفعه الجيش والنصف الاخر يقدم لهم مجاناً .

٢ ثانياً - تقديم ثلاثمائة ألف كيلو من الحبوب الى المؤسسات الخيرية ولدار
الايتمام الموجودة تحت حماية البطريركية المارونية دون اي مقابل
٣ ثالثاً - ايغادي لمقابلة البطريرك الماروني ورجائه بكتابة مكتوب الى قداسة
البابا ليعمل على مساعدة ابناء هذه المنطقة الجباة
رابعا - مساعدة البطريركية المارونية بقسم من المال لصرفه على المؤسسات
التابعة لها .

وقد نفذ هذا القرار لمدة سنتين و بعد اسبوع من هذا التاريخ قصدت
بكركي حيث اجتمعت هناك ببطريرك الموارنة السيد الياس الحويك بحضور
ثلاثة من الرهبان واخذت منه نداء حاراً كتبه الى البابا لاجل حث العالم المسيحي
وغير المسيحي على تقديم يد المساعدة الى ابناء هذه المنطقة الذي يكاد الجوع
يفضي على البقية الباقية منهم في هذه البلاد

وفي الوقت نفسه اوفد احمد جمال باشا رئيس اركان حرب علي فؤاد بك
لمقابلة قنصل الولايات المتحدة الاميركية ورجائه العمل في تحقيق فكرة الباشا
لدى الدول المحايدة لارسال الحبوب اللازمة لدى الدول المحايدة لارسال الحبوب
اللازمة مع بعض العناد الخيرية وقد ارسلت هذه التحارير في اليوم الثالث والعشرين
من شهر ايار سنة ١٩١٥ الى سفير تركيا في سوريا ليرسلها الى اعمحابها ولكن
كل هذه المساعي لم ثمر و ثابر الحلفاء في التضييق على الشواطي، السورية اللبنانية
حتي منعوا باخرة اميركية تقل الفئ من القمح كانت قادمة في شهر آب سنة
١٩١٦ الى بيروت، ووقفوها في الاسكندرية بحجة ان هذه الاموال قد تصادر
من الترك مع ان احمد جمال باشا قدم كل التامينات في توزيعها على الاهلين حتى
قبل ان تحضر هيئة الحلفاء وتتولى بنفسها توزيع هذه الحبوب على الاهلين الجباة
فرفض هذا الطلب واستمرت بذلك تلك المجاعة في البلاد السورية
افلا يكون الحلفاء مسؤولين ايضا عن قسم من هذه المجاعة في الوقت الذي
كان فيه في امكانهم تخفيف القليل من وطأتها

الفصل الثامن

جمال باشا في سوريا - جمال وانور باشا

اوفدانور باشا قبل سفر احمد جمال باشا الى البلاد السورية مراقبة و بعض الشخصيات السورية وفي مقدمتها عبد الرحمن باشا اليوسف عضو مجلس الاعيان والشيخ اسعد الشقيري والايير شكيب ارسلت وغيرهم ليوجدوا حوله جوا صافيا في البلاد السورية و يعملوا على تأييده

الا انه بعد تعيين احمد جمال باشا في قيادة الجيش الرابع ووصوله الى سوريا في اواخر كانون الاول سنة ٩١٤ ورويته تلك الفوضى التي احدها هو لالة الاشخاص ابرق الى انور باشا يطلب اليه ا تدعاء مراقبة والاتكال عليه في ادارة شؤونه هذه المنطقة لان احمد جمال باشا لا كان ليريد قط ان يكون بجانبه اشخاص يعملون على حساب غيره بل ان يكون السيد المطلق في البلاد السورية جماليزم - لم يكن في البلاد التركية في ذلك الوقت حزب سياسي ، اقول

ذلك وانا على اعتقاد وطيد بان الحزب الاتحادي لم يكن الا واسطة لترويج الدعايات الشخصية ، فار كان الحزب كانوا رؤساء و كان كل منهم يعمل على حساب نفسه و يوجد حوله انصارا فثال ذلك اربعة اشخاص هم انور وجمال وطلعت و خايل فهو لالة الاشخاص الاربعة الذين كانوا يقودون الحركة الرئيسية في حزب الاتحاد والترقي كانوا يمثلون في الحقيقة اربعة احزاب متناقضة فلكل منهم انصار في سائر انحاء السلطنة العثمانية يعملون على حسابهم

وكان هؤلاء الانصار يلقبون باسم من يخضعون له فالتابعون الى جمال باشا كانوا يفتخرون بانهم من محاسبيه وانصاره ويلقبون « بجماليزم » كأن جمالا مبدأ يسرون عليه ومثل ذلك انصار البقية وقسموا بذلك حزب الاتحاد الى عدة فرق كل فرقة منها تابعة الى احدهم ولهذا فان جمال باشا عندما وصل الى دمشق ساءه ان يرى بعض زعماء البلاد « انوريزم » بل اراد ان يكون هو الكل بالكل ولهذا كان اول عمل قام به حين وصوله الى سوريا اقصاء جماعة انور باشا عن العمل المباشر لحسابه

من انوريزم لجماليزم — ولكن الاشخاص الذين كانوا يؤيدون انور باشا من السوريين والذين كانوا يعرفون « بانوريزم » ما لبثوا بعد الذي راوه من قوة ومقدرة جمال باشا ان انضموا اليه واصبحوا من اتباعه وباتوا يفتخرون بانهم « جماليزم » حتي اننا رأينا هذه البادرة ظاهرة في الخطب والقصائد التي كان يلقيها هؤلاء امام الرجل في الوقت الذي جاء فيه الى البلاد السورية

وقد كنت معه في حلب عندما وصلها وقد رأيت احد اللبنانيين وهو شبل افندي يلقي قصيدة طويلة في مدح جمال باشا واقتداره ويصف في هذه القصيدة الرجل كفاتح جاء لفتح بلاد جديدة داعياً اياه لمقاومة اعداء الدولة مؤرخاً في قصيدته ان هذا العام هو فتح مصر عن يده ومثله فعل الكثيرون من خطباء وشعراء سوريا في ذلك الوقت

وقد وقفت استمع الى خطب هؤلاء الشعراء ، وان كنت لا اعرف اللغة العربية ، الا انني كنت انظر اليهم باستهزاء خصوصاً عندما اعلمني الملازم نور الدين افندي من موظفي دائرة الاستخبارات ان شبل افندي اعلني في احدى المدارس بطمع في وظيفة في لبنان — وذلك هو فلكن افندي وهو معلم مدرسة ايضا في حلب بغالي كثيراً في خياله ، كان بطمع بمديرية مدرسة وذلك لمتعمم كان بطمع في ان يولى احد المساجد الكبرى وذلك يرجو حظوة في نظر الباشا اي ان هؤلاء الشعراء والخطباء ما كانوا يرجون باحد جمال باشا الا لغاية في نفسهم

والمعروف عن احمد جمال باشا انه الرجل العصري بين وزراء الدولة العثمانية فهو راغب في ان يعزز الشبان والشابات ولهذا عزز اندية «تورك اوجاغي» في تركيا وبواسطتها باث زعيم الشبان والشابات الحقيقي وقد ودعه هؤلاء عند مغادرته الاستانة وداع الفئة التي تقدر رئيسها والعامل على النهوض بها . وجمال باشا نفسه كان يعمل مع هذه الفئة باخلاص ورغبة معتقدة ان هذه الفئة من ابناء الامة التركية وان كانت ضعيفة في ذلك الوقت الا انها على كل حال ستسير في طريق الكمال والقوة حتى اذا جاء المستقبل القريب نهضت ونهضت به الى المكان الاعلى من الدولة الذي يطمع به ولهذا رأيت شديداً التأثير من مظاهر الود والحفاوة التي لقيها في الاستانة والبلاد الاناضولية عند مروره بها حتى انني رأيت يقف عند مضيق بوزانطي الفاصل بين تركيا وسوريا يتذكر التاريخ القديم عندما تقدم الاسكندر المقدوني وغيره من الفاتحين حتى انه لم يتأخر عن القيام بزيارة آثار هؤلاء الغزاة لان تلك المظاهر التي لقيها من اخوانه الاثراك جعلته يعتقد وهو يجتاز مضيق بوزانطي انه ذاهب مثل هؤلاء الغزاة الى فتح البلاد العربية وليس الى بلاد تابعة لتاج آل عثمان ولكن شعوره هذا لم يدم طويلاً لان المشقات التي لقيها في الطريق الوعرة الممتدة من دورت يول الى اسكندرون ومن هذه الى شمالي سوريا فخلب قد افسدت عليه مسروره لان الرحلة التي بدأت زهرة رائعة قد صدمت في هذه المنطقة حتى انني رأيت ما كنتُ ساهباً طيلة هذه المسافة الشاقة التي قضيتها معا وفي حلب لم يكن لي شعر بنفس الشعور الذي شعر به في الاستانة والاناضول حيث التفت الى مرافقه القائد نصرت بك وقال :
-- لقد سئمت لأول مرة هذه الحفاوة

وهو وان كان قد سئم هذه المظاهر في هذه الحفلة لوجود فرق بينها وبين حفلة الوداع في الاستانة ما لبث ان اعتاد عليها وبات يسر عندما يبلغه ان الشعب ينظر اليه كغول يخشى جانبه

اسباب تبدل الباشا -- ولم تكن مظاهر الحفاوة التي لقيها حين وصوله الى

حلب هي التي سببت انقلاب الباشا بل ان الدسائس هي التي كانت سبب ذلك فجمال باشا منذ اليوم الاول الذي وصل فيه الى حلب تلقى في فندق «بارون» عشرات الوشايات مقدمة من بعض السوريين ضد اخوانهم واذكر من هذه تقريراً مقمداً من «٠٠» يتهم فيها نسيباً له بأنه يتآمر ضد سلامة الدولة وأنه كان على اتفاق مع الدولة البريطانية وتقريراً آخر من «٠٠» ضد اخاه متهماً ايده بأنه من اعضاء الجمعية الامتقالية والى اخر ذلك من الوشايات والمفاسد

ولكن جمال باشا لم يعر في ذلك الوقت هذه الوشايات جانباً من الاهمية حتى انه رفض طلب والي دمشق خلوصي بك باجراء التحقيق في قضية الوثائق التي وجدت في القنصلية الفرنسية في دمشق وارسلها الى الديوان الحربي العربي لانه كان يقصد من وراء كل ذلك ان لا يثير الشجون بينه وبين ابنائه البلاد وان يعمل في سبيل تحقيق الغاية الرئيسية التي يعمل لاجلها وهي فتح مصر

واذكر انه هو الذي نبه بضرورة رفع الرقابة عن السوريين الذين كانت خلوصي بك قد اتفق مع زكي باشا وانور باشا على اعتقالهم استناداً على تلك الوثائق حتى انه في الوقت نفسه استاء جد الاستياء من المعاملة الشائنة التي عومل بها نخله باشا ناظران في تطويفه في شوارع دمشق وارسل يدعو والي ويوبخه على عماله هذا الذي لا يتفق مع قواعد العدل

وفي الواقع ان هذا الحادث كان سبباً في استياء جمال باشا الدائم من خلوصي بك ومطالبته وزارة الداخلية استبداله بغيره والحفلة التي اقامها جمال باشا في دمشق لاركان الحركة الوطنية هناك وخطابه التاريخي الذي القاه يومئذ دليل واضح على ان الباشا ما كان يقصد في ذلك الوقت القيام بأي تحقيق في صدد الوثائق السياسية او محاكمة اصحابها

الشيخ اسعد الشقيري

وقد كان بين الشخصيات التي اعتمد عليها احمد جمال باشا و كل اعتماده متبادياً شخصية رجل متعمم كان يجيد التركيبة كالعربية وهو الشيخ اسعد الشقيري الذي كان انور باشا قد اوفده مع مرافقه لتهية الرأي العام في سوريا الى جانبه . ان هذا الرجل الذي عرف نفس احمد جمال باشا عندما كان في الاساتذة ما لبث ان التف حوله و بات عدا انه مفتي الجيش الرابع مستشار الباشا يرشده الى الطرق السياسية الواجب عليه اتباعها في ادارة البلاد العربية واذا كان هناك من مسؤولية في خطأ السياسة التي سار عليها احمد جمال باشا فان عاقبتها تقع في الدرجة الاولى على الشيخ اسعد الشقيري قبل ان تقع على الباشا . فالمرء كد لدي من الوثائق المتعددة ان الشيخ اسعد الشقيري كان حبا في استمالة احمد جمال باشا اليه على اتصال دائم مع بعض الشخصيات المشابهة له في البلاد السورية فجمال باشا بعد وصوله الى القدس انصرف الى العمل مع قواده في سبيل تهية المعدات اللازمة للحملة القنات في الوقت الذي كان فيه الشيخ اسعد الشقيري منصرفا الى درس الحالة في البلاد والاطلاع على المساعي التي يبذلها ابناء البلاد ضد الدولة العثمانية اي ان الشيخ اراد ان يوجد من نفسه دائرة استخبارات مستقلة

الامير شكيب ارسلان

٢٠

والامير شكيب ارسلان كان في مقدمة الاشخاص الذين اعتمد عليهم انور باشا في استمالة الدروز وبعض القبائل العربية الى صفوف الدولة والحقيقة ان الامير شكيب ارسلان على اثر مقابلته لانور باشا في الاساتذة اعلن استعداد التام لسائر ما يوجه به وهو الذي اشار على انور باشا بضرورة اغتنام الفرص لهدم استقلال لبنان والحاقه بالدولة العثمانية

فالمعروف ان الجبل اللبناني يتمنع عملاً بالمواثيق الدولية بامتيازات واسعة في الدولة العثمانية حتي ان الحلفاء وفي مقدمتهم بريطانيا وفرنسا اتخذوا منه سُلماً لنشر دعاياتهم السياسية فيه وفي بقية البلاد العربية

وكان انور باشا وطلعت باشا الوزيران اللذان يؤيدان السياسة الالمانية يريان ، عند دخول الدولة في الحرب العالمية ، في هذا الجبل خطراً على سلامة الجيش من جهة وعلى سلامة الدولة حيث كانوا يعتقدان بأن مجرد وجود ضعف كاف لان يشير اللبنانيين ضد الدولة من جهة كما انه لا يخلو من ان يقوم هؤلاء عملاً بقاعدة الاعتراف بالجبل ، بموافقة الافرنسيين بماهم بحاجة اليه من اخبار عن قواتنا ولهذا رأوا في الوقت الذي دبروا فيه مشروع مهاجمة القناة ان يلغوا امتياز الجبل اللبناني

كيف دبرت المؤامرة — وقد كانت الآراء منقسمة في هذا الشأن فانور باشا كان راغباً في الغاء الامتيازات التي يتمتع بها الجبل اللبناني في الوقت الذي تقرر فيه الغاء الامتيازات الاجنبية

الا ان طلعت باشا عارضه في ذلك مراعيًا في هذا الوقت شعور اللبنانيين معتقداً انه بذلك يحول دون قيامهم ضدها كي لا يبيات في مقدور الحلفاء ان يتدخلوا باسم حمايتهم فيحتلون السواحل السورية وبذلك يوجدون حجة للدولة هي في غنى عنها ولهذا اعتزم طلعت باشا ان يؤجل الامر الى وقت اخر ريثما يهدد السبيل لهذه الحركة ، وعلى اثر هذه المؤامرة استدعى انور باشا بعض الزعماء اللبنانيين الموجودين في الاسكندرية واستشارهم في الموقف فكان رأي سليمان افندي البستاني الوزير الذي استقال لمعارضته في دخول الدولة في الحرب العالمية :

— ان اللبنانيين قوم يقدرون الموقف فاذا احسنت الدولة العثمانية السياسة معهم وداومت على الاعتراف بالحقوق الممنوحة لهم دولياً في هذه الظروف الحرجة التي ليس في مقدور الدول الامتناع بها قدر لها اللبنانيون هذه العاطفة النبيلة وكانوا لها من اشد رعاياها محبة واخلاصاً

فاجابه انور باشا :

— فوالله يا حضرة الوزير تعرف ان اخوانك في لبنان يعملون في سنيل
ضم بيروت الى جبلهم ووضعها تحت الحماية الفرنسية فمن يضمن والحالة هذه عدم
قيامهم في الوقت الحاضر للتقريب بينهم وبين الفرنسيين اعدائنا في الوقت الحاضر
— انا يا صاحب الفخامة

— انت تضمن اخوانك وكنت قد عارضت في دخول الحرب لانها
ضد فرنسا .

— كلام اعارض لانها ضد فرنسا بل كنت اعارض حتى ولو كانت ضد
المانيا لانني من النافرين من الحروب وقد رأيت الولايات والمصائب التي احقت
بامتي من هذه الحروب وبت نافرأ منها واخواني في لبنان هم من رأيي ايضا
— اذا انت تعارض في الغاء الامتيازات المعطاة الى الجبل وضمه الى السلطنة ؟
— نعم

— اذا انت ترى ان من الخط بمقامكم ان تكونوا من رعايا الدولة العثمانية ؟
وهنا اخذ الحديث وجهة اخرى غير التي اتى الوزير اللبناني لاجله الامر
الذي دعا طلعت باشا ان يتدخل في الامر وان يفهم سليمان افندي البستاني بان
الدولة لا تريد الغاء الامتيازات التي يتمتع بها الجبل بل ان تضع حداً للامتيازات
الاجنبية وتدخل الدول الاجنبية في الامر

وهنا بدرت من البستاني افندي جملة لم يرد ان يرجع عنها وهي التي كانت
سبباً في ازدياد سخط انور باشا على الجبل ورغبته في الغاء امتيازاته حيث قال :
— ان اللبنانيين يا فخامة الوزير هم مثلكم يؤيدون مشروعكم في وضع
حد للامتيازات الاجنبية ويكرهون تدخل الاجانب في شؤنهم الداخلية فاذا
كان لابد من حماية لهم فهم قانعون بموقفهم الحاضر وحماية السلطنة العثمانية والا
فهم يفضلون ان يكونوا مستقلين على تدخل اية دولة اجنبية ولست لا اعتقد ان
هيئة معروفة في لبنان تقدم على طلب حماية فرنسا على ان تكون خاضعة مباشرة لها

- ولكن البطريرك المارونية والمطران شبلي في بيروت يطلبان ذلك؟
— ان الذين ابلغوكم الامر قد اخطأوا كثيراً يا فخامة الوزير
— والمؤتمر الذي عقده جماعتكم في باريس؟
— هو مؤتمر مؤلف من بعض النفعيين وعمال فرنسا وليس فيه لبنانياً واحداً
— كيف؟
— نعم انه من ابناء بيروت او اللبنانيين الذين نزع اباءهم عن الجبل الى
بيروت و باتوا بدون عمل لا هم لبنانيون ولا عثمانيون وغايتهم المراكزة والزب
قطر ولو كان في لبنان وظائف او في بيروت مراكزة وعينوا بها لما قبوا الذهاب
الى باريس وعقد هذا المؤتمر
— والبقية
— مؤيدة للدولة . وهذا حديث اقوله لكم والايام سترىكم حقيقة ما
اقول بشأن الجميع

الفصل الثامن

لكل قائد من قواد السفينة العثمانية مطمع شخصي لا يتفق مع هدف المصلحة العامة وخدمة الامة العثمانية بل ينحصر في منافعه الخاصة فانور باشا بعد الفوز الذي احرزه في الحرب البلقانية توصل الى مصاهرة آل عثمان ثم تبوء وزارة الحربية ووكالة القيادة العامة ومع هذا كان بطمع بأكثر من ذلك والى القراء التفصيل الاتفاق السري - فالامبراطور غليوم رغم شموخه بانفه يعرف كيف يتميز الرجال وقد كان يراقب بدقة انور باشا عندما كان ملحقاً عسكرياً للسفارة العثمانية في برلين وعندما لعب ادواره المتعددة بعد الحرية العثمانية ولهذا اعتقد به المقدرة والطموح فدفعه الى الامام فكان عضده سياسة المانيا الاستعمارية كما كان هو عضد انور باشا في تحقيق مطامعه وقد لعبت السفارة الالمانية ورجال المانيا السريين دوراً خطيراً في ايصال انور باشا الى وكالة القيادة العامة حتى بات ايام الحرب العالمية السيد المطلق ليس على المصدر الاعظم فحسب بل على السلطان محمد رشاد نفسه

ومطامع انور باشا هذه لم تكن منحصرة في هذا المنصب الرفيع في الدولة الذي وصل اليه بل كان يعمل على بسط نفوذه المطلق على السلطنة العثمانية وهذا النفوذ في اعتقاده لا يتم الا باعلاء عرش آل عثمان وقد فانع بفكرته هذه صديقه طلعت باشا بصورة غير مباشرة ، فانور رغم تزوجه من ناجية سلطان كان يعتقد

بآل عثمان الضعف وعدم المقدرة ويرى ان نفوذه ونفوذه حزبه سيزولان اذا ما
اعتلى العرش الامير يوسف غز الدين او عبد الحميد او وحيد الدين ولهذا رأى ان
يتخلص من هؤلاء ليجد لنفسه طريقاً تمكنه من الوصول الى العرش بسهولة تامة
ودون ان يريق نقطة من الدماء ولهذا كان في كثير من الاوقات يوغر صدر
السلطان محمد رشاد ضد هؤلاء

والمعروف ان هناك عداوة بين عائلة عبد الحميد وعائلة عبد العزيز فالسلطان
عبد الحميد الذي يكره اولاد عبد العزيز واحفاده كان يأنف دائماً من استقبالهم
في قصره وقد انتقلت هذه الكراهية الى السلطان محمد رشاد نفسه الذي بات
يكرهم وبوجه خاص الاخوين محمد وحيد الدين وعبد الحميد وقد زاد انور في
هذه الكراهية حتى امتنع عن استقبال اولاد عبد العزيز واحفاده واخذ انور باشا
يحبك الشباك ليمهد لنفسه السبيل للوصول الى العرش

وانور باشا كان من دعاة الجامعة الاسلامية وقد حارب واشتغل في هذا
السبيل عن عقيدة تامة وقد اراد ان يضع حداً للسوس الذي ينخر في جسم السلطنة
العثمانية فرأى ان احسن حل لذلك هو فصل الدين عن السياسة وذلك بايجاد مقام
ديني محترم للخليفة كما هي الحالة مع باباوات روما وان يظل هذا المركز مع
سلاطين آل عثمان وان يتولى هو بنفسه السلطنة الزمنية ثم اولاده واحفاده
من بعده

متى بدأت هذه الفكرة ؟ - ان الوثائق الموجودة لدي تؤيد كذا ان هذه
الفكرة بدأت تحتل عقل انور باشا بعد حادثة ١٢ كانون الثاني سنة ١٩١٣
عند ما فشل ناظم باشا وزير الحربية وتولى هو المركز بدلاً منه فلرجل الذي
تمكن من ان يتحول من يوز باشي في جيش الحربية سنة ١٩٠٨ الى وزيراً
للحربية في سنة ٩١٣ رأى ان في مقدوره ان يكون سلطاناً وقد شجته على
تحقيق فكرته هذه السفارة الالمانية التي ثبت له ان فوزه في السياسة سيؤدي به
حتماً الى هذا المركز الخطير ولهذا اخذ يعمل بكل قواه في سبيل تحقيقه وانكسره

وجد تجاهه في ذلك الوقت عدة رجال اقوياء لا يقلون عنه مطمعا فطلعت باشا الذي تولى عقب حادثة ك ٢ سنة ٩١٣ وزارة الداخلية كان من فكرة انور باشا من وجهة ضعف آل عثمان وعدم امكانهم ادارة مقدرات الدولة العثمانية وان بقاءهم على رأس الحكم مدعة الى استمرار الفوضى في البلاد وتدخل الاجانب في شؤنها السياسية الا انه على كل حال لا يؤيد انور باشا في فكرته من وجهة المحافظة على السلطة بل هو يؤيد الفكرة الجمهورية ورب قائل يقول ان فكرة الجمهورية قد دخلت الى الاذهان من يوم مؤتمر سان ستيفانو الذي عقده النواب في شهر نيسان عقب ثورة سنة ٩٠٩ حيث جاهر بها بعض النواب على اثر ميل لقوه من طلعت باشا ولما لم تلاق هذه الفكرة قبولا حسنا من رجالات تركيا في ذلك الوقت سكنت عنها الا انها ظلت محتمرة في رأس طلعت باشا وتفرق رفاقه الذين كانوا يترقبون الفرص لتحقيق هذه الغاية وعلى هذا يرى القراء ان رجلي تركيا انور وطلعت وان كانا منفيين مبدئيا على عدم فائدة البلاد من استمرار الحكم بيد آل عثمان الا انها يفترقان في النتيجة حيث يفكر الاول في ان يكون السلطان المقبل مع الاحتفاظ بالخلافة والثاني رئيسا للجمهورية ومع هذا فقد اتفقا على الاساس واخذا بعمالان في هدم العائلة العثمانية حيث بدأوا بابعاد يوسف عز الدين ثم بمفاوضة السور بين

مفاوضة السور بين

ان مفاوضات السور بين هي من جملة المعاول الهدامة التي استعملها انور ، فوزير الداخلية السابق الحاج عادل بك كان يعمل مع وآلي بيروت ابو بكر حازم بك في سبيل تفریق الجمعية الاصلاحية الموهلة في بيروت بالقوة حتى ان ابا بكر حازم بك في مذكراته السياسية التي نشرها في الشهر الماضي ، تسأل عن الاسباب التي حدت بطلعت باشا لان يقاوض السور بين و يعرض عليهم العفو في الوقت الذي كانوا يقاوضونه به حيث كان في امكانه لو لم يرسل انور وطلعت مناوريهما الى باريس ان يحملها على الخضوع لارادته بلا قيد ولا شرط

ولقضى على الفكرة التي وضعها زعماء الاصلاحيين في البلاد السورية
ونحن نقول لابي بكر حازم بك ان الغاية من هذه الحركة الشروع في
هدم السلطنة آل العثمان واليك هي :

الغاية من المفاوضات — يعرف المتبعون للسياسة الدولية قبل الحرب ان هناك
نفوذا كان يتنازع السيادة في جزيرة العرب وقد كان هذا النفوذ منحصر قبل
هذا القرن بين بريطانيا وفرنسا الا انهما على كل حال لا يتعارضان مع بعضها
البعض لان مطامع فرنسا تنحصر في سوريا ولبنان حيث يعمل رجالها هناك بكل
قواهم وبريطانيا في بقية انحاء جزيرة العرب وكانت المطامع الإيطالية بعيدة عنها
لانها تنحصر يومئذ في طرابلس الغرب ، ولكن الامر ما لبث ان تطور بعد
زيارة الامبراطور غليوم الالمانى سنة ١٨٩٨ الى تركيا وحصوله على امتياز مد
الخط الحديدي الى بغداد ومنذ ذلك الوقت بدأنا نرى عمال المانيا يسعون في
سبيل تحقيق سيادتهم على البلاد التي تمر بها هذه الخطوط وعلى المنطقة السورية
والفلسطينية نفسها ولعبت هذه المطامع الاستعمارية دوراً خطيراً رأينا كيف
كانت نتيجة اندلاع نار الحرب العالمية

قانون والذان جلسا على مقعد الحكم يؤيدان السياسة الالمانية ولم ترق سياستها
هذه فرنسا وبريطانيا اللتين قامتا بتأييدان كامل باشا وانصاره وقد رأينا كيف
اتى كامل باشا في الاسبوع الذي سبق قتل محمود شوكت باشا على باخرة فرنسية
تابعة للمساجري ماريتيم وكيف لجأ القتلة الى دار السفارة البريطانية الفخ

وقد اثار هذه الحادثة استياء لرجلين وانصارهما حتى اذا نجحا في ابعاد
كامل باشا ثانيا عن الاستانة واستعادة نفوذهما بالحكم كان اول ما فكر به
مقاومة نفوذ هاتين الدولتين فعليا في السلطنة العثمانية والاستناد على ساعد
الامبراطورية الالمانية ومتفقيها في سبيل تحقيق ذلك وكانت اول حادثة
اعتبر ضمنها ذلك الموقف في سوريا وقيام فرنسا بمعاوضة ابناء هذه المنطقة بنسبها
لهم عقد المؤتمر في باريس وعطفها مع بريطانيا على مطالبهم وتقديمها مذكرتها

المعلومة اليهم بشأن الاصلاحات المطلوبة الى سوريا وزيادة عدد نوابها
وكان اول عمل فكر به انور وطلعت لمقاومة التدخل الفرنسي بصورة
فعلية عرقلة اعمال مؤتمر باريس واخراجة من صلبته العمومية الى مؤتمر مسيحي
محلي ولهذا الغاية اوفدا امين الامر العام لحزب الاتحاد والترقي شكري بك مع
احد السور بين عبد الكريم افندي الخليل الى باريس ليعملا على عرقلة مساعيه
وتقليل اهميته ومقابل سلسلة من الوعود الشخصية والعمومية قطعاه الى هؤلاء
السادة وقد نجحوا في ذلك ولم بعد لذلك المؤتمر الذي انعقد في باريس في اواخر
سنة ١٩١٣ الاهمية التي كان يتوخاها الفرنسيون والانكليز وقد كانوا يحاولون
بها حمل ابناء البلاد المسلمين والمسيحيين على طلب تدخلها الفعلي في شؤون تلك
البلاد العمومية .

خدوية سوريا

ثم حاول انور وطلعت ان يقضيا على النفوذ الفعلي الذي تتمتع به فرنسا في
لبنان من جراء الامتيازات الدولية المعطاة له في ذلك الوقت وذلك بقلب سوريا
الى خديوية تابعة للسلطنة العثمانية فيتولى شؤونها ولي العهد الامير يوسف عز الدين
وبذلك يتمكنان من رمي عصقورين بحجر واحد الاول انها بواسطة هذه
الخدوية يكون في مقدورهما اكتساب البلاد العربية الى صفهما بصورة قطعية
و يحملانها على ان تدافع على كيانها هذا بكل قواها حتي ضد الاجانب ومن
جهة ثانية يكونان قد ابعدا من طريقتهما ولي العهد يوسف عز الدين افندي الذي
كان اخلاف بينه وبينهما قد وصل الى اشدده ويتسنى لهما بسط نفوذهما المطلق على
السلطنة العثمانية وان ينصرف كل منهما الى تحقيق ما يريد .

طلب مساعدة ألمانيا — ان مشروع تنصيب ولي العهد خديويا على سوريا
لم يكن مشروعا وهما بل هو حقيقي مستند على وثائق وادلة اشترك فيه عددا
جمال باشا خليل بلتر رئيس مجلس المبعوثان ونائب ازمير اليوم الذي لا يزال في
قيد الحياة والبرنس سعيد حليم باشا وتدخلت به ألمانيا بواسطة سفيرها في الاستانة

والنمسا بواسطة سفيرها ايضا وكان الدور الاول في هذه الرواية من الاجانب
للسفير الالماني الذي زار انور باشا في اليوم العاشر من شهر كانون الثاني سنة ١٩١٤
في قصره وخطبه بهذا المشروع قائلا :

-- ان حكومة صاحب الجلالة القيصر الالماني تؤيد خطتكم تماما وتؤمن
انها خير وسيلة لتوطيد نفوذ السلطنة العثمانية في بلاد العرب واستماله ابناء هذه
المنطقة اليها وان حكومتها مع حلفائها مستعدة لمساعدة الدولة العثمانية في
تحقيق هذا المشروع والاعتراف بهذه الخديوية القائمة تحت سيادة السلطنة العثمانية
وبالغاء العهود المقطوعة الى لبنان في امتيازاته الدولية ، ثم طلب السفير من انور
باشا ايضا حاشا عن الخطوة التي وضعت لتنفيذ هذه الغاية

وقد اجابه انور باشا ان المشروع لا يزال سرياً لم يدر البحث فيه بصورة
رسمية وانه متى تقرر سيعلنه بامرهم ، وشكره على تصريحاته المؤيدة لفكرته
وقد ايد طلعت باشا هذا الحديث حرفياً بذكراته وازضاف عليه ان انور
عندما فاتحه به اعلنه ان تأييد المانيا ضروري جداً له

مطامع الالمان

والمانيا يهيمها كثيراً تحقيق فكرة احداث « خديوية » في سوريا وان تبادر
هي للاعتراف بها لان تحقيق مثل هذا المشروع يقضي على النفوذين الفرنسي
والبريطاني ويجعل كلمة المانيا هي العليا ، فلم يكن من الغريب ان تعتمد الى
تشجيع انور باشا في فكرته وان كانتا اشتراطت منع لبنان امتيازاً ادارياً فيكون
مستقلاً بموظفيه وموازنته فحسب ومرتبطة بالخديوية السورية في سائر الامور وقد
دارت مفاوضات طويلة بهذا الصدد بين السفير الالماني وانور وطلعت اللذين
خابرا بعدئذ ولي العهد ثم بعض كبار السوريين وقد كان الاتفاق سائداً
الفرقيين الترك والالمان وكذلك كان الاشخاص الذين فاضهم طلعت باشا من
سوريا بين وفي مقدمتهم عبد الكريم الخليل ، عبد الحميد الزهراوي ، الدكتور
سعيد حيدر ، يوسف سرمق ، الامير شكيب أرسلان ، عبد الرحمن باشا

اليوسف ، موافقين هذه الخطة وقطعوا لانور باشا عهداً بتأييده في انفاذها وصرحوا له ان السور بين انفسهم لا يتأخرون قط في قبولها

ولي العهد يرفض — على ان ولي العهد يرفض تسلم الكرسي الحديوي في سور يالان قبوله به يحرمه العرش العثماني . . .

وقد دارت مفاوضات طويلة بين انور وطلعت، وولي العهد الامير يوسف عز الدين لاقتناع الامير بالتنازل عن ولاية العهد والقبول بالمشروع الحديد حتى اوجس الامير خيفة على نفسه وتوهم ان الجماعة باتمرون عليه للخلاص منه ولذلك قطع حبل المفاوضة وراح يعلن بين اصحابه واصدقائه ان انور باشا يتآمر لقتله كما قتل والده السلطان عبد العزيز من قبل ، وزيادة في الحيلة اقام حوله حرساً شديداً ليحول دون دخول انور وجماعته الى قصره

ولم تقف وساوس الامير يوسف عز الدين عند هذا الحد بل غلب عليه القلق والغم حتى اقدم على قطع ور يده ومات منتحراً ، وهناك قول بان انور باشا هو الذي اقدم على قتله خلال الحرب العالمية وهذه الرواية اقرب الى الصواب لان انور باشا الذي بدأ يري في ولي العهد خطراً على نفوذه ما لبث ان بطش به في مؤامرة حاك خيوطها

والمهم في بحثنا هذا انه بينما كان انور باشا يسعى لاستمالة ولي العهد لحل القضية السورية بل العربية ، كما يشاء ، اذ نشبت الحرب العالمية فتبدل الموقف وقام عندئذ انور باشا يمد السبيل لنفسه مع رجالات العرب فاوفد الامير شكيب ارسلان الى الدروز وعبد الرحمن باشا اليوسف والشيخ اسعد الشقيري الى القبائل العربية ليستميلوها ويخطبوا له ودها وارفق كل منهم بوقيب وقد قطع هو لاء الموفدون شوطاً بعيداً بعيداً في مهمتهم ولما لم يفلح ذكي باشا في انفاذ الخطة التي رسمها له انور باشا بعث احمد جمال باشا بدلا منه الى سوريا وابدل الموقف السياسي فيها كل التبديل .

مطامع جمال باشا — عرف القراء مما تقدم حقيقة مطامع الاشخاص الذين

اداروا دفة السياسة الدولية في تركيا وكيف غرروا بالامة والبلاد حتى ادخلوها في الحرب العالمية .

والموء كدمو ان احمد جمال باشا لم يشترك باديء الامر في المناورات التي دبرها الاقانيم الثلاثة ، طلعت وانور وخلييل ، مع الالمان لانه كان معروفاً بنزغته في السياسة الى تايبء الخلفاء ولكن لما وجد انه ليس هناك مندوحة عن دخول الدولة في الحرب العالمية بجانب المانيا لم يقف ضد انور ورفيقه ولا استقلال كما فعل وزير المالية جاو يد بك ووزير التجارة سايمان افندي البستاني ووزير الاشغال العامة شوروك صولومحمد باشا ووزير العدلية بل انضم الى انور وطلعت وسار معها لمقاتلة اسدقائه الافرنسيين والانكليز ، ورضي ان يترك العاصمة حيث يتمتع بنفوذ كبير الى البلاد السورية وقد كان يجمل حقيقة الوعود التي قطعها انور ورفيقاه للصدر الاعظم بتوليته الخديوية المصرية ولهذا سار وفي صدره ايضا طمع بان يكون . . خديو يا . . .

ومطامع احمد جمال باشا هذه بدأت منذ اليوم الذي غادر فيه الاستانة لان المظاهرات الكبرى التي جرت له في الاستانة وبلاد الانضول وسوريا ملأت رأسه غروراً حتى اصبح يعتقد انه كلما تقدم خطوة سيرى الشعب والبلاد فاتحة له قلوبها وابوابها فيدخل دون اقل مقاومة وغنما يصبح في امكانه وهو السيد المطلق ان ينال ما يريد وان يجلس على عرش خديوية مصر دون ان يقدر احد على منازعته اياه .

هذه هي حقيقة مطامع احمد جمال باشا في مصر وعلى هذه النية ذهب الى قنائة وحاول ان يجتزمها .

الفصل التاسع

على اثر وصولنا الى دمشق واجتماعنا باركان البلاد هناك ورفض احمد جمال باشا الاهتمام في قضية اوراق القنصلية الفرنسية انصرف احمد جمال باشا في طلبه ما انصرف اليه لوضع تدابير معركة القنطرة اعتقاداً ان فوزه في هذه المعركة يجعله السيد المطلق على البلاد ومن ثم يمكنه ان يجمع كل حركاته اما اذا اقدم على توقيف الاشخاص الوارد ذكرهم في تلك الوثائق فانه لا يبقى في مقدوره ان يسير الى القتال وهو واثق من الموقف المعروف ان زكي باشا في تقاريره التي كان يرسلها الى انور باشا كان يعلن خشيته من ابناء البلاد وذكراهم وبين الجانبين محاورات كما انه يخشى ان يقدم الحلفاء على احتلال السواحل على حين غرة وهو ليس لديه قوات كافية للدفاع عنها ولكن جمال باشا سار على خطة مخالفة لهذه لانه في محاولاته اثاره فكرة احتلال السواحل عندما حضرت الدارعة الروسية واقام الاهل على الفرار من وجه الاحتلال الى الداخلية اوجدت في عقل الحلفاء فكرة ان الاهل وعلى الاخص المسلمين منهم ليسوا بجهنم وان اقل محاولة لاجراج جنود ستجعلهم عرضة للانتقام الاهل من انصارهم

ثم عمد من جهة ثانية لاستمالة زعماء الحركة العربية بالحفلة التي اقامها لهم يوم وصوله و بخطابه التاريخي حتى بات مقتنعاً بعد هذه المظاهر ان الشعب مال اليه وانه يعمل على تأييده فلا يقدر رجال المعارضة ان يوثروا على افكار الشعب

في هذه المسألة مها بلع من قوتهم وعلى هذا اتفق مع جمال باشا وفون فرانكنبرغ
في خطة الهجوم على قناة السويس

المادة : قبل كل شيء - اعرف جمال باشا تمام المعرفة وقد قضيت واياه
وقد تخلفه لقل عن عشر سوت وانا اعرف تمام المعرفة حقيقة نواياه فهو رجل
طموح شديد الرغبة في العلاء والنفوذ والسيطرة ولهذا لم يحجم عن البطش
بخصومه السياسيين بطشاً شديداً عندما استدعاه محمود شوكت باشا وولاه
محافظة الاسطانه التي مكنته من الوصول الى وزارة البحرية

و كان جمال باشا يعرف تمام المعرفة حقيقة القصد من الحملة التي يديرها الالمان
بالاتفاق مع انور باشا لاختراق القناة ومع هذا ورغم كرهه للالمان فإنه قبل
ان يترأس هذه الحملة بعامل الطمع فهو كان يعتقد ان الالمان سيفوزون
على الحلفاء حتماً وان المعارك الناشئة في الجبهة الغربية ودول اوربا الوسطي ستترك
الحلفاء في حالة غير صالحة للدفاع عن قناة السويس ، والمعلومات الواردة اليه من
مصر تدل على ان المصريين انفسهم غير راضين عن اعلان الحكومة البريطانية الحماية
على مصر كما ان حسين كامل باشا الذي نادوا به ساطاناً على مصر لم يكن حائزاً
ثقة عامة المصريين الذين كانوا ناقلين على الاحتلال ، يهللون للخليفة ودولته ، فاذا
فاز باختراق القناة ، يجعل الانكليز بين نارين : ١ - الثورة المصرية ٢٠ - القوات
العثمانية ، وعندئذ يتمكن من دخول مصر فاتحاً منتصراً . . .

الموقف العسكري - سنرى الان ان نقل للقراء تفصيل الموقف السياسي
في كانون ثاني سنة ٩١٥

اولا - كانت قوات المتطوعة من العربان المولفة بقيادة البناشي ممتاز بك
قد احتلت العريش واخذت في اقامة الاستحكامات حولها استعداداً لمهاجمة القناة
ثانياً - وكانت قوات المتطوعة التابعة للفرق الخاصة والمولفة بقيادة القاظم
اشرف بك قد احتلت قلعة « النخل » وراحت تدأب في اقامة الاستحكامات
حولها .

ثالثاً - تقوم في العقبة قوة نظامية بقيادة القائم موسى كاظم بك
رابعاً - في بئر السبع يقوم الاي تابع الى الفرقة السابعة والعشرين وهو
مدار استناد القوات المهاجمة في الصحراء

خامساً - تألفت الفرقة الخامسة والعشرين بقيادة اميرالاي الاركان
الحربية علي فؤاد بك

سادساً - احدثت وظيفه مفتش عام في الصحراء عين له القائم بهجة بك
قائد الفرقة التي امنت وسائل المعيشة في نواحي الصحراء لمدة ثلث الجيش
الى القناة

القوة السفريه - وقبل الشروع في مهاجمة القناة نظمت القوة السفريه المعدة
لمهاجمة القناة على الوجه التالي وقسمت الى مرحلتين :

المرحلة الاولى -- مؤلفة من الفرقة الخامسة والعشرين النظامية والفرقة
ال ٢٣ والفرقة ال ٢٧

والاي يولف من مختلف الفرق ٤ وخمس بطاريات صحراء سرية
الطلقات ٤ و بطارياتين جبايتين سر بعتي الطلقات و بطارية او بوس سر يعة الطلقات
من فئة ٢٥ سانتيمتراً والاي خيالة واربع بلوكات هجانة وخمسمائة خيال من
عربان البادية المتطوعة وثلاثة طوابير من صانعي الجسورة وست بلوكات
استحكامات ومفرزات للبرق اللسدكي ومستشفيات سيارة و بلوكات صحية
والجميع يولفون ١٢٦٤٢ نفرًا و ٩٦٠ جوادًا و ٣٢٨ جامونا عدا الجمال

المرحلة الثانية - اما المرحلة الثانية فمؤلفة من القوة السفريه الحجازية التي
وضعت تحت تصرف جمال باشا والمؤلفة بقيادة وهيب باشا والفرقة النظامية العاشرة
و بطارية خيالة و بطارية مدفعية وسائر ما هي بحاجة اليه من القوات المعاونة

الاستعداد لمعركة القناة

ولا نريد في هذه المذكرات ان نأتي مفصلاً على معركة القناة لان من

في هذه المسألة مها بالغ من قوتهم وعلى هذا اتفق مع جمال باشا وفون فرانكبيرغ
بشأن خطة لهجوم على قناة السويس

مادة : قبل كل شيء - اعرف جمال باشا تمام المعرفة وقد قضيت وياه
وقد تخلفه لـ قر عن عشر سوت وانا اعرف تمام المعرفة حقيقة نواياه فهو رجل
طموح شديد الرغبة في العلاء والنفوذ والسيطرة ولهذا لم يحجم عن البطش
بخصومه السياسيين بطشاً شديداً عندما استدعاه محمود شوكت باشا وولاه
محافظة الاسكندرية التي مكنته من الوصول الى وزارة البحرية

و كان جمال باشا يعرف تمام المعرفة حقيقة القصد من الحملة التي يديرها الالمان
 بالاتفاق مع انور باشا لاختراق القناة ومع هذا ورغم كرهه للالمان فإنه قبل
 ان يترأس هذه الحملة بعامل الطمع فهو كان يعتقد ان الالمان سيفوزون
 على الحلفاء حتماً وان المعارك الناشئة في الجبهة الغربية ودول اوربا الوسطي ستترك
 الحلفاء في حالة غير صالحة للدفاع عن قناة السويس ، والمعلومات الواردة اليه من
 مصر تدل على ان المصريين انفسهم غير راضين عن اعلان الحكومة البريطانية الحماية
 على مصر كما ان حسين كامل باشا الذي نادوا به ساطاناً على مصر لم يكن حائزاً
 ثقة عامة المصريين الذين كانوا ناقلين على الاحتلال ، يهللون للخليفة ودولته ، فاذا
 فاز باختراق القناة ، يجعل الانكليز بين نارين : ١ - الثورة المصرية ٢٠ - القوات
 العثمانية ، وعندئذ يتمكن من دخول مصر فاتحاً منتصراً . . .

الموقف العسكري - سنرى الان ان نقل للقراء تفصيل الموقف السياسي
 في كانون ثاني سنة ٩١٥

اولا - كانت قوات المتطوعة من العربان الموالفة بقيادة البنياشي ممتاز بك
 قد احتلت العريش واخذت في اقامة الاستحكامات حولها استعداداً لمهاجمة القناة
 ثانياً - وكانت قوات المتطوعة التابعة للفرق الخاصة والموالفة بقيادة القايمقام
 اشرف بك قد احتلت قلعة « النخل » وراحت تدأب في اقامة الاستحكامات
 حولها .

ثالثاً - تقوم في العقبة قوة نظامية بقيادة القائمقام موسى كاظم بك
رابعاً - في بئر السبع يقوم الای تابع الى الفرقة السابعة والعشرين وهو
مدار استناد القوات المهاجمة في الصحراء

خامساً - تألفت الفرقة الخامسة والعشرين بقيادة اميرالای الاركان
الحربية علي فؤاد بك

سادساً - احدثت وظيفة مفتش عام في الصحراء عين له القائمقام بهجة بك
قائد الفرقة التي امنت وسائل المعيشة في نواحي الصحراء مدة تنقلات الجيش
الى القناة

القوة السفرية - وقبل الشروع في مهاجمة القناة نظمت القوة السفرية المعدة
لمهاجمة القناة على الوجه التالي وقسمت الى مرحلتين :

المرحلة الاولى -- مؤلفة من الفرقة الخامسة والعشرين النظامية والفرقة
الـ ٢٣ والفرقة الـ ٢٧

والای بولف من مختلف الفرق ٤ وخمس بطاريات صحراء سرية
الطلقات ٤ و بطارياتين جبايتين سربتي الطلقات و بطارية او بوس سرية الطلقات
من فئة ٢٥ سانتيمتراً والای خيالة واربع بلوكات هجانة وخمسمائة خيال من
عربان البادية المنطوعة وثلاثة طوابير من صانعي الجسورة وست بلوكات
استحكامات ومفرزات للبرق السلكي ومستشفيات سيارة و بلوكات صحية
والجميع يؤلفون ١٢٦٤٢ نفرًا و ٩٦٠ جوادًا و ٣٢٨ جاموسًا عدا الجال

المرحلة الثانية - اما المرحلة الثانية فمؤلفة من الفرقة السفرية الحجازية التي
وضعت تحت تصرف جمال باشا والمؤلفة بقيادة وهيب باشا والفرقة النظامية العاشرة
و بطارية خيالة و بطارية مدفعية وسائر ما هي بحاجة اليه من القوات المعاونة

الاستعداد لمعركة القناة

ولا نريد في هذه المذكرات ان نأتي مفصلاً على معركة القناة لان من

سبقنا من المؤرخين العسكريين فصلوا هذه المواقع تفصيلاً دقيقاً إلا أننا بصدد
مرد الحوادث التاريخية نقول إن الفرقة الأولى زحفت إلى القناة في اليوم الرابع
عشر من شهر كانون الثاني سنة ١٩١٥ وفي الخامس عشر منه ترك أركان حرب
الجيش بئر السبع سائراً وراء الجيش وفي اليوم العشرين منه وصلت الفرقة الأولى
إلى نقطة كائنة على بعد ١١ كيلو متراً من القناة وتقرر أن يبدأ الهجوم ليلة
٢ - ٣ شباط سنة ١٩١٥ فهاجم القوات الأصلية الاسماعيلية ٤ والجناح الإيمن
القنطرة ٤ والجناح الإيسر السويس ٤ وقد بدأ الهجوم في الليل المذكور وكان من
نتيجته كما عرفه أكثر الناس فشل هذه المحاولة فعادت القوات العثمانية تستعد للهجوم
ثانية على القناة

خسائرنا في هذه المعركة - وقد جاء في تقرير قيادة الجيوش البريطانية
الرسمي أن خسائر القوات العثمانية في معركة القناة الأولى بلغت ألف قتيل والفي
زيج و ١٥٠ أسيراً مع أن الحقيقة المستقاة من المصادر الرسمية التركية والتي
لم تنشر يومئذ أن خسائرنا هي من الضباط ١٤ قتيلاً و ١٥ جريحاً و ١٥ غائباً
ومن الجنود ١٧٤ و ٣٦٦ جريحاً و ٧١٢ غائباً

تأثير هذه المعركة في سوريا - وقد كان لهذه المعركة التأثير الشديد في
سائر المحيط السوري فقام أعداء الدولة لنشر دعايات واسعة النطاق في البلاد حتى
وجد قائد الجيش الرابع ضرورة لجلاء الموقف فاذاً يوم ١٦ شباط سنة ١٣٣٠
بلاغاً هذا نصه :

بيان إلى العموم

بما أنني قد اطلعت على بعض الاشاعات المتداولة على أفواه الناس والمنعقدة
بالخرافات الكشفية التي قامت بها العساكر العثمانية والجاهلدين لاستكشاف
مواقع العدو والحصول على معلومات راهنة عن مواقفه وحر كانه استعداداً للهجوم
العام المقرر لفتح مصر لهذا رأيت الضرورة توجب اعطاء بعض معلومات تنويراً
للرأي العام .

ليكن معلوماً لدى العموم ان التدابير الواجب اتخاذها لفتح مصر واستردادها قد بنيت على قاعدة هذه الحركة الكشفية ومها حاول الانكليز في ستر الفائدة التي حصلنا عليها من وراء هذه الحركة الكشفية ورغم تكبيرهم وغرورهم فقد اغترفوا بمقدار يوجب لنا الفخر عن فوز قواننا وتقدمها الى الامام

والحقيقة هي ان المجاهدين البواسل قد اظهروا واثبتوا بدمائهم الطاهرة التي اختلطت مع مياه القناة و باصوات التهليل والتكبير التي تعالت في الفضاء ان هذه المملكة الجميلة ستفتح قريباً وعلى كل حال من قبل القوات الاسلامية الظافرة ان خسائرنا اثناء الحركات الكشفية كانت ١٤ شهيداً و ١٨ جريحاً وغائباً من الضباط و ١٥٩ شهيداً و ٢٩٦ مجروحاً وغائباً من الجنود

ان شهدائنا المتغيبين قد جازفوا وارواحهم امام قتابل الاعداء في سبيل استكشاف مواقع العدو و حر كاته الامر الذي كان مدار افتخار وشرف لنا لما كنت قد حصرت مساعي واعمال الجيش الرابع الكائن تحت قيادتي لقهر العدو والوصول الى الغاية التي نتوخاها فاننا اوصي اهالي سور يا بعدم اشارة هذه الاراجيف اقل اهمية وانتظار النتيجة بكل اطمئنان

قائد الجيش الهايوني الرابع ووزير البحرية

الامضاء : احمد جمال

ولم يكتب احمد جمال باشا بهذا البيان ليوم على السور بين بل انه امر في اليوم الذي اذيع فيه هذا البيان بأقامة معالم الزينة في سائر انحاء البلاد ، ثم اعلن ان القيادة منصرفة لاعداد حملة كبرى ثانية لاقتحام قناة السويس

في جبهة فلسطين

وقف احمد جمال باشا يحادث ار كان حربه في قصر الطور القائم على سفح جبل الطور في القدس بشؤون الموقف العسكري في الجبهة و كان مستاء من الفشل الاخير عندما دخل عليه الشيخ اسعد الشقيري وعرض عليه حوادث مؤلمة

عن المؤمرات التي تدبر ضد سلامة جيشه في سور ياف وفي سبيل الاتصال بالخلفاء بواسطة ثورة يضر مونها في جنوبي لبنان على ان تكون اداة لتدخل الخلفاء وافهمه ان لا يثق بعبد الكريم الخليل والدكتور شهبندر اللذين استقدمها اليه لدرس الحالة في الجبهة قائلاً انها على اتصال باخوانها في مصر يزودانهم بكلمة هم بحاجة اليه من افادات عن الموقف في تلك البقعة

وقد اثرت هذه الانباء وسواها الواردة من دوائر الاستخبارات على جمال فرأى ان يشدد على جميع الموشى بهم ، خصوصاً وانه عندما اتى الى دمشق رفض طلب واليها خلوصي بك في فتح قضية جديدة مع السوريين واحالته الوثائق التي وجدت في القنصلية الفرنسية الى الديوان الحربي العرفي الا انه بعد الذي رآه من التأمر عليه والاقدام على الكيد له في غيابه وهو يقاتل العدو في الجبهة وهو واثق مطمئن استاء كل الاستياء وعهد الى تسليم الاوراق الى الديوان الحربي العرفي في دمشق

وقد اندفع كثيراً في حديثه واخذ يزاد اندفاعاً في هذا السبيل حتى انه شدد على الديوان الحربي بضرورة الحكم عليهم بشدة متناهية وحصرهم كله في هذا الصدد حتى انه كان يخبر رئيس الديوان واركانه يوماً متبعباً بدقة زائدة سير القضية .

دير صيدنايا = وفي هذا الوقت تلقى جمال باشا بوقية من قائمقام صيدنايا راغب بك يفيد ان اخباراً وردته عن وجود معدات حربية واسلحة في دير صيدنايا ويسأله اصدار اوامره في هذا الشأن فليرق اليه بضرورة تحريجه الدير ومصادرة الاسلحة الموجودة وتوقيف كل من تقع عليهم الشبهة

وقد وجدت قبلاً كميات من الاسلحة في دير صيدنايا فصودرت واوقف بعض الزهبان وارسلوا مخفورين الى الديوان الحربي العرفي في دمشق وقد تبين ان لهم علاقة مع دير فانتنبيل في الاستانة الذي يدبره الراهب آبا فيقولا الذي وجدت عنده عتاد حربية وتحارب واردة اليه من روسيا

الوشايات السافلة - والوشايات لم تكن مقتصرة عند حد بعض المقر بين من الباشا بل هناك مئات غيرهم ولست اروي سرّاً خفياً اذا قلت ان احمد جمال باشا تلقى في الاسبوع الذي عاد فيه الى القدس ٣٩٢ تقريراً مرسله من السور بين ضد اخوانهم ، فلو اراد جمال باشا ان يتم واجبه كقائد للجيش الرابع ، و ينفذ محتوياتها لملأ السجون من الضحايا البريئة

اليك ايها القاريء العزيز بعض هذه التقارير :

... ان المطران شبلي على اتصال دائم مع الحلفاء بواسطة عبد الله صفيير في مصر وقد ارسل اليه كتاباً في الاسبوع الماضي يعلنه فيه ان الرأي العام اللبناني شديد التأثر من الموقف الحاضر وان المسيحيين يرون ان حياتهم باتت في خطر وان الضرورة توجب مداخله الحلفاء لحماية المسيحيين الخ ...

ارسل هذا التقرير في اليوم الخامس والعشرين من شهر شباط سنة ٩١٥ الى جمال باشا وعليه توقيع «احد الكهنة المقر بين من المطران» فاحاله جمال باشا الى والي بيروت للتحقيق عن محتوياته فقط

... ان اخلاصي للدولة العلية ايدها الله واشمئزازي من خيانة اعداء الدولة والدين دفعاني لان الفت انظار دولتكم الى ان قنصل فرنسا في بيروت كان يعطف كثيراً على الشيخ احمد طيارة وهذا العطف هو الذي دعا الشيخ لان يكون على اتصال مع قنصل هولاندا وبعبارة اصح ان الشيخ احمد على اتصال دائم مع الخارج بواسطة القنصلية الهولاندية وفي امكانكم ان تتأكدوا ذلك بمراقبة المذكور - في ٢٢ شباط سنة ١٩١٥ وكان التوقيع على هذه الاخبارية باسم « يوسف جمال »

... في هذا اليوم جاء الى دار ابراهيم العكي في عكا سعيد قاسم المير قادما بزورق من مصر وقد ازلته على الشاطئ احدى الدوارع وهو موجود في المنزل المذكور وقد يفر قبل القبض عليه لهذا بادرت باعلامكم « في ٢٧ شباط الامضاء : « محب الدولة » .

وقد تبين ان سعيد المذكور جاء فعلا الى عكا ولكنه لم ينزل في دار العكي بل في (البهجة) حيث اوقف هناك وثبت انه جاسوس للانكليز فاعدم بعد شهر .

وشايات جديدة — ان هذه التقارير وغيرها من الماثلة لها تدل على حقيقة نفسية مرسلها الذين لم ينوروا حتى بالشكابة على اخوانهم وآبائهم ، وفي اليوم الثاني من شهر آذار دخلت مع علي فؤاد باشا غرفة جمال باشا فاذا بنا نراه شديد الاضطراب حتى اذا وقفنا تجاهه قال :

— اتعلمان ان مؤامرة يدبرها بعضهم ضدي ؟

-- ماذا ؟ ... !

— نعم ان في البلاد مؤامرة تدبر ضدي وهنا من يؤيدها

— وكيف ؟

— ستر يان

قال هذه الكلمة وامر مرافقه باستدعاء من في الغرفة المجاورة

و بعد ثوان ادخل سيدة متحجبة الا انها كانت تظهر من وراء الحجاب انها سيدة حديثة السن متناسبة التركيب وما كادت تدخل وتقف امامه حتى امرها بحسر النقاب عن وجهها فلبت الطلب كأنها تتحرك بقوة ميكانيكية فاذا بها كما اعتقدنا سيدة في العشرين من عمرها جميلة الصورة معتدلة الجسم طويلة القامة فسالنا الباشا عما اذا كنا نعرفها فاجابنا كلاثم خاطبها قائلا :

— هل تفضل حضرة السيدة بالادلاء بمعلوماتها امام هذين السيدين ؟

— لقد رويت لدولتكم ما عرفت

— لا بأس من اعادتها

— لقد ماتت امي وانا في الخامسة من عمري فكثت في المنزل وحيدة مع

شقيقتي كوثر والدي ، ومنذ عامين تزوج والدي من سيدة هي من عمره في الآن وانضمت زوجته اليانا وكننا على خير حال الى ان كان هذا الشهر حيث

اخذت اري خالتي زوجة ابي تخرج من المنزل بصورة سرية فاعتقدت ان في الامر خيانة لابي فاردت معرفة وجهتها لصيانة شرفنا فرائتها تذهب الى شارع مار يوحنا في المنزل المجاور للكاندراثة وتمكث هناك مدة ساعين

وبعد خروجها رايت ثلاثة اشخاص يخرجون من المنزل عرفت احدهم عزيز البعقوبي والاخران لم اعرفهما ولهذا لم اظهر الى ان ابتعدوا فاقتربت من المنزل اقرعه فاذا هو خاصة ام يوسف اليافاوية اتخذته لتؤجره غرفا وان عزيزاً يقطن احدى هذه الغرف والاخران حضرا عندها منذ يومين وان احدهما قال لها ان اسمه رفيق شهاب من اهالي بيروت والثاني محمد بهجت العطار من الشام وقد علمت هذه المعلومات منها اثناء محادثتي اياها بعزمي على استئجار غرفة وهي الغرفة الاخيرة الفارغة واتفقت على استئجارها بعد ان رجوت ام يوسف ان لا تعلن احداً بامري لانني فتاة وحيدة واخاف وانا وسط ثلاثة رجال فقبلت رجائي وذهبت

وفي اليوم الثاني رايت خالتي تستعد للذهاب فركتها تتزين وغادرت المنزل الى الغرفة فدخلتها واغلقت الباب ورأيت وبعد ساعة رايت خالتي تدخل المنزل ثم تصعد توالى غرفة عزيز حيث كان هو ورفاقه فيها واقفلوا الباب الخارجى بعد ان ابعادوا ام يوسف ظناً منهم انه ليس هناك احد عبرها وبعد دقائق خرجت من الغرفة بعد ان خلعت حذائي واقتربت من الباب ظناً بي انني ساري منظرأ خلاعياً فاذا بي اسمعهم يرددون حوادث سياسية حيث سأل احدهم خالتي عما اذا كانت قد اتته بالمعلومات التي طلبها منها والوثائق ثم تطور الحديث بعدئذ الى طلبها ان تتوسط لدى ابي في مقابلة جمال باشا وقد فهمت من الاجتماع الذي عقد في اليوم الثاني انه ييهمهم ان تقرب امرأة خالي منك لانه يكون في مقدورهم في هذه الحالة معرفة بعض الامور السياسية او تنفيذ مؤامرة الاعتداء على جمال باشا

وعندئذ سألتها علي فؤاد باشا عن اسم ابها فقالت :

— ابي هو ...

— ولماذا لم تظنيه القضية ؟

— لقد خفت عليه ان يتهم في هذه المؤامرة ولما كنت اعتقد به الاخلاص للدولة العلية ولقائدنا المحبوب جئت ادلي بمعلوماتي هذه اليكم لتؤكدوا الحقيقة وتدينوا الامر

— وهل تعتقدين بصحة هذه المؤامرة ؟

— نعم وانا على استعداد لاثباتها

. وهذا التفات لنا جمال باشا وقال :

— ان مجرى الامور يدل على حقيقة ما تزويه لنا هذه السيدة فيجب ان تذهب انت — اي المراف — مع هذه السيدة لتتدبر الامر

في مكان المؤامرة — وكانت هذه المعلومات خطيرة لان مجرد التثبت منها كاف لاعداد الاربعة المذكورين ولهذا اردت ان اقوم بهذا العمل لوحدي دون الاستعانة باحد من رجائي واتفقت مع الانسة المخبرة على ان تقدمني لام يوسف كاخ لها وبذلك يتشئ لي دخول المنزل دون ريبة فصدعت بالطلب وقصدنا المنزل المذكور فاذا بأم يوسف وهي امرأة قد تجاوزت العقد الخامس من عمرها جالسة وما كادت تراء وتعرف بانني اخو الفتاة حتى ابتسمت وقالت :

— ومن اين لك هذا الاخ التركي

ثم ابتسمت ثانية وقالت وماذا يهمني اذ كان اخاك او عشيقك وهذه الجملة دلتنني على ان هذه المرأة تتسامح في كل شيء بسبيل المال ولهذا فقدتها فوراً خمسين غرشا ابتسمت لها ورفعتها على رأسها ودخلت بنا الغرفة وهناك اخذت امارحها بالعربية مؤكداً لها اني اخو الفتاة والدليل على ذلك بانني ساحل مكنتها في الغرفة وهي مسافرة حالا ثم اخذت احادتها عن امر نزلاء منزلها فكانت تصورهم كتجار عاديين خلافا لما صورتهم به فئاتنا المخبرة الا انها في الوقت نفسه لم تنكر ان امرأة تترد على عزيز ورفاقه وانها تعتقد ان هذا امر طبيعي ليس الا علاقة الشباب غير المتزوجين مع النساء ووعدتني بان تصطاد لي تلك السيدة وتقدمها لعل ذلك

يسرني مادمت كريما نحوها جواداً

وضوح الحقيقة — كانت المهمة تبدو لي في بادئ الامر غريبة جداً الا انني

في المساء عندما اجتمعت بالرفاق الثلاثة لم اجد فيهم ما يريب او اي استياء لرويتهم غربيا عنهم ، خصوصاً بعد ان علموا بانني تركي بل كان الامر عكس ذلك فقد كان سرورهم عظيماً بالتعرف بي لانهم كما تبين لي تجار يرغبون في الاتصال بالاثراك ليوجدوا معهم علاقات توصاهم الى نيل بعض التعهدات من السلطة وقد زادت معرفتي في ذلك الوقت ان احدهم صارخني بان سيدة زوجة وجيه مقدي وعديتهم بأن تكون خير وسيطة بينهم وبين زوجها على ان تكون شريكاً صرية في الامر وهكذا اتضحت لي من اول يوم انه ليس هناك مؤامرة تتجسس او اغتيال جال باشا وانما هناك سيدة طاعة اصطادها تجار الحرب ليستفيدوا من نفوذ زوجها في الاثراء

وقد تأكدت هذه الحقيقة من ام يوسف لانها ما كادت تفتح السيدة بأمرى وانني شاب ثري وجيه حتى بادرتها بصفعة على خدها معلنة اياها بأنها ليست المرأة التي تريدو كادت تذهب لولا حضور عزيز الذي استرضاهما ووبخ ام يوسف تو بيخا قاسياً معلناً اياها عزمه على مغادرة منزلها مع رفيقه

توقيف الاشخاص الاربعة -- وفي الحال قصدت الادارة وارسلت ثلاثة من رجال التحري ان ياتوني بالرجال والمرأة وان لا يدعوا احداً من الاهلين يشعر بالامر خصوصاً بامر السيدة زوجة الرجل صاحب المقام وبعد ساعة كان الاربعة في الغرفة المخاورة فامرت في ادخال السيدة اولاً فدخلت وهي متحجبة فامرتها برفع النقاب فابت اولاً ثم تجاه التهديد رفعت فسالته زوجة من انت فانكرت انها متزوجة وانها فتاة باكر

فقلت — انت زوجة ..

— آه ..

— نعم وساعلم الآن زوجك بامر توقيفك مع ثلاثة اشخاص بصورة مرئية

— مولاي —

قالت هذه الكلمة. واخذت تجيش بالبكاء مقسمة ان علاقاتها شريفة
ولكن كيف يعقل ان تقومي بهذه الزيارات السرية بصورة متوالية وتدعين
انك شريفة ؟

— مولاي ! ان عزيز جارتنا هو صديق قديم لوالدي وقد افهمني ان
هناك فائدة لي لا تضر بمصالح زوجي اذا ما اتت ساعدته مع رفاقه باعطائهم معلومات
عن حاجيات الجيش للتكاليف الحربية وان ارباحنا تكون طائلة لي منها الربع
فرضيت وقد ساعدتهم منذ ١٥ يوما في مسألة قرار مصادرة الحرير فربحت من
ذلك ١٥٠٠ ليرة وهي ثروة طائلة دفعتني لسرقة اسرار القيادة التجارية من
زوجي ..

— ولكن عملك هذا خيانة ؟

— كلا بل تجارة

وقد اكد لي الثلاثة المذكورين هذه الحقيقة وكانت النتيجة العفو عن
السيدة وتوقيف الشبان الثلاثة ومصادرة قسم من مالهم ونفيهم الى الاناضول ولم
اعلم بعدئذ ما كان مصيرهم

اسباب الوشاية — وحقيقة الامر ان الانسة المخبرة كانت تحب عزيزاً
وكانت تتردد عليه ولها غرفة سرية في احد احياء القدس بترددان عليها وفي
احد الايام راها خروج امرأة اليها فاحقت بها الى ان وجدتھا تدخل دار ام يوسف
فظننت انھا عشيقة لحبيھا بعد ان رآه يخرج هو بعدها مع رفيقه فقامت تشي عليها
وقد ظل الوالد جاهلاً هذه المؤامرة الى ان فرت ابنته المذكورة مع احد
ضباطنا الاثراك الى ازمير فروت له عندها زوجها ما توقع

رواية ثانية -- وفي الاسبوع نفسه لوقوع هذه الحادثة التي رويناها للقراء
اي في اليوم السابع من شهر آذار سنة ١٩١٥ وردني امر من رئيس اركان
حربنا علي فواد بك بعلتنى فيه ان سيدة امراثيلية تدعى رويكا ابشتاين

اعلنته ان في قرية زمار بن عصبة تعمل للتجسس على الجيش تمكنت من خديعتها مع خطيبها وادخلها في زمرتها وانه مضي على وجودهما فيها شهران فاستدعت فوراً روبيكا وسالتها معلوماتها فرددتها وقالت ان المخاطر تجري بواسطة لا تعرفها وان قمعتها هي لان العصبة استبدلتها باولغا مردوخ ولما كانت اكثر جالاً منها خشيت ان تسرق منها خطيبها ولهذا جاءت تفصح امرها شرط العفو عنها وعن خطيبها وان القيادة وعدتها بذلك العفو ، قلت :

— ان القائد وعدك وهو سير بوعده والان اروي لنا حقيقة هذه العلاقات — ان الخطة هي ان نوجر في منزلنا غرقاً للضباط ويتوخي بخطيبنا ان ينكوز هؤلاء من ضباط اركان الحرب وهو يتساهل معهم كثيراً بحيث يسمع لي بمجالستهم مجتمعين ومنفردين واقامة الولائم والغناء والزقص امامهم وقد زاد اقبالهم على دارنا عقب وصول اولغا الى منزلنا وقد تمكنت هذه من سرقة انصرار عسكرية شديدة الخطورة

— من هم الضباط الذين يسكنون عندهم ؟

— ذكي بك اليوز باشي اركان حرب واحمد بك جواد الملازم الاول وصفوت بك اليوز باشي اركان حرب وتحسين بك البنباشي اركان حرب — وهل في امكانك ان تدعيني احضر احدي اجتماعك مع خطيبك والفتاة الاخرى ؟

— نعم وفي مساء الغد

وهكذا ادت الغيرة بالفتاة لان تكشف لنا رواية تجسس واسعة النطاق اعدم فيها عدة اشخاص والى القراء تفصيل ذلك

في طريق العمل — قصدت دار كوهين ايزرمان مع روبيكا فعرفتني بخطيبها والفتاة الثانية اولغا كاننا من صديقاتها وقد سرنا اخبارنا بهذا التعارف لانها اعتقدت ان في مقدورها الاستفادة من ورائها بصفتي مطلعا على بعض اسرار القيادة العليا واظهر الي خلال ذلك كل اكرام واقامالي في دارها مأدبة فاخرة

حوت الكثير من المشروبات وكانت روبيكا حتى هذا الوقت مغلصة لانها لم
تفاتيح حتى خطيبها بحقيقة امره اعتقاداً منها ان مغالحتها اياه ستدعوه للهرب
فتخسره وتخسر حياتها

و كانت الخطة الموضوعة هي ان اُتظاهر بالسكر حتى اذا اعتقد هؤلاء بانني
فقدت رشدي دخلوا بي الى غرفة لرقود فاذا غفوت تحروا ثيابي للاطلاع على
الوثائق التي قد احملها

و كنت قد استعدت لهذه الحركة فاحضرت معي بعض الوثائق المزورة
كي يسرقها هؤلاء والحق بهم الى النهاية لمعرفة النتيجة كما انني انتدبت ثلاثة من
رجالي امرتهم بمراقبة المنزل والحق بكل من يخرج منه ومعرفة الوجهة التي
يسير بها .

الخادع المخدوع - وكانت المادبة شائعة حقاً ولزيادة الخديعة طلبت الى
كوهين ورفيقه ان لا يذكر امام ضيوفها حقيقة هويتي فلبوا الطلب وقد
ساعدني هذا الامر على معرفة بعض الحقائق ودرس حقيقة موقف هؤلاء الضباط
واحداً واحداً فان اولغا التي كانت تعرف الترقية لانها من اسرائيليات ازمير
عرفت كيف تخدع هؤلاء بابتساماتها البديعة وجالها الخلاب وتودهم بن
الملاطفة والمداعبة الى ذكر الموقف العسكري الاخير واخذما تريده منهم من
المعلومات كما انها كانت على معرفة تامة بالنشل فهي التي كانت تمد يدها الى جيوب
هؤلاء الضباط لتستولي على ما فيها عندما يميلون عليها وقد اسكرهم
حديثها والخمرة .

و كانت في تلك الليلة شديدة التقرب مني تحاول تخديري بحديثها و كنت
قد لاحظت انمراض القائد ذكي بك من هذه المعاملة لانه كما تبين لي كان يميل
اليها حتى انني سمعته يهوس باذنها قائلاً :

— سترين فيما بعد ما لا يرضيك

ومضي الوقت فتظاهرت بان الخمرة قد اثرت واخذت اجاري اولغا في

اعطائها ما تريد من معلومات جعلتها متوافقة مع الوثائق المزورة الموجودة في جيبى ثم رأيت القائد ذكي بك يتركنا ووراءه روبيكا و كوهين فبقيت في الغرفة لوحدي حيث اعتقدت ان اولفا ستبدأ بتمثيل دورها وفي الحقيقة فانها ما كادت تخلو بنا الغرفة حتى مالت علي واخذت في مسيرتي مبيحة لي التماهي بها الى النهاية .

ورغم اننا كنا في ابان فصل الصيف والحر شديد فانها كانت ملتصقة بي لتفقدني ، على زعمها ، بجلاوتها والحمة التي اختسيتها رشدي فسايرتها في الامر الى ان شعرت بيدها تلعب في جيب سترتي الداخلية فظاهرت اني لا افقه شيئا حتي استولت على مغلف الاوراق وانا فاقد الرشد وعند ذاك القتني جانبها فاذا بها تراني لا اعي على شيء

وقامت وهي ترمي في الفضاء ضحكه شديدة ثم غنت اغنية اسبانية مبتذلة كانها فرحة من نتيجة مساعيها

وفي تلك الدقيقة دخل الغرفة كوهين و اشار اليها بيده دون ان يفوه بكلمة فتاولته الظرف الذي كان معنونا باسم قائد الجيش الرابع وفي اسفله عبارة (محرماته) فاستلمه من يدها وقال :

- ابقى بجانبه لانفارقيه ريثا انسخ هذه الوثائق واعود اليك لتعيدني اليه وكان معنى هذا انها اوجبت علي ان اظل على حالتي هذه الى ان يعود الرجل وفي هذا ما يتعني و يعيني عن معرفة الطريقة التي سينسخ بها هذه الوثائق .

اسرار العصابة -- لقد كان في امكاني لهذا الحد ان اوقف الاشخاص المذكورين متلبسين بالجريمة الا انني اطمع في معرفة حقيقة اسرار هذه الفئة والدور الذي يادبونه والاشخاص الذين هم على اتصال معهم لايصال الوثائق الى الحلفاء ولهذا يتحتم علي والحالة هذه البقاء على حالتي هذه الى النهاية خصوصا وانا امين من ان رجالي ساهرون حتى مطلع الفجر .

واكن اولغا ما لبثت ان اخرجتني من هذا المأزق بدماعها الى الغرفة المجاورة
لاسترضاء الضابط ذكي بك الذي يهيم امره اما لمحبة تربطها معه او لعلاقتها
في الجاسوسية ولهذا فانها تركتني فوراً وهي امينة من عدم امكاني العودة الى
رشي حتى الصباح وبعد خروجها بدقة دخلت علي رويكا واغلقت الباب
وراءها فزنتني بيدها فتظلمت بالنوم وعندها ابتسمت ابتسامة مرة وقالت تخاطب
نفسها :

— هذا ما كنت أخشاه لان هذه الفتاة الشيطانة عرفت كيف تخدعه ايضا
وعلى هذا فقد خسرت انا كل شيء
وعندها باغتتها قائلاً :

— كلا انك لم تخسري شيئاً لانني شاعر بكل شيء
وقد اثر بها موقعي واقسمت انها اعتقدت بانني فقدت رشي وخافت العاقبة
وعندها سالتها عن خطيبها فقالت انه دخل غرفته لنسخ الوثائق التي ناولته اياها اولغا
وان الفتاة دخلت غرفة عشيقها الضابط وان الوثائق سترسل في هذا الصباح الى
مركزها الرئيسي حيث يحضر رسول لاستلامها وعندها طلبت منها ان تأتيني
بالاوراق الموجودة لدى الضابط فقالت انها بيد خطيبها ينسخها وتضعها لي
بعد انتهاء العمل .

اعادة الاوراق — لم يغب كوهين في مهمته هذه اكثر من ساعة ولما عاد
ووجد خطيبته بجانبه بعد ان قرع الباب عليها لم يسخط لانه وجدها محتلمة بغريب
عنه وهي زوجته المقبلة بل .. اها عا اذا كنت قد عدت الى رشي ولما اجابته
بالنفي ناولها المظروف وامرها باعادته الى مقره قائلاً :

-- انه يحوي معلومات خطيرة ستاتينا بتروة طائلة ولما كان الفصل في ذلك
اليك فانك ستناين القسط الاوفر من هذه الارباح

وعند ذاك سألته رويكا — بناء على طلبي منها سابقاً — عما اذا كان ذكي
بك قد اتاه بوثائق جديدة فاجابها ان الوثيقة هي عبارة عن التقرير الذي رفعه

احمد جمال باشا الى القيادة العامة عن نتيجة معركة اللقاة ورايه في عدم تجديد
الحركة ثانية

و كنت اعرف اهمية هذا التقرير الذي وضعه احمد جمال باشا والذي سلمه
لرئيس ار كان حربه علي فواد باشا و كان مجهولا بمحتوياته عن غيرها فكيف
اتصل بهذا القائد

الجلسوس الوسيط

وبعد مدة تظاهرت بعودتي الى رشدي وخرجت اتفقد رجالي في الاماكن
التي عينتها لهم فافادوني ان شابا كان يرود ايضا حول المنزل فاخذوا في مراقبته
كما كان هو يراقب المنزل وظلت هذه المراقبة المزدوجة الى الساعة الواحدة بعد
منتصف الليل وعندما غادر المكان الى البلد حيث لحق به احدهم الى حيث يقصد
فاذا به يدخل به حارة « باب اللوق » ويدخل منزلا هناك فاخذت علما بما اشاروا
اليه وتركتهم وذهبت حيث اعلمت فوراً رئيس ار كان الحرب علي فواد باشا
بما كان من هذه الامور فاعلمني ان البوز باشي زكي بك هو رئيس الغرفة وهو
المولج بالمحافظة على الوثائق وارسلها الى قائد الجيش الرابع ولو كالة القيادة العامة
وقد اظهر علي فواد باشا استغرابه الشديد من وصول تقرير احمد جمال باشا عن
معركة القناة الى زكي بك لانه وضع هذا التقرير في درجه الخاص وظن ان
التقرير الذي حصلت عليه من القائد مزور واراد ان يتأكد من الحقيقة فوراً
فطلب الي مرافقه حالاً الى قصر « الطور » ليرى الحقيقة وفي دقائق ارتدى ملابسه
وقصدنا معا قصر « الطور » فسلم لي التقرير فامرني باعادة التقرير فوراً الى القائد زكي
بك ليرى كيف يتوصل الى دخول مكتبه لاعادة التقرير ثم اتفقت وياه على
الخطا التي سيقبض بموجبها على القائد وبعد ذلك قصدت المركز حيث دعيت
للازم جودة والملازم احسان وانذنا معا ننظم عمل توقيف الاخرين وسرنا نحن
في ملابسنا العادية الى دار كوهين ايزرمان فلم اجد هناك الا واحداً من رجالي
حيث افادني ان الرجل المجهول كان قد حضر اثناء غيابي وبعد ان دخل المنزل

ومكث فيه مقدار عشر دقائق خرج منه وبرفته كوهين ولحق به احد رجاله
وبقي الاخر ايعلمني بالامر

فامرته مع الملازمين بالبقاء خارجا ثم قرعت الباب فاذا بروبيكا تظهر لي
فسألتها عن في المنزل فاعلمتني انها يرقدان فسلمتها الوثيقة وطلبت اليها اعادتها في
جيب القائد بعد ان كررت عليها ان لا تخاف من النتيجة وان القيادة التي علمت
بما وصلت اليه الى الان شديدة السرور منها وانها مقابل ذلك سوف لا تقصر على
العفو عن خطيئها فحسب بل انها ستكرمها بمبلغا وافرا من المال سيساعدها حثا على
الزواج بمن تحب فابتدت صرورها وشكرها من الامر ثم استأذنت بالانصراف
فتركها وخرجت لا تأخر الامر في الجهة الثانية وامرت الملازمين بتشديد المراقبة
حتى اذا خرج زكي بك الذي كان يعرفانه يلحقان به الى مقر القيادة العامة في جبل
الطور كما امرت تابعي الاخير بضرورة الانتظار الى ان يفد لعندي احدهم لاعلامي
بما كان من امر هذه الرحلة الليلية الى قصر الطور وذهبت

توقيف القائد زكي بك - وكانت العادة ان يحضر القائد زكي بك الى
مكتبته في الساعة الثامنة صباحا حيث ينصرف الى توضيب الوثائق الموجودة في
مكتبته ثم يقدمها الى رئيس اركان الحرب علي فؤاد باشا الذي لا يحضر قبل
الساعة التاسعة صباحا ولهذا كان لديه الوقت الكافي لدخول دائرة رئيس اركان
الحرب دون ان يشعر به احد ولهذا اتخذت الاستعدادات فكث علي فؤاد باشا
في غرفته معي حيث انزوين في زاوية من هذه الغرفة الفسيحة وراء ستار وضع
للغاية واقفلنا النوافذ ببحث باتت الغرفة مظلمة ثم وضعنا احد رجالنا في غرفة زكي
بك لمراقبته فيما اذا كان يحاول اخذ شيء من الوثائق المودعة عنده

وفي الساعة السابعة والنصف رأينا باب الغرفة يفتح ويدخل منه القائد زكي
بك بكل هدوء ثم رأيناه يتقدم الى مكتب الباشا الكائن في صدر الغرفة من جهة
الباب حتى اذا اقترب منه واخرج من وسطه سلسلة من المفاتيح تناول احدها
ووضعه في قفل الدرج وفيما هو يحاول فتحه خرج اليه علي فؤاد باشا وقال: اسعدت

صباحا زكي بك ؟

فاضطرب الرجل من هذه المباغة وسقطت المفاتيح من يده وظهرت علامته الاضطراب عليه ثم بادره علي فؤاد باشا قائلا

— ذكي بك ! هات المفاتيح مع محفظة اوراقك

وكان القائد يدار بقوة ميكانيكية فانه ما لبث ان تناول سلسلة المفاتيح عن الارض والمحفظة من جيبه فوضعهما على الطاولة فتناول منها علي فؤاد باشا الوثيقة مع ثلاث وثائق اخرى تتعلق في بعض المرا كز العسكرية فساله عما اذا كان قد سلم هذه الوثائق ايضا الى الجواسيس فاجاب مقسما بشرفه العسكري « كلا » وقد كان هذا القسم سببا في إثارة حدة الباشا الذي كان هادئا الى ذلك الوقت بحيث قال — زكي بك ان من يخون واجبه العسكري لا يحق له القسم بشرفه العسكري ولهذا فانا لا ارى قسمك حقا فاذهب الى غرفتك ولا تخرج منها الى ان يأتبك امري

فدخلت بالحديث وطلبت من القائد زكي بك ان يقدم لي مسدسه فجزرتي الباشا بجمدة وقال — لماذا تطلب منه المسدس ثم التفت الى زكي بك وقال : قدم سيفك زكي بك اما المسدس فهو لك

وقد ادركت فوراً ما يريد فؤاد باشا فهو يقول لزكي : انك ضابط تركي اعزت الشرف العسكري وخنت املك وبلادك ومن كان يمثل هذه الاخلاق فعليه ان يستهدف للعقاب فامامك، مسدسك فاذا كان لك شيء من العزة والشرف فاستعمله ليسر عليك تجار فاقك واملك اما اذا كنت فقدت كل شيء فستكون عرضة حتما الى المحاكمة والحكم عليك بالاعدام ويظهر ان الرجل قد ادرك ما يحول في مخيلة قائده فانه ما لبث ان رأته يخرج حساه من غمسه و يلقيه امام علي فؤاد باشا ثم يترك مسدسه في وسطه و يخرج مطأطأ الرأس ولما وصل الى الباب عاد والتفت البنا وحيي التحية العسكرية ثم تتم ببضع كلمات لم نفهم منها شيئا وذهب ومكثت مع الباشا بضع ثوان ونحن سكوت كان علي رأسنا الطير

وكانت تلفت الى بعضنا متسائلين عما اذا كان الرجل يقدم على الانتحار لانقاذ الشرف العسكري ام لا ولا نجسر على محادثة بعضنا الى ان سمعنا دويا ارتج له فضاء القصر فقال علي فوءاد باشا :

— هذا ما كنت اعتقده وقد احسن صنعا واذبح الان لتدبير الامر وتقرير انتحاره لاسباب غرامية وساعلن احمد جمال باشا بالامر بحيث يعتمد حصر هذه المعلومات بنا نحن فتر كنهه وذهبت فوجدت غرفته قد امتلأت بالضباط الذين رجوتهم الخروج واقتربت من الضابط فاذا به جثة هامدة وقد وضع كتابين الاول معنون باسم علي فوءاد باشا والثاني الى زوجته وفي الاول يعلن الباشا ان خيانه لأمته لم تكن طمعا بالمال انما الحب هو الذي قاده الى ارتكاب هذه الجناية التي اقده عليها ويرجوه العفو عنه ومساعدته وبلغت نظره الى كوهين وخطيبته روبيكا والفتاة اولغا من انهم فئة تعمل لحساب احدي عصابات التجسس

وفي الكتاب الثاني يخاطب زوجته بانه خانها وان التي خانها بها لم تكن تستحق ذلك فنأثر من الامر وعمد الى قتل نفسه وقد نقلت هذين الكتابين الى علي فوءاد باشا الذي سره الكتاب الثاني الذي برر بموجبه انتحار الضابط وقد نشرت الصحف الصادرة في الاسبانه بتاريخ ١٥ آذار هذا الحادث معلنة ان الضابط زكي بك انتحر في القدس متأثرا بحب احدي الاسرائيليات

خديجة الجواسيس -- وقد ساعدنا هذا الكتاب من جهة ثانية على ابعاد الشبهة عن كوهين ورفيقته

وفي الساعة الواحدة من بعد ظهر ذلك اليوم حضر الملازم احسان افندي واعلمني ان كوهين عاد لوحده قبل نصف ساعة وانه يستعد للفرار لانه بلغه نبأ انتحار الضابط وعند ذاك امرت مدير البوليس بتوقيف المذكور مع المرأتين وابقافهم في الادارة لحين عودتي وافهامهم السبب في توقيفهم

ولما كان المدير يعنى بان سبب انتحار الضابط هو تعلقه بالفتاة فانه ليس هناك ما يخيف من معرفتهم التهمة الموجهة اليهم بل ان الامر عكس ذلك

بفيدني كثيراً .

و بعد ساعة من الحادث جاءني اشعار من مدير الشرطة بتوقيف المذكورين ووضعهم قوة مؤلفة من شرطين لمراقبة المنزل ومنع الدخول اليه فشكرته على ذلك وقصدت المنزل لتحريره وهذاما وجدته فيه كما اثبتته في اللائحة التي ارسلتها الى رئاسة اركان الحرب تحت رقم ١٢٨ - ١٠٢٥ بتاريخ ١١ آذار سنة ١٩١٥
اولا - وجدنا في غرفة الضابط زكي بك ٢٠ قطعة من النقد الانكليزي من فئة الخمس ليرات انكليزية وعشرة آلاف فرنك فرنسي بعشرة قطع و ٢٥٠٠ ليرة تركية .

ثانيا - وجدنا في غرفة الضابط مفكرة يومية تحوي كثيراً من المعلومات العسكرية ورسم فوتوغرافية عن مواقع الصحراء الماخوذة لرئاسة اركان الحرب العامة والمنوع اخراجها من المعسكر العام
ثالثا - رسوم تمثل ضحايا الجيش بعد معركة القناة

رابعا - وجدنا في غرفة كوهين ٣٠٠ ورقة انكليزية من فئة الخمس ليرات ونقوداً ذهبية مختلفة وآلة للرسم وآلة للنسخ كما اننا وجدنا بعض الاجزاء الطبية التي تستخدم في النسخ عادة

و وجدنا عدا ذلك بعض التحارير المكتوبة بلغات اجنبية منها ثلاثة تحارير بالعبرية وتحارير بلغة غير مفهومة يظهر انها شيفرة وتحاريران آخرا مكتوبان باللغة الانكليزية

خامسا - وجدنا في غرفة اولغا مفكرة يومية فيها بعض العبارات الشيفرة المكتوبة باللغة الروسية ومبالغ ٥٠ قطعة انكليزية من فئة الخمس ليرات وستة تحارير غرامية مرسله اليها من القائد زكي بك

وقد نظمت في هذه المواد تقريراً مفصلاً رفعته الى رئاسة اركان الحرب قيادة الجيش الرابع وقصدت فوراً قصر الطور حيث اعلمت فؤاد باشا بما تم ثم اتجهت الى دائرتي حيث علمت بما كان من مهمة الذين ساروا

وراء كوهين ورفيقه

الطاردة - فقد افادني رجالي ان كوهين بعد ذهابه من منزله برفقة زميله قصدا الى جهة بعيدة عن المدينة وهناك اجتمعا برجل اسرائيلي يدعى اسحق مردوخ من اهالي (زيكروب جاكوب) فسلما الاوراق وانصرفا عائدين وعلى الاثر ترك رجالي الرجلين يعودان ادراجهما ولحقا باسحق الذي ذهب الى يافا ومنها (قيساريا) وهي بلدة جر كسية قائمة على بعد من يافا وفيها اجتمع بكاطم بك الجر كسي وبات عنده في ذلك المساء

كيفية الاتصال - وفي اليوم التالي عند الساعة العاشرة ليلا رأيت رجالي الذين كانوا يراقبون المحرمين زورقا عاديا يقترب من خرابات قيساريا وكان مغطا الانوار وكاطم ورفيقه قد ذهبا اليها قبل هذا الوقت وما كان الزورق يقترب من البر حتى خرج منه الى البر بحار ، عرفنا فيما بعد انه يدعى يوسف ابو سعيد البافاوي ، ويحبي الرجلين ثم بعلمنا ان الزورق البخاري قد انزل من الدارعة «كوهين البزابت» وانه قابل الضابط الذي اراد ان يشاهدهما في هذه المرة بعد تسليمه الوثائق التي يحملانها فاجاباه بالموافقة ثم ركبا معه الزورق الذي سار بهما في عرض البحر وبعد ان غاب الثلاثة مدة ساعة واحدة عادوا بالزورق نفسه ومعهم رجل آخر لم يعرف رجالي هويته فغزلوا منه وتوجهوا نوا الى دار كاطم بك اما البحار فقد عاد يزورقه الى قيساريا فتر كوه لحاله ولحقوا بالثلاثة الذين باتوا هناك

توقيف العصابة - عاد الي رجالي في اليوم التالي بعد ان اقاموا في حراسة الموقف احدثم لاعلامي بما كان وفي مساء اليوم نفسه وردني اشعار آخر يفيد ان كاطم بك والرجل السري حضرا الى يافا اما اسحق فقد توجه الى زمارين وانهما نزلا في بيارة قائمة في ضواحي يافا اتخذت تحت الحراسة

وعلى الاثر اتخذت بعض التدابير وفي اليوم العشرين من شهر آذار

سنة ١٩١٥ تمكنتنا من توقيف سائر افراد هذه العصابة وهم : كوهين وخطيبنا
روبيكا ، واولغا ، واسحق ، وكاظم ، والرجل السري - الذي علمنا
انه عزيز ادم وهو مصري مستخدم في دائرة « الانتلجان سرفيس » في
مصر - ، وداود كوهين ، وعبد الله يوسف - من اهالي قيساريا - ،
ويوسف الياقوي ، فحوا وحكم عليهم بالاعدام عدا روبيكا التي برئت
ساحتها واولغا التي حكم عليها بالسجن ١٥ سنة وقد اعدم المذكورون في بئر
السبع في ١٠ ايار سنة ١٩١٥ رميا بالرصاص

الفصل العاشر

لما اتى احمد جمال باشا الى سوريا اراد ان يسير على سياسة الملاينة والصدقة
مع السور بين ولهذا اراد ان يستميل الصحافة المنتشرة في ذلك الوقت فامر بتاجيل
خدمة الصحفيين العسكرية وفي الوقت نفسه اقطعهم تخصيصات من الجيش
يتناولونها بصورة متبادلة من عناصر الجيش كل شهر ثم رتب لكل منهم راتبا شهريا
يساعده على اصدار جريدته هذه وقد كانت التخصيصات التي تدفع الى
الصحفيين في منطقة الجيش الرابع خمسمائة ليرة ذهبية لغاية ١٩١٥ فتوزع عليهم
كل بحسب ميله وانتشار جريدته وفي الوقت نفسه ساعدوا بما لزمهم من ورق
لطباعة صحفهم .

التخصيصات السرية - اما التخصيصات السرية فقد كانت تصرف في
شتي الوسائل منها ما كان يصرف على القبائل ومنها على الرجال الذين ساعدوا
الدولة ، ومنها ما كان يصرف على الاشخاص الذين يعتمد عليهم احمد جمال باشا
في سبيل تايد سياسته الخاصة

ونحن لانريد هنا ان نبث عن كيفية صرف الاموال على الجواسيس
العسكريين والسياسيين لان مثل هذه الامور تجري في كل بلد من بلاد العالم

وانما لندل على المصروفات السرية بصورة اجمالية

مصرفوف الجواسيس - ان في مديريات الشرطة شعبة خصوصية للجاسوسية
تتولى مختلف هذه الشؤون في اوقات السلم الا انه في الظروف التي كانت فيه
البلاد بحالة حرب فقد تضاعفت وسائل الاستخبارات والى القراء لائحة بذلك :
اولا - بيروت - يتولى شؤون الجاسوسية في هذه المنطقة ١٨ شخصا في
نفس مدينة بيروت و ٣ في صيدا و ٢ في صور و ٥ في عكا وحيفا و ٣ في
نابلس و ٥ في اللاذقية وطرابلس و بلغت التخصيصات الشهرية التي تصرف الى
هؤلاء ١٥٠ - ٤٠٠ ليرة عثمانية ذهباً

ثانيا - متصرفية جبل لبنان - لقد كان احمد جمال باشا كثير الاهتمام في
مراقبة اللبنانيين ولهذا وضع لهذه المتصرفية وحدها تخصيصات شهرية بمبلغ ٥٠٠
ليرة عثمانية ذهباً وقد كان عدد الجواسيس فيها رسمياً ٢٢ شخصا ولكن الغريب
هو اقبال بعض هؤلاء على التجسس على بعضهم البعض (كذا) فقد بلغت التقارير
الواردة في شهر كانون الثاني سنة ١٩١٥ ٤٢٠ تقريراً منها ٢٩٠ تقريراً مقدمة
من ٢٩٠ شخصا ارسلوا هذه التقارير ضد بعضهم البعض وقد ثبت خلال هذا
الشهر صحة ٤ تقارير فقط تتعلق باشخاص يحملون سلاحاً والتقارير الاخرى
تبين انها عبارة عن وشايات لا قيمة لها التي هي عبارة صادرة من اشخاص لهم
عداوة على اشخاص آخرين ، ومع هذا فان جمال باشا كان يامر قائد الفرقة
٤٣ في عاليه ان يدقق بكل تقرير يردده مع بيان مطالعته عليه

ثالثا - الارسلات الدينية - وقد خصص احمد جمال باشا شعبة خاصة عهد
الى برئاستها مباشرة لمراقبة الارسلات الدينية وعلى الاخص بطريركية الموارنة
وقد كان عدد رجائي المستخدمين في مراقبة هذه الارسلات ٢٨ شخصا منهم
١٠ اشخاص عهد اليهم فقط مراقبة البطاريركية الموارنة ومطارنة هذه الطائفة
و كانوا يجلبون بعضهم البعض وكانت الاوامر ان تحال الي سائر التقارير الواردة
من مختلف الشعبات الاستخبارية والمتعلقة برجال الدين غير المسلمين

وكان احمد جمال باشا كثير الاهتمام في هذه الشعبة بحيث كان يطلب مني يومياً ان اعرض عليه حرفياً سائر التقارير الواردة الي عن هذه الارسلات وبوجه خاص عن حركات رجال الدين الموارنة وقد وصل اهتمامه لدرجة انه كان يطلب مني التشديد في المراقبة لمعرفة ما يدور في الخلوات الدينية في بطريركية الموارنة ونظمت بناء على امر الباشا لائحة باسماء رجال الدين تدون فيها يومياً حركات كل منهم وكان الباشا شديد الاهتمام في مراقبة البطريرك الماروني ، والمطران شبلي ، والمطران عبد الله الخوري ، وكان يقول لي دوماً ان يد معرفة كل حركة يقوم بها هؤلاء حتى في غرف نومهم وقا. كانت الاموال المرمدة لهذا الفرع تزيد في بعض الاوقات على الثلاثة ليرة في الشهر

رابعاً - ولاية دمشق - لقد كان في هذا الولاية ٦٢ جاسوساً رسمياً يتناولون رواتب منظمة مع بعض الاكراميات حسب اهمية الاخبار التي يأتون بها والراتب المخصص لكل منهم يتراوح ما بين الخمس والعشر ليرات خامساً - ولاية حلب - لقد كان في هذه الولاية ١٨ جاسوساً فقط لان الباشا ما كان يعبر هذه المنطقة الاهمية التي يعبرها الى دمشق لان تلك اوسع حدوداً ويمتد نفوذها الى شرقي الاردن التي انقلبت الى دولة في الوقت الحاضر سادساً - متصرفية القدس - لقد كان في هذه المتصرفية ٢٢ جاسوساً رسمياً من العرب وعشرة من اليهود واهتمام جمال باشا كان منحصراً في هذه المنطقة في تتبع حركات اليهود والمسيحيين ولهذا كانت المعاشات التي تعطى الى الجواسيس اليهود ضعفي الرواتب التي تعطى الى الوطنيين اما في ولاية اطنه التي كانت تابعة له ايضاً فقد كانت الحركة منصرفه الى تجسس حركات الارمن ودرس الاعمال التي يقومون بها

في البادية

ولم تقف مساعي دوائر الاستخبارات عند حد التجسس في المدن ومعرفه

حركات المعارضة و بعض الاشخاص المطلوبة مراقبتهم بل تعدتها الى البادية حيث كان لجمال باشا بين عربان البادية والذين يجوبونها رسل وجواسيس بأنونه بحركات العرب ويتناولون مبالغ جسيمة تؤخذ من الاموال التي يصرفها جمال باشا في المدن التي يمتثلها الجيش الرابع ، والغريب ان معظم هؤلاء الجواسيس كانوا غير مخلصين في عملهم والى القراء مثال ذلك :

كان احمد بن وليد الجاسم من عرب الرولا من الذين تعتمد عليهم مصلحة العشائر في نقل اخبار البادية وكان هذا الرجل في بادىء الامر يأتيها بالاخبار الحقيقية عن موقف الزعماء وحرركاتهم حتي انه في اليوم العاشر من شهر ايلول سنة ١٩١٥ ارشد السلطة في العبة الى مصري يدعى هداية افندي كان ملازما في الجيش تمكن من الانسلاخ الى تلك المنطقة للتجسس على حركاتنا والاتصال بعربان البادية ولكنه بعد مدة قصيرة اتصل بالانكليز فبات ينقل لهم ما يعرفه عنا كما انه ينقل لنا ما عرفه عنهم اي انه كان يلعب على الحبلين ولم يكتشف امره الا في اواخر عام ١٩١٦ ولكننا لم نتمكن من توقيفه لان الرجل تمكن من الفرار الى المنطقة الانكليزية

وهناك عشرات الحوادث تدل على اننا كنا نخجل حقيقة ما يجري هناك نظراً لعدم وجود الاخلاص الكافي ومن المؤكد ان مصلحة استخبارات العشائر كانت تكلفنا في كل شهر نيفاً والى ليرة عثمانية ذهباً

المعارف السرية الاخرى - وهناك مصاريف سرية اخرى هي :

اولاً - مبلغ خمسمائة ليرة ذهبية الى جماعة القضايات فان احمد جمال باشا اتخذ من هذه الفئة شبه حرس حوله لانه كان يعتقد ان الشعب الذي بدأته فقمته عليه من اعداءه القافلة الاولى من رجالات سور يا اخذ يتزايد بغضه عقب اشتداد الازمة الاقتصادية والجماعة فاراد ان يواف حوله حرساً من هؤلاء يهبون للدفاع عنه ، وقد كان يعتقد ان في مقدوره استخدام هذه الفئة ليس في مقاومة اعدائه داخل البلاد السورية فحسب بل للمناداة بنفسه خديو يا علي سور يا عندما يحين

الوقت ، كما سيتبين الامر للقراء من سياق حديثنا المقبل اما الحقيقة ففي ان الباشا لم يستفد من هذه الجماعة شيئاً قط لانه عندما اشتد النفور بينه وبين رجال الحكومة المركزية لم يجد حوله من هؤلاء من يصح الاعتماد عليه في ادارة الحركة التي يريد هائلاً - كان احمد جمال باشا يعتمد على رجال الدين المسلمين في تأييد حركته والترك يعلمون ان احمد جمال باشا لم يكن متديناً ومع هذا فقد كان يعتقد بنقوذ رجال الدين على عامة السور بين ولهذا استمالهم الى حزبه ليكونوا قوة ثانية بجانبه مع القضايات وقد اكرم هؤلاء زيادة عن المعتاد فاقطعهم الاموال والذخائر لمعيشتهم حتى زاد ما يصرفه عليهم بصورة سرية عن الالف ليرة ذهبية في الشهر و كان في مقدمة الذين استفادوا من هذه الاموال السرية الشيخ اسعد الشقيري ، الشيخ عبد الكريم الحسيني ، الشيخ بدر الدين الحسني الشيخ تاج الدين الحسني ، الشيخ النحاس ، الشيخ عبد الرحمن الانصاري ، الشيخ الجوبي ، الشيخ الصيادي ، الشيخ عبد القادر الخطيب الخ

والشيخ الوحيد الذي ابى ان يمد يده الى هذه الاموال السرية هو الشيخ مصطفى افندي نجما مفتي بيروت

فندما زار احمد جمال باشا بيروت للمرة الثانية وزع على مشايخها مبالغ مختلفة من الاموال السرية و كنت اوزعها بيدي ومنها مبالغ مثني ليرة ذهبية طلب مني تقديمها الى مفتي بيروت فقصدته الى منزله الكائن في ضاحية المدينة وسلمته المبلغ فابي اخذة ثلاً : « ان المبالغ الذي يتقاضاه كاف له »

وعبثاً حاولت اقناعه بضرورة اخذه وصرفه على الفقراء كما يريد فاجاب :

— اذا كان لابد من صرفه على الفقراء فاما لك مجال يمكنكني مساعدتك به فان في بيروت مئات من العائلات المحتاجة يمكنكني ان اقدم لك لائحة بها فاشتر بالمبلغ دقيقاً واتني به لنوزعه معا عليهم

ولما كان هذا الامر ليس من صلاحيتي بادرت لاعلام احمد جمال باشا بالامر فاجاب « هذا ما كنت اعتقده فيه »

ثم امر باعداد سيارته وذهب بنفسه الى دار الافاء حيث قدم احترامه للمفتي
وامر بتوزيع الدقيق تحت اشرافه

وهكذا كان لي المجال لان اشير الى شرف هذا الشيخ الفاضل الذي صادفته
في سوريا والذي عرف كيف يحفظ نفسه شريفاً ويخدم فقراء طائفة.
اما غيره من المشايخ الذين تناولوا هذه الاموال السرية فماذا فعلوا بها؟

هذا ما اترك لهم انفسهم ان يجاوبوا عليه
ثالثاً — كانت هناك فئة ثلاثة تناول كثيراً من خيرات احمد جمال باشا وهي
طبقة الاغنياء التي اثرت كثيراً من ورائه ولكن ماذا عملت هذه الفئة؟ — لا شيء
— انها في كل فرصة تتزاحم على اقامة الحفلات والولائم للبشاشا وغير حافلة
بمسير انبائها الذين كانوا يتضورون جوعاً

وقد سمعت في المدة الاخيرة ، اي بعد الانقلاب ، ان هناك من يبرر هذه
الحفلات بانها قيمت لانقاذ مقيميها من النفي او السجن ولكن الحقيقة عكس
ذلك فالذين اقاموا هذه الحفلات كانوا يحاولون من ورائها ان ينالوا حظوة في
عين جمال باشا ليعطيهم وثيقة بكمية من القمح يتاجرون بها لتزداد ثرواتهم
ولم اذكر ان احداً من هؤلاء الوجاهة فاتح جمال باشا في هذه الحفلات
بامر هذه المجاعة وتخفيف وطأتها لانهم كانوا يخشون كثيراً ان يودي هذا
الامر الى طلب مساعدتهم المادية لتأمين حياة هذه الفئة

واذ كر مرة اني كنت وجمال باشا في قصر الوجيه البيروتي ميشال مرسى
ودار البحث حول الحرب الحاضرة والازمة الموجودة واهتمام اغنياء اوربا بالحرب
وتطوع نساءهم لمساعدة الجرحى واغنيائهم لتأليف اللجان لمساعدة البائسين فسال
الباشا لماذا لا يقدم اغنياء هذه البلاد على هذه المساعدة فلم يتلق سوى اجوبة
غامضة وقال احد الحاضرين :

— من بقي في البلاد فالاقوياء يجاربون والمتخلفون خونة

— والنساء !!! — ؟؟؟

الفصل الحادى عشر

ارسل خلوصي بك ، والي دمشق ، الى احمد جمال باشا الوثائق التي وجدت في القنصلية الافرنسية فرتبها وسلمتها الى احمد جمال باشا وهو ارسلها بدوره الى انور باشا وعلى اثرها تقرر ارسال نوري بك شقيق انور باشا الى طرابلس الغرب لادارة الحركات الحربية هناك للحيلولة دون اتصال الحلفاء بهم من جهة ولتمكين الوحدة بين عزب طرابلس الغرب وعرب الجزائر الذين يحاربون تحت قيادة الامير عبد المالك الجزائري الثائر ضد الحكومة الافرنسية

وفي الوقت الذي تخرج فيه الموقف السياسي في البلاد وصل نوري بك الى بيروت وعهد الي بتهريبه الى طرابلس الغرب وقد تمكنا من تدبير هذه القضية بواسطة احمد آغا الشرفاوي ورافق له الذي مكنونا من استئجار مركب شمعي سافر عليه نوري بك لتنفيذ مهمة هذه

وثائق القنصلية الافرنسية — وكانت الوثائق التي وجدت في القنصلية الافرنسية بدمشق كافية لالقاء تهم شنيعة على عدد كبير من رجال الات سوريا المعروفين وفي مقدمتهم الرئيس الثاني لمجلس المبعوثان الامير علي باشا ، عبد القادر الجزائري واخوه الامير عمر ، ونائب دمشق السابق شفيق بك المؤيد العظم ، والشيوخ عبد الحميد الزهراوي ، ويحيى باشا الاطارش ، عبد الوهاب الانكليزي ، شكري العسلي ، رشدي الشمعة ، ورفيق سليم ، وسليم الجزائري وغيرهم

وقد عرف القراء من مقدمة هذه الفصول ان احمد جمال باشا عندما اتى الى دمشق وفتح خلو صي بك في امر هذه الوثائق لم يرض قط في بسطها على مائدة البحث وامر بحفظها سرّاً الى وقت آخر ريثا يرى الموقف مع ابناء البلاد وكان ان اقدم في ذلك الوقت على حضور الحفلة التي اقامها للسوريين قصد استمالهم الى صفوفه وجعلهم يعملون معه ناسين الماضي في سبيل انقاذ الموقف الحاضر .

المساعي لاستمالة العرب

واحمد جمال باشا كان على اتصال بعبد الكريم الخليل منذ كان في الاستانة على اثر الخلاف الذي شجر بين انور باشا وعزيز علي بك المصري وقام الرجل بمدة خدمات للاتحاديين لاستمالة العرب الذين ذهبوا لحضور مؤتمر باريس عندما نتدب للذهاب مع شكرية بك ولهذا لم يكن عبد الكريم الخليل غريباً عن احمد جمال باشا الذي اكرمه كثيراً وقربه منه واتخذ وسيلاً بينه وبين زعماء السوريين لاستمالهم الى صفوفه وقد قام عبد الكريم الخليل بهذه المهمة خير قيام ونال من مساعدات احمد جمال باشا الشيء الكثير حتى ان الباشا ما كان ليتأخر بظرف من الظروف عن تقديم المال اللازم للرجل (كذا) واحمد جمال باشا كان يري بالدكتور عبد الرحمن الشيندر رجلاً شديداً لاندفاع في عقيدته الوطنية وكان يعرف ايضا ان السوريين لا يثقون بالاتحاديين لانهم برونهم اخصاماً لامانيهم القوميـه عاملين على تأييد كامل باشا الذي وعدهم قبل تدبير مؤامرة قتل محمود شوكت باشا على اعطائهم الحقوق التي يريدونها اذا ما مو عاد الى مقعد الحكم في تركيا ولهذا اراد الباشا ان يكون الدكتور بجانبه فهاورد بواسطة عبد الكريم الخليل ومحمد بك كرد علي الذي انضم اليه ايضاً بهذه الصورة حضر الدكتور عبد الرحمن الشيندر وقابل احمد جمال باشا الذي سكن من اقناع الدكتور بحبته للعرب ورغبته الاكيدة في تحقيق ما يصبو اليه لعرب من الاعمال اللازمة في بلادهم

رقد كان الدكتور عبد الرحمن شهنبر ورفاقه الذين قبلوا الباشا على اتفاق تام معهم من ان الدسائس التي ترتكب في البلاد العربية هي عبارة عن مراءات واسعة النطاق ترمي الى احدث ثورة عمومية في البلاد العربية جميعا تحت اشراف انكلترا او فرنسا وايطاليا وكانوا على اتفاق تام بضرورة اغتنام هذه الفرصة لاستمالة امراء العرب الى الدولة العثمانية والعمل معها يداً واحدة ، ولهذا وعدوا احمد جمال باشا بمساعدته ونصحه الدكتور عبد الرحمن شهنبر بموجب الاسعانة بعزت بك الجندي الذي له معرفة بالسيد الادريسي والذي هو على اتصال به بصورة مستديمة

جمال والجندي - ومع ان احمد جمال باشا كان يكره عزت بك الجندي ويرى في وجوده في سوريا خطراً شديداً على ادارة الامن العام من جهة وعلى سلامته هو ايضا من جهة ثانية ولهذا تردد في باذي الامر بتنفيذ اقتراح الدكتور شهنبر كما تردد بعدئذ في تنفيذ اقتراح عبد الكريم الخليل عندما اقترح عليه الذهاب الى مصر واقناع الحزب اللامر كزبي بعدم التعرض للباشا والتعاون معه الا ان تردده هذا لم يدم طويلا لانه وجد ان الضرورة توجب والحالة هذه ارسال الرجل بهذه المهمة فان قام بها تمكن من استعادة ثقة الباشا والا فانه يكون قد تخلص منه وابعده عن سوريا ولهذا ابرق الى متصرف حمص يطلب منه دعوة الجندي بك للشخص فوراً الى دمشق لمقابلته فصدع بالامر وفي اليوم الثاني كان فيها .

الجندي في دمشق - ام عزت بك الجندي دمشق مساء وتزل في الفندق ضيقاً على القائد العام وفي المساء انتدبني جمال باشا لتحيته باسمه وقد اعادت هذه المهمة الطمأنينة الى قاب الرجل الذي حسب لهذه الدعوة الف حساب ودعوتيه لمة لبة الباشا في اليوم الثاني وقد كانت حياته وحر كاته تسدل على انه كان كثير الانفعال حتي اذا اطماز من لهجتي عاد اليه هدوءه واكثر من المجازحة وترديد عبارات الاخلاص للدولة ورغبته الا كيدة بفوزها على العدو

وفي اليوم الثاني قصده وذهبت معه الى دائرة جمال باشا الذي استقبله بحفاوة
ولما هممت بالانصراف قال لي الباشا :

— لا داعي لخروجك بل ارى ان تكون هنا
وقد كان الباشا كما فهمت فيما بعد ، يريد ان يتخذني شاهداً على الحديث
الذي سيدور بينه وبين عزت بك في هذه الجلسة فصعدت بالامر وجلسنا
نحن الثلاثة .

وكان بدء الحديث بجمالة والتفان ، كما هي العادة في مثل هذه الاجتماعات
ثم دخل الباشا معه في الحديث وهو حديث طويل يدور حول موقف الدولة
العثمانية والاسباب التي ادت الى دخولها في الحرب العالمية لتحرر بلادها من
سيطرة الاجانب الذين يريدون اقتسامها ثم رغبته في ان يرعى البلاد العربية
موحدة عاملة في سبيل مقاومة الاستعمار الاجنبي و بين له ان الغاية من دعوته
هي ارساله بمهمة لمقابلة السيد الادريسي ووعدته مقابل هذا العمل بمبلغ كبير من
المال يساعده على اتمام مهمته هذه فقبل عزت بك بهذه المهمة واملى علي احمد جمال
باشا نص هذا الكتاب الذي وقع به امضائه وسلمه الى عزت بك الذي سافر في
اليوم الثاني الى بيروت ومنها استقل احدى البواخر الاسبانية التي كانت مسافرة
من مرفأ بيروت في ذلك اليوم وذهب

واست اعلم ما اذا كان الرجل قام بمهمته هذه ام لا الا ان الذي اعرفه ان
احمد جمال باشا ما كان ليعتقد بذلك الا انه كان يقول :

— على كل حال ان وجود الرجل في خارج البلاد اوفق لنا
موقف الدروز تجاه الدولة

عرف القراء من مطالعة الفصول السابقة ان الامير سعيد الجزائري كان قد
وفد لمقابلة احمد جمال باشا حين وصوله الى دمشق وعرض نفسه لخدمته في
سبيل استمالة الدروز الى صفوفه وقد كنت حاضرا يومئذ هذا الاجتماع واليك
ما جرى .

طلب الامير سعيد بن الامير علي باشا مقابلة احمد جمال باشا موعداً فعين له هذه المقابلة في الساعة العاشرة من صباح اليوم الثاني وفي الوقت المعين جاء الامير وهو متأبط رزمة من الاوراق قدمها الى الباشا وفيها اعداد من جريدة « المهاجر » العربية تشتمل على سلسلة مقالات استكتبها الامير اثناء الحرب البلقانية تتضمن حملة شديدة موجهة الى فرنسا ومنها حاول ان يثبت للباشا مقدار نفقته وكرهه للفرنسيين ورغبته الا كيدة في خدمة دولة الخلافة الاسلامية وانه هو وسائر افراد عائلة المرحوم الامير عبد الكريم مخلصون اشد الاخلاص للدولة وقد اكثر الامير سعيد من ترديد عبارات الاخلاص والولاء، ومجد ابائه واجداده الخ . . .

واعلن في ختام حديثه استعداده لتأدية خدمة جديدة للدولة العثمانية بمجمله زعماء الدروز على القدوم الى دمشق لتقديم الطاعة الى الباشا وانه يرى ان يترك الامر في هذا السبيل له وحده دون الاستعانة بوالي دمشق لانه اذا دعي الدروز بواسطة الحكومة اعتقدوا ان في الامر دسيسة ضدهم وقاموا بحركات مضرة ولما كان احمد جمال باشا يتبع في ذلك الوقت سياسة الملاينة والمسايمة لم يرض ان يعارض الامير في ما ابتداء ووافق عليه

رأي الباشا في الدروز — ما كان يعتقد قط ان في امكانه ان يستفيد اية فائدة من وراء الدروز الذين جانبهم الى دمشق الا انه على كل حال كان يعتقد ان في مقدورهم ان يلقوا افكاره ويتبعوه كثيراً اذا ما هم قاموا بحركات مخلة ولهذا اتبع معهم سياسة — ادارة المصلحة — التي كانت معروفة في ذلك الوقت واذاً ذكر انه صرح لي يوم قدوم الوفد الدرزي قائلاً

— ان النكل هنا يخشون ثورة الموارنة في لبنان ويعتقدون ان في لبنان خمسين الف بندقية واذا ما نشبت الثورة وسعوا نطاقها وحملوا الخلفاء على التدخل في امرها ولكني انا لا اخشي ثورة الموارنة قط وفي مقدوري اخذها فوراً اما اذا

كان هناك من اخشاه فهو لاء الدروز الذين ار بدان يظنوا بعيدين عن الافكار
باضرام ثورة ضدنا . ولهذا استاء الباشا من وجود اسم يحيى باشا الاطرش سيف
وثائق القنصلية الافرنسية لانه في حالة توقيف هذه الفئة سيضطّر حتما الى توقيف
يحيى باشا الاطرش وتوقيف يحيى باشا سيؤدي حتما الى قلاقل في الجبل ووجود
اسم يحيى باشا بين اسماء الذين اشتركو في هذه الحركة اهاب بجمال باشا
لان يؤخر محاكمة اصحابها ولهذا فانه ما كاد يصله نبأ نعي يحيى باشا حتى تنفس
الصعداء وقال :

-- ان وفاته كانت خيرا له ولنا وللدروز انفسهم

وتولى سليم بك الاطرش الامارة من بعده وكان سليم بك شابا مهنبا ذا
اخلاق وصفات حسنة عرف الباشا كيف يستميله اليه واكرمه مع رؤساء الجبل
الدرزي فباتوا اصدقاء ووعده بالوفاء وفعلا بروا بوعدهم حتى جلاء القوات
العثمانية عن هذه المنطقة . وهكذا انقذت يحيى باشا الدولة من ثورة درزية
كانت محتمة في ذلك الوقت لان الباشا قرر اعتقاله مع رفاقه مهما كانت نتيجة
هذا الاعتقال

الفصل الثاني عشر

لم نعلم بالقرار الذي اصدره مجلس الادارة في ولاية الشام والمتعلق بمنع اخراج الحبوب من هذه الولاية الى فلسطين ولبنان الا على اثر الشكاوي التي بدأت تردنا من والي بيروت ومتصرف جبل لبنان لان القائد العام لم يكن يرغب في ان يتدخل في الشؤون الادارية والمالية المتعلقة في الولايات لانها كره في الشؤون العسكرية ولكن كثرة هذه الشكاوي نبهته للاهتمام بالامر خصوصاً وان التقارير التي بدأت ترد من دائرة الاستخبارات دلته على ان التدابير التي اتخذها مجلس الادارة في دمشق لم تفد شيئاً لانصراف المحتكرين الى اتخاذ سائر التدابير التي تمكّنهم من جمع كميات وفيرة من الحبوب ونقلها الى لبنان وفلسطين بطريقة التهريب وقد استنتجنا من ذلك ان قرار المنع الذي اتخذته مجلس الادارة والذي كان يرمي الى صيانة احتياج الولاية من الحبوب لم يفدها بشيء لان ما كانت قد منعه جهازاً عن لبنان وفلسطين قد اصبحت يرد اليها بواسطة المهربين وبذلك ارتفعت الاسعار واستفادت تلك الفئة الساقطة التي تتاجر بقوت العباد ومن وراء هذه المعركة غير المفيدة

الخائبات لانقاذ لبنان من المجاعة - لقد اتهم الكثيرون احمد جمال باشا بانه كان السبب في المجاعة التي اصابته البلاد اللبنانية والساحلية والحقيقة ان الرجل براء من ذلك فقد تشبث الباشا بشتي الوسائل في سبيل انقاذ هذه المنطقة وتمويلها من حاجيات هذه البلاد وقطع الكثير من مخصصات الجيش وارسلها الى المؤسسات

الخيرية والدينية ولكن كل هذه التدابير لم تفد شيئاً لان الحبوب الموجودة لا تنكفي لتأمين معيشة الاهلين واشتدت الحاجة في البلاد واخذت الاوبئة الناجمة عنها تهدد حياة الاهلين وبدأنا نرى جموعهم ترمي في الطرقات من تأثير الجوع لا تجد ما تقتات به قط واذا ذاك رأينا ان نستنجد بالخارج فخاير الباشا البطريرك الماروني وطلب اليه ان يكتب تحريراً يصور فيه الحاجة واحتياجات البلاد ويرسله الى البابا بطلب مساعدته لهذه المنطقة وتحريراً آخر منه الى ملك اسبانيا ثم استكتب الدكتور بلس مدير الجامعة الامير كية مثل هذا الكتاب ورجاه ارساله الى رئيس الجمهورية الامير كية وتناول هو بنفسه هذه الكتب الثلاثة وارسلها الى سفير الدولة العثمانية في سويسرا لارسالها الى مراكزها ، ودارت بينه وبين المسيو « ليكوس » سفير الولايات المتحدة الامير كية عدة محاورات بطلب مساعدة الامة الامير كية والعالم المتمدين للبنان والمناطق الساحلية

والواقع ان احمد جمال باشا لم يدخر وسيلة الا وتشبث بها في سبيل تحقيق الغاية التي توصله لتخفيف وطأة الحاجة عن هذه المنطقة ولكن جهوده ذهبت سدى لان الذين استنجد بهم لا قوا بعض المعارضة في سبيل ايصال خيراتهم الى هذه البلاد وحالت السياسة دون انقاذ الالوف من الارباه

الصهيونيون والسياسة — وكانت اول المساعدات التي وردت كميات من صناديق الادوية الواردة من يهود امير كافان هؤلاء اتخذوا هذه الكمية الضئيلة وسيلة لبث الدعايات الصهيونية ونشر بعض المنشير المضسدة ، ومع ان التقارير الواردة الينا تدل على مقدار اندفاع هؤلاء في بث الدعايات الصهيونية ومع ان المنشير التي صودرت كانت دليلاً على هذا الامر فان الباشا لم يرد قط التدخل والاساءة الى هؤلاء املا ان يتمكن بواسطتهم من الحصول على مساعدات اكثر تخفف من وطأة الحاجة وتمكن الاهلين من الحصول على الادوية اللازمة لهم ولكن هؤلاء لم يجدوا من يهود فلسطين الاقبال التلزم على دعاياتهم ورأوا انه ليس في مقدورهم الحصول على معاونة احمد جمال باشا في مساعدتهم على نشر

دعائياتهم الصهيونية في البلاد عادوا على اعقابهم دون ان يهتموا بمساعدة احد حتى
اخوانهم يهود فلسطين و بذلك اثبتوا ان اقدامهم لم يكن لمجرد العاطفة الانسانية بل
للاخدمة السياسية فقط

واتصل بالقيادة العامة ان ملك اسبانيا ورئيس جمهور يسة الولايات المتحدة
الامير كية ارسالاً في طن من الحبوب تلبية لنداء البطر يرك الماروني والمستر بليس
وان الباخرة التي تنقل هذه الحبوب قد ابجرت بطر يقها الى بيروت
وفي الوقت الذي وردت فيه هذه الاخبار جاءنا الدكتور بليس يعلننا فيه ان
الحلفاء يعارضون في ارسال هذه الباخرة الى بيروت لانهم يخشون ان لا تصرف في
سبيل الهدف الذي ارسات لاجله وان يستولي عليها الجيش و بصرفها في
سبيله وسأله عما اذا كان يوافق على تأليف لجنة مختاطة تتولى المراقبة في
هذا الامر .

فأجاب احمد جمال باشا انه على استعداد لتأليف اللجنة التي يراها الدكتور بليس
وعرض عليه ان تكون هذه اللجنة تحت اشرافه ، اي بليس واشراف القاصد
الرسولي وقنصل اسبانيا فرأى الدكتور بليس هذا الجواب موافقاً فأبلغه الى رئيس
حكومته والى ملك اسبانيا صاحبي الهدية فلم يعارضوا بذلك ولكن الحلفاء لم يقتنعوا
بهذه الحجة وحجزوا الباخرة في ميناء الاسكندرية ولما اتصل هذا الامر باحمد
جمال باشا اوقف الى المستر لاسكوسه سفير الولايات المتحدة الامير كية في
الاستانة بما يلي :

« ان التأكيدات التي قدمتها للدكتور بليس ولنفاذه وكيل البابا كافية كما
اعتقد لحصول الحلفاء على التامينات اللازمة بان الحبوب المرسلة من فخامة رئيس
الجمهورية الامير كية وجلالة ملك اسبانيا ستصرف في الطريق المرسلة لها
ان اصرار الحلفاء على حجز هذه الباخرة والحاجعة المؤملة التي تفتك بالبلاد
و المناظر المفجعة التي تترأى امام ناظري يوميا تدعوني لان اقبل بكل اقتراح ترويه
مناسبا لتوزيع هذه الكمية سواء بتأليف هذه اللجنة من ابناء البلاد تحت اشراف

البطريك الماروني ومندوب البابا والدكتور بلس وقنصل اميركا وقنصل اسبانيا
او باشتراك مندوبين من قبل السفارة» .

فرد السفير المستر ليكوسه على كتاب احمد جمال باشا بما نصه :
« ان معتمدنا في القاهرة افاد ان الخلفاء لا يزالون متمسكين بنظريتهم من
ان الحبوب المرسلة الى بيروت ستصرف في سبيل الجيش وفي هذا ما يخالف القوانين
العسكرية ولهذا قرروا ضبطها

وقد ذهبت مساعي احمد جمال باشا في سبيل حل الخلاف على القبول بارسال
هذه الباخرة^١ لدى بل ان هؤلاء زادوا في تشديد الحصار على السواحل السورية
ومنع المراكب من الابهار فيها لانهم كانوا يقصدون من وراء ذلك غاية
سياسية هي انه اذا اشتدت المجاعة في البلاد قام سكانها ضد الدولة وبذلك يتمكنون
من استمالتهم اليهم^٢ واحتلال البلاد من دون ان ينوصلوا الى اراقة دماء ابنائهم ثم
في الوقت نفسه يتمكنون بواسطة الاعاشة التي يوزعونها على اهاليها الجباة من
استمالتهم الى صفوفهم وجعلهم كتلة واحدة يعمنون معهم

مساعداً جمال باشا

وهكذا تبين للجميع ناحية من نواحي المجاعة في هذه البلاد والى القراء لائحة
عن المساعدات التي كان يقدمها الجيش

اولا - الى سائر المدارس الحكومية

ثانيا - الى الجامعة الاميركية

ثالثا - لعائلات الذول الحاربة الموجودة في بيروت

رابعا - لسائر موظفي الدولة وعائلاتهم

خامسا - للمستوصفات والمستشفيات على اختلافها

سادسا - ٣٠٠ الف كيلو من الحبوب كانت تقدم مجاناً الى البطريكية

المارونية في العام لتوزعها على الاديرة والرهبان التابعة لها

سابعاً ١٥٠ ألف كيلو إلى بطريركية الروم الارثوذكس و بطريركية الروم
الكاثوليك

ثامناً - تأمين معيشة ألف طفل ارمني انشئت لاجلهم دار للايتام مدة
الحرب في مدرسة عينطورة

تاسعاً - ٥٠ ألف كيلو من القمح و ٢٥ ألف ليرة قرضاً قدمت الى بطريرك
الروم الارثوذكس في القدس

عاشراً - دار الايتام التي اسستها كريمة الدكتور التونيان في حلب امثات
المهاجرين الارمن الموجودين فيها

١١ - تأمين معيشة اربعة الاف شخص من اهالي بيروت كانوا يشتغلون
في « الاعمال الختانات » التي اسسها احمد جمال باشا وعزمي بك في بيروت

وهناك غيرها من وسائل الاسعاف التي قامت بها قيادة الجيش الرابع والتي
كانت من الاسباب الرئيسية التي عرقلت مساعي الجيش ، ولو كان رجل لبناني
او سوري مكن احمد جمال باشا لما اقدم على خدمة امته وبلاده بمثل الخدمات التي
قام بها احمد جمال باشا نحو السوريين واللبنانيين

الفصل الثالث عشر

الرتب والاوزمة

لم تكن الرتب والاوزمة التي تعطى للعرب عن سابق جدارة واستحقاق كلا بل كانت تعطى لغايات سياسية او مالية

فالمعروف ان رجال الحكم في العهد الاستبدادي كانوا يقدمون على منح الاوزمة بدون استحقاق حتى اننا نعرف ان هناك بعض الاميين نالوا درجة رفيعة الا لانهم يستحقونها بل لانهم يملكون شيئا من المال دفعوا بعضه الى المقر بين من الذات الشاهانية فنالوا منها ما يريدون وهذه التجارة كانت رائجة في البلاد العربية لان سكان هذه المنطقة كانوا يضعون بكل شيء في سبيل الاوزمة والالقب والسultan عبد الحميد يعرف ولع العرب بهذه الالقب والاوزمة كما كان يعرف ان اخصاءه يتخذونها وسيلة للتجارة وجمع الثروة ولهذا ما كان يبخل بالارادات على هؤلاء الوسطاء لاملأ جيوبهم وعلى غيرهم لاستمالتهم وهكذا رأينا مئات من الباشاوات العرب الاميين والافأ من حملة الاوزمة الرفيعة

والسوريون في منطقة الجيش الرابع كانوا شديدي الغيرة والرغبة في الحصول على الالقب والاوزمة واذكر في هذه المناسبة ان احمد جمال باشا عندما جاء الى سوريا حمل معه مئات البرآت بالرتب والاوزمة يكفي ان يملأ الاسر في كل منها ويمنعها كما يريد ومن اراد والباشا لم يستغل هذه البرآت في سبيل مطامع

مالية بل ظن ان في امكانه من ورائها ان يستميل الشخصيات التي يريدونها
لتأييده واذكر في هذه المناسبة حادثة مضحكة جرت في هذا الشان والى
القراء خلاصتها:

حكاية غريبة !

في اليوم الخامس والعشرين من شهر ايار سنة ١٩١٥ دخل علي في دائرتي
بالقدس الشيخ اسعد الشقيري وقال:

— ان كامل بك الاسعد قادم الى القدس بمهمة سياسية خطيرة تتعلق بمؤامرات
دبرت في جهات صيدا ضد الدولة العلية ولما كان الرجل مثيرا لا حاجة له المال
فان من الضروري والحالة هذه استماله بنقب او وسام رفيع . وطلب مني ان
افتح البابا بالامر فوعده بذلك وفاتحت البابا الذي وقع في الحال على ارادة بمنحه
البكوية من الدرجة الثانية والمجدي الثالث ولما حضر كامل بك الاسعد الى
القدس منحه جمال باشا الرتبة والوسام جزاء اخلاصه له وللدولة

وقد اثارت هذه الحادثة بعض الحسد في قلوب مواطنيه في جبل عامل فلم
يكسد الاسبوع يمر على هذا الحادث حتى تلقيت عشرات التحاريير التي ياتمس بها
مني اصحابها ان اسعى بالتوسط لهم لدى جمال باشا كي يمنحهم ما هم بحاجة اليه
حتى ان احدهم وهو « » بلغته به الجرأة وعرض علي مائة ليرة عثمانية
مقابل منحه رتبة البكوية

وفي اليوم الخامس من شهر حزيران سنة ١٩١٥ تباعث عجمي باشا السعدون
الارادة السنية القاضية بمنحه رتبة الباشاوية مع لقب «ميرميران» وهو من الرتب
الرفيعة في الدولة جزاء له على اخلاصه للدولة وانفراده عن بقية العشائر القاطنة في
منطقته بمحاربته الانكازيين الذين احتلوا في ذلك الوقت السواحل العراقية ، وقد منع
هذا اللقب الى المشار اليه عن جدارة واستحقاق لانه عرف في ذلك الوقت كيف
يدافع عن سلامة للدولة وعن اخلاصه لها لا ان اللقب اثار حسد رئيس قبائل
شمر الذي منح المذكور مثله وعلى هذا اضطر جمال باشا الى منح المذكور مثل

هذه الرتبة واللقب ولكن التاريخ سجل الاول ما منع عن جدارة واخلاص
بعكس الامر مع الثاني

حب اللبنانيين للالاقاب — واللبنانيون رغم رقيهم وتقدمهم فانهم لا يزالون
كغيرهم من ابناء سور يا شديدي الولع بالالاقاب
وليس هناك من مجال للشك في ان اللبنانيين بمجموعهم اكثر رقيا وثقافة
من سائر الناطقين بالضاد لهذا كان احد جمال باشا كثير العطف عليهم يقول لي
دوماً :

— كم انا آسف لرويتي هذه الفئة النامية المثقفة من ابناء الامة العثمانية مندفعة
وراء الدعايات الدينية والاجنبية ولو كان في مقدوري استمالتها لاصبحت دون
شك املك قوة كبيرة تعضد الدولة العثمانية وتدافع عن كيانها
وجال باشا على حق في قوله هذا وقد كان في امكانه لو ضم اللبنانيين الى
صفوفه ان يجعل منهم قوة عظيمة تؤيده ولكن جميع الجهود التي بذلها في هذا
السبيل ذهبت سدى فان الدعايات الدينية والمعاكسات التي صادفها في طريقه
حالت دون بغيته هذه ، ومع هذا حاول ان يستغل ولعهم بالرتب لمصلحته الا انه
لم ينجح النجاح التام ، رغم عشرات الرتب والالاقاب التي وزعها عليهم
واذ كر بهذه المناسبة اننا ذهبنا خلال صيف سنة ١٩١٥ الى أحد منازل
اعيان لبنان في صوفر فوجدنا ذلك الوجيه وهو ميشال بك سرسق قد « بروز »
كتاب مجاملة ارسله اليه جمال باشا من القدس ووضعه فوق مكتبه وقد حاول
البك اللبناني ان يفسر هذا الامر انه دليل حبه وتعاقه بالباشا مع ان الحقيقة هي
ليظهر لزواره علاقته بالباشا ليزيد نفوذا في اعين بني قومه ولدينا على ذاك عدة
ادلة تثبت لنا غرور اللبناني وولعه بالرتب والالاقاب .

حب الوظائف — وابناء سوريا ولبنان على حبهم للالاقاب والوسمة يجبرون
الوظائف وتراهم يدفعون مئات الليرات في سبيل الحصول على وظيفة لا يكاد
راتبها يبايع الاربع او الخمس ليرات ذهبية في الشهر .

— ولماذا ذلك ؟

— ان السوري يركض وراء الوظيفة قصد امر بن الاول الاثراء من وراء الوظيفة باعتبار ان المبلغ الذي دفعه ثمن الوظيفة لمن هو اكبر منه يوجب عليه ان يعمل على تحصيله من الشعب بآية صورة كانت ولهذا تراه لا يهتم من الوظيفة الا بامر الحصول على المال ولا يهتمه قام الدل ام حل مكانه الظلم (كذا)
والامر الثاني هو حصوله على المركز لناواة خصم او للحصول على جاه اذا كان ذا ثروة .

وقد وقعت مئات الحوادث التي تؤيد هذا الامر واحداها حادث تعيين مفتي حمص فان الخلاف حول هذا الامر كاد يودي الى ثورة في حمص بين عائلاتها حتى ان وفداً من عائلة الاتاسي جاء يرجو جمال باشا لمعاوضته في الامر مقابل تأييد العائلة الاتاسية لاحد جمال حتى ان هذا الوفد صرح للبasha ان العائلة الاتاسية مستعدة لان تكون . . . مع جمال باشا في سبيل تحقيق هذه الغاية
ويظهر ان للشيخ نسعد الشقيري غاية من وراء معاوضة هذه العائلة لتأييد مرشحها فساعدما لدى الباشا الذي وافق على تعيين الشيخ طاهر الاتاسي مفتياً على حمص في شهر حزيران سنة ١٩١٥ وقد خدم الشيخ طاهر الاتاسي جمال باشا خدمات جلى وعلى الاخص فيما يتعلق بال الجندي الذين كان ينقم عليهم جمال باشا خصوصاً بعد ذهاب ادهم بهمة الى الادر يسمي كما بيناه في حينه وعدم عودته الى منطقته

الفصل الرابع عشر

لم يكن التأمر على اغراق الباخرة الكبرى «لوزيتانيا» خافيا عن الانراك ولهذا رأينا وزيرا الداخلية طلعت بك يدعو اليها صباح ٢٥ نيسان سنة ١٣٣١ - ٨ ايار سنة ١٩١٥ الصحفيين و يطالعهم على تفاصيل اغراق هذه الباخرة الكبرى -- ولكن ما هي غاية وزير الداخلية من هذا الحادث ؟

ان الوثائق الموجودة ندي بوجد في احداها نص الورقة التي كتبها وزير الداخلية العثمانية يخط يده عن الحادثة والتي طلب الى الصحافة نشرها وهي : «ان الباخرة لوزيتانيا التي اعترفت شركة روتر البرقية بان الغواصات الالمانية اغرقتها هي من البواخر الحديثة الضخمة ، صنعت سنة ١٩٠٦ في مصنع البواخر وخصصت للامحار بين اوربا واميركا

» ان المانيا ككل عمل من اعمالها خطت في ميدان الملاحة خطوات واسعة واصبحت رقبيا مدمشا بوجه خاص على بريطانيا حتى القت الروع والدمشة في قلوب البريطانيين

وفي سنة ١٩٠٦ بدأت الرقابة بشدتها بين البلدين فعندما نعد المانيا لصنع سفينة ضخمة تقوم بريطانيا وتصنع سفينة اصخم منها حتى صنعت بريطانيا لوزيتانيا وموريتانيا

ومحمول كل من هاتين الباخرتين ٣٢ الف طن وبطول ٧٨٥ قدما وعرض

٨٦ وبقرة ٧٢ الف حصان بجيث بات في امكانها ان تسير بسرعة ٢٥ ميلا - في الساعة واخذ العدو في تسير هاتين الباخرتين بين اوربا واميركا
ولما وقعت الحرب العالمية لم يرض الانكليز في حجب هاتين السفينتين بل
اتبعوا سائر الطرق الخداعة لتأمين سيرهما وحوهما بالعلم الاميركي كلهم يحاولون
بذلك خداع الالمان الذين عرفوا كيف يوذبوهم واغرقوا هذه الباخرة الضخمة
وبذلك اثبت الالمان سيادتهم الدائمة ليس في البحار الاوربية بل على المحيط
الاطلنطبيكي ايضا وسرى كيف تعدد الغواصات الالمانية لاراحتنا من سفن العدو
بصورة نهائية»

هذه هي القطعة التي طلب وزير خارجيتنا من الصحافة نشرها في ذلك اليوم
وهي في حقيقة الامر لتهذبة الاعصاب التي اثارها اعتدات السفن المادية على
الشواطيء السورية لان مواصلة اعتدائها وشعور الشعب في سوريا بالازمة وارتفاع
اسعار المعيشة كل هذا اوجد في الافكار العامة في سوريا الخوف من النتيجة
والريب في امكان الدولة حمايتهم وهذا البلاغ الذي نشر كان يرمي الى افهام
الرأى العام ان الغواصات الالمانية قادمة حقا الى تلك السواحل لحمايتها
من الاعداء .

الغواصات الالمانية

وفي الحقيقة وردت الى المياه اللبنانية ثلاث غواصات اخذت تردد بين
الشواطيء اللبنانية والفلسطينية حتى ان احداها دخلت الى مرفأ بيروت واقام لها
الضباط الالمان والحالة الالمانية الحفلات الضخمة وانشدوا على رصيف بيروت
النشيد الالمانى وهتفوا كثيرا « المانيا فوق الكل »
- لكن ماذا عملت تلك الغواصات لسوريا؟

- انها لم تفعل شيئا ابدا لان الالمان في ارسالهم هذه الغواصات اوجدوا
لسفن العدو في مهاجمة المراكز العثمانية وقد كان من جراء ذلك اننا اخذنا
نرى البواخر الغالة العادية تدخل مرفأ بيروت دون ادنى خوف او خشية

وتضرب المدينة

— اذاً!! ان ارسال الغواصات الى الشواطيء السورية لم تغد السلطنة العثمانية ولم يرفع نطاق الحصار الذي وضعه الحلفاء على سواحلنا بل ان الامر كان عكس ذلك اذ ان الحلفاء نذروا بوجودها لتكون لديهم وسيلة في صنع ما يريدون باعتبار وجود هذه الغواصات دليلاً على ان تركيا اتخذت من هذه البلاد حصناً حربياً يمكنهم الاعتداء عليه ساعة يريدون

تجديد المعاهدة التجارية — وفي الوقت الذي اشتدت فيه الازمة الاقتصادية قام الالمان يعملون على توطيد نفوذهم الاقتصادي في هذه البلاد البائسة وكان اول عمل اقدموا عليه هو تجديدهم بتاريخ ٢٥ حزيران سنة ١٩١٥ المعاهدة التجارية المعقودة بين المانيا وتركيا وجعلها لمدة غير معينة وقد تمكن الالمان بواسطة هذه المعاهدة من اتخاذ البلاد العثمانية المحتاجة الى كل شيء وسيلة لبيعنا بضائعهم بالاسعار التي يريدونها وتأمين ما هم بحاجة اليه من بلادنا من حبوب وماشية دون ادنى رقيب ولهذا رأينا خلال ايام الحرب العنيفة القطارات الحديدية عملاً لهذه المعاهدة واوامر وكيل القيادة العامة نور باشا تنقل الحبوب من اقاصي بلاد العرب والاناضول الى الملتيا في الوقت الذي كان فيه ابنا هذه البلدان التي انبتت هذه الحبوب والجبوش المدافعة عنها تنضوج

نكبة الدارعة امدن — اغرق الحلفاء الدارعة الالمانية (امدن) في الخليج الفارسي والتجاء بحارتها الى الساحل العربي حيث قام بعض عربان الجزيرة بالاعتداء عليهم وسلمهم ولكن الامام يحيى حميد الدين ما لبث ان دافع عن هؤلاء الجنود الالمان العزل من سلاحهم فابدى مع الامام عبد العزيز السعود جسارة وشهامة عربية حقة فانقذا هؤلاء الجنود من الاعتداء عليهم وتمكننا من ايصالهم سالمين الى المنطقة العثمانية ثم الى الاستانة حيث ارسلناهم من هناك الى الاسطول العثماني فانضموا الى رفاقهم وعلى اثر ذلك ارسل السفير الالماني الى الصدر الاعظم كتاباً بتاريخ ٥ حزيران سنة ١٩١٥ يري فيه القراء ما كان من تعنت السفير في ذكر مآلقاته

البحارة في الاناضول دون بلاد العرب وفيه ما فيه من المعاني وخدمة التاريخ
نشر نصه التالي :

ان افراد الدارعة الالمانية (امدن) اعربوا لي عن عظم سرورهم وشكرهم
للحفاوة والاكرام اللذين لقوهما من اخوانهم في السلاح والموظفين الملكيين حين
مرورهم ببلاد الاناضول الامر الذي يثلج صدورنا غبطة وحبّة

ان الضيافات والحفاوات التي ابرزت لضباط وافراد الدارعة امدن سواء
كان اثناء وصولهم الى الاستانة او اثناء الضيافات التي اجريت لهم كانت ولا
شك باهرة وخارقة للعادة

ان هذه الحفاوة التي نقشت في قلوب افراد هذه المفزة الباسلة لمي عامل
قوي في تايد الصداقة والاخاء بين الشعبين الالمانى والعثمانى ودليل على قرب
فوزهما في مضمار جهادهما الحاضر

ولهذا اؤمل ان تشترك فخامتكم بالسرور الذي اشعر به بهذه المناسبة وبالغبطة
والفخر لما اولتني اياه حكومتى ببلاغ فخامتكم ذلك

فرد عليه الصدر الاعظم بتاريخ ٨ حزيران سنة ١٩١٥ بريقة هذا نصها :

تلقيت الكتاب المرسل من مقام سفارتكم المؤرخ في ٥ حزيران رقم

٤٣٠٧ بسرور زائد

انني شديد الافتخار للاخبار التي وردتني عن سرور الحكومة الالمانية بالحفاوة
التي لقيها بجارتها التابعين للدراعة (امدن) اثناء مرورهم بالبلاد العثمانية وانني كثير
الشعور بالعاطفة الطيبة التي اظهرها مقامكم سواء كان باسم الامة او الحكومة
الالمانية ان العثمانيين الذين يحاربون جنبا الى جنب مع اخوانهم الالمان الابطال في
سبيل العدل والدفاع عن حقوقهم المقدسة اغتنموا فرصة مرور اخوانهم ابطال
الدراعة امدن الذين دافعوا بفخر وثبات عن قضيتهم وسيلة لاطهار شعورهم
الحقيقي نحو الامة الالمانية

وانني في الوقت الذي اشترك فيه معكم بثقة الامة العثمانية بفوزها الاكيد مع

أخوانها الألمان والنمساويين انقدم من مقامكم السامي بشعوري الفائق

الصدر الاعظم - سعيد حليم

هذا نص البرقيتين اللتين تبادلتهما ار كان الحكومتين والتي حاول السفير الالمانى ان يشير من طرف خفي الى المعاملة السيئة التي لقيها هؤلاء البحارة من البدو في جزيرة العرب ولهذا حصر شكره في الاناضول

حقيقة الامر - ومن المؤكد ان المعاملة السيئة التي لقيها بحارة الدارعة امدن على ساحل جزيرة العرب لم تكن نتيجة تدبير من امراء الجزيرة ورجالها بل هي مؤامرة مديرة من الانكليز قصدوا فيها امرين :

الاول - اثارة الضغائن بين العرب والالمان

الثاني - افهام الدول المتفقة ان العرب جماعة لا يثقون الا ببريطانيا التي يعتقدون بها انها الصديقة الوحيدة للمسلمين

والوثائق الموجودة لدينا والتي حصلنا عليها بعد الاعتداء باكثر من سنة دلت على ان المؤامرة دبرت بواسطة ضابط بريطاني يدعى الميجور (بلي) ام جزيرة العرب باسم الحاج محمد عبد الله وكان على اتصال دائم برجال الاستطلاع البريطاني يتفقد لهم اوامره والعرب غير غافلين بامرهم معتقدين كما هي حالهم ان ذلك الانكليزي الذي اعتاد حياة القصور والترف في بلاده وقع ولغ خنا بهم واتخذ الاسلام ديناً قصد خدمته وما هو الا ليخدع هؤلاء السذج باسلامه ويعدم الى اقتنائهم كما يريد ان يسبروا وراءه مندفعين

وما كادت الدارعة امدن تغرق حتى رأينا هذا الرجل -- استناداً الى الوثائق التي عثرنا عليها -- يعمل على قطع خط الرجعة على هؤلاء غاملا في شبل اهلا كهتم وقد افلح بعض الفلاح وشوه بغملة هذا سمعة العرب تجاه الالمان والحقيقة هي ان الانكليز الذين حاولوا تشويه سمعة العرب بدسيسة رجالهم بلي لان العرب قوم يعرفون كيف يدافعون عن كرامة الضيف وهذا ما رأيناه في الامير عبيد العزيز السعود والامام يحيى اللذين شاعدا هؤلاء البحارة واكرموا وفادتهم

واواصلهم سالمين الى بلادهم

الجاسوسية في جزيرة العرب - ووجود المستر بللي في جزيرة العرب لم يكن مجهولاً من قبل اذ كان الساطنة العثمانية يل كانت المعلومات الواردة من الجهات تبين حقيقة كل شخص من هؤلاء ولدى الشعبة الخاصة بمحفوظات عديدة عن اسماء وجر كات هؤلاء الجواسيس ومساعدتهم ولكن الامتيازات الاجنبية التي كانت تجعل من كل اجنبي اسداً تحول دونه تمكّن الدولة من مجازاته بما يستحق ، وعلى كل فسنعود لتفصيل واف عن حياة هؤلاء الجواسيس في القسم الاخر .

الاعتداء على السواحل السورية - وفي الوقت الذي نسرّد فيه هذه الوقائع حصلت ثلاثة حوادث اعتداء على السواحل السورية فان دارعة افرنسية حاولت صباح ٢٦ ايار سنة ١٣٣١ المصادف لليوم الثامن من شهر حزيران سنة ١٩١٥ انزال مفرزة من الجند على الساحل جهة اسكندرون ومع ان القيادة علمت ان هذه المحاولة لا ترمي الى اخراج جنود بل للكشف فقط فقد ارادت ان تقابلها بالمثل فاطلقت عليها المدافع من مضبات دورت بول وبذلك حالت دون اتمام العدو امره الا ان الدارعة قابلت عمل مدفعيتها بالمثل وقد اسفرت النتيجة عن قتل ثلاثة جنود وخمسة من الاهلين واصابة بعض الحملات المتطرقة باضرار عظيمة وعودة الدارعة من حيث اتت

اما الحادث الثاني فقد وقع بين صيدا وبيروت حيث اقدمت احدى الدوارع الروسية على اغراق مركب شراعي كان يقل غلّالا من الشاطيء الفلسطيني ولم ينج احد من بحارة المركب الذي يظن انهم اخذوا اسرى من قبل الدارعة والحادث الاخير وقع في بيروت فان باخرة افرنسية اغرقت زورقين في خراج بيروت وذهبت

تسليح البواخر - و بعد ان امن الحلفاء جانب الدولة في البحر الابيض نظرا لعدم وجود قطع حربية لديها عمدوا الى تسليح البواخر الصغيرة بمدافع

خفيفة العيار واتخذوها كحرس لحماية السواحل ولمنع حركة مرور المراكب
أي لتشديد الحصار البحري على السواحل أية ساعة شاءت دون أن يكون في
مقدورنا ردعها حتى بلغت بها الجراحة في كثير من الأحيان لدخول المرفأ وحادث
ضرب المصرف العثماني في ذلك الوقت قامت به إحدى البواخر الفرنسية التي
تمكنت من دخول المرفأ ووقفت عند الرصيف الكائن تجاه المصرف العثماني
حيث أغرقت قطعة حربية عثمانية قديمة مخربة ثم أصابت شظايا قنابلها واجهة
المصرف العثماني فهدمت قسمها منها

الفصل الخامس عشر

في طريق هدم لبنان !

عندما استدعى انور باشا جمال باشا اليه وطلب اليه ان يتقلد مهام القيادة العامة
في سور يا قال له

اننا نعلم تماماً ان مقامكم السامي لا يتفق مع الوظيفة التي نرغب في عرضها
عليكم الا اننا نعلم انه ليس في البلاد سواكم من يقدر على الدفاع عنها وميانة حقوقها
فالقائد زكي باشا يرى ان مهمته في سور يا صعبة وان أبناء البلاد هناك يستعدون
لثورة وانه ليس في مقدوره ان يدير الحركة الا اذا ضاعفنا القوات الموضوعة
تحت امرته ونحن في ظروفنا الحاضرة غير قادرين على ذلك فعلبيكم والحالة هذه
يتوقف انقاذ البلاد مما يهددها ويتهدد نفوذنا فيها من وقت الى آخر

وفهم جمال باشا ما يعنيه انور باشا وانه يلجأ الى لبنان ذلك الجبل الذي كان

مدار تدخل الاجانب في شؤون الدولة

ولهذا لما وصل جمال باشا الى سور يا حائزاً على الصلاحية المطلقة كان يحمل
في جيبه مشروعين خطيرين

الاول - الغاء سائر الامتيازات التي يتمتع بها الجبل اللبناني منذ سنة ١٨٦٠
واخضاعه مع سكانه للسيادة العثمانية

الثاني - القضاء على الفكرة العربية التي اختمرت في نفوس القوم بعد اعلان
الحرية العثمانية في فصولنا الماضية وتترك العرب

الغاء الميزات اللبنانية - وجمال باشا لم يعمد مباشرة الى الغاء الامتيازات التي
يتمتع بها الجبل اللبناني بل اعمل معول الهدم اولا بشباب رجال الدرك ، فالدرك
للبناني كان يرتدي ثيابا غريبة الشكل قريبة تماما من ثياب قواصة المصارف
والقناصل الاجانب الذين كنا نراهم في العهد العثماني في تركيا وهي عبارة عن
سروال فضفاض وفوقه سترة مسترسلة الاكمام لا تدل بوجه من الوجوه على
ان حاملها جنسدي واذ كان لا بد من تعريفه فيقال عنه انه حرس شريف
ليس ألا .

وقد افهم احمد جمال باشا مجلس ادارة جبل لبنان ان هذه الثياب لا تتفق قط
مع مكانة الجند اللبناني الذي هو جزء من الجند العثماني ولهذا رأى ان يستبدل
ملابسهم بملابس رجال الدرك العثماني واعلنهم رسميا ان هذا لا يعنى قط عزمه
على الغاء الامتيازات التي يتمتع بها هؤلاء الجنود الذين يظلمون دومافي مرا كزهم
و بلادهم وانما هي تبديل « كسوة » فقط فوافق مجلس الادارة على طلبه هذا وفي
شهر حزيران سنة ١٩١٥ بدلت الثياب اللبنانية المعروفة من سنة ١٨٦٠ بشباب
رجال الدرك العثماني وتنوسبت منذ ذلك الوقت حتي ان المعلومات الخاصة الموجودة
لدينا تدل على ان اللبنانيين حتي بعد انفصالحهم عن الدولة العثمانية لم يعودوا الى تلك
الثياب البالية التي كانوا بها (كندا) بل ظلوا على القياقة التي كانوا عليها في الحرب
العالمية بعد ان اضافوا على رأسهم القبعة التي اخذوها عن الافرنسيين فباتت ثيابهم
خليطا من الملابس العثمانية القديمة والقبعة الافرنسية الحديثة وهكندا كانت هذه
الحر كة مقدمة الى الغاء الامتيازات التي تمتع بها الجبل اللبناني

عبد او هانس باشا منصرفا على جبل لبنان سنة ١٩١٢ وكان شديد الغرور

والتمسك في امتيازات الجبل اللبناني لا محبة بهذا الامتياز الذي يتمتع به الجبل بدون حق (كذا) بل رغبة منه في المحافظة على مركزه وسلطته التي كانت تفوق سلطة الولاة العثمانيين الذين كانوا عرضة لخطر العزل والابدال في الوقت الذي كان منصرف لبنان يتمتع بنفوذ واسع وسلطة غير متناهية كما انه ليس في الامكان عزله وهو المعين لمدة معينة لا تقل عن خمس سنوات

وجال باشا الذي اتى الى منطقة الجيش الرابع بنفوذ اوسع وخطة سياسية معينة لم ير من الحكمة بقاء هذا الرجل في الحكم يذكره دوما بامتياز اقامته الدول الحاربة للدولة العثمانية

تدخل جمال في الادارة — عندما اتى جمال باشا الى سوريا اعلن انه لا يتدخل قط في الشؤون الادارية التي تظل على حالها وان علاقاته تظل منحصرة في الشؤون العسكرية وما يتفرع منها من شؤون سياسية قد تهدد سلامة الجيش وظل على خطته هذه الى ان قام بحملة قناة السويس الاولى وعاد منها الى القدس ليستعد للحملة الثانية حينئذ ظهرت حوادث المظاهرات التي تسببت اوراقها الى الديوان الحربي العرفي ورأي ان الخطر يهدد سلامة الجيش فعمد الى التدخل في الشؤون الادارية لانقاذ الموقف ، وقام بتنفيذ خطته .

خطة جال باشا — وكان من جملة ما قرره جمال باشا ان يستحصل على لائحة باسماء كل زعيم يرى فيه اهل منطقته انه ذو نفوذ وجمع بحقه المعلومات اللازمة ووضع هؤلاء الزعماء تحت المراقبة الشديدة حتى اذا كان ما يوجب عمدا الى توقيفهم لاخذهم كرهائن ضد اي حادث يمكن ان يقع في لبنان وبعد ان نظم هذه الامور وباتت لديه القوة الكافية لاعتقال هؤلاء الزعماء عمدا الى الغاء ملابس الدرك اللبناني لبحول دون امتيازهم ثم عمدا الى تحقيق فكرته الثانية بالغاء امتيازات جبل لبنان

بين جمال واهانس — وكان جال باشا لا يحب او هانس باشا لاسباب عديدة لا مجال لذكرها في هذا القسم حتى ان او هانس باشا ابرق بتاريخ ١٠ ايار الى

الصدارة العظمى يشكو من جمال باشا انه يتدخل في امور الجبل دون ان يستشير و بذلك يخالف الامتيازات التي يتمتع بها الجبل فتلقى على برقيته هذه برقية بتاريخ ١٣ ايار رقم ١٥٩ - ٨١٥١ موقعة من رئيس ديوان الصدر الاعظم يقول فيها :

« ان عليه من الان وصاعداً ان يقيّد بالوامر الواردة اليه من وزارة الداخلية والحربية معا وانه لما كان جمال باشا يمثل هاتين السلطتين فعليه ان يساعده في سائر الامور التي تتطلبها منه »

و يظهر ان او هانس باشا لم يفهم معنى هذه البرقية او لم يرد ان يفهم حقيقة مضمونها فعاد و ابرق في اليوم نفسه الى الصدارة العظمى يقول :

« لقد قابلني في هذا الصباح وفد من اللبنانيين وابدوا لي مخاوفهم من التدابير التي يتخذها احمد جمال باشا والتي يرونها موءدية الى الغاء الامتيازات التي يتمتع بها الجبل ، ولما كان اتخاذ مثل هذه التدابير قد يؤدي الى اشتداد قلق الافكار ووقوع حوادث قد تجعل من هذا الجبل بركانا يهدد سلامة الدولة في هذه البقعة ، جئت لافئنا نظر فخامتكم الى هذه الامور قبل ان يستفحل امرها .

« والذي اعتقده ان اللبنانيين قوم اباة لا يصبرون على الضيم اصف الى ذلك وجود السلاح اللازم لديهم وقرب اتصالحهم بجرأ بالحلفاء وفي هذه الحالة ما يهدد سلامة الدولة الخ . . . »

فردت عليه وزارة الداخلية ببرقية هذا نصها :

« ان وظيفتكم منحصرة في الشؤون الادارية اما المسائل العسكرية والدفاع فنحصر بقائد الجيش الرابع الذي يلزم ان تراجعوه في ما اظهرتم من هذه المخاوف »

وفي ١٥ ايار سنة ١٩١٥ تلقى متصرف الجبل برقية من قائد الجيش الرابع احمد جمال باشا يدعوه فيها للحضور الى بيروت لبيان مطالعته في

بغض الامور .

وقد لبى المنصرف الدعوة وحضر الى بيروت وقابله احمد جمال باشا .
مقابلة في الامكان القول عنها انها كانت « ناشفة » فلم يستقبله حال
وصوله بل استقبله عقب دخوله الدائرة أحد الضباط وادخله الردهة
العمومية حيث اعلنه ان الباشا مشغول في بعض المهام المستعجلة وانه يرجوه
انتظاره فيها .

ولم يكن جمال باشا في الحقيقة مشغولا بل كان يشرب القهوة في غرفته
و يدخن وقد اراد خصبها ان يظهر شيئا من الاحتقار للرجل وان يدعو . ينتظر
وقد طال الانتظار اكثر من نصف ساعة ولما استدعاه الى غرفته استقبله واقفاً
وراء مكتبه دون ان يتقدم الى الامام كما يوجب مركز الرجل ولهذا
كانت هذه المقابلة جافة ناشفة تماماً وقد ابتدره احمد جمال باشا بالسؤال قائلاً :
— ما رأيك في الموقف الحاضر يا باشا ؟

— لقد بيته بصراحة في تقريري الذي ارسلته الى الصدارة العظمى

— ايه ! تقريرك ؟ لقد ذكرت

ومناقض جمال باشا يبحث بالاوراق الموجودة امامه ثم اخرج من بينها رزمة
من الاوراق هي تقريري متصرف لبنان الذي رفعه الى الصدارة العظمى بتاريخ ٤
آذار سنة ١٩١٥ وقال :

— اليس هذا هو التقرير الذي ارسلته الى الصدارة ؟

قال ذلك والتي التقرير امام الباشا الذي عرفه فوراً فسكت . وقال
احمد جمال باشا :

— ان هذا التقرير يا باشا مبني على نظرية دوائكم الماضية ولهذا حالته
الصدارة العظمى الي وان لا اري فيه الا آراء عقيمة قد يمكن ان يعتد بها
لو كانت الدولة في غير هذه الحالة او لو كانت تخشى هذه البقعة فما الآن
فماذا نري بها ؟

— هذا هو رأيي لا ازال عليه

— اي انك تريد منا ان نخشى جانب اللبنانيين وان نعمل الى استرضائهم
ليظلموا اصدقاءنا ، اي انك تريد ان نعاملهم كاسياد لنا
— اعني ان اقل حادث قد يولد الانفجار واعتقد انه ليس في إمكاننا ان
نفتح لبنان بالقوة !

— وماذا تريد ان نفعل !

— عدم التعرض لامتيازات الجبل وتأمين احتياجات سكانه لتمكن بهذه
الواسطة من اثمان جانبهم

— اي انك تريد مني ان اعتبر الجبل دولة مستقلة انت رئيسها تعاقب
معهما على احترام استقلالها الداخلي مقابل رضائها عنا وعدم انجازها الى العدو وان
اغرها بالخبرات اليس كذلك ؟ . . . هذا لن يكون ابداً فانا لا ارى الجبل
دولة مستقلة يجب مخالفتها بل يجب ان تكون هذه البقعة مساوية لباقي البلاد في
انحاء السلطنة العثمانية

— وهذا ما ارغبه انا من كل قواي ولكن تحقيقه صعب والغاء امتيازات
الجبل واخضاع اللبنانيين يكلف الدولة لا اقل من ٥٠ الف جندي
— لا تخف ان كل هذه الامور ستتم دون ان تخسر الدولة جندياً واحداً
— اتمني لكم التوفيق ؟

— بل لكلينا !

— هذا مستحيل لانه ليس في امكاني التعاون معكم في هذا المشروع الذي
سيكلف الدولة كثيراً كما اعتقد
— اتريد الاستقالة ؟

— نعم !

وهنا تبدلت لهجة احمد جمال باشا لانه وان كان يكره او هانس باشا الذي
لا يسير على خطئه ومبادئه الا انه لا يريد منه ان يستقبل في ذلك الوقت وعلى

ذلك الشكل ولهذا اعلنه بأنه لم يستدعه ليتباحث معه بل ليأخذ رأيه في الموقف
فعاد او هانس باشا واصر على ان ينفذ ما جاء في تقريره
فاجابه جمال باشا :

— ولكن بقاء الحالة على هذا المنوال يكلف الدولة كثيراً خصوصاً وان
لدى اللبنانيين كميات وفيرة من السلاح في امكانهم ، اذا نحن حققنا ما طلبت ٦ -
ان يهددونا من وقت الى آخر
— كلالانه في امكاننا جمع السلاح منهم

— بآية صورة ؟

— بواسطة الدرك

— وهل تعتقد ان هذه الطريقة تنيلنا الرغائب ؟

— نعم

— انك على خطأ فادح لان اللبنانيين لا يقدمون سلاحهم بهذه الطريقة فهم
اذا فعلوا سيقدّمون المهمل من السلاح من جهة و يحتفظون بالجيد في منازلهم
واذا استعملنا قوة الدرك كان معناه اننا نترك المجال لارتسب هو لاء بني
قومهم المال دون ان تستفيد الدولة وهذا ما لا ارضاه قط

المنافسة بين المتصرف والباشا — وقد طالت المناقشات في هذا الموضوع
والمواضيع الاخرى وكانت جميعها يفزدها احمد جمال باشا بصورة لا تترك للمتصرف
محالا للبحث حتى اذا خرج او هانس باشا من مجلس احمد جمال رأيناه شديداً الاستياء
وقد دخلت على احمد جمال باشا فراهته يتنعم وقال :

— لقد انتهينا منه

— من الباشا

— نعم لانه سيستقيل

— ولكنكم اعلمتموني انكم لا تريدون ان يستقيل في الوقت الحاضر

— قلت لكم انه سيستقيل ولم اقل انه استقال اليوم وسيقدم استقالته في اليوم

الذي اريده

— وما رأيكم في نظريته ؟

— انه رجل خائن يخدم المصالح الفرنسية

الغاء البسة الدرك — وبعد احاديث مختلفة بيني وبين احمد جمال باشا امرني بدعوة القائد سامي بك الذي لبي الدعوة فوراً ووكاه باعداد العدة لاببدال البسة الدرك اللبناني وتنظيمها وقد تم ذلك على الصورة التي بينتها في القسم السابق من هذه المذكرات . وكان احمد جمال باشا باذلاً جهوداً عظيمة في سبيل لبنان والغاء امتيازاته وقد اعد سائر العدد لهذا الشأن

وكان دوماً يردد امامي قوله « الشدة هي خير علاج يمكن الاعتماد عليه في تسكين اوجاع اللبنانيين فهم قوم لا يهمهم الا القوة فاذا عرفت كيف تتفوق عليهم عرفت ان تخضعهم » وجمال باشا نفسه كان يتمثل دوماً بقول العلامة جمال الدين الافغاني « لا يصلح الشرق الا حاكم مستبد عادل » وهو اي جمال باشا ، يعتقد بنفسه المستبد ولكنه عادل

منهاج جمال في سوريا

وبرنامج جمال باشا في التاريخ الذي نحن فيه من هذه المذكرات ينحصر اولاً . - في استبدال هيئة الحكومة الحاضرة والانتعاضة عنها بشخصيات يثق بها في تدوير سياسته

ثانياً - في ايجاد مدارس كافية تحل مكان مدارس الارشاليات الاجنبية وعلى الاخص مدارس للفتيات

ثالثاً - في تترك ابناء البلاد بابة صورة كانت

رابعاً - في ابعاد العناصر الاجنبية او المتفرجة من ابناء لبنان والتي يجد فيها خطراً على سياسته من المناطق الساحلية الى الداخل

الشروع في تنفيذ المنهاج - وكان في مقدمة مشروعه هذا ابعاد او هانس باشا عن مقعد الحكم في لبنان فتمكن بعد معاكسة شديدة له من حملته على الاستقالة فقدم او هانس باشا استقالته بتاريخ ٤ تموز سنة ١٩١٥ الى وزارة الداخلية وفي ٢٠ منه صدرت الارادة السنية بقبول الاستقالة وتعيين منيف بك متصرفاً بدلاً منه .

وفي الوقت نفسه ابعد عن مقاعد الحكم والي بيروت ابا بكر حازم بك الذي كان غير مرغوب فيه من جمال وحزبه

وفي ١٦ تموز سنة ١٩١٥ صدرت الارادة السنية بتولية عزمي بك الولاية وفي الوقت نفسه ابعد خلوصي بك عن ولاية دمشق وعين بدلاً عنه حسن تحسين بك .

ثم وافقت وزارة المعارف على انتداب خالده اديب خانم على رأس بعثة من المعلمات التركيات للاستيلاء على مدارس الارسلات الاجنبية وادارتها التمهيد للمشروع - وقد كان احمد جمال باشا راغباً في الغاء امتيازات

جبل لبنان بصورة يظهر فيها ان اللبنانيين راضون ولهذا قام اعوانه يمدون له السبيل ففي الوقت الذي كان فيه الامير شكيب ارسلان يعمل على استمالة الدروز الى جانب الباشا سواء كان يجمعه المتطوعة منهم وارسلهم الى جهة فلسطين او يجمعهم على القبول بالغاء امتيازات الجبل كان كامل بك الاسعد يعمل في جنوبي لبنان في سبيل جمع المتطوعة حتي انه ابرق بتاريخ ٤ تموز الى الباشا يعلنه ان خمسمائة متطوع بسلاحهم الكامل باتوا على اهبة للزحف الى الجبهة وان شان جبل عامل مستعدون للزحف على العدو في اي وقت يأمر

ثم رأينا في الوقت نفسه الدكتور اسعد بك حيدر يعان نفس الامر - في جهات بعديك

وقد كان احمد جمال باشا يعرف مقدار نفوذ هؤلاء والاسباب التي دعتهم الى معاونته الا انه كان يرغب من كل قواه في تنفيذ هذه الامور، لان الدخليات

له في جنوبي لبنان وفي لبنان بين الدروز وفي بعلبك وفي طرابلس مما يجعل
للبنانيين على اعتقاد بانهم محاطون بقوة لا يمكنهم قطع مقاومتها وانه لا بد لهم من
ان يرضخوا لارادته السامية

واسكن ما هي مطامع هؤلاء الافراد وهذه الحاشية ؟

ان كامل بك الاسعد هو السبب الاصلي في فزع المؤامرة التي دبرت في
صيدا لاحداث ثورة مشتركة في الجنوب مع اللبنانيين وقد ايد هذه الحقائق
وفصل الاجتماعات التي عقدها ابناء الصالح والجوهري في صيدا لجمال باشا بعد ان
قدمه اليه الشيخ اسعد الشقيري الذي مثل الدور الذي مثله راسبورتين في بني قومه
وقد ذهب كامل بك الاسعد بعيداً في سبيل تأييد اخلاصه فاعلن استعداداه
لجمع المتطوعة وتأييد نفوذه وكان له — اي اكامل بك — النفوذ الذي اراده
وسحق خصومه وحصل على المال الوفير

اما الامير شكيب ارسلان فقد كانت مطامعه اعم فهو يريد ان يكون
المستشار الاول لجمال باشا لكي يصبح السيد المطلق على مواطنيه ، ادام غير قادر
ان يكون حاكم الجبل او امـ يره و كان له شيء من النفوذ الموقت الذي احرزاه
لدى جمال باشا وقد خدم في الوقت نفسه اخاه الامير عادل ارسلان الذي كان
مراقباً بسيطاً على التحارير في ادارة بيريد بيروت

وقد ادى لنا في الحقيقة خدمات جلي في هذه الوظيفة التي توجب عليه قراءة
كل تحرير يرد او يصدر واطلعنا في ذلك باخلاص بشكر على كل الاسرار التي
وردت له في التحارير عن مواطنيه وكان من جراء ذلك ان جمال باشا ولاء
قائمة الشوف عقب تعيين علي منيف بك في المتصرفية

هذه هي الاسباب الحقيقية التي دفعت هذين الرجلين الى خدمة الباشا وكانت
هي نفس العوامل التي تشرب بها غيرهما عند ما حاولوا التقرب من الباشا

بعد اعدام القافلة الاولى

وما من شك في ان اعدام القافلة الاولى من ابناء سوريا ولبنان قضي على فكرة العداء لجمال باشا ، نقول الفكرة العدائية لانه بعد ان تسرب الخوف الى قلوب ابناء المنطقة وتأكّدوا من وجود المشقة لم يعودوا يفكروا بوطنهم واخوانهم وانما كان كل منهم يعمل على انقاذ نفسه غير حافل بالنتيجة ولهذا تقلص ظل القوة التي مهدد بها او هانس باشا وحل مكانها الخوف من... الاعداد والرغبة في استرضاء جمال باشا

الرحلة الشاهانية - وفي وسط هذه العاصفة ، عاصفة الخوف من الاعداد والخوف من النفى والابعاد وعاصفة التهديد السري اراد احمد جمال باشا ان يدخل مدينة بيروت دخول الظاهر المنتصر

ففي اليوم الواحد والعشرين من شهر اب عندما افادت بيروت نائحة باكية على رجالها اراد جمال باشا ان يبني عزه وسوء دمه فلو عز الى رجاله في بيروت باقامة اقواس النصر والزينات ابتهاجا بزيارته الرسمية لبيروت في شهر تموز سنة ١٩١٥ وقد اوفدني لروية الاستعدادات فوجدت المدينة باجمعها مزدانة بالاعلام وقد اقيمت اقواس النصر على مدخل المدينة وفي ساحة البرج لغاية فندق «بسول» الذي قرر الباشا ان ينزل فيه

وصرفت بلدية بيروت جهوداً عظيمة في سبيل المهرجان وجعله فخماً كما ان ان «القبضيات» الذين استأجرهم الباشا والذين سنحدث القراء عنهم في فصل خاص طافوا يجمعون فلولهم وانصارهم للترحيب به واوفدت المدارس جميع طلابها لتحيته على طول الطريق

وفي اليوم السادس عشر من شهر تموز سنة ١٩١٥ وحمل الركاب الهمايوني الى بيروت فاطلقت له المدفعية وحيته الجنود وسار احمد جمال باشا بموكب فخم من مدخل المدينة حتى الفندق وهو استقبال لم ائده مشبه قط لعظيم من عظماء العالم وقد غص فندق بسول بجماهير الاهلين وعظماء بيروت الذين اموا الفندق

محبة وتقديم الاحترام اللائق بمقامه ولا تسل عن قصائد الترحيب وخطب
تبجيل التي القيت امامه فهناك شاعر لبناني مسيحي يلقي قصيدة ترحيب عامرة
الايات وهناك متعمم بيروتى ينافس في قصيدة ثانية واديب بيروتى اخر فكاهن
يرحبون جميعهم بالقادم الفاتح

وفي المساء اقيمت حفلة فخمة طاف اثناءها الجنود بالمشاعل يفرحون ويهزجون
والحاصل ان من يرى بيروت في ذلك اليوم ومساكنه على هذه الحالة لا يعتقد قط
انها كانت حزينة على رجالها الذين علقوا على اعواد المشاق وعلى ابنائها يصارعون
الجوع والموت في ميدان القتال وهي نفسية حرت في تعليلها كما جار بها اخواني الذين
كانوا برفقة القائد العام يشاهدون هذه المناظر المتلونة غير الموقوفة

في اليوم الثاني

لم تكن الغاية من مجيء احمد جمال باشا الى بيروت هذه المرة الا ليمهد
السبيل لتحقيق رغبته في القضاء على امتيازات الجبل والدخول مباشرة في
مفاوضات مع المسوولين عن الجبل وحلهم على القبول بما قرره مع الحكومة
المركزية من قبول استقالة او هانس باشا وتولية علي منيف بك مكانه والمسؤول
في الدرجة الاولى عن لبنان ومقدراته هو غبطة البطريرك الماروني الحويك فمن
الضروري والحالة هذه ان تجري المقابلة بين الرجلين ولكن كيف تقع ؟

— لم تجر العادة قط ان يأتي البطريرك الماروني للترحيب باحد الولاة والقواد
العثمانيين — اننا الما مقام الموضوع تحت حماية الدول السبع والمتمتع بالامتيازات
لم يكن بدولة عليه اقل سيطرة فكان قواد الدول وامراؤها عندما يأتون الى
لبنان وبيروت ، لغاية سياسية معلومة ، يذهبون الى الجبل لتقديم التحية للبطريرك
الذي يوفد احد الاساقفة لينوب عنه برد الزيارة اما الان فان جمال باشا يريد ان
ان يأتي البطريرك بنفسه لتحيته ومفاوضته في مستقبل لبنان

والبطريرك لا يتأخر قط عن هذه الزيارة حبا في سلامة بلاده وابناء وطنه

ولكن هل في الامكان جنبه بالقوة وهو يعرف المناورات المدبورة والرغبة التي
يكنها جمال باشا لالغاء الامنيات التي يتمتع بها الجبل

شخصية البطريرك

وما دمت اروني في مذكري هذه الحقيقة ، الحقيقة الناصعة التي رأيتها بام
عيني وسمعتها باذني ، فلست لاقول غير الحق في شخصية البطريرك الماروني الياس
الحويك افندي فهو شخصية بارزة في لبنان ، تقي صالح متفان ، في محبة وطنه
وبلاده لا يتاخر قط عن التضحية بعزته وبكل شيء لديه في سبيل بلاده
فهو الرجل الوحيد الذي اعتقد فيه الصدق والاستقامة والمحبة والسلام ، وهو التزيه
المجرد عن الشخصيات يشتغل في سبيل امته وبلاده قبل كل شيء ، ولهذا رضي ان
يزور جمال باشا ليدافع عن بلاده وقد عين موعدا لهذه المقابلة في اليوم الخامس
والعشرين من شهر تموز سنة ١٩١٥

خطاب احمد جمال باشا

لبي غبطة البطريرك الماروني دعوة احمد جمال باشا له في صوفر وجلس انا
المائدة وهو محاط بمحاشية كبيرة من رجال الدين
واستقبله القائد العام على باب الفندق الخارجي محاطا بعدد كبير من ضباطه
واركان حربه
ولما جلسا على المائدة كان البطريرك عن يمين القائد يحيط بهما الضباط والمطارنة
رقاء البطريرك
فقال جمال باشا :

— لم تكن غايتنا يا غبطة السيد البطريرك استعمار هذه البلاد ولا استبداد
بمقدراتها بل لتساوي بين هذه البلاد وسائر انحاء السلطنة العثمانية ، ان الجانب
الذين اوجدوا الشقاق في هذه البقعة العثمانية كانوا يحاولون ان يبرهنوا ان ليس في
مقدور ابناء هذا البلد ان يتفقوا مع اخوانهم العثمانيين الذين قد يستبدون بهم مع

ان الشهور الماضية اثبتت ان الاجنبي هو الذي اوجد التفرقة واننا نرى الان الجميع اخوة يسبرون صفاء واحداً ولا فرق بينهم

ان حكومة صاحب الجلالة السلطان الخليفة قبلت التماسنا يا صاحب الغبطة واقلت او هانس باشا وعينت بدلا منه يوم ٢٠ تموز الحالي علي منيف بك الذي هو من خبرة رجالنا الاداريين و بذلك اظهرت عطفاً ومحبة للبنان بمساواته بسائر انحاء السلطنة العثمانية

رد البطريرك الماروني — وقد اظهر غبطة البطريرك الماروني كياسة وسياسة في رده على كلمات القائد العام اذ اعلنه انه لا يري نفسه و بلاده غرباء عن السلطنة العثمانية وانه يفتخر بانه عثماني متحدر من عثمانيين مخلصين لدولتهم اصدقاء اوفياء لها واعلن استنكاره كل محاولة ترمي الى خيانة الدولة التي يستظلون بملها وانهم سيظلون دوما الاصدقاء الاوفياء لها

والحق ان غبطة البطريرك الماروني كان في مقدمة الذين حافظوا على صداقة الدولة لانه اعتقد ان هذه الصداقة واجبة لحماية امته و بلاده وقد اثبت هذا الشم والاباء في مختلف الظروف ولهذا كان دوما موضوع احترام وتقدير اجمال باشا حتي بعد الحرب العالمية

واذ ذكر انه وردتنا مرة تقارير عن بعض الاعمال التي تجري في البطريركية المارونية فلما عرضتها على جمال باشا قال لي :

— مزق هذه الاوراق لان البطريركية التي يكون على رأسها غبطة الياس الحويك لا تقدم على هذه الامور

ورفض ان يحقق في هذه الشكاوى او ان يستفسر عنها من البطريركية المارونية

عد المائدة — وقد تناول الحديث بين البطريرك والباشا اثناء المائدة و بعدها مختلف المواضيع التي تهتم لبلاد اللبنانية فاكد جمال باشا محبته للبنان وتقديره للبنانيين الاقحاح وان الدولة وان كانت قد الفت الامتيازات التي يتمتع بها الجبل

من الوجهة الدولية الا انها تحافظ على سائر امتيازاته ائداخية واعتباره متصرفية ممتازة مرتبطة مباشرة بوزارة الداخلية طيلة الحرب الحاضرة الى ان يبت اللبنانيون بعد الحرب في مصيرهم والوجهة التي يسرون عليها ، ثم اضاف الى ذلك قائلا :
ان احتلال قسم من قواتنا الجبل لا يعني عدم الثقة باللبنانيين او عدم الاعتماد عليهم بل لنقوم ببعض الاحتياطات ضد العدو حسبما تقتضيه التدابير العسكرية وقد كان احمد جمال باشا صادقا بما وعد به البطريرك فقد ترك للجبل طيلة الحرب العامة امتيازاته المالية والادارية وكان ابنائه احراراً لا يخدمون في الجندية كما انه احترم حرية الاديرة والمعابد التي كان يساعدها شهر يابكميات وفيرة
مرنـ الحنطة

كما انه كان على اتصال دائم مع البطريرك بالمكاتبة يستشير في شتى الشؤون المحلية وعلى الاخص في ما يتعلق بالازمة المحلية وتخفيف وطأة الجوع عن البلاد المظاهرات في بيروت — وفي الوقت الذي انتهت فيه المأذبة التي اقامها احمد جمال باشا في صوفر البطريرك الموارنة كانت العدة اتخذت للمظاهرة الكبرى التي بدأت قرب منتصف الليل في بيروت فان انصار احمد جمال باشا كانوا قد جمعوا كتلة من «قبضيات» بيروت وقاموا بمظاهرة هائفة فيها «هالي هالي آخذنا الجبل» وغير ذلك من النداءات مارين بشوارع المدينة الرئيسية معنيين اغتباطهم بهذا الفوز الباهر الذي ضموافيه اللبناني الى بيروت وقد ظهرت بيروت والمدن المجاورة لها في اليوم الثاني تحتال بحلة من الزينة ابتهاجا بهذا الامر

كما ان مئات البرقيات طيرت الى الاسنانة من اللبنانيين و ن مجلس ادارة جبل لبنان تتضمن شكر الدولة العلية على هذا القرار الذي جاء محققا لاماني اللبنانيين ورغباتهم

ولم يكن من المنتظر ان يقع غير ذلك ما دام اللبنانيون انفسهم يرون انهم امام الامر الواقع وانه ليس في مقدورهم قط ان يقوموا بعمل مخالف لذلك

الحركة الدائمة في بيروت - وكانت الفكرة منحصرة في ذلك الوقت ،
أي في شهر تموز ، في انفاذ الخطط التي وضعها احمد جمال باشا بعد ذلك الاجتماع
التاريخي منع بطريك الموارنة ، فهو رأى ان يؤولف وفداً من وجوه وعلماء البلاد
السورية ليسافر الى المصايق ويشرف بنفسه على الانتصارات الباهرة التي
انتصرها الاتراك في تلك الجهة التي هاجمها الحلفاء بقواتهم البرية والبحرية كما انه
كان يستعد للقيام برحلة في لبنان ليكون على تماس مع اللبنانيين ولبثت الى رجال
الحكومة المركزية في الاستانة ان ما يؤممه يرضي اللبنانيين دون ان يكبد الدولة
خسارة جندي واحد

وعلى هذا عهد الى الولاية في بيروت وبقية المدن السورية انقاء هذه الوفود
وارسالها الى الاناضول فالمصايق وقد تم ذلك وسافرت هذه الوفود التي أطلق
عليها اسم وفود البلاد السورية في اخر شهر اب سنة ١٩١٥ واشرفت على الحالة
العسكرية في المصايق وعادت الى البلاد حاملة معها نتيجة ما رآته من حـ من
الادارة وانتصار القوات العثمانية على الحلفاء وهو امر سنأتي على تفصيله عندما
يأتي تاريخ ذكر المعارك الفاصلة التي وقعت خلال شهر اب من سنة ١٩١٥
في المصايق

رحلة جمال باشا الى لبنان

في اليوم الاول من شهر اب سنة ١٩١٥ ترك احمد جمال باشا مقره الصيفي في
صوفر الى بيروت وكان يرفقته رئيس اركان حربيه الميرالاي علي فؤاد بك
وقائد الفرقة ٤٣ ومحرر هذه المذكرات وبعض ضباط اركان حربيه
ووجهتهم جونيه

وكانت الخطة الموضوعية من باديء الامر ان تزدان الطرقات الممتدة من
جسر بيروت بالاعلام وقد تولى العمل في الدرجة الاولى حنا بك الضاهر الذي
كان خبير معين في حمل الشعب للازدحام على الطرقات لتحية القائد العام العثماني .
كما ان البطريق كية لم تعارض في هذا الاستقبال لانه كان عبارة عن رد زبارة

من القائد جمال باشا ولبظهر البطريرك الماروني ان الموارنة اللبنانيين قوم يحترموم
العضاء و يرحبون بممثل الدولة العثمانية

ولهذا كان الاحتفال فخماً للغاية وكانت اقواس النصر منتشرة على طيالة
الطرق الممتدة من بيروت الى جونيه والخطباء اوقفوا الموكب عدة مرات ليخطبوا
للباشا مبينين له مقدار اخلاص ابناء لبنان الى الدولة العثمانية وتعاقدتهم بعرش الخليفة
السلطان محمد رشاد واحترامهم ممثله الاعلى احمد جمال باشا وكان في انطلياس وفد
من وجوه هذه البلدة يتقدمهم اسقفها ورجاله واعضاء البلدة

واللبنانيون الذين شهدوا هذا الموقف ولا زال قسم كبير منهم في قيد الحياة
يعترفون معنا بصراحة ان الاحتفال بين جديدة المتن وانطلياس كان فخماً للغاية
حتى ان الطرقات الممتدة بين البلدين كانت مزدحمة بالقرويين الذين هبوا
لتحية القائد .

ان رئاسة البوليس كانت تخشى هذه الرحلة لانها بعد التدابير التي اتخذت
لتكون الحفاوة باهرة كانت تخشى ان يقع ما يكدر او بعبارة اخرى كانت
تخشى ان يقع الاعتداء من اللبنانيين على القائد العام لانه اعدم قبل مدة شيخين
من مشايخ الحازن العائلة صاحبة النفوذ في هذه المنطقة ولانه نفذ منذ شهرين حكم
الاعدام ببعض ابناء هذه المنطقة

وقد بنت رئاسة البوليس هذا الامر لجمال باشا وطلبت ارفاقه بقوة من رجالها
فرفض الباشا هذا الامر قائلاً

لا اعتقد ان اللبنانيين يقدمون على مثل هذا العمل ولهذا يمكنني السير بينهم
بهدوء دون خشية

ولهذا رفض احمد جمال باشا بشدة التدابير التي اتخذناها سرّاً لحمايته خلال
هذه الرحلة

حادثة في الطريق — سار الموكب من الجديدة الى انطلياس وفي الطريق
قبل كيلومترين من انطلياس تقدم من الموكب رجل غريب الاطوار تبدل

ملاحه على التهيج الشديد وهجم على سيارة القائد الامر الذى اثار مخاوفنا فهجمنا نحن بدورنا على الرجل نحول دون وصوله للبasha اعتقاداً منا انه اتى يقصد حياته ولكنه اخذ في مقاومتنا قائلاً بالعربية انه يريد مقابلة البasha ومناقشته وكان يردد ذلك بعبارات عالية

واحد جمال باشا لم يخف من هذا الحادث او يعنقد به شرّاً بل أمر سائق سيارته بالوقوف وامرنا باحضار الرجل اليه وسأله ما يريد فاجاب :

-- انني ادعى حنا يوسف بو سايمان من اهالي هذه المنطقة لي ولد وحيد هو محط آمالي اوقفه رجال الدرك اللبناني بتهمة الدّار على سلامة الذّولة والاشترك في تهر يب بعض اللبنانيين الى الدوائر الافرنسية ولما كان هذا الامر غير حقيقي وهو عبارة عن وشاية من الدركي اسعد غنطوس لانه يزاحمه على خطيئته جئت راجياً شمله بعطفكم

جمال باشا -- ولماذا لم تخبر رئاسة الديوان الجربي وتشافه بالامر

-- لم يمكنوني من ذلك لانهم اقوياء

-- وهل تحب انت فرنسا ؟

-- نعم لانهم علموني حبها منذ الصغر

-- ودولك ؟

-- احبها لانها ودية نعمتي

-- وهل تقسم على براءة ولدك ؟

-- نعم

-- ستراه حراً طليقاً !

ان هذه الحادثة كانت حقيقة لان الشاب كان بريئاً وقد رويتها دلالة على نزعة اللبنانيين في ذلك الوقت ولا بين لمن افترى على احمد جمال باشا انه ما كان قط يستقم من كل من قال انه يحب فرنسا بل من الذين خانوا بلادهم ليس الا فهذا القروي كان صريحاً في قوله حيث قال -- انه يحب فرنسا لانهم علموه منذ

الصخر محبة فرنسا بصفقتها دولة حامية للكثلكة ومخلصة لدولته العثمانية لانها ولاية امره . وهذه الصراحة حببت للبasha مساعدة الرجل ومعاوضته متابعة الموكب — نوقف او كب في انطلياس عدة دقائق حيث حيث الوفود البasha والتي بعضهم خطب ترحيبية قصيرة بالفرنسية والعربية ومن هناك تابع سيره الى (ضبية) مقر معامل شركة مياه بيروت فتوقف بضعة دقائق حيث كانت شركة المياه اقامت له الزينة ووقف اركانها يحيون القائد واحدهم تكلم باسم شركة مياه بيروت مرحبا به داعياً اياه لزيارة المعمل فلبى الدعوة وطاف ارجاء المعمل ثم عاد الى سيارته حيث تابع سيره الى نهر الكلب . وفي نهر الكلب رأيناه بأمر سائق سيارته بالوقوف امام منعرج الطريق المؤدي الى الجسر حيث حفرت في الصخر القائم هناك كتابات تدل على اجتياح جنود نابليون الثالث هذه الاراضي في سنة ١٨٦١ فوقف بتفرس في هذه الكتابة وهو نشوان ايضا بالحفاوة التي لقيها . في الكيلومترات التي مر بها في لبنان وقال :

— ان هذا الاثر — مشيراً الى اثر نابليون — كان وصمة شائنة في جبين السلطنة العثمانية لانه دليل ذلها وخنوعها للاجانب اما الآن فقد زال كل شيء . . .

ولم يتم جمال باشا كلامه بل امر بتابعة سير الموكب وقد فهمت بعدئذ انه امر بتغطية هذا الاثر المحفور بالصخر .

الموكب في جونبة — وصل الموكب الى جونبة وسط عاصفة شديدة من التصفيق والهتاف . كانت هذه المدينة المعروفة بالعاصمة البحرية للبنان والموارنة مزدانة بالاعلام العثمانية وكان المقرر ان يتناول القائد طعام الغداء على مأدبة البلدية حيث اعدت مأدبة فخمة للغاية حضرها وجوه البلدة ورجال الدين فيها ووفد المطارنة والموارنة

هزم برج ايفل

وقد اراد سكان العاصمة البحرية اللبنانية المعروفين بشدة محبتهم لفرنسا ان يسيروا بعبداً في مجاملة القائد العام فقدموا بعد الطعام قطعة من الحلو (كاتو) مصنوعة على شكل برج ايفل وبجانباها سكينه المائدة فتناول احمد جمال باشا السكين بيده وشطر بها برج الحلويات قائلا :

— وهكذا سهدم هذه الدولة صاحبة البرج منتصرين عليها مع متفقينا باذن الله . . .

وقد اثرت هذه المجاملة باحمد جمال باشا الذي اعتقد حقانه بهدمه هذا البرج المصنوع من السكر قادر على ان يهدم برج ايفل رمز عاصمة الافرنسيس وان يهدم محبة اللبنانيين للافرنسيس
فهل نجح بذلك ؟

ان الباشا لم ير الابتسامات التي علت شفاه الحاضرين لانها ضاعت في وسط عاصفة التصفيق التي اطلقها هؤلاء استحسانا لعمله ولكنني انا لاحظتها وادركت ان هذه الحجة المنغوسة في قلوب اللبنانيين لفرنسا وفي مثل هذه المدينة لم تكن المجاملة تمحو هذه الحجة من قلوب اللبنانيين وتعاتمهم بالقائد وحكومته بل ما هي الا مناورة بسيطة يقصد بها استمالة القائد واتقاء شره ، وقد رأينا اللبنانيين يتجنبون ذكر فرنسا في الحرب العالمية يفتحون قلوبهم لها بعد هذه الحرب وينسندون بجمال باشا حتي لقبوه بسفك سوريسا فهل كان حقيقة كذلك ؟

في جبيل والبترون — وتابع الموكب سيره في بقية السواحل الى جبيل والبترون وكانت الحفاوة فيها بالغة وهي لا تفرق عما سبقها من الحفلات التي اقيمت في غيرها من المدن التي مر بها الموكب من حفاوة واقوال وخطباء وشعراء ولم يرد احمد جمال باشا الزيارة للبطريرك في هذا اليوم لانه كان مخصصا لزيارة هذه المدن بل اكنفي باستقبال وفد المطارنة الذي جاء الى تحتيته باسم

البطرك في البترون معلنا عزمه على رد الزيارة في الاسبوع التالي بعد اتمام رحلته الى جنوبي لبنان وبقية المناطق اللبنانية

نتيجة هذه الرحلات — ليس هنا مجال لان نصف الرحلات التي قام بها احمد جمال باشا للمناطق اللبنانية والتي اردنا ان نطلق عليها اسم 'الرحلة الشاهانية' لانه في امكاننا القول انها رحلة فخمة جدا اشتركت فيها سائر العناصر اللبنانية لا حبا بالقائد — كما نعتقد — بل خوفا منه ومن عاقبة معاندته الا ان القائد كان شديد السرور من هذه الرحلة لانها كانت له :

اولا — مجموعة فريدة من الرسوم العظيمة ارسلها الى منافسيه في السيادة على السلطنة العثمانية انور باشا وطلعت باشا ميينا لمقدار الفوز الذي احرزه على اللبنانيين بهذه الحفاوة

ثانيا — مهدت له سبيل افهام فرنسا بواسطة المسيو نافيل ، مدير البنك العثماني في بيروت ، عدم فائدة اعتماد فرنسا على اللبنانيين الذين باتوا قلبا وقالبا معه ومع دولته

ثالثا — انه كان يومئذ ان يتمكن من وضع حجر الزاوية لامانيه الواسعة بواسطة اللبنانيين كما سيطالع القراء ذلك في فصل (مطامع احمد جمال باشا باستقلال البلاد السورية عن السلطنة العثمانية)

رابعا — مقاومة الحزب اللامر كزري والاحزاب اللبنانية التي تعمل ضده في القطر المصري .

عزمي في بيروت

في الوقت الذي كان فيه احمد جمال منهمكا في زيارته للمناطق اللبنانية وصل بيروت واليا الجديد عزمي بك الذي اعب دوراً عظيماً في سياسة هذه المنطقة خلال الحرب العالمية ، واحتفل بتلاوة «فرمان» تعيينه في مقام الولاية بحفلة رسمية في اليوم الخامس من شهر آب سنة ١٩١٥ في باحة دار الحكومة وبعد استلامه مقررات الامور باسبوع واحد طاف على المنعقات مبثوثاً

بزيارة طرابلس .

اما علي منيف بك متصرف جبل لبنان الجديد فقد وصل بيروت في اواخر شهر آب واستلم مهام وظيفته في بعددا في اليوم الخامس والعشرين من شهر آب سنة ١٩١٥

و بعد وصول المتصرف باسبوع واحد سافرت وفود المدن السورية الى استنبول ومنها الى المضائق حيث اشرفت على الحالة الحربية في تلك المنطقة حفلة آل سرسق - عاد جمال باشا الى بيروت بعد ان اتم رحلته الى جهات لبنان وقد اسرع هذه المرة لتحيته وفد الطائفة الارثوذكسية بتقديمه سيادة المطران مسرة الذي كان صديقا لاجد جمال باشا يعتمد عليه و يرى فيه كثيراً من الاخلاص يزيد عما عند بقية رجال الدين المسيحي

فقد كان جمال باشا يعلم ان سبادته لم يكن في يوم من الايام من المحبين لغرنا العاملين على توطيد نفوذها في البلاد واذا كان لابد من تأييده لاحدى الدول الاجنبية، كما هو شأن الارساليات الدينية في هذه البلاد فقد كان صديقا لروسيا ولكن هذه الصداقة ما كانت لتخيف جمال باشا في ذلك الوقت ولهذا اعتمد على المطران مسرة وعاضده في شتى المشاريع التي طلبها منه

و باحث جمال باشا في ذلك الوقت سيادة المطران مسرة سرّاً عن موقف طائفته من الدولة او منه فايد له اخلاص الجميع وليبرهن المطران على ذلك حل الفرد بك موسى سرسق على ان يقيم حفلة راقصة ساهرة في قصره تكرر بالجمال باشا وقد اقيمت هذه الحفلة مساء اليوم الخامس عشر من شهر آب سنة ١٩١٥ في قصر آل موسى سرسق اطلقت خلالها الاسهم النارية والقيت الخطب الترحيبية بجمال ورجاله ودامت الى ساعة متأخرة من الليل

الفصل السادس عشر

هذا هو الدور الاول الذي لعبه احمد جمال باشا لالفاء الاستقلال الذي تمتع به لبنان ١٠ الفصل الثاني فقد بدأ بروايات مضحكة حقاً فان جمال باشا ساءه ما رآه من تجار بيروت الذين يستعملون اللغة الافرنسية في كتابة «الارمات» الموضوع على مخازنهم حتي ان بعض هؤلاء يكتبونها بالافرنسية فقط دون العربية التي هي لغتهم فامر بازالتها واحلال التركية مكانها واجبر الناس على كتابة الارمات بالفتين التركية والعربية وحذف الافرنسية

ولما كانت المدة المعينة لتحقيق هذا الامر قصيرة جداً وكانت الازمة شديدة في البلاد اعتمد بعضهم الى عبارات مضحكة لاستبدال العربية بالتركية فمثال ذلك آرمه « احمد جمال الفوال » وكانت في سوق المرامي :

احمد جمال — الفوال

فصارت بعد التحويل :

احمد جمال — الفوال سي

اي ان الرجل اعتقد ان مجرد اضافة « سي » على كلمة الفوال حوات الكتابة من العربية الى التركية وقس على ذلك الكثير من مثل هذه الامور التي اعتقد القوم انها منفذة لاوامر الباشا الذي كان يباغها ما يصل فتأثر واراد ان يقوم باستبدالها الا انه عدل عن ذلك لان قصده الاساسي ازالة الكتابة الفرانسية

وقد تم له ما اراد ٠٠٠ وحلت - في بعض المتاجر مكانها بعض الكتابات
باللغة الالمانية

حادثة جاسوس !

وفي اليوم العاشر من شهر آب سنة ١٩١٥ تأقينا اشعاراً تلفونيا من قائد
موقع بيروت يفيد ان خفراء الساحل بينما كانوا يجرون المنطقة الساحلية جهة
نهر الموث رأوا زورقا يسير في الظلام على غير هدى فتربصوا له الى ان اقترب
من الساحل وداهموه فاذا به شاب في العقد الثالث من عمره طويل القامة متملي
الجسم اسمر الوجه يدعى احمد عبد العال السيد من اهالي بورسعيد في مصر افاد
في بادىء الامر انه بحار مصري غرق به المركب فاجأ الى جزيرة ارواد وفيها
زورقا وهو الزورق الذي وجد فيه يحمل اسم « عون الله رقم ٦١٥ » وفر به الى
به هذه البلاد

ولما كان انزل قد بوغت على الساحل دون ان يخرج الى البر فقد فتشه
مفرزة خفر الساحل التي اوقفته ولم تجدهم شيئا من الاوراق الا تذكرة تشعر
بحقيقة اسمه و بضع مجديبات لا يز بد غدهما كما اظن على العشر
وسألنا قائد مركز بيروت عن رأينا في الامر والتدابير الواجب اتخاذها بحق
الشاب الموقوف وعلى الاثر عرضت الامر على الباشا الذي ما كاد بطلع على
تقرير قائد بيروت حتى قال :

- ان الرجل جاسوس شعر بالمراقبة على الساحل فسلم نفسه لمتنذ رفقة ومن
الضروري معرفة هذا الرفيق فلفن الى قائد المركز لباتي به الي فوراً
فصدعت بالامر واستدعيت الرجل الذي اخذ الباشا يناقشة مناقشة شديدة
اخذاً أباه تارة من شعوره الديني كسمل وطوراً مهدداً او واعداً بالمال وفي النهاية
اعترف الرجل بانه بحار مسكين عهد اليه بإيصال رجل يجله الى لبنان مقابل عشر
مجديبات دفعوها له فقام بمهمته هذه واولى الرجل الى الساحل الا انه لما اقترب منه
شاهد اندورية لان احد افرادها كان يدخن سيكارة فخاف الرجل الذي كان

معه العاقبة فنزل في البحر قائلاً انه سيذهب الى الشاطئ سباحة وطلب اليه ان يتابع سيره وبهذا ينقذه و ينقذ نفسه من تبعة نقله فكان ما اراد الرجل منه وعلى اثر ذلك اخذت من البحار المصري اوصاف الرجل الذي جاء معه دون فائدة لانه لم يعثر له على اثر بل اختفى

اما البحار فقد حكم عليه بالاعدام بتهمة الجاسوسية ونفذ به حكم الاعدام قبل شروق شمس اول تشرين الاول سنة ١٩١٥

الا ان هذه الحادثة دلت احمد جمال باشا ان رسل الافرنسيس منتشرون في لبنان بكثرة هائلة وان من الضروري والحالة هذه مطارديهم ولهذا الفت فرقة من « القبضيات » البيروتيين وبعض اللبنانيين في السواحل لمطارديهم وسنأتي على ذكرهم مع اسمائهم في فصل خاص

الفصل السابع عشر

قلنا في سياق حديثنا عن كيفية الغاء امتيازات لبنان والامتيازات الاجنبية التي كان يتمتع بها هذا الجبل ان من جملة الفوائد التي حصل عليها جمال باشا وجود مسيو تافيل بك مدير المصرف العثماني في بيروت

ومسيو تافيل بك افرنسي الاصل كان جد محبوب من جمال باشا وهو صديق حميم له اوجب دخول تركيا الحرب العالمية ضد فرنسا ابعاده الى بلاده ولكن انحراف صحته بالظاهر حال دون سفره فظل في بيروت الى شهر ايلول سنة ٩١٥ وسافر على احدى البواخر الاميركية الى مصر ومنها الى بلاده ولم بق الرجل في بيروت بمهمة خاصة من قبل احمد جمال باشا وهي عبارة عن مفاوضة مع الافرنسيين

وقبل ان نسرد عنها شيئاً نبدأ بذكر مفاوضات سبقتها وهي وان كانت ليست ذات علاقة مع هذه الانها ذات شان تدل على حقيقة عقلية القابضين على زمام الادارة في السلطنة العثمانية والى القراء ذلك

مخاوف السلطان رشاد

قبل ان يتم النصر للقوات العثمانية على الخلفاء في معارك اب كان موقف الدولة شديد الخطورة لان الخلفاء بعد ان فشلوا بضبط المضائق نجحوا في انزلوا فيهم قوات عظيمة لفتحها بواً وكانت هذه المحاولة سبباً في مخاوف السلطان محمد

رشاد الخامس الذي رأى عاصمته مهددة من البر والبحر فالحلفاء في جهة المضائق والروض من البحر الاسود

و بعد ان رأى رجال حكومته يتفقون مع الالمان على وسائل الدفاع عن الاستانة و يحجزون حقائب القصر استعداداً لنقل السلطان والعاصمة الى قونية ففكر في مفاوضة الحلفاء

ولكن كيف يتم له ذلك ؟

— ان السلطان محمد رشاد كان غير واثق برجال حكومته معتقداً تمام الاعتقاد انهم آلة صماء بيد الالمان وان مجرد ابدائه رأياً في هذا السبيل كاف لاتهمه بالجنون والحجز عليه ان لم يعمدوا الى قتله وكان لا يجد حوله احداً من المخلصين يساوره بما في نفسه

وتلفت السلطان حوله فلم يجد امامه الا شخصين ولي عهده الامير يوسف عز الدين الذي يكره انور باشا لانه ادخل الدولة في الحرب العالمية وولده الامير ضياء الدين فشاورهما في الامر ورأى ان ولي العهد شديد الكره لانور باشا يعتمد على خطة جنونية لانقاذ الموقف وهي اعتقال انور باشا وترك السلاح بتاتا ومحكمة هو لاء الخونة واعاءاهمهم

ولكن ماذا يكون مصير الدولة بعد هذا العمل ؟

هذا امر لم يهتم له الامير المندفع وراء حقهده على انور باشا غير حافل بالتهديد الذي وجهه طاعت باشا قبل ايام بضرب الاستانة بواسطة الدارعتين الالمانيتين غوين وموسلو اذا ما حاول حزب الحرية والائتلاف القيام بحركة على الحكومة تلك الحركة التي كانت مقررة ليوم ٢٠ كانون الثاني سنة ١٩١٥

ولهذا لم ترق هذه الفكرة للسلطان محمد رشاد والتفت الى ولده الامير ضياء الدين فاذا رآه خير من رأي ولي العهد

فكرة الامير ضياء الدين

وقد اقترح الامير ضياء الدين ان يعمد السلطان سراً الى مخافة الحكومة

الافرنسية وعقد صلح منفرد بينه وبينها حتى اذا نضجت هذه المفاوضات واتفق الفريقان على طريقة توقيع الصلح نفذ السلطان فوراً فكرته هذه وبسبب في امكانه القضاء على انور باشا ورفاقه وتسليمه الى القضاء بتهمة زج السلطنة في الهاوية التي وقعت فيها

وقد راققت هذه الفكرة للسلطان محمد رشاد وشاور ولده الامير ضياء الدين في طريقة تنفيذها ولكن عقليهما المحدودين لم يمكنهما من الوصول الى نتيجة مرضية ولهذا عهد السلطان الى ولده بدرس الامر فوعده بذلك وانصرف .

ولم يكن الامير ضياء الدين ممن رضي عنهم الاتحاديون بل كان موضوعاً تحت مراقبتهم وقد شاور الامير في فكرة والده السلطان طيبه الخاص الدكتور آ . م . بك الذي كان بدوره من الناقين على الاتحاديين فوعده خيراً .

تطور الموقف السياسي

جرت هذه الامور في شهر شباط سنة ١٩١٥ وكان انور باشا يتفقد الجبهة القفقاسية وطلعت باشا منهمكاً في مقاومة الحزب المعارض بالطرق السلمية .

وكان السلطان وولده وطيبه الخاص يتديرون الطرق لخايرة الافرنسيين لعقد هدنة منفردة .

ولما عاد انور باشا في اليوم السادس من شهر شباط سنة ١٩١٥ الى الاستانة تبدل الموقف تماماً فانه اراد ان يبطش بشدة بخصومه انداخليين فنجح الا ان المخاويث بين السلطان ومناصريه لم تقف ولكنها لم تتقدم خطوة واحدة لان عقول هؤلاء الرجال الثلاثة القاصرة لم تمكنهم من السير اكثر من ذلك .

وفي اليوم السابع من شهر شباط تقدم السلطان محمد رشاد باقتراح جديد يدل على بلاهة متناهية وهو ان ترسل باحدى الطرقتين الى قائد

الاسطول الافرنسي المهاجم للمضايق تنضم من طلب الامتناع عن ضرب المضايق
واعلان الهدنة ريثا تم المفاوضات التي ستطلب من حكومة باريس
و بالرغم من اننا في شهر شباط وهو الشهر الرابع بعد دخول تركيا في الحرب
العالمية فان المسيو ليدو ، رئيس تراجة السفارة الافرنسية ، والمسبوستيغ المدير العام
للمصرف العثماني ، الافرنسيين لا يزالان في الاستانة ضيفين على السفارة
الاميركية وكانا في الوقت الذي اقترح السلطان عقد الهدنة يستعدان للسفر الى
باغار با بطريقتها الى وطنها ولهذا فكر الامير ضياء الدين بمخايرتها في الامر

الموقف في ذلك الوقت

كان الموقف السياسي في ذلك الوقت شديد الخطورة لان الاتحاديين لم
يتمكنوا في الاشهر التي دخلوا فيها الحرب من السيطرة و بسط نفوذهم على البلاد ،
والموقف في الاستانة يختلف عنه في سور يالان الاتراك من سكان الاستانة
يرون انفسهم اسيااد الحكومة وان على الحكومة ان تعمل مايريدونه بعكس
الموقف في سور يالان هناك مجرد ذكر اسم احمد جمال باشا كان كافياً لالقاء
الرعب في القلوب واخافة الناس

ولهذا كان الموقف في شهر كانون الثاني الذي سبق هذه الحوادث خطيراً
جداً فالاشاعات كانت تتوالى و كلها لم تكن بجانب الاتحاديين كما ان اركان
حزب الحرية والائتلاف المعروف بنزعته السياسية ضد المانيا وميله الى بريطانيا
كانوا يواصلون عقد الاجتماعات السياسية وافهام الرأي العام ، عن طريق
الاشاعات ، ان البلاغات الرسمية التي كان يذيعها الالمان كاذبة وان دخول
تركيا في الحرب العالمية غير حقيقي وان الانكليز قد احتلوا البصرة وهم يتقدمون
الى قلب البلاد العربية وهم في الوقت نفسه يعملون في سبيل مهاجمة الاستانة عن
طريق المضايق وفي هذه الحالة لا يكون مصير الدولة الا الهلاك والاستعباد وانه
لا بد ، الحالة هذه من انقاذ الموقف وذلك بقلب الحكومة الحاضرة ويجاد
حكومة اخرى مكانها يثق بها الخلفاء وبذلك يتم انقاذ الموقف تماما

ولم يوقف الائتلافون دعاياتهم عند هذا الحد بل تعدوه ايضا الى
اذاعة المنشير الثورية

ولم يكن في ذلك الوقت من اقطاب الاتحاديين الا طلعت باشا لان انور
باشا كان في الجبهة الفغفغاسية وجمال باشا في الجبهة الفلسطينية و بات طلعت باشا
شديد الحيرة لا يعرف ما يصنع اقدم على استعمال الشدة ام ماذا ؟

وفي النهاية هذا ، بحديث له مع بعض الوجوه ، بضرب الاستانة بالقنابل اذا
ما حاول احد من اهائها القيام بعمل ما وليؤيد وعيده هذا اوقف الدارعتين غو بن
ويوسلو في موقف قريب من الاستانة يشاهد هما الجميع وكان عمله هذا خير موثر
على الرأي العام في العاصمة الذي بدأ منذ ذلك الوقت يشعر بخطورة الموقف وشدة
الحكومة ، والشدة في الشرق هي دوما السلاح القوي الذي يعتمد عليه
الحكومات القابضة على مقدرات الامور في ادارة رعاياها لانه لم
يقم حتى الآن حكومة شرقية واحدة تعتمد على شعبيها في ادارة
شؤونها العمومية

وقد كان هذا التهديد الذي وجهه طلعت باشا بدء التدابير الشديدة التي
تذرع فيها هو وحكومته في سبيل قمع الفتنة التي دبرها الائتلافون لقلب نظام
الحكم في تركيا .

المفاوضات السرية

في هذا الجو السياسي المكهرب في الدائنية وفي الجبهة الحربية عن السلطان،
رشاد ان يفاوض الخلفاء سرّاً ودبرت المؤامرة على الوجه الذي عيناه
وفي ذلك الوقت عقد اجتماع في قصر الامير ضياء الدين ، الموجود حالياً في
بيروت ، تقرر فيه ايفاد محمود بك لمقابلة اسيو ستينغ ، المدير العام للمصرف العثماني
في تركيا ، ومخبرته بالامر وقد ذهب المندوب وقابل الشيخ ستينغ فقال :
- انني شديد العجب من هذا الاقتراح الذي لا ادرك معناه فسفيرنا
وزميلاه الانكليزي والروسي لم يتركوا وسيلة الا تشبوا بها في سبيل حمل

الدولة للوقوف على الحياذ وقد كان في امكان السلطان حينئذ ان يقبل الوزارة
و يحول دون دخول دولته الحرب لهذا . . .

— انكم تشكون في الامر وهذا حق من حقوقكم وانتم هنا تحت المراقبة
ولكنني اتقل اليكم الحقيقة كما هي وانا مستعد لان اثبت لكم ذلك
— وماذا يريد السلطان ؟

— ان السلطان اتخذ قراراً جدياً في الامر فهو يريد ان يرسل بوقية الى
الاميرال الافرنسي الموجود على رأس الاسطول المهاجم للمضائق يطلب منه فيه
ايقاف الحركات الحربية الى ان تخلى الحكومة الافرنسية ويتفق معها على
شروط الهدنة .

-- ولكن كيف يقدر الاميرال ان يقوم بهذا العمل دون امر باريس ؟
— ان السلطان يريد في الوقت نفسه ارسال بوقية ثانية الى باريس
بالمعنى نفسه .

— ولكن هل سمي عن بال السلطان انه ليس الحاكم المطلق وان بلاده
دستورية وليس في امكانه ان يقرر مقدراتها من عندياته

— لقد افهمنا جلالته هذه الحقيقة الا انه يرى ان الموقف يبرر عمله هذا
— لقد تكلم كالاولادو مع هذا ففي امكاننا ان نقوم بعمل ما الا ان
هذا العمل لا يمكن ان يتم الا اذا كانت لدينا قوة نستند عليها فهل في الامكان
الحصول على البرقية المذكورة بتوقيع السلطان
— نعم . ويمكنكم ان لا تقوموا بمثل هذا العمل الا اذا حصلت على هذه
البرقية الموقعة من السلطان

— هذا حسن ولكن كيف يمكننا ارسال هذه البرقية ؟
— هذا ما جئناكم لاجله ، فنحن نعلم ان ترجمان السفارة الافرنسية المسيو
ليدو موجود الان في السفارة الاميركية ففي مقدوركم مفاوضته في الامر
واخذ رأي به — سنرى ذلك

طريق ارسال البرقية

هذا نص الحديث الذي دار بين الرجلين بعد مقدمات لا فائدة منها سمعتها من فم محمود بك الذي رواها لي في سويسرا بعد الحرب العالمية وهو لا يزال في قيد الحياة يؤكدها كد صحتها

وفي اليوم الثالث لهذا الحديث عاد محمد بك الى مقابلة المسيو ستينغ فاعلته انه خاير بالامر المسبوليدو الذي لا يرى فائدة من هذه المخابرات لانها ليست ذات صيغة رسمية وليس في امكانها ان تؤثر على الموقف الحاضر ومع هذا اري ان تاتوا انتم بنص البرقية الموقعة من الساطن فيرسلمها ضمن الاوراق الرسمية الى السفارة الاميركية في صوفيا وهي بدورها تسلمها الى السفارة الفرنسية فيها لتطيرها الى الاميرال ووزارة الخارجية الفرنسية وانه هو (اي المسيو ستينغ) يبرق ايضا بواسطة فرع المصرف العثماني في الاستانة الى باريس بالحديث الذي دار بينهما وبامر البرقية وبطلعه بعدئذ على نتيجة رد وزارة الخارجية الفرنسية وعلى هذا اتفق الرجلان وذهب محمود بك الى قصر الامير ضياء الدين يعرض عليه الموقف ويبين ضرورة كتابة نسختين من القرار ايقدما الى الرجلين

لم يعد محمود بالبرقية التي وعد بها المسيو ستينغ لان انور باشا الذي رجع في ذلك الوقت من الجبهة الحربية عرف بحقيقة المؤامرة التي يدبرها السلطان محمد رشاد وقد كانت معرفته اياها بواسطة الجارية «كلنهار» التي رأت تردد الامير ضياء الدين على والده وهو البعيد عن هذه الزيارات فانصت للحديث وعرفت بادوار هذه المؤامرة التي حال انور باشا دون اتمامها بمصارحته السلطان بالموقف وعدم خوفه من العاقبة وقد اعلنه السلطان ان خوفه هذا غير ناجم عن كرهه للامان بل لانه يخشى ان يقدم الحلفاء على اختراق المضايق فيضيع عرشه وهذا كل ما يخاف منه فامنه انور باشا على هذا الامر مؤكداً له عدم تمكن الحلفاء من اختراق المضايق وبذلك اعاد الى السلطان شيئاً من هدوءه

انتقام انور باشا — وكان اركان المصرف العثماني في ذلك الوقت يشتغلون في وظائفهم دون اقل معارضة الا ان انور باشا ما كاد يعرف بادوار هذه المؤامرة حتى جمع مجلس الوزراء واستصدر منهم اوامر بضرورة كف يدهم لاهل الموظفين الافرسيين واخذهم اسرى حرب

ولما اتصل هذا الامر بالمسيو ستيغ ادرك حقيقة الامر وفي اليوم الثاني لهذا الحادث غادر الاسنانه مع رفيقه ترجمان السفارة الافرنسية الى صوفيا العاصمة البلقارية و بعد يومين لحق به محمود بك ورجل ارميني اخر يدعى ارام وفتاحهما ثانية باقتراح السلطان محمد رشاد

الا ان المسيو ستيغ اجابها هذه المرة صراحة قائلا :

— لقد اعلمت محمود بك قبلا عدم تمكن السلطان القيام باي عمل كان لانه مقيد وقد بلغني ما كان بينه وبين انور باشا الذي اتخذ ولا بد الاحتياطات اللازمة لهذا الامر لذلك لا ارى اقل فائدة من وراء مساعيكم هذه

— ان السلطان اخبرنا ما كان بينه وبين انور باشا واخبره اياه بالحقيقة الا اننا عدنا واقنعناه بخطاه في اخبار انور باشا بعد التدابير الشديدة التي اتخذها الاخير وقد اقنعنا السلطان بهذا الامر وسلمنا تحريراً يتضمن تفويضنا مخافة وزارة الخارجية الافرنسية مر يابعد اتفاق معها وجل ما نطلبه منكم في الوقت الحاضر مساعدتنا في الوصول الى باريس لمفاوضة وزير الخارجية الافرنسية

قبل المسيو ستيغ بهذا الاقتراح وارفق الرجلين بكتاب الى باريس للمسيو جورج ليجيه ميينا له فيه حقيقة المفاوضات

مفاوضات باريس — وكان الافرنسيون على معرفة بحقيقة ما يجري في بلادنا لان شبكة الجاسوسية المنظمة التي وضعوها افهمتهم كل الماورات التي تدور في هذه البلاد ولهذا ما كاد محمود بك ورفيقه يصلان باريس ويقدمان الكتاب الى المسيو جورج ليجيه حتى رأيناه ينصرف لمحدثهما عن الموقف الحاضر في السلطنة العثمانية كأنه يرى بهما جاسوسين اتيا حديثا من البلاد العثمانية في مقدورهما ان

يؤدبها له اخباراً ذات اهمية ومع ان محمود بك امتنع عن محادثته في هذه الامور
الخارجية عن صدد المهمة التي جاء لاجلها فان ارام بك كان اكثر صراحة منه لانه
ما لبث ان اطلعه على ادوار المفاوضات الموجودة بين الدولة وبلغاريا وبحقيقة
الموقف في داخل البلاد فاثبت بذلك نظرية الاتحاديين القائلة بعدم الثقة ولو جزئية
في غير العناصر العثمانية الاسلامية

وقال لنا محمود بك وقد رأيت ان الموقف تبدل فبدلاً من ان يفاوضنا
مندوب الخارجية الفرنسية في المهمة التي اتينا لاجلها انصرف الى اخذ الاخبار
كانه لا يرى فينا مندوبين رسميين سرعيين للسلطان العثماني بل جاسوسين اتيا الى
باريس ليقفلا اليه حقيقة الموقف السياسي في السلطنة العثمانية ولست انكر انني
ندمت كثيراً على الحضور مع هذا الرجل الارمني لانني وجدت نفسي معه
جاسوساً على امته وبلاده ولهذا امتنعت عن زيارته كما ان الرجل الفرنسي نفسه
لم تعد ترقه زيارتي لانه لم يجد في الرجل الذي يمكنه ان ياخذ منه المعلومات التي
تهمه عن بلاد معادية له ولهذا مكثت مدة اسبوع دون ان اخرج من الفندق
وانا افكر في طريقة اخرج بها من البلاد دون ان يشبهه بامري

مقابلة وزير الخارجية - وفي اليوم الاخير من شهر حزيران سنة ١٩١٥
تلقيت مذكرة تتضمن ما نصه :

« ان رئيس غرفة وزير الخارجية يرجو المسيو محمود بك الحضور الى
ديوان الوزارة في الساعة السادسة عشرة من يوم اول تموز سنة ١٩١٥
شغال وأمة »

وفي الوقت المعين قصدت (الكلي دورسه) مقر وزارة الخارجية فاستقباني
السكرتير هناك بحفاوة طالما اعتدناها من الفرنسيين واعلمني ان وزير الخارجية
المسيو دالكاسيه يرغب في مقابلتي وطلب مني الانتظار لاعلامه بالامر وبعد
دقائق دخلت غرفة الوزير الذي ظل جالساً في مقعد ورد علي التحية بشي، من
الفتور ثم سألني :

-- هل انت تركي ؟

قال هذه الجملة بشي، من الاحتقار لعنصريتي الامر الذي ساءني جدا
ولهذا احبته بفرور :

— نعم تركي ومن انقره

فقال — وماذا جئت تصنع هنا ، هل من مهمة اوفدت بها الى هنا في
هذه الظروف ؟

— نعم

... لتتجسس علينا

— است جاسوسا باحضرة الوزير ولم آت الا بمهمة من قبل مولاي السلطان
ورجالك عرفوا هذه الحقيقة

— ولكن رفيقك اخبرنا بكل شي وهو تركي ايضا

— كلا بل ارمني لان التركي لا يخون بلاده

وهنا ظهرت الحدة على الوزير الافرنسي واخذ يتمتم بعض عبارات مملوغة من
الاهانة لامتي الامر الذي لم يعد في امكاني الاصطبار عليه فقلت :

— لا اعتقد باحضرة الوزير انكم استدعيتوني لاهانتني واهانة امتي فاذا كنتم
غير راغبين في استماع مهمتي فافعلوا ما تريدون وهاانا ذاهب
— الى اين ؟

— الى بلاديه

— انك غير عاقل لان في امكانك ان تذهب من هنا الى السجن كجاسوس

— هذه هي اهانة جديدة لا اقبلها قط وانا ذاهب

قلت هذه الجملة وحيثه وانصرفت الا انني ما كدت احاول الخروج حتي
عاد ودعاني مبدلا لهجته الاولى وقام واقفا يقول :

— محمود بك انا شديد السرور من نتيجة هذه المواجهة ففضل بالجلوس
وقد وقفت حائراً من هذا التبدل فما سببه ؟

ولماذا وقف الوزير معي موقفه الاول ؟

يعتقد ابناء الغرب ان الشرقي جبل على الذل والخنوع وان في مقدورهم ان يكيلوا له الامانات جزافا وهذا امر كان له شيء من الحقيقة قبل الحرب العالمية لانه كان في مقدور الساسة الغربيين ان يستثمروا اكبر شرقي يوم بلادهم مقابل شيء من المال حتى اننا كثيرا ما رأينا الوزراء والنواب والسفراء يفضحون اسرار بلادهم الى معتمد اجنبي مقابل بكرة من المال ، وهذا ما كان يعتقد الوزير الفرنسى المسبو دالكاسيه عندما وفد محمود بك ورفيقه الى باريس ولهذا ساءه أن يرى آرام افندي والي مدلي السابق يدلي الى مندوبه بما يريد من معلومات دون محمود بك الذي عرف عنه انه من المقر بين من السلطان ولهذا استغزه بتلك العبارات التي طالعها القراء آنفا الا انه لما وجدته غير ما اعتقد به وبرحال الشرق بدل نظريته فوقف له مرحبا ودعاه للجلوس ثم فاتحه بمهمته قائلا :

— مسيو محمود بك ان آرام اخبرني بالادوار التي لعبتها هذه المفاوضات وبتمامها ولكن اتعتقد ان في مقدور السلطان ان يفعل شيئا من هذا ؟

— ان جلالته فوض الى الامر

— ولكن جلالته على وشك الموت !

— ماذا ؟ !

— نعم ، فان البرقيات الواردة اليها في هذا الاسبوع تدل على ان هناك مؤامرة دبرها انور باشا لاغتتيال السلطان وقد دسوا له السم وان سبب ذلك هو خوفه من ان يقدم السلطان على مفاوضاتنا -- عجيب !

— ليس هناك من عجيب وهذه هي الحقيقة كلها وقد يكون السلطان غير مريض الا انه من المؤكد ان انور باشا حجز عليه في قصره ليحول دون اتصاله بالخارج ولهذا لم يعد لمهتمكم هذه اقل اهمية ، ثم كيف تريدون ان يكون الاتفاق وليس بيد سلطانكم قوة ، لانها موجودة بيد انور باشا ورفاقه وعلى هذا ماذا ترون ؟

— ان للسلطان فئة كبرى في البلاد توءم يده

— والجيش ؟

— ؟ ؟ ؟ . . .

-- ان مثل هذه المفاوضات لا يمكن ان تتم على هذه الصورة لسببين
الاول وجود السلطان في بلاد دستور به ايسر له فيها شيء من الحول والقوة والثاني
وجود الجيش بيد اعدائنا الالمان فالخطة الوحيدة الممكن ان تنجح يا عزيزي
مسيو محمود هي الثورة

قل لمولايك ان الحلفاء يحفظون عرشه اذا ما نشبت الثورة وترك الترك سلاحهم
اما بغير ذلك فليس هناك اقل مجال للمفاوضات

تدابير الخارجية الفرنسية -- هذا هو الحديث الذي دار بين مندوب السلطان
محمود بك ووزير الخارجية الفرنسية المسيو دالكاسيه ولما كان الاخير مشهوراً
بشدة حقه على الدولة العثمانية وكرمه رجالها اخذ يفصل لمحمود بك التاثير الواجب
اتخاذها في استمبول لهدم حكومة الاتحاديين واحداث قتن في السلطنة العثمانية
وكانت خطته هذه تنحصر فيما يلي :

اولا — نشر الدعايات ضد الحرب في سائر انحاء السلطنة العثمانية

ثانيا — تنشيط الحزب الائتلافي في البلاد ليتولى مقدرات الامور لشقة
الحلفاء به .

ثالثا — محاكمة اركان الحكومة والذين ادخلوا الدولة في الحرب العالمية
بتهمة الخيانة العظمى

رابعا — مقاومة الالمان

الا ان هذه الخطة وغيرها من الخطط السياسية لم ترق لمحمود بك الذي لم يعد
في الوقت نفسه يجسر على العودة الى تركيا وبذلك فشلت هذه المفاوضات
السرية التي تولاهها محمود والتي اعتقد انها خطة غير صائبة في ذلك الوقت لاسباب
عديدة لا مجال لذكرها في مذكراتنا هذه

المؤامرة ضد سلطان

وقد لحظ القراء من حديث المسيو دالكاسة ، وزير خارجية فرنسا ، مع محمود بك ان الوزير انبأ المندوب بمرض السلطان متسماً وان انور باشا هو الذي سممه ليتخلص منه

ولست انكر على القراء ما دمت اروي هم الحقائق ان الاشاعات انتشرت في العاصمة العثمانية في ذلك الوقت العصيب الذي بدأت فيه الحكومة باستعمال الشدة وكان العدو يهاجم بقوانه المضايق لاغتصاب العاصمة وما لبث الرأي العام ان اعتقد بهذه الاشاعات وهي ان السلطان بحالة النزاع وان مرضه هذا كان من جراء تسممه وان الذي سممه هو انور باشا حتى ان البعض قالوا ان السلطان مات وان انور باشا اخفى امر موته عن الناس كي لا ينزول العرش الامير يوسف عز الدين ولي العهد وعدو انور باشا اللدود

وفي الحقيقة انه لم يكن لهذه الاشاعة من نصيب من الصحة خصوصاً وان من صالح انور باشا ورفاقه ان لا يموت السلطان كي لا يحل مكانه ولي العهد وجل ما هناك ان السلطان محمد رشاد كان مصاباً بمرض المثانة وكانت حالته الصحية وكبر سنه لا يتحملان اجراء عملية اخراج الحصى ولكن لما اشتدت الآلام لم يرار كان الحكومة بدا من اجراء هذه العملية ولما كان مهم جداً امر بقاء السلطان في ذلك الوقت في قيد الحياة قرروا ان يجمعوا بعض الاطباء لدرس الموقف فابرقوا الى الدكتور برغرس الالماني يستدعونه من المانيا فلي الدعوة وفي اليوم الـ ٢٣ من شهر حزيران سنة ١٩١٥ اذاعوا بلاغاً هذا نصه :

« على اثر اشتداد الآلام على الذات الشاهانية من جراء الحصة في المثانة استدعي من المانيا النظامي المعروف الدكتور برغرس وفحص بالاتفاق مع زملائه الاطباء : امراييل ، سايمان نعمان ، عاقل اورخان ، طاباطا ، بابا ، الذات الشاهانية وقرروا اجراء العملية بنهار غد الخميس »

وقد اجريت العملية في الوقت الذي عينه الاطباء ولما كانت بنية جلالة

ضعيفة اضطر الى ملازمة فراشه حتى اليوم الخامس من شهر تموز سنة ١٣٣١
المصادف ١٨ تموز سنة ١٩١٥ وخلال هذه المدة الطويلة راجت الاشاعات
المتنوعة التي قيل فيها بمرض السلطان وموته والحقيقة هي كما بيناها وعرفت في
ذلك الوقت .

الا ان هذه الاشاعة تدل على مقدار اهتمام الحلفاء بكل ما يجري في البلاد
وبان رجالهم السريين الموجودين في العاصمة كانوا ينقلون اليهم حتى مثل هذه
الاخبار النافذة من الاشاعات التي تردد في العاصمة
هذا هو الدور الذي مثل في مفاوضات السلطان محمد رشاد مع وزارة
الخارجية الفرنسية اما الدور الآخر الذي مثله احمد جمال باشا فيقسم الى عدة
فصول والى القراء الدور الاول منها .

.....

بدأت المفاوضات بطريقة غريبة لا تخطر بالبال قط لان القائد العام احمد
جمال باشا لم يكن ليفكر بها فمن الصعب عليه ان يقدم على مثل هذا العمل وهو
يستعد للحملة الثانية لاجتياز القناة ويعمل في الوقت نفسه على إلغاء الامتيازات
التي يتمتع بها الجبل ولكن فؤاد بك سايم رئيس شعبة الشؤون المصرية تلقى
اشعاراً من احد جواسيسه في مصر هذا نصه :

ان سيدة شقراء طويلة القامة ممتلئة الجسم ذات عينين عسلتين - رغم
اشقرار شعرها - تدعى افيدو كسيا قد سافرت الى فلسطين عن طريق لا
تزال مجهولة لدينا بعد ان قبلت المايجور ويليامس الذي اعلنناكم امره ونظف
ان اسمها مستعار . ج . ل . ٤٠ ٧٠

وقد احال فؤاد بك سليم البنا هذا التقرير السري الذي وصل
اليه في ١٢ تموز مع انه صادر عن الاسكندرية يوم ٢٢ حزيران اي بعد ٢١
يوماً من صدوره .

من هي افيدو سكا ؟ - وقد كان علينا ان نعرف ما اذا كانت هذه السيدة

قد دخلت البلاد بعد تاريخ ٢٢ حزيران وهو تاريخ النقر ير المرسل من...
الاسكندرية ام لا

ومع ان هذا الامر كان هبنا للغاية بسبب عدم وجود قوافل للسياح
في القدس فان الشرطة لم تعرف مقرها حتى لما وصلنا الى بيروت لم نر لها اقل
اثر في تقارير الشرطة .

وفي ٢٩ تموز رأينا سيدة في فندق بسول ذات جمال خلاب وعلمنا من
اصحاب الفندق انها سجلت في سجل الفندق باسم ناتاليا داودوفيتش من اهالي
الاستانة وقد رايت في امر هذه السيدة خصوصاً وقد رايت في اوصافها ما ينطبق على
ما جاء في التقرير المحال من فواء بك سليم الا ان شعر هذه كستنائي وشعر
تلك الوارد ذكرها في التقرير اشقر

ومع هذا ابرقت الي مديرية الشرطة في الاستانة سرّاً أسألها عن هذه المرأة
بعد ان وضعت احد رجال الشرطة السرية على مراقبتها الدقيقة
وفي اليوم الثاني تلقيت من الاستانة بوقية هذا نصها :

ناتاليا هي بنت صموئيل داودوفيتش فتاة امرايكية تزوجت سنة ١٩١٢
موريس لوبلاشت الافرنسي وما لبثت ان هجرته وسافرت الى جهة مجهولة
والمعلومات التي لدينا لا توجب الاطمئنان اليها خصوصاً وانها عرفت بتبردها على
السفارة الافرنسية من شباط سنة ١٩١٤ الي تشرين الثاني حيث اختفت اثر
دخول الدولة في الحرب العالمية

هذا نص البرقية التي تلقيتها عن هذه السيدة ولما كانت نازلة في فندق
كبير وهي بحاجة الى مصاريف باهظة رأيت ان اسفسر ثانية عن ثروتها فوردني
الجواب يقول ان والدها ترك لها شيئاً من الثروة وايراداً يقدر سنوياً بمائة ليرة
ذهبية وانها وحيدة يدير شؤون املاكها في تركيا المحامي عبد القادر صدي بك
تقرير الشرطي السري - وقد افادني الشرطي السري في تقريره الاول
ان هذه السيدة الموجودة في بيروت منذ اسبوع معروفة من الطبقة العليا فقد زارت

مساء ٣٠ تموز قصر ميشال بك - سرقى وتناول طعام العشاء فيه وظهر اليوم الثاني تناولت طعام الغداء على مائدة الفرد بك سرقى وبعد الظهر قامت بجولة حول المدينة مع عقيلة ميشال بك - سرقى وان سليم بك ثابت جاء الى زيارتها في الفندق فلم يجدها

وفي حفلة الفرد بك سرقى شاهدت هذه السيدة التي كانت اجمل الموجودات وسمعت من كانوا في السهرة يتقبونها بالاستمالة الحسنة

وقد لاحظت من تقارير الشرطة ان هناك شابا اسرائيليا يتردد عليها يدعي ابراهيم لبني مقدسي الاصل يقطن في غرفة خاصة في بيت المن في بيروت وهو يزورها يوميا وقد قالت عنه انه وكيها في بيروت يوم من سائر ما هي بحاجة اليه

ولهذا وضعت ايضا هذا الشاب تحت المراقبة فعلمت انه لا يزور الا شخصين الاول مسيو نافيل المدير العام للبنك العثماني في بيروت والثاني بحار يدعى محمد سعد الدين البيروتي وبهذا زاد الامر اهماما وزدت رغبة في معرفة امرار هذه المرأة خصوصا بعد ان قويت برأسي فكرة كونها نفس المرأة التي اشار اليها تقرير ج ٧٠ - مندوبنا السري في الاسكندرية

ولكن ما معنى انزواء هذه السيدة في الفندق وحصرها زياراتها في الطبقة العليا في بيروت

وما علاقتها بالشباب الاسرائيلي ؟

وما علاقة هذا الشاب بمدير البنك العثماني الافرنسي والبحار البيروتي ؟

ان كل هذه الامور كانت تمر بمخيلتي ونحن عائدون من رحلتنا الاولى مع جمال باشا من جهات جونية وجبيل وتواجهنا بعد رد الزيادة للبطريك الماروني

ولما عدت الى بيروت جهزت خطة وهي ابعاد المرأة عن غرفتها وبحث اوراقها وحقائبها لمعرفة ما قد تحويه من امرار وقد تسنى لي هذا الامر في اليوم الخامس من اب سنة ١٩١٥ حيث كانت هذه السيدة مدعوة لحضور حفلة اقيمت في

« نادي الاتحاد » الكائن تجاه فندق بسول

فقد اغتنمت هذه الفرصة ودخلت الغرفة فوجدت سبع حقائب سفر مملوءة

البسة نسائية وادوات الزينة واوراق هويتها الرسمية

وفيا انا اقوم بعملي هذا لامست يدي صدفة انا، للازهار موضوعا وسط الغرفة

فانقلب وانكسرت وتناثرت الازهار المرحودة فيه فالتفت لارى ما فعلت فاذا بي

جد ورقة كانت موضوعة فيها فالتقطتها فاذا فيها ارقام غريبة اخذت رسمها

ابالالة الفوتغرافية التي كانت معي وانصرفت وتركتم الورقة مكانها كي لا يخامر

المراة الشك وقد تبين لي من البحث ان الارقام مفتاح شيفرة

لا ارجب في ان ابين للقراء في هذا القسم قواعد الشيفرة التي نستخدمها

دوائر الاستخبارات عادة مع رجالها الا ان المعروف هو ان القاعدة تعطى الى رجل

على ان يكون تفسيرها موجود لدى الدائرة وقليل من المهارة والبحث يكفي

لمعرفة هذه القاعدة وهذا ما نجح فيه الالمان مراراً عند سرقة رجالهم مفاتيح الشيفرة

من الحلفاء حتى اضطر هؤلاء مراراً الى تغييرها

والورقة التي وجدتها لم تكن الا مفتاح شيفرة ادر كتم فوراً انها من الضابط

البريطاني الذي اجتمعت به السيدة في الاسكندرية ٠٠ ولكن كيف تخايره؟

من ثم علمت ان السيدة منذ اتت لم ترسل الى البريد الا كتابا واحداً وهو

لو كيها في استمبول اذ ان الخبايا ترسل والحالة هذه بواسطة الشاب ابراهيم ولهذا

راقبه بشدة الى ان تمكنت مساء ٨ اب من رؤيته وهو يسلم محمد سعيد تحريراً

فخر كنه يعطيه اياه وذهبت اراقب الاخير الذي سافر صباح ٩ اب باكراً بعربات

النقل وهي نوع قديم من العربات لنقل الركاب بين بيروت وصيدا فركبت معه

الى صيدا وحال وصوله توجه توجاً الى الساحل الشرقي من المدينة وظل سائراً على

الشاطئ الى ان ابتعد عن صيدا مقدار ثلاث كيلومترات وكان الظلام شديداً

والساعة التاسعة ليلاً فرأيت يقف ويسير يبع هناك الى الساعة الحادية عشرة ليلاً حيث

عمد الى فانوس كان معه فاضاء ورفع فوق رأسه ثلاث مرات ادر كتم انها

إشارة منه إن في البحر وقد كرر الأمر ثانية فإذا الإشارة نفسها تظهر من البحر وتغيب و بعد دقائق رأيت زورقا يقترب من الجهة التي كنا فيها

ابن خفراء الساحل ؟ — ولست افشي سرا إذا حدثت القراء بضعفنا من كل الوجوه خلال الحرب العالمية فإن المسافة الممتدة على الساحل بين حيفا وبيروت والبالغة ٢٥٠ كيلومترا ليس فيها سوى ٥٠ جنديا من الجنود المولجين بحماية الساحل أي ان كل جندي من هؤلاء مولج بحماية خمس كيلومترات هذا اذا اشتغلوا مع رؤسائهم ليلا ونهارا ولكن المراقبة في الحقيقة كانت مفقودة والجنود لا يفكرون بحماية الساحل بل بحماية انفسهم مع عائلاتهم من الجوع واقل مبالغ زهيد كاف لتحويلهم الى مساعدين مؤازرين ولو كان الراشي راغباً في تهريب جيش من العدو

ورغم ادراكنا هذه الحقيقة لم نتوصل قط بالطرق الواجب اتخاذها لمقاومتها بل ظللنا ساكتين عنها لانه كان ينقصنا المال والجنود والاحلاص منهم ومن ابناء البلاد ولهذا سكنت عن الرجل الى هذا الوقت لانني منذ المساء لم ار احداً من جنود الساحل لاستعين به على المراقبة وتوقيف من بالزورق ولو لا الظلام لما خفي امري ولعرف به الجميع وكانت عاقبتى وخيمة

وقد يعترض معترض ويقول بما انك شاهدت محمد سعيد البيروثي ينقل الكتاب ورافقه بعربة واحدة ورأيت المكان الذي وصل اليه فلماذا لم توقفه ؟ والجواب على ذلك هو انني اردت معرفة سر المخاطبة ولهذا تربصت في مكاني الى ان اقترب من في الزورق و كنت محتبئاً وراء شجرة ضخمة اتمكن من رؤية الزورق وقدر كز على مقدمته مدفع رشاش يمسك به أحد الجنود ووراءه جندي آخر يمسك دفة الزورق البخاري والى جانبه بحاران يجدفان كي لا يسمع صوت المحرك عند اقترابه من الساحل وآخر جالس في الوسط ولما وصلوا الى الساحل صاح الذي كان في الوسط وقال بالعربية — من في الليل ؟

فأجابه الرجل — النهار

وكانت هاتان الكلمتان للتعارف بين الرجلين فما لبث راكب الزورق ان قذف بنفسه الى الساحل وبعد ان تحدث بصوت منخفض لم اسمعه مع رفيقه عاد الى الزورق الذي قفل مسرعاً من حيث اتى وظل الرسول واقفاً مكانه الى ان ابتعد الزورق عن الساحل فتابع سيره عائداً الى صيدا وما كاد يسير بضع خطوات حتى اوقفته مهدداً اياه بمسدسي ان لا يحير كلمة وان لا يرفع صوته ثم وضعت الاصفاة الحديدية بيده وسرت به الى صيدا دون ان احذثه بكلمة

امرار الاستمبولية الحسنة

كنا في صيدا عند الساعة الواحدة والنصف بعد منتصف الليل وما كدت اصل الى ادارة الدرك و يعرف بمقدمي قائدها ومتصرفها حتى اضطر باوهرعاً الى فاعلمتها انني قادم بمهمة سرية وامرتهما ان لا يبوحا بسري ثم اسدعت الرجل وقلت

— والان اخبرني عن حقيقة دورك في هذه لرواية

— انني ياسيدي رب عائلة مؤلفة من اربع اولاد

— ولكنك جاسوس على امك ودولتك ودينك

— مولاي

— اتعرف عاقبة الجاسوس ؟ انه يعدم فوراً ! لا تضرب فان انتقام الدولة لا

يقف عند هذا الحد بل يشمل زوجتك واولادك

— مولاي

— انك ارسلت تحريراً ولكن اتعرف هذا التحرير المملوء باخبار التجسس

يكون سبباً في هلاك مئات من اخوانك وابناء عمك ومواطنيك اذن استعداد للموت

قلت العبارة الاخيرة وناديت قائد الدرك وامرته بصوت عال

— قل للجنود ان يكونوا على استعداد لتنفيذ الامر

ثم التفت اليه وقلت

— استعداد للموت

— مولاي
 — ماذا؟ إلا تعتقد أنك مستحق القصاص جزاء خيانتك الكبرى؟
 — مولاي أنا على استعداد للتكفير عن خطاياي ولست إلا آلة بيد الغير
 — آه! إذا لست أنت الجاسوس المباشر
 قلت ذلك متظاهراً بعدم معرفتي الحقيقة لأري ما يكون فقال
 — كلا يا مولاي فما أنا إلا آلة بيد اليهودي الذي يدفع لي مقابل هذا العمل
 خمس عشر ليرة ذهبية
 — كم مرة ذهبت بمثل هذه المهمة
 — ثلاث مرات
 — ومن أرسلك؟
 — إبراهيم ليفي
 — ومن أي جهة أرسلت التحارير؟
 — إمن المكان الذي أوقفتني فيه
 — ومن لفتك إشارة السر؟
 — هو إبراهيم
 — وما هي غايتهم؟
 — لا أعلم
 هنا أدركت أن الرجل لا يعرف أكثر من ذلك واتفقت معه على أن
 يكون عوناً لي في معرفة استمرار هذه الجاسوسة مقابل العفو عنه
 وكان اتفاقنا أن يوافقني يوماً بالمعلومات التي يأخذها من مندوب الجاسوسة
 ولهذا أتاني مساء ١٠ أب بالتحرير وهو مكتوب بالشفرة التي معي نسختها وإذا
 به يصف الموقف في لبنان وأراء بعض اللبنانيين فيه ومحاولة المرأة الاتصال
 بالبصيريك لأفهامه أن الحلفاء يستعدون قريبا لمهاجمة الجبل حسب الأنباء
 الواصلة إليها
 وعند هذا الدليل لم يبق من مجال للشك في جاسوسية هذه المرأة ورفيقها إبراهيم
 ولم يبق إلا معرفة الدور الذي يلعبه المسيو تافيل بك مدير البنك العثماني في

بروت بهذه القضية ولذا قصدت الى احمد جمال باشا واطلعتة حرفيا على ادوار
هذه الجاسوسة فيأتني على اكشافاتي في هذه المدة القصيرة ثم امرني باستدعاء
السيدة سرّاً اليه

المقابلة السطرية

كان احمد جمال باشا قد تعرف الى الجاسوسة الحسنة الا ان هذه المعرفة
لغاية ذلك الوقت لم تعد قط حد تحببها وقد لاحظ احمد جمال باشا حبها التقرب
منه الا انه لم ير في هذه المحاولة كبير امر خصوصاً وان معظم السيدات كن
يحاولن التقرب منه نظراً لمر كزه العظيمة في البلاد ولهذا لم يأبه لها وقد رأيت الحال
فسبحا امامي لدعوتها فخرجت الى الشرفة اتزده فرأيتها هناك ساجدة في بحر من
الاحلام فحيتها فردت التحية وهي تعرف مر كزي من الباشا وتجاوزنا الحديث الذي
كان طبعاً حول الباشا فبينت لها بطريقة التلميح انها راق في نظر الباشا حتى انه
اظهر لي مراراً استحسانه

وقادنا هذا الحديث الى القول لها بان الباشا اليوم وحده وفي مقدوري ان
اجمعها به فسرت من هذا الامر وقالت انها تشرف بان تجتمع به
فاستأذنتها بضع دقائق لامهد لها السبيل ثم دخلت على الباشا واعلنته النتيجة
وتم الاتفاق على ان يدعوها في ذلك المساء الى مائدته وهكذا كان فجلسنا نحن
الثلاثة على مائدة واحدة تبادل المحاملات وبعد الانتهاء من الطعام دخلنا مقصورة
في صدر القاعة ثم اغلقنا رداءنا الباب وهو تدبير كان في الامكان الاستغناء عنه
لانه لا يجسر احدا ان يدنو من هذه الغرفة ومع هذا فقد اتخذناه كي لا يظهر من
الملاحق للضباط المائلين القاعة المجاورة ما ينم عن احاديثنا السرية

من هي الجاسوسة — وفي المقصورة تناولت السيدة القهوة ودخنت اللغائف
التركية وتمايلت دلالة معتقدة انها اقتنصت الباشا الا انه كان اهدأ ما رأيت في
حياتي دون ان يقول كلمة الى ان وجدته يقف ويذرع الحجر الصغيرة بخطوات

موزونة جيئة وذهاباً ثم رأته يقف امامها و يسدد نظراته الحادة نحوها
ويباغتها قائلاً :

- والان هل وصلت الى هدفك ؟
- هذا شرفاً ما كنت لاحظ به يا صاحب الفخامة
- اذاً ترين اجتماعك بي شرفاً وليس فوزاً
- انه على كل حال فوز ، وكثيرات يتمنين هذه الخطوة بالفخامة الباشا
- ليس هذا ما اريد بل انك وصلت الى ما تر يدن من تسقط اخباري
- سيدي

— لست سيد ساقطة مثلك فانت جاسوسة علي لاعداي فاعلمني الحقيقة
وهناحاوات ان تدافع عن نفسها الا ان الباشا ما لبث ان التفت الي وقال
— . . . ضع هذا الاوراق الموجودة

— فاخرجت امامه تحريرها الاخير وتقارير رجالي ومفتاح شيفرتها و كنت
كلما وضعت قطعة ارى السيدة ترتجف من شدة الانفعال والخوف حتى كادت
تفقد صوابها ولما رأت ان امرها انكشف اعولت ولكن الباشا امرها بمحبة ان
تأزم السمكوت وان تخبره بحقيقة امرها فقامت تتوسل اليه راكعة عند قدميه طالبة
الصفح والمغفرة وهو لا يأبه لها حتى انه لم يتنازل ان يترك لها قدمه ولما شاهدت
موقفه هذا طلبت الغفران فسأله ان تقول الحقيقة فقالت :

اعترافات الجاسوسة

انني تركية ياسيدي ابا عن جد ، قصدت مصر قبل نشوب الحرب العالمية
وفيهما اعتقلت بتهمة اشتغالي بالجاسوسية لحساب تركيا وقادني سوة الحظ للوقوع
في شرك الاستخبارات البريطانية المعروفة بالانتاجان من فريس واعلنوني ان في
امكانهم العفو عني شرط خدمتهم باخلاص والتجسس لهم على بلادى فوعدهم
خبيراً بعد ان غمروني بالاموال و كنت راغبة في العدول عن هذا العمل حين
وصولي الى تركيا الا انني بعد مغادرتي الاسكندرية اجتمعت بيور سعيد

بالملازم الافرنسي شوفيل وهو موظف في قسم الجاسوسية الافرنسي فاعلمني انه على معرفة باتصالي بدائرة الاستخبارات البريطانية وانه لا يريد ان يتعرض لشوئي في هذه الدائرة وانا حرة في متابعة الامر معه او عدمه وانما الذي يهيمه امر واحد . .
وهنا سكنت الجاسوسة والتفت الي كأنها لا تريد ان تحدثني بما قاله الملازم شوفيل عن مهمتها وقد ادرك جمال باشا نيتها هذه فالتفت اليها وقال :

— انه مساعدتي ولا اكتم عنه امراً وفي مكانك انت تقولي ما تريد بين امامه

فاجبت — قال لي المسيو شوفيل اننا نعرف انك محبة لفرنسا حتى تزوجت افرنسيا ولهذا نطلب منك ان تخدمني فرنسا بالاتصال باحمد جمال باشا واستمالته اليك ليقع بغيرك
احمد جمال — ماذا

— نعم طلبوا مني ان اتصل بك ليس لخدعتك واخذ امرار الجيش منك بل ليكون لدي المجال لان ادخل بمفاوضة معك ابى ان اكون وسيطة بينك وبين فرنسا

— ايه . . وماذا يقصدون من وراء ذلك ؟

— لا اعرف ! انهم طلبوا مني ان اكون وسيطة حتى اذا نجحت وعرفت نياتك من جهة فرنسا عمدت الى اخبار المسيو نافيل المدير العام للبنك العثماني — وماذا عرفت عن نياتي

— انهم قالوا لي انك رجل يحب لفرنسا تبغض الالمان وان في مقدوريه النجاح في مساعي — والان ؟

— ها انا بين يديك وفي امكان دولتك ان تفعل بي ما تريد — انك ستقابلين المسيو نافيل وتعلنينه نجاحك في مسعاك لمعرفة ما يكون من امره واباك ان تخوني والا فنصيبك الاعداء حتما

كيف بدأت المفاوضات — لم يهمل المسبب الكاسه وزير الخارجية حديث محمود بك بشأن مفاوضاته مع السلطان انما اهل الطريقه التي انت منها هذه المفاوضات لانه لم يكن يعتقد بنفوذ السلطان على رجال حكومته كما انه ما كان يعتقد قط ان وزير الحربية انور باشا ووزير الداخلية طلعت باشا والصدر الاعظم يمكنهم عمل شي، ضد المانيا خصوصا وان هؤلاء باتوا المانيين اكثر من الالمان ولهذا فكر في طريقه ثانية هي ثورة في سوريا يقطع بها هذه البلاد عن السلطنة العثمانية دون اراقة دماء .

واسنا هنا في صدد الابحاث والمسااعي التي دارت بين وزارة الخارجية الفرنسية ورجالها في الخارج وبعض السوريين واللبنانيين في مصر وغيره مصر لاحداث هذه الثورة الا ان المعروف هو ان فرنسا بذلت في هذا السبيل جهودا عظيمة وانما يهمننا في هذا الفصل ان نذكر مسعين

الاول — المخبرات التي دارت بين مصر وباريس

الثاني — المخبرات التي دارت بين باريس وجوفيا

فالحكومة الافرنسية لم تكن بالغية عن المفاوضات، التي دارت في مصر لاحداث ثورة عربية تلك المخبرات التي دخلت بصورة رسمية في الوبم الثاني من شهر تموز سنة ١٩١٥ الا انها كانت، تعلم تمام العلم ان هذه المفاوضات اذا بدأت كانت نتيجتها فوز بريطانيا لا فرنسا لانها تعمل لحسابها ولهذا ارادت ان تقوم هي بدورها بمناورة ثانية

وكان الافرنسيون يعتقدون ان في البلاد السورية شعبا يهب نورا في وجه الدولة العثمانية ولهذا قاموا يهدون له السبيل هذه الثورة ليكون لديهم ما يبرر تدخلهم في شؤون هذه البلاد خصوصا وان ظروفهم في ذلك الوقت ما كانت تساعدهم على نقل جندي واحد من بلادهم الى سوريا ولكن هذه المسااعي لم تسفر عن نتيجة ما كما ان اعدام القافلة الاولى من السوريين لم تؤثر على ابناء البلاد وتدفعهم للثورة ولهذا فكروا بالاستفادة من الموقف من غير الوجهة البريطانية

ومن غير وجهة ابناء البلاد وذلك عن طريق مفاوضة احمد جمال باشا نفسه وقد قام بهذا العمل اثنان الاول مصري والثاني بلغاري وقد كانا على اتفاق تام ولهذا اوفد المرکز المصري تلك الفتاة التي عرف امرها كما ان المصدر البلغاري ابرق بواسطة المسيو ستينغ في صوفيا الى المسيو تافيل — عن طريق السفارة الاميركية في صوفيا والقنصلية الاميركية في بيروت — لمعرفة الامر

والمسيو تافيل نفسه لم يجسر قط ان يتدخل في هذا الامر مباشرة لانه افرنسي الاصل ولانه كان في ذلك التار يخ مهدداً بالنفي وقد اخر امر سفره لمرض انتحله ولهذا قصده الترقية الحسنة الى منزله و يظهر انها قامت بمهمتها خير قيام فعادت البنا في اليوم الثاني تقول — ان المسيو تافيل يقول انه ليس لديه معلومات ما عن غاية الحكومة الفرنسية وانما الذي يعرفه ان المسيو ستينغ طلب منه ان يعرف حقيقة نيات الباشا من جهة فرنسا فاذا كانت موافقة لمعتقداتها فهي على استعداد لتوفد اليه مندوباً خاصاً يجتمع به في مكان يعينه له ساء كان ذلك في تركيا او في احدى المراكب الفرنسية على ان يتعهد الباشا باعادة المندوب سالماً كما ان فرنسا تتعهد باعادته سالماً وتبقى امره مكتوماً اذا اراد ذلك

سفر المسيو تافيل — وفي اليوم الثاني لهذا الحادث بلغني ان الامر مصدر الى المسيو تافيل بمغادرة بيروت فوراً الى بلاده على احدي البواخر الاميركية التي كانت تستعد للسفر بعد يومين وقد استغربت هذا الامر ان يصدر عن احمد جمال باشا خصوصاً بعد ان رأيت يصدر امراً اخر بتوقيف الشاب ابراهيم البني والبحار البيروتي وابقاء الانسة اليهودية حرة طليقة فقصدته اسأله عن هذه الامور فاجاب — ان ابراهيم ورفيقه سيحان كانا غداً في جاسة سرية ليعودا ربما بالرمحاص اما المسيو تافيل فسينفى وهذه الفتاة ستظل رهينة الى ان ارى ما يكون من امرها — ولكنني يا دولة الباشا وعدت البحار محمد سعيد بعفوكم

— وماذا يهم

— امركم

— هذه هي ارادتي

واكن هذه الارادة كما علمت لم تنفذ بتامها لان ابراهيم ليفي ومحمد سعيد البيروتي لم يحاكما امام الديوان الحربي العرفي بل اعدما صباح ٧١ اب رميا بالرصاص في دمشق دون اقل محاكمة فشفق احمد جمال على عائلة محمد سعيد فاقطعها تخصيبات ظلت تتقاضاها طيلة الحرب من ادارة المنزل وهي لا تعرف ما صار اليه ربهما سوى انه جندي في ساحة القتال واما ابراهيم ليفي فقد مات غير مأسوف عليه من احد وليس له احد من الاقرباء

لقد استغربت جداً محافظة احمد جمال باشا على الاسرائيلية الحسنة لان المعلومات التي جمعتها عنها لم تكن الا لتزيدي ثقة في خطورة موقفها فهي وان كانت استمبولية الاكمل الا انها كشيلائتها من بنات اسرائيل لا ترى وطنها الا المنفعة المادية

ولئن كانت جاسوسة انكليزية وبوسيطه افرنسية فهي قبل كل شيء يهودية واثيلاتها مطامع لا تأخرن عن تحقيقها بشتى الوسائل ولهذا كانت هذه السيدة في نظري محاطة بالالغاز وقد زادها ابهاماً في نظري اقدامها على استمالة احمد جمال باشا الذي بعد ان تأكد انها جاسوسة لم يعمد الى التضييق عليها بل بعكس ذلك عمد الى التخلص من رفيقها وابعاد من اتصلت به والاحتفاظ بها وحدها فهل احبها احمد جمال باشا ؟

وهل في الامكان ان يقدم على حب مثل هذه الفتاة وحوله مئات مرن النساء اللواتي يفقهن رونقاً وجمالاً واللواتي لا يتأخرن لجرد كلمة بتلفظ بها من القاء انفسهن تحت قدميه

ان احمد جمال باشا رجل عصري راغب في حرية المرأة واعلاء شأنها الا انه لم يكن في وقت من الاوقات ليرمي بنفسه في احضان اية امرأة تمر امامه .

اذن ما هذا السر ؟

فؤاد بك سليم — وفي الوقت الذي كنت اتساءل فيه عن السر في هذه الامور وقد كتبتها عني الباشا اذا بي ارى امامي فؤاد بك سليم مدير الشؤون المصرية في الجيش الرابع الذي تلقى التقرير الاول عن هذه الجاسوسة ولما اعلنته بما كان من امر اكتشافها اياها التفت الي وعلى شفثيه ابتسامة غامضة وقال :
— عرفت كل هذا

— ممن ؟

— من الباشا . فانت كشفت في اجرائك احدى وجهاتها وانا عامل الان على الوصول الى الوجوه الاخرى
وقد زادتني هذه المحاورة الغامضة مع فؤاد بك سليم شوقا لمعرفة الادوار التي تمثلها هذه المرأة
ولم اجبر على مفاتحة الباشا بالامر مباشرة الا انه ظهر لي انه ادرك افكاري عندما قبلته بعد الظهور فقال :

— ايه يا . . . بك انك في شوق لمعرفة ما يحيط بك من اسرار . وانت على حق في ذلك . ان الفضول الذي يتطلبه مركزك يوجب ذلك وانا كما تعلم صريح معك ولي بك الثقة المطلقة

تسألني لماذا ابعدت المسيو تافيل بك فاقول لانه قرنسي يجب عليه ان يغادر البلاد فوراً عملاً بإرادة الحكومة المركزية ثم لماذا اعدمت ابراهام ومحمد سعيد فلانها جاسوسين ولندي من الوثائق ما يبرر ذلك اما السيدة داودفيتش فقد ابقيتها لانه ليس هناك ما يثبت ادانتها
— ولكن يا دولة الباشا ؟

— اعرف اعتراضك ان الجواب الذي اجيبك عليه هو الذي ستضع به تقريرك لرفعه الى القيادة العامة ووزارة الحربية اما الحقيقة فهي منحصرة بيني وبينك وقد اشركت بها فؤاد بك سليم والدكتور فؤاد بك المصري والسيدة داودفيتش والمسيو تافيل فقط فالمسيو تافيل بعد ذهابه الى مصر ارسل الي تحريراً

يقول فيه ان الملازم شوفيل على استعداد لمقابلتي وقد عينت له موعدا في هذا المساء بحيث سينزل الى البرجة رمل بيروت فعليك ان تستقبله وتأتي به الي لئلا يرى ما يكون من شروطه

١٠ السيدة داوديتس فان لها مهمة ثانية منفصلة عن كل ما عرفته وستسافر في صباح الغد الى القدس مع فؤاد بك سليم وسنرى فيما بعد ما يكون من امرها ، اما الان فعليك ان تبعد دورية الساحل عن المنطقة الساحلية كي لا يرى احد من الاهلين والجند الرسول القادم ثم تستقبله عند الساعة العاشرة ليلا وتأتي به الي وكلمة الثعارف هي ان يقول لك (ش) فتجيبه (ج) وعندها يتقدم منك فتبلغه او امره .

شوفيل في بيروت

لم تكن هذه المهمة صعبة لانني في الاسبوع الذي سبقها كنت في مهمة مطاردة جاسوس كان يحاول الاتصال بالعدو وانا الآن اقوم مباشرة بمهمة الاتصال بالعدو فهل يكون عملي هذا خيانة لدولتي وامتي ؟

— نعم انني تلقيت الاوامر من القائد المسؤول ولكن الا يعد عمل القائد نفسه خيانة وكيف يجوز له ان يتصل باحد ضباط العدو ؟ وهل يليق به وهو القائد والوزير ان تكون مخابراته مع ملازم عادي ؟

وماذا يريد هذا الملازم ولماذا خاطر بنفسه ليأتي الى بيروت ويفاوض احد جمال باشا ذلك الرجل الذي وان كان محبا لفرنسا الا انه في اوامره كان ناقما على الافرنسيين ومحاربا لغتهم المكتوبة على ابواب المحلات التجارية وفي شبابيك دوائر البريد وفي مدارس الارشاليات الاجنبية

ان كل هذه الافكار كانت تتنازعني وانا سائر على جوادي في ظلام الليل بين رمال بيروت وفي وسط طريق كنت اري فيها بعض الرجال يتنافرون من هنا وهناك وهم من الجنود الفارين من الخدمة اقلق مضاجعهم مرور ضباط من تلك الجهة الثانية عن المدينة فلما منهم انه جاء لمطاردهم وتسليمهم الى يد الجلاد

انني ما كنت لاحفل بهؤلاء الذين يفضلون حياة المخابي والتشرد على خدمة
الجنديّة الشريفة و كنت وانا اراهم على هذه الحالة اسائل نفسي هل في امكان بلاد
هذه هي حالة رجالها ان تستقل ؟

يقول العرب - لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبه لهم
ولكن هل ضحى لبناء هذه البلاد بدمائهم في سبيل بلادهم ؟
- كلا -

لانهم لم يفكروا الا بانقاذ انفسهم من الجنديّة مفضاين الموت جوعا على
خدمة البلاد في ساحة الوغى (كذا) زاد هذا المنظر تاثيري والجواد يسير بي الى
جهة رمل الزيدانية الكائن جنوبي بيروت حتى وصلت الى المكان المعين في
الساعة العاشرة تماما فطلعت الى البحر ووجدت الفضاء الواسع خاليا لا حس فيه
فطلت راكبا جوادي وانا مكاني مدة لم اعرف قدرها الى ان رأيت خيالا
يقترّب من الساحل لم البث ان تبينته فاذا به زورق بخاري كان يسير بهدوء حتى
اذا وصل الى الشاطئ خرج منه احد الجنود وهو يلتفت هنا وهناك ولما وجد
المكان خاليا اشار الى رجل متطربش نزل من الزورق فتقدمت منه وبيدي
مسدسي وطلبت اليه ان يرفع يديه فبادرني بلفحة عريضة سقيمة بحرف (ش)
فرددت عليه بحرف (ج) وادركت انه الرجل المقصود فانزلت مسدسي ثم
وضعت في جيبي فاذا به يمد الي يداً مصافحة ويقول :

انا على استعداد يا سيدي للذهاب حيث تشاء ثم خاطب البحار بالفرنسية ان
يتراجع الى الوراء وتقدم امامي وعندها رأيت ان من العيب ان اسير راكبا على
جواد وهو سائر على الاقدام فترجلت وسرت معه جنباً الى جنب الى الحرش وهناك
اركبته احد الجياد ومرنا معا الى مقابلة احمد جمال باشا فوصلنا في الساعة ١١
والدقيقة ٥٠ تماما فوجدنا الباشا في انتظارنا

في حضور جمال

لقد كانت المعلومات الموجودة لدينا في ذلك الوقت تفيد ان بعض

رجالات العرب على اتصال مع الانكلند في مصر وقد جاءنا من مندوبنا في مصر تقرير يقول فيه :

« ان السير هنري ماكماهون في احاديثه مع بعض رجالات العرب يقول ان الوقت لم يحن بعد للبحث في القضية العربية ولكننا علمنا ان السرماكماهون على اتصال ببعض رجالات العرب في جهات عسير والحديدة وهم اغبون في ادارة الامور في جو هاديء بعيد عن تأثيرات الحلفاء اي انهم يريدون ان يكونوا منفردين في الامر عن زملائهم الافرنسيين

فالافرنسيون يعتقدون انه من الضروري مهاجمة الشواطيء السورية واحتلالها لان هذا الامر لا يكلفهم كثيرا من المال والرجال وفي اعتقادهم ان الاهلين يهبون لمساعدتهم وبذلك يضمنون الفوز

وقد عرضت وزارة الخارجية الافرنسية كما يقول السوريون هنا الامر على الانكليز وفكرة احتلال الشواطيء السورية فلم يوافقوها على ذلك واجل البت في الامر الى وقت اخر

والمفهوم ان الانكليز يعلقون على حملة الدردنيل اهمية خاصة حتى اذا نجحت كان لهم ما اردوا من القضاء على السلطنة العثمانية والاعمدوا الى تدابير جديدة

هذه خلاصة ما جاء في التقرير الذي رفعه فؤاد بك سليم مدير الشؤون المصرية في الجيش الرابع في اخر تموز وكان لدي الباشا يطالعه من بين سائر التقارير الواردة من مصر عندما دخلت عليه مع الضابط الافرنسي الذي ظل عنده الى الساعة الرابعة بعد منتصف الليل ورجعت به الى الشاطيء ومرت خلال شهر اب ثلاث مقابلات

ماذا دار من مفاوضات

لم احضر هذه المقابلات ولكن الذي علمته عنها هو ان الملازم شوفيل في الجلسة الاولى اقترح تسوية مسائل عادية فقد قدم باسم حكومته اقتراحا خلاصته

أولاً — ان يعفو احمد جمال باشا عن سائر الموقوفين من أبناء
سوريا ولبنان

ثانياً — ان لا يقدم فيما بعد على ابعاد احد من رجالات لبنان

ثالثاً — ان يعلن محافظته على امتيازات لبنان

ومقابل ذلك تتعهد الحكومة الافرنسية بعدم مهاجمة السواحل وتسهيل وسائل

النقلات امام السفن الشراعية المحلية

فاجابه احمد جمال باشا — ان الدولة العثمانية لم تقدم على ما اقدمت عليه الا

بعد ان تأكدت لها خيانة الاشخاص الموقوفين وهذا ليس في امكانها قط ان

تقبل بما عرض عليها ولو كانت بحاجة الى تأمين حرية النقل على السواحل

الغاية الحقيقية من الزبارة — هذا ما قاله لي احمد جمال باشا عن هذه المقابلة

الاولى و بعد ايام تلقيت امراً من الباشا باستحضار الملازم ايضا وقد جاء للمرة

الثانية و يظهر انه كان على اعتقاد بائي مطلع على حقيقة الامر اوانه كمواطنيه

يحب الاكثر من الكلام فخياني فرددت عليه التحية ولازيت في ثقته بمعرفتي

في كل شيء قلت:

-- كيف حال المسيو نافيل

— على خير ما يرام

— وهل تمت الامور كماثر يدون؟

— كلا لان شروط الباشا كانت قاسية

— لا اعتقد

— كيف لا تعتقد وهو يطلب شروطا صعبة

— كلا بل عادلة

— نعم انها عادلة بنظر كم ، ان الباشا يتطلب ان تعترف فرنسا باستقلال

البلاد العربية وان تكون خديوية مستقلة استقلالاً تاماً دون ان يكون لها اقل

اتصال بفرنسا فهل هذا ما تروونه عدلاً

ان جواب الملازم شوفيل اوضح لي كل الامور الغامضة وكان في امكانه ان يكون اكثر نكتا الا انه لم يفعل ذلك وقد يكون عن اعتقده بصداقتي للبasha واعتماده علي ومع هذا اردت ان استزيد من بعض المعلومات فقلت:

— وانتم ماذا تريدون

— ان رغبتنا هي انتهاء الحرب بصورة متفقة مع اماني البلاد فالحرب لا بد

ان تكون نتيجتها بجانبا

فقاطعته وقلت

— ومن يؤكدها ستكون بجانباكم

— لاننا نحارب دفاعا عن كياننا وفي سبيل الانسانية

— وهل هي الانسانية التي توجب عليكم تجزئة السلطنة العثمانية

— ماذا؟

— انا لا اريد ان اتدخل في مهمتك وصداقتي للبasha معروفة انما اقول ان

السياسة لا تعني الا انكم تفتشون عن طريقة للقضاء على خصومكم ايسر الا فخرج
تركيا من الحرب من جانب المانيا يزبد نفوذكم ويقوي سلطانكم وهذا ما
تسعون اليه

— وهو يحفظ سيادة الدولة العثمانية

وقد رأيت ان المناقشة في هذا الامر لا تفيد قط فعدت الى النقطة الاساسية

فقلت— وما هي الشروط التي ترونها لحل الامر

اننا لم نعارض قط في الاعتراف بسيادة الدولة العثمانية واستقلالها انما يحدودها
الحالية شرط ان تعطي البلاد العربية بعض الامتيازات على ان تقدم تركيا
بواسطة الرجال المسؤولين من طاب الصلح

وعند ذاك ادر كنت الحقية فان وزير خارجية فرنسا بعد مفاوضة السلطان
محمد رشاد اياه في امر عقد صلح منفرد بينه وبين فرنسا رأى ان تكون هذه
المفاوضة عن يد اخري فاختر رجاله احمد جمال باشا المعروف بصداقته لفرنسا

ودارت محامرات طويلة بدأت بها السيدة دواود فيتش وتممها المسيو نافيل بك
المدير العام للمصرف العثماني في بيروت وانها ما الملازم شوفيل
وقد ظهر لي من حديث الاخير ان احمد جمال باشا قابل في هذه الوساطة الا
انه يشترط لهما ان يكون هو الحاكم الدائم للبلاد العربية وهذه هي شروطه
اولا - سلب البلاد العربية السكّانة ضمن حدود منطقة الجيش الرابع عن
السلطنة العثمانية على ان تكون في انضامها مماثلة للخديوية المصرية
ثانيا - ان يقبل الخلفاء بنولية احمد جمال باشا طالما هو في قيد الحياة
ثالثا - الاعتراف بالغاء الامتيازات الاجنبية في السلطنة العثمانية
رابعا - الاستعانة برووس الاموال الفرنسية في المشاريع التي تستلزمها
الاعمال في البلاد

وقد قبل الافرنسيون ان يولوا احمد جمال باشا الخديوية السرية العربية
لانهم لم يوافقوا على الشروط الاخرى وكانهم كانوا يقولون لاحد جمال باشا
ان لا يهتم في باقي شؤون الدولة ما داموا يعدونه بتحقيق رغباته في السيطرة
المطلقة وجل ما يطلبونه منه ان يكون معهم يداً واحدة
وهكذا تطورت المفاوضات السرية في المرة الثانية لان الملازم الافرنسي
اقترح كما ظهر لي ان يعقد اتفاقاً سرّياً مع احمد جمال باشا ليغض النظر عن الموقف
حتى اذا اقدمت قوات الخلفاء على احتلال الساحل انسحبت قواته من الامام
وبذلك يكون قد سهل للقوات الفرنسية طريق احتلال البلاد السورية - اللبنانية
وتنصيب نفسه عليها ، ولا فرق في الامر بين ان يكون احمد جمال باشا من ابناء
البلاد او غرباً عنها وفي عائلة محمد علي باشا حاكمة مصر خير دليل على ذلك
موقف احمد جمال - ان الذي اعتقده شخصياً في احمد جمال باشا بعد اختبار

طويل انه رجل مخلص لامته وبلاده وهو في الوقت نفسه شديد الغرور كثير
المطامع وقد كان يعتقد ان في امكانه فتح مصر وتمثيل الدور الذي لعبه تيمورلنك
وهلاكه وغيرهما من قدماء القواد فيخلد التاريخ اسمه ويفتح مصر ، وهذا ما

دفعه الى مفاوضة الافرنسيين وقد كان عمله هذا شائنا يجب ان لا يقدم عليه قائد من القواد و كان في امكانه ان يقبل باقتراح الافرنسيين وان يدع جيشه ينسحب من امام جيوشهم عندما يحتلون السواحل الا انه خاف النتيجة فهو يعرف حقيقة اخلاق ابناء البلاد الذين لا يرضخون الا للقوة فاذا فاز الافرنسيون واحتلوا الساحل ونقدموا الى الامام قام سكان الجزيرة العربية بثورة واسعة النطاق فخرج امرهم من يد الافرنسيين الذين قد لا يلبون طلبه فيصبح بين الوطنيين الذين لا يحبونه وبين الافرنسيين الذين قد يبنذونه عندما ينالون غاياتهم ولهذا لم يتم المفاوضات قطعيها .

شروط احمد جمال — وقد كانت الخطة التي وضعها احمد جمال باشا لتحقيق رغباته في البلاد ان يقبض هو بيد من حديد على مقدرات الامور فيها وان يملأ هذه المنطقة بالضباط والحكام الاداريين من انصاره ثم يعمد الى استمالة فئة القبضيات والذوات من ابناء البلاد حتى اذا كانت لديه قوة منهم حملهم على المناداة به اميراً على البلاد السورية العربية منفصلة عن السلطنة العثمانية وهذا ما لمج به احمد جمال باشا للمندوب الافرنسي قائلاً له :

« في حال اقدام الافرنسيين على مساعدته والترويج له في هذا الامر وحين المناداة به اميراً على البلاد السورية العربية يضع يده بيدهم نهائياً » ان الافرنسيين لم يقبلوا بهذا الاقتراح وانقطعت المفاوضة عند هذا الحد

القدم الثاني من المهمة — هذا هو القسم الاول من المفاوضات التي كانت سببها السيدة ناتاليا داود وفيتش اما الدور الثاني الذي لعبته هذه السيدة فقد كان طويلاً شاقاً بدأ في بيروت والقدس وانتهى في فيينا و برلين

فان هذه السيدة بعد ان غابت مع فؤاد بك سليم مدير الشؤون المصرية في القدس مدة اسبوع واحد عادت الى بيروت وكانت في هذه المرة تركب سيارة الجيش الخاصة وكانت في هذه المرة مفاوضة صهيونية نري قبل تفصيلها ان نعرف القراء عن الصهيونية :

الصهيونية — ان احسان ادموند دي روتشلد اثّر في بادئ الامر ولكنه ما لبث ان انقلب الى عكسه لان من سلمهم الامر اساءوا استعمال الامنية فانذرهم بعد ان عاملوه هذه المعاملة السيئة بانه لم يعد في امكانه مساعدتهم الا في تقديم المال والمصارفات للرؤسّسات العمومية كما انه اعطى الاوامر الى رجاله يبيع اراضي ريشون لزيون الى ساكنيها اليهود مقابل سبع فرنكات كل دوئم ثم زاد على ذلك ان اقترض هؤلاء اموالاً مختلفة لمدة ٢٠ سنة بدون فائدة

اما زمارين فقد كانت عبارة عن صخور جرداء اشتراها المهاجرون الرومانيون من اليهود بسعر ٢٠ فرنكاً كل دوئم وما لبثوا ان جسنوها وحولوها الى منطقة حسنة صالحة حتى ان من يمر بها اليوم يراها تتحوّل الى مدينة عامرة زاهرة ولم مساعدات البارون عند هذا الحد بل امر بتأسيس معمل للزجاج في طنظورة وقد اشتغل هذا المعمل مدة قصيرة واضطر اخيراً ان يعطل اعماله بسبب رداءة المواد الاولى وقد كلف هذا المشروع الذي اراد البارون فيه خدمة بني قومه نصف مليون فرنك

وفي الوقت نفسه انشأ مصنعاً للعطور في الجاعونه كافه اربعمائة فرنك وفي سنة ١٨٩٠ على اثر اشتداد المظالم الروسية باليهود قامت فئة منهم والفت جمعية باسم «جويشين كولو نيزاسيون اسوسياسيون» وقوامها يهود من مختلف التابعات بينهم تارسيس لثون وفرنسيس فيليبوس وادمون لاهمان وسلامون رايناك وهنري فرنك ولم تكن غاية هذه الجمعية اسكان اليهود في فلسطين فحسب بل انقاذهم من مظالم الروس واسكانهم في اية مقاطعة كانت انقاذهم من مظالم الروس وقد اشغلت هذه الجمعية كثيراً حتى اقيمت رسوخا في البلاد بواسطة ما لاعضاءها من نفوذ وقوة

والصهيونية المتخذ اسمها من جبل صهيون كانت سرية المساعي الى سنة ١٨٨٢ حيث بدأت المذبحة الروسية لليهود واخذت في ذلك الوقت تتجلى غاياتها وقام هرزل ونشر في سنة ١٨٩٦ كتابه «الحكومة اليهودية» الذي جمع فيه كلمة سائر

الاحزاب اليهودية و باث هذا الكتاب معتبراً في الاوساط الاسرائيلية مقدسا كالتوراة وقل ان تدخل دار موسوي ولا تثرى في صدرها رسم هذا العالم اليهودي حتى انك لتجد رسمة على اوراق البريد التي اصدرها اليهود قبل الحرب والدكتور هرزل اديب اشتهر في توغله بالاداب الالمانية الا انه بعد عام ١٨٩٦ انصرف الى حصر علومه ومقدرته وذكائه في سبيل خدمة القضية الاسرائيلية ولم يكن هذا التبديل في عقلية الرجل ناشئاً عن مجرد العاطفة فقط بل لان الاعتداآت التي على اليهود والمظالم التي رآها هؤلاء هي التي دفعتهم الى هذا العمل وقد سارت الدعايات على اثر ذلك شوطاً بعيداً حتى تمكن من عقد مؤتمر بال في سنة ١٨٩٧

مؤتمر بال — عقد مؤتمر بال اليهودي من ٣١ آب الى اليوم الاول من شهر ايلول بمساعي الدكتور هرزل وما كس توردوا وحضره مايتسا شخص يمثلون اليهود في سائر انحاء العالم وقد تكلم الجميع في هذا المؤتمر وبحوثا في حالة اليهود في العالم والمظالم المعرضين لها وتناقشوا في المقر الذي يجب ان يهاجر اليه اليهود ولم تكن فكرة استعمار فلسطين وجعلها وطناً قومياً قد برزت للوجود في ذلك الوقت، الا ان الداعمين للمؤتمر وافقوا على هذه الفكرة واتخذوا المقررات التالية اولاً — الدوام على استعمار فلسطين لتحويها الى وطن قومي بواسطة المهاجرين المزارعين وارباب الصناعات والمنتسبين اليها

ثانياً — ايجاد وحدة وطنية بين اليهود المنتشرين في اربعة اقطار المعمورة على شرط ان لا تعدي في اعمالها القوانين المحلية المرعية الاجراء

ثالثاً — تأليف بعثات وتوزيع نشرات لافهام اليهود المنتشرين في اربع انحاء المعمورة سمو الفكرة الدينية وارشاد الذين يستهجنون التصريح بحقيقة دينهم الى وجوب المجاهرة به والافتخار بكونه ديناً سامياً مقدساً ومحترماً وان العالم لا يمكنه ان يحترمهم الا ان يحترموا انفسهم واحترموا دينهم سواء كان في الجهر او في السر

رابعا - اتخاذ كل الوسائل الضرورية الفعالة لفهم حكومات العالم حقيقة الصهيونية وحملها على الاعتراف بها وتأييدها لتحقيق الوطن القومي اليهودي
خامساً - تأليف لجنة تنفيذية دائمة يكون مقرها فيينا مؤلفة من ٢٣ عضواً
تنولى الاشراف على حالة اليهود في العالم
سادساً - يتولى الدكتور هرزل رئاسة اللجنة التنفيذية المذكورة وإدارة شؤونها بدقة تامة

سابعاً - أي يهودي يعتبر عضواً في الجمعية الصهيونية التي يمثلها مجلس إدارة فيينا ومجربون ان يساعد هذه الجمعية باعانة سنوية قدرها فرنك واحد
ثامناً - ان كل صهيوني يدفع فرنكاً واحداً يحق له انتخاب الممثل الذي سيشتترك في المؤتمر الصهيوني السنوي وتجري الانتخابات على قاعدة انتخاب ممثل واحد عن كل مائة مشترك دفعوا الاشتراك الماعين

تاسعاً - يعين المؤتمر الجلسة التي ستعقد في السنة الثانية ومكان انعقادها ولرئيس اللجنة التنفيذية الحق في استبدال مكان الاجتماع اذا وجد ضرورة لذلك
بعد المؤتمر - وهذه القرارات معناها ان الصهيونية بعد ان كانت مجرد فكرة خرجت من قيد النظريات الى العمليات وقد سار رجال هذا الحزب في تنفيذ برنامجهم شوطاً بعيداً حتي تمكنوا لهذا الوقت (اي سنة ١٩١٥) من احراز فوز باهر فلما كنا منذ شهرين في فلسطين (اي في حزيران سنة ١٩١٥) دهشنا مع جمال باشا من موقف اليهود فالكل يتكلمون العبرية ويلقنون اولادهم مبادئها ولا يتكلمون سواها والمدارس تواصل دعاياتها لتعميم ثقافة العبرية وتوحيد العاطفة اليهودية وكان اليهود في ذلك الوقت شديدي الاندفاع في عاطفتهم الوطنية يعملون رجالاً ونساءً واولاداً في سبيل تعزيز المبدأ الوطني القائل بضرورة تحويل فلسطين الى وطن قومي لليهود

ادرك القراء مما تقدم الدور الذي لعبه الصهيونيون في البلاد حتى انهم اقدموا على مخافة السلطان عبد الحميد في ابان سطوته بطلب الوطن القومي

لاسرائيل في فلسطين ولما رأى اليهود ان الحرب العالمية التي بدأت في أوروبا
توشك ان تعم البلاد العثمانية ايضا رأوا ان يغتنموا هذه الفرصة ليحققوا مطالبهم
ما دامت الثمرة التي عملوا لاقطافها قد تحققت بواسطة المساعي الاولى فاعلنت الحسنة
الامرائيلية احمد جمال باشا بصراحة تامة ان هناك كتلة قوية من المالبين اليهود
تعمل في سبيل تحقيق الوطن القومي اليهودي وهذه الفئة تشتغل مع الخلفاء وهي
في الوقت نفسه ترغب في محاربة الدول المتفقه في هذا الامر وان وفداً سافر الى
المانيا واخر يرغب في مفاوضة الدولة العثمانية ومن اعضاءه بنحور افندي العضو
السابق في مجلس الشورى العثماني في عهد السلطان عبد الحميد وافادته ان في
الامكان الاتصال مع هذا الوفد عن طريق القدس بواسطة مندوب هذه الجمعية
المذكورة

المفاوضات — وعلى الاثر استدعى احمد جمال باشا اليه رئيس شعبة الشؤون
المصرية فؤاد بك سليم وامره بالذهاب مع ناتاليا داودوفيتش الى القدس للنظر في
الشروط التي يعرضها هؤلاء في مقابل مساعدة الدولة وقد تم فعلا هذا الاجتماع
مع شخص لم اعرف اسمه في ذلك الوقت واقترح على الباشا ما خلاصته
اولا — انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين .

ثانياً — ان كلمة الوطن القومي اليهودي لا تشمل فلسطين الممتدة من قناة
السويس حتى 'ود نهر الشريعة بل منطقة تعينها الحكومة العثمانية في جهة من
جهات هذه المنطقة ترخص فيها الحكومة بتشيد قرى يهودية حيث يطلق على هذه
القرى اسم الوطن القومي الاسرائيلي

ثالثاً — للحكومة العثمانية الحق في اسكان رعاياها المسلمين فقط في هذه
القرى شرط ان لا يزيد عددهم على النصف من مجموع السكان اليهود الذين
يجب ان يؤمنوا الاكثرية في القرى اليهودية

رابعاً — ان اليهود المهاجرين ، مهما كانت جنسيتهم وتابعيتهم يخضعون
فوراً الى القوانين والانظمة المحلية من سائر وجوها

خامسا -- لا تضع الحكومة العثمانية اقل حاجز في وجه الهجرة اليهودية الا انه لا يحق لهؤلاء سلكي بقية المناطق العثمانية غير المعينة في الاتفاق الذي سيعقد الالباء على رضى وقرار من الحكومة العثمانية . كما ان الحكومة العثمانية لا تأخذ من سكان الوطن القومي اليهودي جنودا للخدمة العسكرية الاجبارية

سادسا -- تكون هذه المستعمرات مستقلة من وجهة الادارة البلدية حيث ينتخب سكان الهيئات البلدية التي تكون خاضعة لمراقبة الحكومة المحلية الا ان هذه البلديات تكون مستقلة في نفسها من جهة موازناتها وطرق صرفها لاعمار المناطق الموجودة فيها

سابعا ومقابل ذلك تتعهد الجمعية الصهيونية بمساعدة الدولة العثمانية في قضية انديون العمومية المترتبة عليها وتقديم القرض اللازم للدولة العثمانية والعمل على معاضدتها في مشاريعها السياسية

هذه هي خلاصة المطالب التي قدمتها الجمعية الصهيونية بواسطة فؤاد بك سليم وقد سجلت رسميا في قيودات الجيش الرابع بئار بيخ اليوم الخامس والعشرين من شهر آب سنة ١٩١٥ تحت رقم ١٨ خصوصي و ١٢١٥ عمومي في الشيفرة الا ان ذلك المندوب عاد واقترح بواسطة السيدة ناتاليا داودوفيتش ان يقدم الى احمد جمال سائر ما يرغبه في سبيل تحقيق مشروعه ولما كانت الاشرائية الحسنة غاية بوجود مفاوضات بين الباشا والافرنسيين فقد اجابت الباشا ان الحزب الصهيوني مستعد .

اولا -- ان يدخل بمفاوضات خصوصية وسرية مع احمد جمال باشا في سبيل تحقيق مطامعه في فتح مصر وفي حال فوزه في ذلك يعمل على اجلسه على عرش الخديوية المصرية

ثانيا -- ان يضع سائر القوات اليهودية الموجودة في فلسطين تحت تصرف احمد جمال باشا في السبيل الذي يريده

ثالثا -- ان يقدم المساعدات المالية اللازمة لتأمين الفوز الذي يسعى اليه احمد

جمال باشا

رابعاً - ولما كان صالح الدولة ان تخرج ظافرة من الحرب العالمية فان الجمعية الصهيونية مقابل تحقيق هذه الغاية على استعداد تام لان تكون الوسيلة في ذلك وكانت هذه الشروط التي عرضتها الاسرائيلية الحسنة على احمد جمال باشا بصورة خصوصية مطاطة ذات معان وافرة الا انها جاءت مؤيدة لدهاء الصهيونية واطلاع رجالها على كل حركة تجري في هذا الشأن

وقد جمعنا احمد جمال باشا على اثر ذلك انا والدكتور فؤاد بك وفؤاد بك سليم وباحثنا في الموقف اي في المذكرة الرسمية فتقرر ان يؤجل البت في هذه المذكرة الى ان يخاطبها رجال الحكومة المركزية في الاستانة وما من مجال للقول ان الحكومة المركزية اهملت امر هذه المذكرة واجاب عليها انور باشا ببرقية شيفرة بتاريخ ١٠ ايلول سنة ١٩١٥ هذا نصه

لفخامة قائد الجيش الرابع احمد جمال باشا

شيفرة - خصوصي

رقم ٨٢٩

« ج ٠ - على بريقيتكم المؤرخة في ٢٧ آت سنة ١٣٣٢ ان البحث في مثل هذه الامور اضاعة للوقت فنرجو صرف النظر عنها خصوصاً وقد تكون سبباً في اثارة الفتن بين المسيحيين واليهود »

الا ان احمد جمال باشا الذي كان يدرك بانها جواب الحكومة على هذا الاقتراح لم يهتم له قط بل انه زاد عليه ببرقية بتاريخ ١٠ ايلول هذا نصها :

« ان المفاوضات ضرورية جداً لان اليهود يعملون بكل قواهم في سبيل تحقيق مظالمهم القومية ، فالغوز سيكون حتماً بجانب الكفة التي سيميلون اليها لاننا في الحرب الحاضرة بحاجة ماسة الى المال والمال هو اساس الغوز »
لماذا ارسل هذه البرقية - والحقيقة ان احمد جمال باشا لم يستأنف المفاوضات

في هذه القضية ، اي القسم الاول منها بل انه كان يفاوض في القسم الثاني فالاسرائيلية الحسناء بعد مقابلتها الاولى لاحد جمال باشا عادت ثانية الى القدس واعلمت المندوب الصهيوني الموجود هناك ان احمد جمال باشا مستعد في الوقت الحاضر .

اولا - ان يشمل اليهود سواء كانوا في فلسطين او في غير فلسطين من منطقة الجيش الرابع بحمايته والغاء القرارات الاستثنائية التي اصدرتها الحكومة العثمانية من جهة تملكهم الاراضي دون ان يعين حدود منطقة الوطن القومي الاسرائيلي

ثانيا - ان يسهل لهم لدى الحكومة المركزية الذي هو من اعضائها الاولين ترويج فكرتهم باعلان الوطن القومي اليهودي

ثالثا - يسعى لدى الحكومة العثمانية على الاعتراف بالجمعية الصهيونية

رابعا - ومقابل ذلك يطلب احمد جمال باشا من الجمعية الصهيونية ان تعمل على مساعدته في تحقيق مساعيه لئلا يشار اليها

مخاطبة الجمعية الرئيسية

وقد عادت الاسرائيلية الحسناء في المرة الثانية وهي تحمل الى احمد جمال باشا المعلومات التالية

اولا - ان الجمعية الصهيونية تطلب منه اعترافا خطيا باليهود التي سيقطعها ضمن الحدود التي ذكرتها ناتاليا داودوفيتش

ثانيا - ان الجمعية الصهيونية تقبل في ان يتولى احمد جمال باشا الحاكم المطلقة طول الحياة وهي تروج هذا العمل لدى حكومة الاستانة وللدول وتعد في تحقيقها .

ثالثا - تقدم الى احمد جمال باشا مقابل ذلك مائة الف ليرة انكليزية - في سبيل صرفها على الدعايات السرية التي تؤمن له تحقيق مشروعه

مقابلة مع الوفد الصهيوني - وقد طالت هذه المفاوضات مدة شهر كامل الى ان ذهب احمد جمال اشأ الى القدس وهناك اجتمع بالمندوب الصهيوني الذي ظل اسمه سرّاً بين الرجلين ودارت بينهما مفاوضات حول هذا الامر لم ييت فيها بشى الا ان الذي رأيناه ان احمد جمال باشا بات من الاصدقاء المخلصين لليهود ورأيناه مراراً يدافع عنهم حتى انه عارض حكومة استمبول فيما قررته من ابعاد اليهود عن السواحل الفلسطينية

الفصل الثامن عشر

الحركة اللامر كزية

في اواخر ايار سنة ١٩١٥ عندما اشتدت الحركة (اللامر كزية) في مصر قامت الصحف المصرية تنقل اليها اخباراً مختلفة عن هذه الحركات والحملات التي يوجهها اركان الحزب الاستقلالي السوري الى احمد جمال باشا وانا، وقد مضت الايام، اقول ان رجال اللامر كزية في مصر قد اساءوا كثيراً ليس الى جمال باشا بل الى مواطنيهم بالحملات الشديدة التي وجهوها الى الباشا لان فشل حركتهم وتوقيف بعض انصارهم جعلهم يشددون الحملة وهو كما قرأ هذه الحملات ازداد حقداً على رفاقهم في سوريا حتى كان ما كان من شدة نقمته .

وكان في مقدمة الذين اساءوا الى الباشا وكانوا غير محسني السياسة التي اساءت اليهم والى مواطنيهم رفيق العظمة ذلك الرجل الذي اظهر بلاهة متناهية في معاكسته لجمال باشا

تدخل عبد الكريم الخليل - وكان من الذين يترددون على معسكرنا في ذلك الوقت عبد الكريم الخليل الذي ما كاد يدخل على الباشا في احد الايام

و كنت هناك اعرض عليه قصاصات جرائد مصرية حتى بادره بمجدة قائلا
— ماذا يريد رفاقك من هذه الدنانات يعتقدون ان مثل هذه الاعمال تؤثر

بي ، كلا !! بل انها ستزيد في استيائي منهم

وهنا اخذ جمال باشا يردد اقوال شديدة ضد حزب اللامر كزية و كنت
ابى عبد الكريم الخليل يرتجف من شدة الخوف وهو يتمتع ببعض العبارات
المبهمة كأنه غير عارف ما يقول

وحاولت كثيراً انقاذ من الموقف الذي هو فيه خوف ان يتحدى الباشا
باهانة بني قومه فتقع ما لا تحمد عقباه

و بعد دقائق لما عدت الى مكنتي وجدت عبد الكريم الخليل بانتظارى
فاخذ يعتذر عن هذه الحملات التي لم تكن من رأيه ولا رأى زملائه فافهمته
بضرورة اتخاذ تدابير سريعة لايقاف هذه الحملة كي لا يكون بقية اخوانه عرضة
لنقمة الباشا فوعد بدرس الامر مع زميله الدكتور عبد الرحمن الشهبندر الموجود
في ذلك الوقت بالقدس واعطاء الجواب على ذلك

و بعد يومين عاد الباشا عبد الكريم الخليل وقال :

— انه تذكر مع اند كنور شهبندر في الموقف ووجد انه ليس في الامكان
قط اقناع السور بين الموجودين في القاهرة بحسن نية الباشا الا اذا ذهب بنفسه الى
مصر لايقاف هذه الحملة فوعده بعرض فكرتها على الباشا

خطورة الموقف

لقد كان الموقف في ذلك الوقت شديد الخطورة لان قواتنا كانت بعد
معركة القناة الاولى غير مالكة نفس الروح التي كانت متمتعة بها في السابق كما
ان الحلفاء كانوا يواصلون اخراج القوات في المضائق الامر الذي دعا القيادة العامة
لان تطلب من الجيش الرابع نجات فارس اليها في ذلك الوقت الفرق الخامسة
والثامنة والعاشرة والبلوكات المدفعية الرشاشة وسائر المعدات الحربية اللازمة الى
الجهة وكانت القوات الموجودة في منطقة الجيش الرابع الممتدة من حدود مصر

حتى الحجاز فجمال طوروس غير كافية لحماية الموقف وكان في امكان العدو اذا اراد ان يحتل البلاد بفرقتين من جيشه اذا وجد المعاونة من الاهلين ولهذا امر ع احمد جمال باشا في اعدام القافلة الاولى من ابناء سور يالانه وجد انه ليس هناك من مجال لصيانة الموقف الا بارهاب ابناء البلاد وجعلهم في موقف لا يقدرّون معه على الاتصال مع العدو او ان يجبروا على مد يد المساعدة له وبينما هو يفكر في مثل هذه الامور والتدابير الواجب اتخاذها اذا بالحملة المصرية السورية تشد حوله ويخشى ان تؤثر بالبلاد المحرومة تقريباً من القوات المدافعة عنها فتغلت من يده ولهذا رأيناه شديد الاهتمام في الامر عاملاً على مكافحته بالقوة وما كدت اعرض عليه فكرة عبد الكريم الخليل حتى استشاط حدة وقال لي

— ماذا تريد ان تفعل ؟ ارسال عبد الكريم الخليل الى مصر ؟ الاتعلم غايته من هذه الرحلة ؟

اذن اسمع ؟ انني على ثقة تامة بان الانكليز والافرنسيين يعتقدون ان لدينا قوات عظيمة في البلاد وان الشعب وفي مقدمته المملعون، يؤيدوننا لانهم يرون مسلمي مصر يؤيدون الدولة لمجرد اعتقادهم عكس ذلك كاف لاقدامهم على احتلال مراكرنا

ان عبد الكريم الخليل عارف حقيقة الموقف الحاضر في البلاد وموقف الاهلين كما انه عارف حقيقة قواتنا ومراكرنا واهميتها وانا لا اثق به واعتقد تمام الاعتقاد انه فور وصوله الى مصر سيطلع رفاقه بل قواد الحنفاء على ما يعرفه عن مراكرنا واذ ذاك تكبر النتيجة اننا سلمنا انفسنا بايدينا الى اعدائنا ولهذا لا اوافق على ارساله الى مصر

الفصل التاسع عشر

الصحافة في لبنان

ليست الصحافة في سوريا ولبنان كما هي في بقية البلاد الغربية او تركيا، ففي هذه البلاد تسير الصحف عملاً بمشيئة اصحابها الذين يستخدمونها حسب اهوائهم ولم اجد في هذه البلاد جريدة واحدة متممة الى حزب من الاحزاب السياسية او الى كتلة معلومة في البلاد فكل جريدة تسير في الاتجاه الذي تريده حسبما تقتضي المنفعة

وهناك ثلاث قوى كانت تسيطر على الصحافة في تلك البلاد مستمدة من المنفعة المادية الاولى منها السلطة الفرنسية والثانية الانكليزية والثالثة الاتحادية ومع ان روسيا كانت تحاول بدورها بسط نفوذها في البلاد الا انها لم تتعد في عملها حد التدخل في الشؤون الصحفية وكانت سيطرتها منحصرة في غير الصحف من الامور التي بسطتها في قديم هذه المذكرات

الصحافة المتفرنسة

وقد كانت الحكومة الفرنسية تعتمد على الصحافة المسيحية والصحافيين المسيحيين في بسط نفوذها الا انها عقب اتصال بعض رجال سوريا ولبنان بالقناصل الفرنسيين في بيروت ودمشق ومصر واستمبول عمدة الى استمالة بعض الصحفيين المسلمين ايضا وقد ساعدتها الامتيازات اللبنانية على بسط نفوذها ومقاومة

ارادة الحكومة المحلية فالجر يدة التي كانت تعطل في بيروت والصحفي المطارد من ولاية بيروت كان في امكانه ان يلجأ الى فرن الشباك التي هي من ضواحي بيروت لاصدار جريدته فيها غير حافل بالحكومة العثمانية هازنا بتهديد الوالي ورجال الباب العالي متاديا في استهتاره المشين والحكومة غير قادرة على القيام باي عمل من هذه الاعمال لانها عندما تحاول مطاردته تصطدم بالامتيازات وحماية الدول السبع لها

الحالة الصحفية — فلما اعلنت الحرب العالمية كانت حالة الصحف في هذه البلاد في فوضى مستمرة وكانت كل صحيفة خاضعة لارادة خاصة من ارادات الدول الاجنبية ومع اننا كنا نعلم نيات هذه الصحف ودعاياتها السيئة ضد الدولة العثمانية فقد ظلت تصدر بضعة شهور من ايام الحرب وهي مواصلة خطتها السيئة ضد الدولة

فالحرب الالمانية — الافرنسية وقعت قبل دخول تركيا هذه الحرب ومع ان الصحفيين كانوا يعرفون حقيقة موقف الدولة كنا نراهم والحالة هذه يتعمدون اهمال نشر الاخبار التركية والالمانية والنمساوية متخيرين نشر البلاغات التي تروم من الحلفاء حتى انهم بعد دخول الدولة للحرب بجانب الالمان رأيتهم ينشرون الاخبار التي كانت ترسلها اليهم القنصلية الالمانية والنمساوية فلماذا ذلك ؟

اعن حب حقوقي ؟

كلا لانهم كانوا يتناولون اموالا من الافرنسيين والانكليز فينشرون لهم ما يريدون ولما دخلت الدولة الحرب ضد الحلفاء اعتقد الصحفيون ان هذه الحرب لا تطول الا اسابيع قليلة وان الحلفاء لا بد ان يجتازوا البلاد فاذا وجدهم قد تخلوا عنهم وساعدوا الالمان في نشر دعاياتهم نعموا عليهم وقطعوا عنهم الراتب التي وعدمهم بتقديمها حتى بعد دخول الدولة الحرب .

هذا هو الموقف الاجمالي للفئتين المؤيدتين للافرنسيين والانكليز من رجال

الصحافة اللبنانية اما الفئة الثانية التي كانت تؤيد الدولة فقد كان لها موقف غير هذا منفصله للقراء في حينه .

الصحافة المؤيدة للفرنسيين

كان في مقدمة رجال الصحافة اللبنانية العاميين في سبيل خدمة فرنسا خير الله خير الله فان المعلومات والوثائق التي حصلنا عليها دلت على ان هذا الشاب اللبناني نال عطف الفرنسيين حتى انهم خصصوا له راتباً كبيراً من صندوق المصارفات السرية في وزارة الخارجية الفرنسية ليحرر في جريدة (الطان) مدافعاً عن حقوقهم ومشوقاً اللبنانيين الى محبة فرنسا وقد جاء هذا الشاب قبل نشوب الحرب بمدة قصيرة الى لبنان ناشراً الدعاية لفرنسا واخذ في احاديثه مع الصحفيين اللبنانيين والسوريين يشير الى مساعدات فرنسا القيمة للكتاب وتخصيصها الاموال اللازمة لمساعدتهم وقد تناول خير الله خير الله لقاء هذه المساعدات عشرة الاف فرنك عدى رواتبه ومصارفات انتقاله ثم انه احضر معه مبلغ ٣٠ الف فرنك دفعها الى الجمعية اللبنانية لمساعدتها في نشر دعاياتها في البلاد اللبنانية .

مساعي خير الله وارقش — وكان زرق الله بك ارقش من اعضاء الجمعية الاصلاحية وفي الوقت نفسه كان من اعضاء الجمعية اللبنانية ولئن كان يتظاهر بمساعدة الجمعية الاصلاحية الا انه في الوقت نفسه كان يعمل ضدها وضد المبدأ الذي اعلنته بمساعدة الجمعية اللبنانية وهو على اتصال بالشعبة السرية في وزارة الخارجية الفرنسية عن طريق خير الله خير الله وعلى اتصال مع القنصلية الفرنسية في بيروت وسيطابنها والخارجية الفرنسية وبين الصحفيين مقدماً لهؤلاء الاموال والرواتب المخصصة لهم كما يقدم لهم المادة من الاخبار والدعايات اللازمة لتسمير افكار اللبنانيين والسوريين ضد اؤولة العثمانية وتأييد النفوذ الافرنبي وازدياد انتشاره في البلاد .

فالوثائق التي عثر عليها اثناء بحث قضية الصحفيين دلت على ان الرجل كان مسيطراً على هذه الامور وعلى هيئات التحرير ايضاً فهو كان يعين هذا الحرر في

تلك الجريدة كما يعين ذاك في غيرها واستمالة الجريدة التي تردها فرنسا لتأييد سياستها ونفوذها في هذه البلاد العثمانية .

وقد ساعده في عمله هذا الاستاذ خليل زينة احد الادباء في بيروت ومن اعضاء الجمعية اللبنانية العاملة على بسط نفوذ فرنسا في البلاد .

الريفايل والثبات - في البلاد عدة صحف تعمل لحساب الافرنسيين مباشرة منها ما كانت على اتصال مباشر بهؤلاء بواسطة قنصلياتهم ومنها ما هي على اتصال بوسطة اخرى ومن الموء كداز لارقش وزينة دوراهاء في هذه القضايا وكانا يسمان الافكار بما يكتبانه في هذه الصحف (كذا) ضد الدولة العثمانية بصورة غير مباشرة وتأييد السياسة الافرنسية .

السيد اسكندر الخوري - كان آلة منفذه لادارة الافرنسيين جر يده الريفايل التي يصدرها بالافرنسية في بيروت تصدر وتحرر باموال الافرنسيين وما يز يد عنها يدخل لصندوق صاحبها

والسيد اسكندر الخوري لم يكن بالرجل المتعلم (كذا) حتى انه لم يشرف في وقت من الاوقات على تحرير جر يده التي كان يشرف على تحرير الافرنسية منها القنصل الافرنسي او من يعتمد عليهم من الجمعية اللبنانية وفي مقدمة هؤلاء كان ارقش وزينة وشركاهما

والمعلومات التي وجدناها في مركز ولاية بيروت دلت على ان صاحب الريفايل كان يفتخر بان جر يده لسان حال الافرنسيين تمثل ارادتهم حتى بلغت به الجرأة في احد الايام ان خاطب الوالي ابا بكر حازم بك - ان جر يده ايده في مشاريعه الاصلاحية التي اراد القيام بها في بيروت لان السلطة الافرنسية ايده هذا العمل . .

البشير - والبشير جريدة صدرت فعلا باموال الافرنسيين فان مؤسسها هم فئة من اليسوعيين الافرنسيين ومع ان هذه الجريدة كانت افرنسية دينية

تبشيرة فانها لم تكن متطرفة بالمقدار الذي كانت عليه الصحف المتفرنسة واذكر انني لما قدمت تقريرى عن حالة الصحف في هذه البلاد الى جمال باشا وبجئت معه قضية جريدة البشير قال - نعم انها جريدة دينية فرنسية الا انها على كل حال جريدة رزينة احترامها لمبذئها ولست ارى في خلاصة الاعداد التي قدمتموها لي منذ دخول فرنسا الحرب ما يستلزم منه ررح اثاره الفتن في هذه البلاد والقلقل فقلت -- ولكنها جريدة دينية فرنسية فقال - نعم ولهذا ستعطل الا انها على كل حال شريفة تخدم لمجرد خدمة الغاية التي اسست لاجلها وليس لاجل المال كما هي حالة غيرها من بعض صحف هذه البلاد .

والحقيقة هي ان احمد جمال باشا كان جد معجب ليس في هذه الجريدة الصغيرة بل بالفئة التي تديرها والتي يعتقد انها كانت تخدم مبدءا معيناً وانها بذلك خدمت هذا المبدء كما خدمت آداب البلاد العربية ونهضتها وكان يتحسر لانه ليس في البلاد ارساليات وطنية كمثل هذه الارسالية التي في امكانها ان تقدم للبلاد والدولة العثمانية خدمات تذكر .

هذا الاعجاب الذي شعر به احمد جمال باشا في اعمال الارسالية اليسوعية هو الذي دفعه لان يطلب من تركيا بعثات من المعلمين والمعلمات الاتراك ليؤسسوا المعاهد العلمية ودور التعليم التي خدمت الترك خدمات صغيرة كما سيطالعه القراء في الفصل الخامس المتعلق بها .

الاحوال - عرفت هذه الجريدة بنزعها السياسية الافرنسية لانها كانت من جملة الجرائد التي يتعهدا رزق الله ارقش وان صاحبها رجل مالى لا يتدخل في شؤونها السياسية الا انه كان يندفع في تعصبه ضد ابناء بلاده المسلمين ولهذا رايته كثير الاستسلام الى رزق الله ارقش .

ان الوثائق التي عثرنا عليها لم تثبت ان خليل البدوى صاحب جريدة الاحوال كان يتقاضى راتباً معيناً من الافرنسيين الا انه كان بلاقي تشجيعاً من الاندية المؤيدة لهم حتى اتنا وجدنا سائر المؤسسات الافرنسية مشتركة في جريدته مع انها

لا نفيدهم بشيء ، ولا هم يعرفون لغتها الا ان هذا كان الزاميا لمساعدة الجريدة المذكورة .

كما انه كان يلاقي بعض المساعدات الخفية من رزق الله ارقش -- او لحساب التنصليّة الافرنسيّة -- في تحريره هذه الجريدة وتقديم المحرر بين اللازمين لها مع الاموال التي هم بحاجة اليها .

والمعلومات الموجودة في ولاية بيروت عن هذه الجريدة انها كانت منهجيه شديدة التمسك في مبدأ الكاثوليكية وفي نزعتها اللبنانيّة الافرنسيّة حتي انه اذا وقعت حادثه ولو عادية لمسلم قامت تجسمها بصورة يشتم منها ان الموقف في البلاد سيء ، وان الحالة في فوضى شديدة وان المسيحيين غير مرتاحين للموقف الحاضر في البلاد وقد كان في امكاننا بدء الحرب العالميّة ان نعتمد على صاحب جريدة (الاحوال) الذي حاول ان يتقرب من احمد جمال باشا عارضا عليه خضوعه واخلاصه (كذا) الا ان الباشا ما كان ليشق به قط وقال -- لا اريد قط ان اعتمد عليه وافضل ان اخسر ثقة اللبنانيين ، اذا كانت هذه الثقة عن يد خليل البدوي .

ولكن لم يكن احمد جمال باشا مرتاحا لخليل البدوي ؟

والذي فهمته ان الباشا كان قد حاول ان يستميل اليه بعض الصحفيين اللبنانيين ولكن والي بيروت بكر سامي بك كان قدم شهادة حسنة بحق خليل البدوي وبهض احمد جمال باشا لبكر سامي بك ، كما سيتبين ذلك في الفصل الخاص به ، دعاه لان يقيم على خليل البدوي رغم عدم معرفته اياه . ولو وجد الباشا اقل دليل وهو في حقه هذا على خليل البدوي لكان نصيبه الاعداء بصورة مؤكدة .

وقد حاولت ان استفيد من الموقف وان ابدل من ارادة احمد جمال باشا في الرجل الا انه كان صلبا في آرائه وقد استمر حقه على الرجل حتي مغادرته لسوريا حيث اجتمعت به سنة ١٩٢٠ فقال -- لم اقل لك انني لا اثق بالبدوي فأنظر

وهنا قدم لي سلسلة من اعداد جريدة الاحوال كلها تحامل وقمة عليه فسكت
وهو رأسه كأنه يحاول ان يتحسر على امر فات منه وذهب وذهبت (١)
جريدة النصير - كانت اكثر الصحف المسيحية تطرفاً في اظهار نياتها
الاستعمارية وكرهها للدولة فقد كانت تعلن بصراحة تامة تأييدها للقضية اللبنانية
وتأييدها للسياسة الفرنسية في البلاد وقد كان صاحبها يتقاضى راتباً معيناً من
الفرنسيين ومع ان الوثائق الموجودة لدينا لا تدل على حقيقة الراتب الذي كان
يتقاضاه الا ان احدها تدل على انه تناول في السنة الاخيرة التي تقدمت الحرب
مبلغ خمسة آلاف فرنك اخذها من وزارة الخارجية الفرنسية وقد كان من
الكبر المهللين للسيو كايو عندما زار سوريا قبل الحرب وهو الذي قال للفرنسيين
انه ينتظر خلاص البلاد على يدهم .

الصحف الاخرى - وكانت هناك عدة صحف صغيرة تصدر لتأييد
السياسة الفرنسية فجرريدة «رحلة الفتاة» كانت تصدر باموال الفرنسيين مباشرة
حتى ان صاحبها كان يفتخر بانتسابه الى القنصلية الفرنسية ومثله صاحب جريدة
«دليل حمص» قسطنطين باني الذي كان يتناول رواتب شهرية من الفرنسيين
اما المحررون الذين كانوا يشتغلون في هذه الصحف فقد كانوا قليلين الا انهم
في الحقيقة مندفعون وراء عاطفتهم ليس الا وقد عرف زرق الله ارقش وخليل
زنية المسيطر ان على مقدرات الصحافة المسيحية كيف يستفيدان من الموقف
ويتخذان من تهوس الشبان اللبنانيين وسيلة لتحقيق مطامعها وامانيها .

واراد الفرنسيون ان لا يحصروا جهودهم ودعاياتهم في المحيط المسيحي
الكاثوليكي او الماروني كما يسمونه في تلك الجهات لان هذا المحيط كان قلباً معهم
قررروا ان يستميلوا اليهم بعض الصحف الاسلامية وغير الكاثوليكية وقد نجحوا

(١) تناولنا رد المرحوم البدوي وهو منشور في قسم الردود المختص من هذا
الكتاب .

في بادىء الامر باستمالة جريدة دليل حمص الارثوذ كسية التي اندفع صاحبها في تأييدهم بكل قواه ثم تمكنوا بواسطة زرق الله ارقش من استمالة الشيخ احمد طباره صاحب جريدة «الاتحاد معثماني» الذي مال بث ان سلم جر يده الى رزق الله ارقش وهذا عهد بتحريرها الى سعيد عقل .

وسعيد عقل شاب كثير الحماس لقضيته اللبنانية مندفع في سبيل تحقيقها غير حافل بالمصاعب التي تعترضه حتى انني عند ما اجتمعت به في الديوان الحر بي العري في عاليه لم يتردد في المجاهرة امامي برأيه في قضية بلاده قائلا .
— انني لم اكن خائناً ولست لاقف تجاه محكمة تعتبرني خائناً فانا ادافع عن حقوق بلادي كما اعتقد .

— ولكن هل خدمة بلادك هي ان تنزع هذه البقعة من الدولة العثمانية وتضعها تحت نفوذ الدولة الفرنسية .

— كلا فانا افكر ولن افكر قط في سلخ هذه البلاد عن السلطنة العثمانية ووضعها تحت النفوذ الفرنسي وانما اردت ان تنال حقوقها المعترف بها دولياً فقط اما فرنسا فقد اظهرت تجاهنا شيئاً من العطف فحفظنا لها الجبل .
— ودولتك

—

— اذا انت تعترف بانك كنت خائناً للدولة العثمانية .

— اذا كان دفاعي عن بلادي يعتبر خيانة بنظر كم فانا كذلك وافتخر بهذه الخيانة -- ان الدولة لا تنكر قط على احد حق في مثل هذه الامور شرط ان لا تتعدى هذه الوطنية الى الخيانة فانت تدعي الوطنية والاخلاص ولكن كيف توفق بين ادعائك هذا والمرتب الذي كنت تتقاضاه من السفارة الفرنسية .
— من قال ذلك

— ان الوثائق الموجودة لدينا تثبت انك كنت تتقاضى راتباً شهرياً قدره (٨٠٠) فرنك .



رسم الشهيد سعيد عقل مؤسس «ابيق»

— اذا كانت لديكم مثل هذه الوثائق فانا على استعداد لتحمل مسؤوليتها
واكسني اقول لكم منذ الان انكم لا تملكون مثل هذه الوثائق لانني لم اتناول من
احد بارة واحدة .

اوردت هذه المحاورة التي دارت بيني وبين سعيد عقل لانني اردت ان
اجعل هذا الشاب مثالا لغيره فهو كان صريحا في اقواله جد الصراحة وهذه الصراحة
هي التي قادته الى المشقة انه لم ينكر قط انه كان من اعضاء جمعية النهضة اللبنانية
ومن العاملين على تأييد مبادئ هذه الجمعية بكل قوة وقد استشهد على موقفه هذا
بمشرات المقالات التي حررها في الصحف الا انه انكر ان يكون عاملا على
تأييد النقوذ الاجنبي حتى انه انكر معرفته بالوثيقة التي رفعها بعض زعماء المسيحيين
وفي مقدمتهم ارقش وزينة وطراد وثابت بالشكوي من الدولة والمسلمين . انه
رفض ان يكون جاسوسا على غيره وقد انكر معرفته علاقات اصحاب الصحف
بالقنصلية الفرنسية قائلا انه يجهل مثل هذه الامور ولا يريد التدخل فيها .

ولما كنت في بدء عمدي صحفيا فقد اعجبت بهذا الشاب وارادت انقاذه الا
انني لم انجح لان جمال باشا كان مقتنعا بانه يشتغل لحساب فرنسا ويتقاضى منها
راتبا شهر يا مستنداً بذلك على افادتي عبد الغني العربي ونوفيق رزق سلوم
وتأييد الشيخ احمد طباره وقد كانت هذه الشهادات كافية لارساله الى المشقة .

مساعي الصحافة — ادخل رزق الله ارقش الشاب سعيد عقل في تحرير
جريدة الاتحاد العثماني والاعداد الموجودة لدينا تدل على انه ما كاد هذا الشاب
يدخل الجريدة المذكورة حتى انقابت من جريدة اسلامية متطرفة الى جريدة
لبنانية تدافع عن السياسة اللبنانية والنقوذ الفرنسية في البلاد .

ولم تقتصر القنصلية الفرنسية في بيروت على المعاونة التحريرية للجريدة
المذكورة فحسب بل انها خصصت لصاحبها راتبا شهر با قدره الف فرنك كان
يتقاضاها بصورة منظمة في مطلع كل شهر .

وجريدة المفيد وان كانت مؤيدة للجمعية الوطنية اللبنانية المتضامنة مع

الحزب الاصلاحى واركان الامر كزية في مصر الا ان الافرنسيين لم يتمكنوا من السيطرة عليها نهائيا لسببين الاول هو ان صاحبها كانا قد اتفقا قبلا مع الحزب في مصر الذي كان يرسل لها الاموال واسطة حتى بك العظم والثاني ان احد صاحبها كان قد اجتمع قبل وصول التعليقات من وزارة الخارجية الفرنسية بالاتفاق مع الصحافة الاسلامية ان اتفق مع السرالدين غورست رئيس الشعبة السياسية الانكليزية في مصر حين زيارته لبيروت ودمشق سنة ١٩١٣ .

وذلك ان السرالدين غورست بعد ان اتفق مع اركان الحزب الامر كزي في مصر ، وعلى الاخص مع الشيخ رشيد رضا الذي كان آله بيده يدفعها لادارة السياسة البريطانية في جزيرة العرب كما يشاء ، عمد الى استمالة بعض الصحفيين السوريين لتأييده فتمكن من استمالة جريدة « المفيد » وجريدة « العاصي » التي يديرها علي الارمنازي في حماه وجريدة « لسان الحال » في بيروت

لسان الحال - وجريدة « لسان الحال » لم تكن تتناول رتبنا من الافرنسيين الا انها كانت تؤيد سياستهم لانها كانت تترك محررها خليل زينة حرية الكتابة في تأييد السياسة اللبنانية . وقد عرفت هذه الجريدة بانها محافظة مؤيدة للانكليز الا اننا لم نعتبر على وثائق تؤيد تناولها الرواتب منهم

نعم ان ثلاث تقارير وجدناها في قلم استخبارات الولاية تؤيد ان خليل سر كيس صاحب هذه الجريدة اجتمع في بيروت بالسرالدين غورست ، الا ان هذه التقارير لم تكن ادلة تثبت اشتراك « لسان الحال » في الدعايات المباشرة للانكليز

وقد افاد مدير الشرطة: محي الدين بك ان جريدة « لسان الحال » تضم فئة من المحررين المشهورين بعدائهم للدولة ومناصرتهم للقضية اللبنانية الفرنسية . الا ان هؤلاء كانوا يتقاضون رتبنا معينان من الجريدة ثبت من تحري دفاتها وهذا الموقف هو الذي اهاب باحمد جمال لانت يرسل مرافقه لتعزية آل سر كيس بوفاة صاحب هذه الجريدة في ايلول سنة ١٩١٥



الاستاذ المرحوم خليل افندي مير كيس مؤسس اسان الحال.

ان احمد باشا كان يعرف ان « لسان الحال » لم تكن صدقة للدولة العثمانية لانها دولة اسلامية الا انه يعرف ايضا انها لم تكن بوقا للفرنسيين بل كانت صدقة للانكليز

الصحافة العثمانية

عرف القراء مما تقدم حاله بعض الصحف العثمانية المدافعة عن سياسة الدولتين لافرنسية والبريطانية وبقيت هناك فئة ثالثة من هذه الصحف وهي المحافظة على ولائها للدولة ، وهذه الصحف كانت في نظر جماعة الاصلاحيين واللامر كز بين واجعية اللبائية خائنة ولماذا ؟

لأنها تؤيد السياسة العثمانية وتحرص على الجامعة الاسلامية وفي هذه المناسبة اورد قصة عرضت لي للمقارنة بين الموقوفين :

« قبل نشوب الحرب العالمية بمدة قليلة رأى الانكليزان ينشطوا لنشر دعاياتهم السياسية في جزيرة العرب . ولهذا كلفت الدائرة السياسية الانكليزية في مصر التي يرأسها السر الذن غورست اثنين من رجالها السريين هما الشيخ رشيد رضا وعزة الجندي ليقوما بدعايات لها في الجزيرة العربية وغيرها من المناطق . وقد قاما فعلا بما امرتهما الدائرة السياسية خير قيام ، فقبلا مبارك الصباح ومحمد الادريسي وغيرهما من امراء العرب ، وفاوضا الامام يحيى حميد الدين . فسايرهما بعض هؤلاء الامراء غير ان الامام يحيى بن حميد الدين رد عليهما بكتاب مؤرخ في ١٧ جمادي الآخر سنة ١٣٣٢ جاء فيه : « وانا لندرجو الله سبحانه ان يجعله فاتحة خير لجميع كلمة الموحدين واعزاز جامعة المسلمين ونؤمل خاصة ان لا يبقى اثر للاختلافات الداخلية الناشئة عن الاغراض والاحقاد الشخصية التي جلبت على الدولة العلية والبلدان الاسلامية ما قد علم من العلل والامراض الخ . . . اي ان سمو الامام يحيى بن حميد الدين أدرك حقيقة هذه الامور فعارض هؤلاء بعلمهم ولكن ماذا كانت النتيجة ؟

ان الامام الذي رفض ان يناوي الدولة بتلك المؤامرات الاجنبية، ظل محافظاً على استقلاله و باتت بلاده البلاد الوحيدة الممكن ان يقال عنها انها بعيدة عن تدخل الاجانب، بعكس بقية الامارات العربية التي ساعدت الانكليز والاعداء فباتت مستعمرة لها بعد ان كانت تتمتع في زمن السلطة العثمانية باستقلال ونفوذ لا تحلم به فيما بعد .

وهكذا كان موقف الصحافة المؤيدة للسياسة العثمانية فعدت خاتمة مارقة من الوطنية في نظر الاحزاب المحلية اما المؤيدة للسياسة الافرنسية الانكليزية والمؤيدة لفصل لبنان عن السلطنة فقد عدت وطنية مخلصه .

ولكن ايها كانت على صواب ؟ الاولى ام الثانية ؟
هذه امور لا علاقة لتأثيرها في الوقت الحاضر وانما نحن نصور في مذكراتنا هذا الموقف في البلاد في العهد الذي كنا فيها .

اما الان فعلي ابناء تلك البلاد انفسهم ان يحكموا في اية الصحافيين كانت على صواب .

العثمانية على نوعين — والصحافة العثمانية على نوعين في سوريا منها ما هو مؤيد للدولة ، ومنها ما كان يعمل للاحزاب السياسية المؤلفة في الدولة ، والفئة الثانية هي التي تساعد استبداد عبد الحميد مقابل المال كما تؤيد الاثتلافيين اذا عاضدوها ثم تعود وتندمهم في حال طلب الاتحاديين منهم مهاجمة الاثتلافيين وهذه الفئة المنحطة من الصحافة لا مجالاً لذكرها في مذكراتنا هذه ، لانها لم تعيش طويلاً ولم تكن في وقت من الاوقات تحترم نفسها ليعتبرها الغير ولهذا تطوي ذكرها خصوصاً وان المعلومات الموجودة لدينا تدل على انها اندرست من البلاد المنساختة من السلطنة العثمانية ولم يبق لها اثر .

بقيت امامنا اذا الصحافة المؤيدة للدولة وهي :

اولاً — جريدة « البلاغ »

ثانياً — جريدة « جورنال دي بيروت »

ثالثاً -- جريدة «الاقبال»

رابعاً -- جريدة «ابابيل»

خامساً -- جريدة «المقتبس»

سادساً -- جريد «الشرق» التي اسسها احمد جمال باشا .

وقد لعبت هذه الصحف الست ادواراً هامة في السياسة العثمانية قبل الحرب حتى بعد الحرب وكانت في الحقيقة جد امينة في مبادئها العثمانية الاسلامية التي تأسست لاجلها

والى القراء معلوماتنا عن هذه الصحف

«البلاغ» -- كصحافي ان جريدة «البلاغ» لم تكن الجريدة الجامعة الرقابة الا انها بالنسبة الى محيطها وعدد قرائها كانت لا بأس بها فهي جريدة عثمانية اسلامية قبل كل شيء ترى فيها الابحاث والمقالات المتعددة عن العالم الاسلامي وكنت اعتقد ان صاحبها شيخ معمم يزبد عن الحسين ولهذا كنت اطلع جريدته قبل نشوب الحرب كما اطلع كتابا دينيا الفه احد رجال الدين ولما تعرفت به في فندق بسول عندما جاءني مسلما على احمد جمال باشا وقد رأيت يحدث الشيخ اسعد الشقيري عندما دنوت منها وذلك في شهر تموز سنة ١٩١٥ حملت فيه لاني رأيت نفسي امام شاب في العقد الثالث من عمره نحيف البنية اسمر الوجه لطيف الحديث يرتدي بزة رسمية فالتفت وقلت

حقاً ما كنت اعتقد انك صاحب «البلاغ» لاني مثلتكم في المخيلة كالشقيري افندي

فابتسم وابتسمت معه

وكان احمد جمال باشا نفسه يري في الباقر نفس رأبي . ولذا كان يتحاشاه في بادئ الامر لانه وان كان يحترم رجال الدين الا انه ما كان يريد ان يسيطر او يحد من على مقدرات الرأي العام بل كان يرغب في ان يري الشباب مندفعاً الى الامام يعمل على تأييد بلاده الا انه بعد اجتماعه به سر منه كثيراً وقال

لي بعد مدة :

— ان الباقر شاب لبق في مقدوره ان يكون صحافيا راقيا لو كان في غير هذا المحيط

اي ان احمد جمال باشا يعتقد ان الصحافي في البلاد العربية لا يقدر على الخروج عن تطرفه الاسلامي اذا كان مسلما وانه لا يستطيع ان يقتبس عن الاوربين حضارتهم وان يدفع الشباب الى ازقي واتباع الحضارة الحديثة ولهذا رأي نطاق « البلاغ » يضيق عن مثل هذه الامور

ان محمد الباقر عرف في مدة قصيرة كيف يكتسب ليس صداقة احمد جمال باشا فحسب بل صداقة البلاة و كبار اركان معيتمهم . نفوذ لدى احمد جمال باشا صاحب الكلمة التي لا ترد في السلطنة العثمانية وفي البلاد العربية بوجه خاص ، ونفوذ لدى عزمي بك وغيره ومع هذا لم يسفد لنفسه حتى ان احمد جمال باشا قال لي في احد الايام .

— لا اعرف كيف اعلى موقف هذا الشاب تراه يندفع في تأييدنا وتأييد الدولة العثمانية ومع هذا لا يتقدم بنا بطلب .

— نعم ان احمد جمال باشا كان يقدم له بعض التخصيصات لتأمين معيشته ومعيشة العمال الذين يشتغلون في جريدته الا انه كان في امكانه ان يفعل كغيره فيطلب من الباشا ما يشاء كالأثاث الذين ينشدهون الاشعار و يطلبون ثمنها قمحا لا لقوت اهلهم بل لبيعه من الناس والاستفادة من ثمنه . اما الباقر فلم يطلب شيئا ولم لو طلب لقدمه له الباشا . لكان تمتع بثروة طائلة و بات مثرى ك بعض من اثروا في خلال الحرب العالمية

ان الباقر كان بطبعه خجولا عفيفا ، يأنف من الطلب حتى انه لفت نظري بعد تعارفنا لامر اثنين من عماله يرجو مساعدتهم على تأمين معيشتهم فقلت له .

— هيا بنا لنعرض الامر على احمد جمال باشا وانا الكفيل لكم بانه يقدم لكم

ما تريدون



الاستاذ محمد بك الباقر صاحب جريدة «البلاغ»

الا انه رفض ذلك واكتفى بالشيء القليل لهؤلاء العمال وله .
— ان الباقر اكتفى بمثل هذه الامور من الانزاع و بهذا حافظ على سمعته
وكان تزيها .

انني اعرف الكثير من الكتاب اللبنانيين الذين كانوا يفاخرون بلبنانيتهم
يتزلفون اليه ليكون وسيطاً لهم لدى الباشا فسادهم وحرم نفسه .
كتاب جمال لانور — ان جمال باشا كافأ الباقر بكتاب بعث به الى انور

باشا بتاريخ ١٠ شباط سنة ١٩١٦ هذا نصه :

« ان ثقتنا بمحمد الباقر عظيمة وفي امكاننا الاعتماد عليه في توحيد الصفوف
التي حاول بعض الخونة تفريقها وفي زيارتكم غداً لبيروت يمكنكم ان تفقدوا
هذه الثقة التي نحملها للمشار اليه .

ان كتابكم فيما يتعلق بتأسيس جريدة عربية تدافع عن نظرتنا وتقرب
بين الترك والعرب قد لاقى الاهمية لدينا ونعتقد ان في امكاننا ان نعتمد على محمد
بك الباقر في تكبير جريدته وجعلها تتكلم بلساننا . وقد دنت ذلك امس اعزجي
بك فاجاب ان اصدار مثل هذه الجريدة ضروري وانه يؤيد رأبي في ان يكون
الباقر بك المشرف على شؤونها » .

هذه خلاصة الكتاب الذي بعث به احمد جمال باشا الى انور باشا وهو على كل
حال يدل على مقدار الثقة التي تمنع بها السيد الباقر لديه والتي لم يحسن — كما قلت
ان يستفيد منها لنفسه .

ان الباقر لم يكن محبوباً من حزب الاصلاح السوري ومن دعاة الامر كزبية
لانه لم يسايرهم في مطالبهم ولانه رفض ان يتناول الاموال الاجنبية التي عرضوها
عليه ثم قاموا بعدئذ بتهمونه بالخيانة لوطنه و بلادهم الا انه في الحقيقة كان اكثر امانة
منهم فهو لم يشترك معهم ولكنه كان يعرف اسرارهم وفي النقرير الذي رفعه
والي بيروت اللبناني بتاريخ ١٢ تموز سنة ١٩١٥ على اثر توقيعات صيدا يقول :

« ان لدى محمد الباقر معلومات قيمة عن موارث هذه الفئة ودسائسها

الا انه يرفض الادلاء بها لانه يرى عمله هذا وشاية ينزعه نفسه عنها وفي مقدوركم الاستفادة من معلوماته اذا ما دعوتوه اليكم » .

وكان احمد جمال باشا شديد النقمة على هؤلاء و كنت لا اعرف الباقر ولهذا عرضت هذا التقرير بما فيه من معلومات مفصلة على احمد جمال باشا فكان جوابه :

— انني احترم هذا الشاب وما دام انه لم يشترك في مؤامرات هذه الفئة فاننا لا ارى يد احرار موقفه بطالب مثل هذه المعلومات منه ولو كانت تنير لي السبل التي اسير عليها جميعها .

وفعلنا لم يستدع احمد جمال باشا الباقر اليه كما انه منع والي الولاية وكان يومئذ بكر سامي بك من ان يتحدث به جود هذه المعلومات عند الباقر .
وكان رجال الصحافة يومئذ جميعا وفيهم الباقر تحت المراقبة الشديدة وقد رفعوا منذ ذلك الوقت المراقبة عنه .

الاقبال — يحرقها الشيخ عبد الباسط الانسي وهو رغم كونه شيخاً معماً كما تصوره في الخيلة الا انه ليس بالشيخ الجاهل الذي تعمم ليجر منفعة مادية من وراء العمة .
فالشيخ عبد الباسط الانسي كان جسد مخلص لاسلاميته وكثير التمسك بعرش الخلافة ولم يسبق له ان قام بعمل ما يوردي الى نقمة الدولة عليه فلم ينضم الى الامملاحيين لانه لم يجد في مبادئهم الخدمة الوطنية كما انه لم يرض ان يكون آلة بيد الاجانب يدفعونه كما يريدون مثلاً فعل غيره من اصحاب الصحف المتعممين وهو لو فعل ذلك لكان في امكانه ان يدفع جريدته الى الامام الا انه انف وهو المسلم التمسك بمبادئه الاسلامية ان يدفع في جريدته الى خدمة الاجانب وان يجعلها لبنانية مسيحية كما فعل زميله المتعمم صاحب الاتحاد العثماني .

وقد ظل الانسي مخلصاً لدولة الخلافة حتى ما بعد الحرب العالمية حيث الف في العهد الافرنسي جمعية الهلال الاحمر التي ساعدت الحركة الوطنية الكالية مساعدات جمة والانسي كزميلة الباقر لم يغتنم فرصة تقرب به من رجال الحسك في الحرب



الامتاز الشيخ عبد الباسط افندي الانسي صاحب جريدة الاقبال

للإثراء أو الاستفادة من المراكز بل ظل منزو ياتواضعاً يخدم عقيدته باخلاص
يشكر عليه .

ابايل — وصاحب ابايل الشيخ حسين افندي الحبال الذي تعرفت اليه في
رياق وهو في طريقه الى استمبول لمشاهدة الساحة الحربية في المضائق كبير الدهاء
والمرونة وكاتب يعرف كيف يكتب دون اقل ملاحظة وكان في امكانه لو
تولى تحرير احدى الصحف الكبرى ان يبرز بها ويكون ذا مكانة سامية الا انه
كان فقيراً وقره لم يمكنه من ان ينهض بجر يده ويجهلها في المكانة التي تستحقها
وكان اذا تلقى اعانة من احمد جمال باشا صرفها في سبيل عائلته لا في سبيل جريده
ولهذا ظل على حاله لم يتقدم .

وكان احمد جمال باشا يساعده و يعطف عليه وقد قال لي .

— لو سحنت لي الظروف وارادت انشاء جريدة مؤيدة لي لما ولبت غير
الحبال رئاسة تحريرها لانه كاتب مرن جميل الاسلوب فلو تولى هو رئاسة تحرير
الجريدة كما يتولى الباقر ترتيبها وادارتها لسارت هذه الجريدة الى الامام ونجحت
نجاحاً باهراً .

ان الحبال كان صريحاً في كتاباته متمسكاً بعقيدته ولو اراد ان يسير على
الخط التي سار عليها غيره من الصحفيين الذين باعوا ضمائرهم من الاجانب لنجح
الا انه لم يفعل لانه كان ذا عقيدة اسلامية ثابتة .

ولئن كان الحبال حاول استرضاء احمد جمال باشا لمساعدة بعض افراد عائلته
الا انه في الحقيقة لم يلمس هذه المنفعة الا لجرد حبه لهم لا لمنفعة نفسه وجر المغنم .
المقتبس — كانت جريدة المقتبس اسلامية عثمانية وصاحبها وان لم يكن
ثابتاً تمام الثبات في مبادئه الحزبية الا انه عثماني مؤيد لدولة الخلافة على كل حال
وكان احمد جمال باشا يحبه ليس لانه عثماني فقط بل لانه عالم مشهور واديب
كبير ولهذا اظهر له كل مساعدة وكان يعطف بوجه خاص على اخيه احمد
كرد علي .

جورنال ده بيروت

هي جريدة حكومية

نعم ان جورنال دي بيروت جريدة الحكومة لانها كانت تصدر في بيروت
باموال الحكومة

فجورج بك حروفش كان صديقا حيا لطلعة باشا عندما كانا معا في سلازبك
يشكوان جور الاستبداد وعسفه قد عملا معا في سبيل تركيا الفتاة وبات جورج
بك من ار كان حزب الاتحاد له الكلمة والمكانة السامية فيه

وجورج بك كان عفيفا نزيها قم بدافع عن عقيدته باخلاص في الصحف
الثلاث التي اصدرها في العاصمة العثمانية وعفته واستقامته جعانه يخسر في صحفه
كلها ويعطالها

جورج بك في بيروت -- تولى طاعة بك وزارة الداخلية في العهد العثماني

فوجد ان زميله السابق عادل بك وسع الخرق في بيروت بالحرية الواسعة التي
اعطاها للوربين ولهذا صرف جهودا خاصة في هذا السبيل فوفد امين السر العام
للحزب مع عبد الكريم الخليل الى باريس لاقتناع مسلمي سوريا بالا يشتركو
في مؤتمر باريس كما حل الجمعية الاصلاحية التي الفها بعض المعارضين للدولة
في سوريا

وكانت الصحف الافرنسية الصادرة في بيروت تشتغل ضد الدولة العثمانية
وتعمل على تسميم افكار ابناء هذه البلاد

وجاء احد الصحافيين المعروف بتطاوله في كتاباته واسمه فسيه الى بيروت
لافساد الافكار فرأى الحزب ان يقاوم هذه الدعايات بطريقتين الاولى ان
يصدر جريدة افرنسية في استمبول والثانية في بيروت وقد تقرر ان تكون الاولى
نسخة عن جريدة طنين وقد عهد بتحريرها الى الحامي الاستاذ شارل الدباس الذي
كان مخلصا للاتحاديين او الذي كان يظهر اخلاصه للاتحاديين في المقالات التي
كان يرسلها في جريدته «لالبرت» كما سنبينه في فصل خاص من هذه

المذكرات المقبلة

وتقرر ان تنشأ الثانية في بيروت باموال الاتحاديين وان يعهد برئاسة تحريرها الى جورج بك حروفش صديق طلعة باشا والعضو المخلص بجمعية الاتحاد والترقي وقد دارت مفاوضات طويلة في هذا الامر قبل في نهايتها جورج بك ادارة هذه الجريدة وكان خير صديق مخلص ليس لذو له فحسب بل لامة العربية
ان جورج بك حروفش كان مخلصا كبيرا رغم الصداقة التي تربطه بسيد تركيا الكبير وضحي بكل فائدة في مسيل صالح الحزب الذي ينتمي اليه
ففي ايلول سنة ١٩١٥ عندما صدرت الاوامر بانتخاب نواب عن جبل لبنان لمجلس المبعوثان العثماني بعد الغاء امتيازاته اراد طلعة باشا واحمد جمال باشا معا ان يرشحاه للنياحة عن جبل لبنان او عن بيروت فرفض قائلا:

— ان هناك من يطمع بالنياحة وفي امكان الدولة مساعدتهم للوصول الى هذه الكراسي لانهم يصبحون قوة الى جانبها اما هوفاته دوما بجانبهم يعمل على تأييدهم وفي هذا الجواب تضحية لا تراها من ابناء تلك البلاد حتى ولا من ابنائنا الا تراك

وظل في الحرب العالمية مخلصا للدولة العثمانية صديقا يبين باخلاص تام الحالة في هذه البلاد حتى كان احمد جمال باشا يعتمد عليه في الشؤون الصحفية وفي الشؤون السياسية ايضا

ولما جاء الشريف فيصل «جلالة الملك فيصل اليوم» في ايلول الى القدس ازبارة احمد جمال باشا ابرق احمد جمال باشا الي جورج بك حروفش يدعوه الي القدس لحضور هذه المقابلة والوقوف على حديث الشريف فيصل ثم صحبه معه الى بشر السبع مع الشريف فيصل حيث احتفل بحضور رئيس المهندسين ميسر باشا بافتتاح خط بشر السبع ووصول السكة الحديدية اليها
ان جورج بك حروفش يحمل اعظم اوسمة حملها صحافي في العاصمة العثمانية واخلص رجل الحزب سياسي وجد في العالم

ساعد وجود « جورنال دي بيروت » خلال الحرب العالمية على افهام الرأي العام في اوروبا واميركا حقيقة الموقف في البلاد وحقيقة المواقف التي دبرها الحلفاء في المنطقة العثمانية ولهذا ساعده احمد جمال باشا وقنصل ألمانيا مساعدة قيمة وجورج بك حروفش وإن كان يتقاضى راتباً معيناً الا انه استفاد كثيراً من اموال الاعاشة وانفذ بعض اقراره من الجندي حتى انه كان ذا نفوذ مطلق في مقدوره ان يستفيد اكثر من غيره في هذا الشأن، وكان الالمان انفسهم يريدون ان يولوه مركزاً سامياً الا انه رفض ذلك لانه كان يعتقد ان هذه البلاد يجب ان لا تكون آلة بيد الالمان

جريدة الشرق — صدرت هذه الجريدة في دمشق سنة ١٣٣٤ ماله ولهذا لا يصح ان نبحث عن ماضيها لانها صدرت باموال احمد جمال باشا او باموال الدولة وقد اعطي امتيازها لخليل الابو بي الانصاري وعين مديراً مسوئلاً لها الشيخ تاج الدين الحسيني نجل المحدث الاكبر الشيخ بدر الدين الحسيني

الفصل العشرون

البارون او بنهايم

للالمان مطامع بعيدة المدى في البلاد العربية بدأت في اوقات مختلفة وقد عرف المشتغلون بالسياسة العثمانية ادوارها

فقد كان الالمان يطمعون في ان يسيطروا على البلاد العربية واراد امبراطورهم غليوم الثاني الذي يعمل على منافسة انكلترا ان يسطر نفوذه على البلاد فبدأ ذلك بزيارته الاولى لتركيا سنة ١٨٩٨ وفي هذه الزيارة استمال اليه السلطان عبد الحميد وجعله يعتقد بحسن نيته ثم حصل بهذه الوساطة على امتياز سكة حديد بغداد ومنذ ذلك الوقت اتسعت مطامع الالمان في السلطنة العثمانية فرأيناهم يتالون امتيازاً من السلطان عبد الحميد لجعل جزيرة فرسان قاعدة لاسطولهم وتقوم به بما يحتاجه

من الفحم ثم يقيمون المستعمرات في فلسطين و بيروت و يعممون الثقافة الالمانية
في البلاد العربية

و كانت لهم دعايات واسعة في هذه البلاد منذ كرها في الفصل الخامس
المعلق بالجلاسوسية الاجنبية في البلاد العربية

لاستمالة المسلمين — و وقعت الحرب العالمية و انضمت الدولة العثمانية الى الدول
المتفقة و ارسلت الحملة العثمانية لفتح مصر في الظاهر و لكن الحقيقة هي من اجل
تحويل بعض القوات الانكليزية عن الجبهة الحربية الى مصر

و فكر الامبراطور في استمالة مسلمي البلاد العربية اليه فاشار عليه المستشرق
الالمانى البارون « او بنهايم » ان يقدم هدية الى ضريح السلطان صلاح الدين
الايوبي و في ذلك اهمية سياسية كبرى لان صلاح الدين الايوبي هو البطل
العربي الذي حارب الصليبيين و دحرهم عن البلاد بعد معركة « حطين » المشهورة
و قد اراد الامبراطور ان يعبد الى الازمان ذكرى ذلك البطل العربي
ليحمل ابناء العرب على الاقتداء به و المبادرة الى محاربة الخلفاء و هم احفاد الصليبيين
الذين جاءوا الى البلاد لانتزاعها من يد المسلمين و هكذا حسنت هذه الفكرة في عين
الامبراطور الالمانى الذي اوصى معامل بلاده على صنع ثوابت ليقدّمها الى مقام
السلطان العربي و انتدب البارون او بنهايم نفسه ليوصل هذه الهدية الى دمشق
و يعلقها بالنيابة عنه .

و البارون او بنهايم ليس بالمستشرق العادي الذي يشتغل في سبيل العاديات
الشرقية و علومها فحسب كلا بل انه يمتحن هذا العمل ستاراً لتحقيق مطامع مولاه
الاستعمارية فقد لعب هذا الرجل قبل الحرب العالمية دوراً خطيراً في المنطقة الممتدة
من شمالي حلب الى الموصل دارساً احوال قبائلها و رجالها ليمهد لمولاه خطته
الاستعمارية بجانب خط بغداد الحديدي كما لعب عشرات الادوار في مختلف الجهات
العربية قبل الحرب و اثناؤها و سأذكر ذلك في الفصل الخاص عن الجلاسوسية
الاجنبية في البلاد العربية .

والمهم الان ان البارون او بنهايم وصل الى بيروت في اليوم العشرين من شهر تموز سنة ١٩١٥ ومعه الثريا الثمينة استعداداً لتعليقها في دمشق وحال وصوله الى بيروت عقد اجتماعاً في فندق «دوتشر هوف» حضره قنصل المانيا وبعض اركان الجالية الالمانية وتذاكروا في مسألة تنظيم الدعاية للحفلة المقبلة والخطوة الواجب اتباعها في هذا السبيل ، فصدرت جريدة «جورنال ده بيروت» وغيرها من الصحف في اليوم الثاني وفيها نبأ قدوم البارون حاملاً الهدية الثمينة من الامبراطور الالمانى وان الاستعدادات اتخذت لان تكون الحفلة ضخمة للغاية .

فصيحة ثمينة - وكنا في الوقت الذي وصل فيه البارون الى بيروت في شهر رمضان وكان من رأي البارون او بنهايم وقنصل المانيا في بيروت ان تعلق الثريا في مقام السلطان صلاح الدين الايوبي في اول شهر شوال اي بعد حفلة عيد الفطر ولكن الشيخ بدر الدين الحسيني والشيخ عبد القادر الخطيب عارضوا في هذا الامر قائلين -- ما دام تقرر تعليق هذه الثريا وما دامت وصلت الى بيروت فمن الضروري والحالة هذه تعليقها والاحتفال بتنويرها ليلة ٢٧ رمضان اي ليلة القدر وان في هذا لغألاً حسناً للمسلمين .

وقد سر البارون او بنهايم من هذه الفكرة التي جاءت مطابقة لما اراد وتقرر ان تعلق الثريا المذكورة ليلة القدر .

تعلق الثريا - ووقعت ليلة القدر في ٦ آب سنة ١٩١٥ وفي المساء نفسه اجتمع في دمشق بحضور اركان السلطتين التركية والالمانية بتعليق هدية الامبراطور الالمانى وبهذه المناسبة القا البارون او بنهايم وبعض المشائخ الدمشقيين خطباً وكانت الحفلة في الحقيقة شائقة تغنى خلالها الجميع باعمال صلاح الدين الايوبي الباهرة واعمال جمال باشا الحاضرة وانه سيكون خير خاف لخير سالف وان هذا الاحتفال في هذه الليلة المباركة سيجعل النصر مؤكداً بجانب جمال الدين (اي جمال باشا) تيمناً باسم صلاح الدين .

وهكذا اسدل الستار على الرواية !! .

شبلي ملاط — شبلي افندي ملاط شاعر لبناني كان ينشد الباشا الشعر لسبب
و بدون سبب و قل ان لا نراه في احد الاحتفالات العمومية لا يقترب من الباشا
منشداً آياه القصائد والايات شاكرآ له مساعيه واعماله الحميدة
وفي احد الايام كنا في حفلة خيرية اقامتها احدى السيدات المسيحيات في
بيروت فتكلم فيها شبلي ملاط منشداً مطرباً الباشا و كنت واقفا يومئذ بجانب
جمال باشا فالتفت الي مبتسماً وقال :

— انني عندما اطالع هذه القصائد اتصور ان الشاعر يخاطب غيري وهذا
هو الخطأ الذي يرتكبه ابناء هذه البلاد حيث لا يهتم الا رصف الكلام وارساله
بسبب و بدون سبب فاذا ما طالعت قصائدهم خيل لي انها مرسلة الى احد الفاتحين
ورحت اسائل نفسي عما اذا كنت املك حقيقة هذه الصفات وقد اغتر في بعض
الاحيان فاخادع نفسي بنفسي

وابتسم الباشا وابتسمت معه ثم قال :

— كم ترى ثمنا لهذه القصيدة

فقلت : وهل لها ثمن ايضا ؟

— نعم

وعندئذ اقترب الباشا من شبلي افندي ملاط وقال :

— كيف الحال يا حضرة البك

— حسنة يا مولاي بظل دولتك

— وانت

-- انني بفضل نعمة مولاي مسرور ولكن ..

— انك بحاجة الى شيء من القمح لعائلتك

— انني يا مولاي

وهنا التفت الباشا الى مرافقه وامره ان يقدم الى شبلي بك وثيقة بكمية من
القمح لم اعرف مقدارها . ولست لاعرف ما اذا كان هذا القمح وصل الى دار

الشاعر اللبناني ام تسرب الى السوق الا ان الذي اعرفه ان شبلي بك اظهر سروره من المنحة وذهب بعد استلامه الوثيقة الى السيدة صاحبة الدعوة يشكر لها جهودها شبلي بك في الوظيفة — وكان احمد جمال باشا يحب شبلي بك ملاطو يعتقد ان في امكانه الاستفادة منه في تحقيق رغباته في مسألة لبنان وكان خدبل بك الخوري ترجمان القسم العربي في متصرفية جبل لبنان قد طلب احالة الى التقاعد لانه لم يرض ان يظل في وظيفته بعد الغاء الامتيازات التي يتمتع بها الجبل وبعد ان بات القابضون على زمام الحكم فيه لا ينظرون اليه نظرة حسنة

والحقيقة هي ان خليل بك الخوري رجل مستقيم اظهر مدة وجوده في منصبه اخلاصا ودراية ولم يكن في وقت من الاوقات جاسوسا الا ان بعض اللبنانيين من خصومه صوروه لاحد جمال باشا بأنه كان عاملا لحساب فرنسا يرسل اليها التقارير عن كل حركة تجري في المتصرفية حتى انه ظل على اتصال مع الافرنسيين والجماعة الذين يشتغلون معهم مدة طويلة . ولكن الحقيقة ما لبثت ان كذبت هذه الوشائيات التي لو اراد احمد جمال باشا ان يستند عليها لكان نصيب خليل بك الخوري الاعدام

الا ان هذه الوشائيات اثرت نوعاً ما في نفسية احمد جمال باشا الذي امر بقبول استقالته وعين مكانه شبلي بك ملاط الذي استلم مركزه هذا في شهر آب سنة ١٩١٥ ولا نسل بعد ذلك عن قصائد الشكر التي بدأت تنهال على المتصرف والباشا جزء هذا العمل او اجرة تعيينها اياه في هذه الوظيفة .

فخر الدين باشا ووحيد بك — ونقل مركز القائد فخر الدين بك باشا الى بيروت في الوقت الذي كان فيه احمد جمال باشا يعمل على احتلال لبنان والغاء امتيازاته وقد حضر فخر الدين باشا الى بيروت يوم السبت في ٣١ تموز سنة ١٩١٥ واستلم مهام وظيفته الجديدة فيها وتولى في الوقت نفسه القيادة العامة للقوات العثمانية في لبنان والبلاد الساحلية الممتدة من حيفا حتى اللاذقية وفي الوقت نفسه صدرت اوامر قائد الجيش الرابع بتولية وحيد بك قائد درك سور يا قيادة قوات الدرك

في لبنان . ومفهوم ان احمد جمال باشا كان قد بدأ يسيطر نفوذه الفعلي على الدرك اللبناني منذ ان اصدر الاوامر بالقضاء اللباس اللبناني كما بيناه في فصل سابق وجعله يرتدي البدلات الخاصة برجال الدرك العثماني في سائر الولايات التركية .

ثم رأى ان يتزع هذه القيادة من اللبنانيين وقد قيل له حينئذ ان يسند هذه القيادة الى حليم بك شقير ولكنه ابي ذلك لانه اراد ان يوليها لقائد ينسب الى الادارة العثمانية المباشرة ولهذا استدعى اليه وحيد بك قائد درك ولاية الشام المعروفة في ذلك الوقت بولاية سوريا وولاية قيادة الدرك اللبناني بعد ان اوصاه ان ينتزع من اللبنانيين وجنودهم الفكرة اللبنانية المتطرفة وان يجعل من الجيش اللبناني او دركه قوة تعتمد عليها الدولة .

ولم يرض احمد جمال باشا ان يستبدل الضباط اللبنانيين بل بالعكس زاد رواتبهم واقطعهم تخصيصات من ادارة المنزل اسوة ببقية الضباط العثمانيين في سائر منطقة الجيش الرابع وبذلك استمال هؤلاء الضباط اليه وجعلهم يعملون معه بدءاً واحدة واقول هنا بصراحة ان الضباط اللبنانيين اظهروا خلال الحرب العالمية مقدرة فائقة واخلاصا في العمل كان في امكاننا ان نستفيد منهم فائدة كبرى لو كانوا من ضباط الدرك العثماني لانهم فئة يقظة مخلصه . . .

الفصل الواحد والعشرون

قبل ان تنفذ احكام الاعدام السياسي في لبنان نفذت عدة احكام عادية كانت نتائج لحوادث سابقة ففي اليوم الثاني عشر من شهر تموز سنة ١٩١٥ تلقينا لائحة اولى باحكام غير سياسية صادرة بحق اللبنانيين وهذه هي :

اولا - عبدو المتني شاب في الثلاثين من عمره ومن سكان قرية سن الفيل حكم عليه بالاعدام لجناية قتل

ثانيا - يوسف موسى نصري شاب في ٢٨ من عمره ومن سكان قرية فالوغا حكم عليه بالاعدام لجريمة قتل ارتكبها

ثالثاً - يوسف خليل ابو نادر في الخامسة والثلاثين من عمره من اهالي قرية المتين حكم عليه بالاعدام لجريمة قتل ارتكبها

رابعا - صعب فارس الدبس رجل في العقد الرابع من عمره ومن اهالي مدينة زحلة حكم عليه بالاعدام لجريمة قتل ارتكبها

خامساً - جرجس بن الشيخ اسعد زخر يا شاب في الثلاثين من عمره من اهالي (المغرب : لم تتمكن من قراءة اسم القرية أو البلدة التي ينسب اليها هذا الزجل) حكم عليه بالاعدام لجريمة قتل ارتكبها

سادساً - سعيد احمد دحلوي من اهالي بيروت في ٣٢ من عمره حكم عليه بالاعدام لجريمة قتل ارتكبها

سابعا - عبد الباسط حسن كواشي شاب في الخامسة والثلاثين من عمره ومن اهالي بيروت حكم عليه بالاعدام لجرمة قتل ارتكبتها
ثامناً - ٢٢ حكماً بالاشغال الشاقة من ثلاث سنوات الي ١٥ سنة لاجرام مختلفة ارتكبتها المحكوم عليهم بها
تقديم الاوراق لجمال - وقد كانت الاوامر الصادرة الي توجب ان اعرض
الاوراق الصادرة بهذا الشأن على المستشار القضائي واخذ رأيها بها ثم عرضها مع رأي المستشار القضائي على الباشا

وللمرة الاولى منذ استلامي العمل مع الباشا تلقت هذا العدد الكبير من احكام الاعدام والاشغال الشاقة في يوم واحد وكان علي في هذه الحالة ان اعرض خلاصة الاحكام كما صنفتها اعلاه على سبيل الاطلاع على الباشا الذي عارض بذلك وامرني فوراً باحضار سائر الاوراق
المصادقة على الاحكام - والمعروف ان الباشا مزود بصلاحية واسعة فنحوه
حق تصديق احكام الاعدام وتنفيذها ثم عرض الكيفية على الحكومة المركزية ولهذا صدعت بالامر واتيت بالاوراق فنناولها واخذ يحرر على كل واحدة منها بالخبر الاحمر كلمات « نظر ، فصدق ، جال » ويدفعها لي الواحدة تلو الاخرى
فقلت - ان في هذه الاوراق احكاماً باعدام سبعة اشخاص وبسجن ٢٢ شخصا اخرين

- وماذا بهم ؟

- قد تكون المحكمة يادولة الباشا اخضأت في هذه الاحكام وقد ترى في هذه القضايا ما يوجب تخفيف هذه الاحكام الا ترون دولتكم ان تؤجلوا التصديق عليها ولو يوماً واحداً ريثما يتسنى لنا درس هذه القرارات ؟
- وهل انت اعرف من هيئة المحكمة في مثل هذه الامور ؟
- كلا يادولة الباشا وانما قد تكون هناك خطيئات ارتكبت او ان المحرم اقدم على جرميته مدفوعاً بغير عامل الاجرام والشقاوة

— هذا لا يهم فهو لاء الاشخاص مجرمون ومن الضروري ردع غيرهم من
المجرمين ولهذا صدقت هذه الاحكام وعليك ان تجهز القرارات المتعلقة بنصديق
هذه الاحكام وتقدمها لي للتوقيع بعد ظهر اليوم
— امركم مولاي

قلت الجملة الاخيرة وانصرفت متاثرا ليس لحكم الاعدام نفسه لاني من القائلين
بوجوب تطبيق الاحكام الشديدة بحق المعتدين على الارواح والاعراض الانني
كنت أرغب التمييز بين المجرم الحقيقي والبري . فهناك من يكون قد اقدم على
الجريمة اما دفاعا عن نفسه او عرضه او عزة نفسه كما ان هناك من يقدم عليها لمجرد
حب الجريمة نفسها وما دام الامر على هذا المنوال فمن الضروري والحالة هذه الرأفة
بالفئة الاولى وتنفيذ الشدة بحق الفئة الثانية

وقبل شروق شمس ١٥ تموز سنة ١٩١٥ اعدام مملبا هو لاء السبعة وقد
تبلغنا في صباح اليوم نفسه نبا تنفيذ الاعدام بهم

.....

في اليوم الاول من شهر آب سنة ١٩١٥ صدرت الارادة السنية بمشترى
الخطوط الحديدية التي تمتلكها الشركات الفرنسية في السلطنة العثمانية في جهات
سوريا والفت لجنة لمشتري هذه الخطوط الحديدية حيث بدأت بوضع يدها على
الخطوط المذكورة باعتبار ان الدولة اشترتها ثم وضع قرار اصدره السلطان ينص
على ان الخطوط البارد ذكرها وتفصيلها ادناه قد القي امتيازها وباتت خاضعة
لادارة سكك حديد الدولة العثمانية ، وهذا بيانها :

الخطوط الاولى — الخط الاول هو المعروف بالخط الضيق وعرضه متر واحد
وطوله ٢٤٧ كيلومترا ويمتد من بيروت الى رباق فدمشق فالنزار يب وقد اعطي
امتيازها الى احدى الشركات الفرنسية بدون تامين اوضمانة كيلومترية وقدم مع هذا
الامتياز على مرتين الاولى في سنة ١٣٠٧ لمدة سنتين سنة على القسم الممتد منه من
الشام الى المزاريب والثانية في سنة ١٣٠٨ لمدة ٩٩ سنة على القسم الممتد من بيروت

٢٢ - ر ياق - شام

الخطوط الثانية - اما الخطوط الثانية فهي الخطوط العريضة البالغ طولها ٣٣٠ كيلومترا والممتدة من ر ياق الى حص وحاه وحلب وقد اعطي امتيازها في ايار سنة ١٣٢١ لمدة تسعين سنة ذات ضمانات كيلومترية وقد نص الاتفاق المنعقد بين الدولة والشركة على ان الضمانة الكيلومترية هي (١٣٦٠٠) فرنك

وقد تبين لنا من التقارير الرسمية الموجودة لدى وزارة المالية وادارة مراقبة الشركات صاحبة الامتيازات ان الحكومة دفعت الى الشركة سنة ١٩٠٩ مبلغ ٢٢١٨٧٢٧ فرنكا ثم نقص المبلغ الذي دفعته سنة ١٩١٠ الى ١٩٧٣٤٤١ فرنكا وقد دل هذا الامر على ان الاقبال على السكة الحديدية في هذه المنطقة لم يكن كافيا لان ايرادات السكة الحديدية من هذا الخط كانت في سنة ١٩٠٩ ٢٢٧٠٧٣٠ فرنكا اي ان نصيب كل كيلومتر من الايراد ٦٨٨١ فرنكا وهو ما يعادل نصف الضمانة الكيلومترية المحددة بالاتفاق وقد اخذت هذه الضمانة تنقاص حتى ان احمد جمال باشا في اجابته مع المسيو ديكان الالماني رأى ان في مقدور الدولة اذا ما هي وضعت يدها على هذه الخطوط ان تستفيد منها فائدة كبرى من وجهة النقيات العسكرية وفي الوقت نفسه لا تشكل الخسائر التي تقدمها للشركة .

وقد رأى المسيو ديكان ان هذه الخسائر ناجمة عن مطامع الشركات ما دامت الضمانة الكيلومترية تضمن لها الربح حتى اذا كثرت ديونها على الدولة عمدت الى اقتناص امتيازات اجنبية جديدة

الخطوط الثالثة - اما الخطوط الثالثة فهي الخطوط الممتدة من طرابلس الى حص والبالغ طولها ١٠٢ كيلومتر وهي خطوط نالت الشركة امتيازها سنة ١٣٢٤ لمدة ٩٠ سنة وبدون ضمانات كيلومترية وقد بلغت ايرادات هذا الخط في سنة ١٩١٩ مليون و ٢٠ الف فرنك وفي السنة التالية مليون و ٨٥ الف فرنك

وفي سنة ١٩١١ بلغت ١١٦٥٠٠٠ فرنك اي ان معدل الايرادات كانت عشرة الاف فرنك عن كل كيلومتر و بزيادة التي فرنك عن كل كيلومتر من الخط العريض الاخر الممتد من رباق الى حلب

الخطوط الرابعة — اما الخطوط الرابعة فهي الخط الحديدي الممتد من يافا الى القدس والبالغ طوله ٨٦ كيلو متراً وهو من النوع الضيق وهذا الخط رغم صغره فهو ذو اهمية كبرى من الوجهة الاقتصادية لانه الخط الوحيد الموجود في هذه المنطقة المعروفة اليوم بالبلاد الفلسطينية

الترام اللبناني — وعدا هذه الخطوط يوجد خط اخر عرف باسم الترام اللبناني اعطي امتيازَه سنة ١٣٠٩ لمئة اربعين سنة وهو بطول ١٩ كيلو متراً مجموع الخطوط — وعلى هذا يكون مجموع الخطوط الحديدية في لبنان وسوريا عند دخول الدولة الحرب العالمية ٧٨٤ كيلو متر منها ٢٤٧ كيلو متراً خط بيروت — رباق — شام — مزاريب و ٣٣٠ كيلو متراً رباق — حص — حماه — حلب — و ١٠٢ طرابلس — حص و ٨٦ يافا — قدس و ١٩ الترام اللبناني هذا ما عدا الخط الحجازي الذي هو ملك الدولة

و كان اوفر هذه الخطوط ربحاً الخط الممتد من بيروت الى دمشق فان هذه الخطوط التي كان ايراد الكيلومتر منها في سنة ١٨٩٧ مبلغ ٩٧٥١ وفي سنة ١٨٩٩ مبلغ ٩٨١٠ فرنكات وقد زادت سنة ١٩٠٩ الى ١٨٦٧٥ فرنكا وسنة ١٩١٠ الى ١٨٨٩٠ فرنكا وهذا ما يدل على مقدار النجاح الذي احرزته هذه الشركات في هذا الخط .

بلاع الحكومة عنها — وفي ٢٩ حزيران سنة ٩١٥ اذاعت الحكومة بلاغاً رسمياً هذا نصه :

ان الخطوط الحديدية القائمة في سوريا والبالغة مساحتها ٧٨٤ كيلو و ٥٠٠ متر تقرر مشتريها ومشتري هذه الخطوط الحديدية سيكون من اهم التوفيق الذي

أحرزته الحكومة في إدارتها السياسية بعد الغائها العهد القديم التي كبلت البلاد
بقيد حديدي ثقل .

إن العهد القديم كانت قيداً خطراً يكبل وبشل حباثتها . ولما كانت
الخطوط الحديدية هي منابع حياة للبلاد ولا يمكن الاستغناء عنها كان من الصعب
إبقاؤها على حالها في سور ياتلك المنطقة التي هي عضو نافع في جسم الساطنة
ويستند الإغيار بواسطتها إلى نشر الدغابات المضرة ولهذا قررت الحكومة مشترى
هذه الخطوط الحديدية وبدأت ذلك بوضع يدعاً عليها
هذا عن الخطوط الحديدية الموجودة في البلاد السورية قبل الحرب العالمية ولحمة عن
تاريخ امتيازها

وكان إذا كان الحكومة المركزية يظهرون اهتماماً خاصاً بأمر هذه الخطوط
حتى أننا عند وصولنا إلى سور ياتلقينا بريقة من أنور باشا يعلننا فيها أنه أوفد إلى
سور ياما يستر باشا الألماني ليكون تحت إشراف قائد الجيش الرابع لدرج
مشروع ربط الخط الحجازي من محطة «باستيا» بيافا

وقد قام الباشا بمساع جمة في هذا السبيل فباشتر العمل في أوائل كانون الأول
سنة ١٩١٤ في محطة السعودية وفي ٣٠ نيسان سنة ٩١٥ تمكن من مد ٨٠
كيلومتراً من الخطوط الحديدية وصلت إلى الرملة وفي أيلول سنة ٩١٥ وصل
هذا الخط إلى بئر السبع فيكون ما يستر باشا مد من أول كانون الأول سنة ٩١٤
إلى آخر أيلول ١٧٠ كيلومتراً من الخطوط الحديدية

خطوط المواصلات — وجدت قيادة الجيش الرابع ١٠٠٣ كيلومتراً
من طرق المواصلات بات كلها صالحة للعمل هي :

أولاً — طريق شام — قنيطرة — جسر بنات يعقوب — طبريا — ناصرة
— عفولة .

وهذه طريق مستحدثة في الحريث وطولها ١٧٠ كيلومتراً
ثانياً — طريق عمان — أريحا وهي طريق مستحدثة وطولها ٥٥ كيلومتراً

ثالثاً - طريق خليل الرحمن - بئر السبع - وهي طريق مستحدثة بطول
٥٥ كيلومتراً

رابعاً - طريق بئر السبع - حفير العوجه - بئر الحسا - جفجافة وهي
طريق مستحدثة بطول ١٨٠ كيلومتراً

خامساً - طريق القدس - يافا وطولها ٦٢ كيلومتراً وشام بيروت وطولها
١١٢ كيلومتراً وطريق زحلة بعابك وطولها ٣٠ كيلومتراً وبوزانطي -
طرسوس وطولها ٧٨ كيلومتراً وهذه الطرق قديمة الا انها كانت غير صالحة
للسير وجري تعميرها

سادساً - احدثت طريق جديدة تربط رفاق بطريق بيروت وطولها
١١ كيلومتراً

سابعاً - حلب - اسكندرون طريق حديثة طولها ١٤٠ كيلومتراً
ثامناً - طريق عثمانية - ايتلي - اصلاحية - راجو - قاطمة طريق
مستحدثة طولها ١٢٠ كيلومتراً

الفصل الثاني والعشرون

جمال السفاح !

جمال الظالم !

جمال الطاغية !

جمال مجوع البلاد !

جمال هاتك الاعراض !

جمال ! جمال ! جمال ! ...

مثل هذه النعوت الصفت بقائد الجيش الرابع احمد جمال باشا حتى ان من
يختلط بالشعب السوري - اللبناني عقب الاحتلال لا يسمع الا مثل هذه المظالم
التي تسند للبasha والفظائع التي ارتكبها

انني في الفصول التي اكتبها اتحدث الى القراء بالحقيقة فانصف البريء
واحكم على الظالم .

ان جمال باشا لم يكن جديراً بهذه النعوت لانه لم يشق البريء ولم يسيء
الا للظالم .

ان جمال جاء سوريا كتركى عهد اليه بانفاذ مهمة فنقذها باخلاص ولهذا
يصح ان يمنح هذه الالقب الطائشة

ولكن مناك من كانوا سببا بالصاق هذه التهم بالبشا وهم احق من غيرهم
بهذه النعوت

اخبارية ضرية ١ - في اليوم العاشر من شهر ايار سنة ١٩١٥ تلقينا تقريراً
سرياً بالعربية هذا نصه حرفياً :

انني شاب مسلم من أبناء بيروت احب دولتي و ملاذي باخلاص تام وأربأ
بها ان تكون العوبة بيد بعض ابنائها الذين لا ضمير لهم يدفعونها الى يد الاجانب
« سمعت منذ ايام ان مؤامرة يديرها بعض من لا اخلاق لهم ضد حكومة
مولانا الخليفة المعظم وضد صاحب الدولة قائدنا المحبوب احمد جمال باشا امد الله
بعمره وابقاه ذخيراً لآلولة والامة وقد علمت ان هذه المؤامرة مديرة بيد احد كبار
رجال الادارة في بيروت وهو عبد الوهاب بك الانكليزي حيث علمت ان عدة
اجتماعات عقدت في منزله وكان من ابطالها عبد الكريم بك الخليل وغيره من
رجالات هذا البلد البائس بهم (كذا) ولهذا جئت اطلع دوائكم على هذه الحقيقة
حتى اذا وجدت اقبالا منكم بادرت الى التحقيق بها مولاي

الامضاء : احمد سعيد العاملي

لم يظهر احمد جمال باشا اقل اهتمام بهذا التقرير الذي ورده الا انه عملاً بالاصول
احاله الى بكر سامي بك والي بيروت ليحقق فيه

وفي اليوم الخامس عشر من الشهر نفسه تلقينا بوقية من بكر سامي بك يقول فيها
« انه لم يجد في بيروت رجلاً باسم احمد سعيد العاملي و يعتقد ان الاسم
مستعار ولهذا يعرض الكيفية »

الا اننا في اليوم الذي تلقيناه به رد الوالي على هذا التقرير السري تلقينا من
صاحب التقرير تقريراً ثانياً يقول فيه مانصه :

« بلغني انكم احلتم التقرير الذي قدمته لصاحب الدولة والفعامة احمد جمال
باشا وزير البحرية الفخيمة وقائد الجيش الرابع الهايوي في الاعظم الى والي بيروت
بكر سامي بك ، ولما كان الوالي نفسه غير مخلص لصاحب الفعامة والحزب

الاتحاد والترقي الموقر وكان يرغب في طمس الحقائق المعروفة منه حيث لاقت نظر كم لايضاح الكيفية لصاحب الفخامة احمد جمال باشا وانا على استعداد لتقديم الي القدس لايضاح المعلومات التي لدى مولاي

الامضاء : احمد سعيد العاملي

بده اهتمام الباشا - وقد اهتم احمد جمال باشا في هذه المرة الكتاب (احمد سعيد العاملي) هذا لانه جاء محققا لعدم ثقته بوالي بيروت ولهذا طلب الى ان ابرق الى مدير شرطة بيروت محي الدين بك ان يحقق سرّاً عن هذا الرجل و يرسل اليه النتيجة وفي الوقت نفسه ابرق الى قائمقام صيدا ضيا بك يطلب اليه نفس الطلب لان كلمة (العاملي) المصاحبة لاسم احمد سعيد دعت القائد يعتقد بان الرجل من جبل عامل وانه تكنى بالعاملي نسبة الى جبل عامل

وكم كان استغراب الباشا عظيماً عندما ورده الجواب بعد يومين يفيدانه ليس في بيروت وصيدا من يعرف باسم احمد سعيد العاملي ولهذا صرف النظر عن الرجل لعله يأتيه منه تقرير ثالث يوضح له هذه الحقيقة التي اغضت عليه

تقرير ثالث - وفي اليوم التاسع والعشرين من شهر ايار سنة ٩١٥ تلقينا تقريراً ثالثاً بامضاء احمد سعيد العاملي هذا نصه :

« جاء الى بيروت منذ يومين عبد الكريم بك الخليل موضع ثقة احمد جمال باشا والعامل سرّاً على مقاومة نفوذهم وقد قابل اول امس مفئش المنكية عبد الوهاب بك الانكليزي وتباحثا معا في تنظيم الحركة الثورية في البلاد ومن ثم توجه عبد الكريم الخليل الى قرينته برج البراجنة في ضواحي بيروت وفيها اجتمع مع بعض الرجال السريين وتباحثوا في الموقف والتدابير الواجب اتخاذها لاحداث الثورة المتظرة

والذي علمته ان عبد الكريم بك الخليل مسافر الى صيدا لاجل الاجتماع مع اركان الحزب المؤيد له وفي مقدمته نائب صيدا السابق رضا بك الصلح وبعض الزعماء المعروفين

ان هؤلاء الاشخاص يشتغلون ضد الدولة و يريدون احداث ثورة في هذه البلاد بجانب الدول الاجنبية عدوة امتنا الاسلامية والدولة العلية

الامضاء : احمد سعيد العاملي

ان الرجل في تقريره هذا يأتي بمجواث جديدة و يذكر لنا بعض الاسماء الا ان هو ينه لا تزال مجهولة لدينا وقد كنا حاولنا معرفة الرجل بواسطة التنبيهات التي وزعناها على دوائر البريد بصحروزة اخذ اسم كل من يرسل تحرياً الي قائد الجيش الرابع الا ان هذا التحري وضع في صندوق البريد ولهذا لم تعرف حقيقة مرسله

تقرير قائم مقام صيدا - وفي اليوم العاشر من شهر حزيران سنة ١٩١٥ تلقينا بوقية شيفرة من قائم مقام صيدا هذا نصها :

صيدا في ٢ حزيران سنة ١٣٣٢ (١٦ حزيران سنة ١٩١٥) رقم

١٠٣ - ٨٩١

لصاحب الدولة قائد الجيش الرابع الافخم

وصل عبد الكريم بك الخليل الى هنا ونزل ضيفاً على الشيخ رشيد عسيران (المعرب ان المذكرات مكتوبة بالحروف اللاتينية ولهذا لم تتمكن من معرفة ما اذا كان الاسم راشداً او رشيد)

وقابل في اليوم الثاني لوصوله رضا بك الصلح المعروف بنزغته غير المستحبة نحو الدولة العلية وتناول ظهراً طعام الغداء على مائدته وقد حضر هذه المائدة عشرة اشخاص من ابناء هذه المنطقة فصلت اكم اسماءهم مع البيان المتعلق بهم في التقرير اليومي .

وقد حضر عندي اليوم عبد الكريم بك الخليل وسألته عن الغاية من هذه المقابلات فأفاد انه قدم لرؤية اهله في بيروت ولما كان عائداً الى القدس لمقابلة دولتم اغتنم هذه الفرصة ليجتمع ببعض اصدقائه القدماء في صيدا وانه بشر الموجودين بتحسين الموقف في البلاد وعن نيات فخامتكم الحسنة نحو الامة السرورية

العربية .

ولم اجد في حركات الرجل ما يريب خصوصاً وانني اعرض الكيفية
يومياً على مقام الولاية الجبلية، تفضلوا الخ . . .

قائمقام صيدا - ضيا

تقرير والي بيروت - وتلقينا في اليوم السادس عشر من الشهر نفسه تقريراً
برقياً من والي بيروت تحت رقم ١٠٣٥ - ٩١٧ شيفرة يشير فيه الى المعلومات
التي تلقاها من مديرية الشرطة العامة في بيروت عن حركات بعض المسيحيين
والتي يوجد فيها ما يستحق الذكر الا انه اهل في هذه البرقية ذكر رحلة عبد
الكريم بك الخليل واجتماعات في بيروت وصيدا مع ان القيادة العامة اوجبت
عليه الاهتمام في هذه النقطة

تقرير رابع للعالمي - وفي ١٨ حزيران سنة ١٩١٥ تقريراً رابعاً من احمد
سعيد العالمي يقول فيه ان اجتماعاً عقد في دار الشيخ راشد عسيران حضره عبد
الكريم بك الخليل والشيخ محمد ابراهيم والشيخ احمد رضا ورضا بك الصلح عقبه
اجتماع اخر عقد في دار الجوهري حضره زهاء ٣٠ شخصاً وان الغاية من هذه
الاجتماعات تمهيد الطرق لاجداث ثورة واسعة النطاق في البلاد تبدأ من تلك
المنطقة و يافت نظر الباشا للتحقيق في هذه القضية بشدة قبل ان يستفحل الامر في
تلك المنطقة .

ومع ان هذا التقرير جاء مؤيداً للمعلومات الخاصة الواردة الى رئاسة شعبة
الاستخبارات الا ان والي بيروت لم يهتم الامر ولم يرض في ان يدلي بالنبأ بمعلومات
عن حقيقة هذه المؤامرة الواسعة

ابتداء حل المشاكل - و بعد هذا الحادث بيومين تلقينا من قائمقام صيدا برقية
شيفرة موجهة في هذه المرة الينا وهذا نصها :

« لقد عرضت في برقياتي السابقة على مقام الولاية الجبلية ومنها لمقام صاحب

العظمة قائد الجيش الرابع حقيقة المناورات الحزبية الموجودة في هذه المنطقة والتي ترمي استئثار بعض هذه العائلات بالنفوذ لاذلال الفئة الثانية قصد جر مغنم او التمتع بنفوذ لا تتمتع به الكتلة الثانية وبهذا كثرت الوشائيات وعمت المفساد في البلاد .

انني ائلقى يوميا جملة اخبار من مختلف الحزبين او الكتلتين المتعاديتين : في اخبار كل فئة منها مفساد ومطاعن بالفئة الثانية الامر الذي يتركني في حيرة من تعرف الحقائق من وراء كل هذا الامر ولهذا اكتب في التقارير التي ارسلها يوميا الى مقام الولاية الجبلية بنقل سائر الاخبار الواردة الي من مختلف الجهات وهي وان كانت في معظم فصولها تشتمل على مفساد ومحاوله حط كل فئة من مقام الفئة الثانية الا ان في الامكان استجلاء بعض الحقائق من ورائها .

ولهذا يمكنكم الرجوع الى التقارير التي ارسلتها الى مقام الولاية الجبلية والتي اعتقد انها ارسلت اليكم وفيها ما ترغبون معرفته عن هذه الامور .
وتفضلوا الخ . . .

قائمقام صيدا - ضيا .

وفي شهر حزيران سنة ٩١٥ وفي الوقت الذي كنا فيه نتلقى هذه التقارير الغاضبة جاءنا الشيخ اسعد الشقيري وقال انكم تتقون جداً بعبد الكريم بك الخليل ورفاقه مع ان الرجل يعمل مع عدو الدولة رضا بك الصالح على اثاره فتنة قوية في البلاد السورية مغتناما فرصة انها لكم هنا في مسألة القناة وغيرها .

وقد جاءني كتاب من كامل بك الاسعد « ان هذه المؤامرات اشتدت وطأتها حتي ان التامرين باتوا يستعدون لاحداث ثورة قريية وانه على استعداد لان يثبت هذه الامور لاحد جمال باشا اذا دعاه الى ذلك »

دعوة كامل بك الاسعد - وكامل بك الاسعد شخصية معروفة في جبل عامل فهو نائب هذه المنطقة في مجلس المبعوثان العثماني ومتمتع بثقة ابنائها كما يتمتع

بشعة رجال الحكم في تركيا لانه اظهر في مختلف الاوقات رغبة و اخلاصا في ادارة امور هذه البلاد و خدمة للدولة العثمانية .

وقد امر احمد جمال باشا باستدعائه الى القدس فوافاه و كان يرفقته كل من محمد بك الزامر و الحاج ابراهيم العبدالله و محمود بك امين من وجهاء تلك المنطقة كامل السعد في القدس . - امرني احمد جمال باشا ان استقبل كامل بك الاسعد واقدمه فور وصوله اليه و كنت ارى الباشا في ذلك الوقت كثير الاهتمام و الانهماك في الاخبار المتوالية التي بدأت ترده عن منطقة صيدا و توابعا بشأن المومرات التي تدبر ضد الدولة العثمانية

وفي اليوم الثالث والعشرين من شهر حزيران سنة ٩١٥ (١٠ حزيران سنة ١٣٣٢) واصل الى القدس كامل بك الاسعد فاستقبلته بحفاوة حسب امر الباشا و اركبته سيارة سارت بنا الى قصر الطور الذي اتخذته احمد جمال باشا مقرا له و كان من عادة الباشا الا يستقبل احدا الا بعد ان يدعه ينتظر في الخارج مدة طويلة حتى اذا استقبله جعله يقف امامه مدة طويلة يكون خلالها قد تميزه لكي يجعله يرهب جانبه

وهذه العادة وان لم تكن معروفة بالباشا ايام كان في محافظة استمبول او غيرها من الوظائف التي شغلها في البلاد التركية الا انه اتبعها في منطقة الجيش الرابع وهو يعتقد ان ابناء هذه البلاد لا يهابون الا من يظهر نحوهم السيادة اما اذا كان متواضعا لبنا و لوه اقبعتهم و كادوا له و انه لهذا يجب عليه ان يكون شديدا في مظهره ذا عظمة و اقدام

ولهذا قال : انني عندما وصلت الى هذه البلاد كان في نيتي ان اكون مسلما شغوفا على ابنائها ولهذا رفضت اقتراح والي سوريا خلوصي بك بشأن تسليم الوثائق التي عثرنا عليها في القنصلية الفرنسية الى الديوان الحربي العرفي جزاء تساهلنا هذا دخولنا في المأزق الجديد ، ولو تبعا الشدة من الاول لما تجامر هؤلاء على ان يكيدوا لنا ونحن نعمل هنا في سبيل الذود عن بلادهم و ابعاد

العدو عنها»

هذه كانت عقيدة وافكار احمد جمال باشا في هذا الشأن الا انني لما بلفته
قدوم كامل بك الاسعد ورسوله الى قصر الطور لم يدعني اوقفه مدة بل امرني
فوراً باستدعائه اليه ولما دخلت عليه مع كامل بك وجدته واقفاً وسط الغرفة
الفسحة المظلة على القدس فرحب ترحيباً حاراً بكامل بك وتقدم اليه مصافحاً ثم
دعاه الى الجلوس بجانبه

وقد كانت الحفاوة التي ابداهما احمد جمال باشا لكامل بك الاسعد بالغة حدتها
الاقصى تدل على الشعور الحقيقي الذي يمتلج في قلب الباشا لمعرفة حقائق ما
يجري في صيدا

احمد جمال و بكر سامي - وقبل ان نأتي على ذكر الحديث الذي دار بين
احمد جمال باشا وكامل بك الاسعد نقول ان احمد جمال باشا ما كان يجب قط
بكر سامي بك ولا كان يعتقد به الاخلاص والعمل الوفي للدولة ولا الحزب
الاتحاد حتى انه كان يقول عنه في كثير من الاوقات «ان بكر سامي بك رجل
طيب القلب الى درجة البلاء ولهذا لا يصلح لان يدير شؤمون ولا ية كبرى
كبيروت ليس لانها كبيرة من وجهة المساحة وعدد السكان بل لما فيها من
المؤامرات الداخلية والدسائش الخارجية و بكر سامي بك الذي هو عبارة عن
رجل بسيط (حاجي بابا) لا يجوز الا ان يكون موظفاً مروضاً لا رئيساً في
مثل هذه المنطقة ولهذا كانت تدبر المؤامرات ضده في هذه المنطقة وهو غير
شاعر بها»

هذا هو شعور احمد جمال باشا نحو بكر سامي بك الا ان هناك عوامل اخرى
تحمله على عدم الثقة بالرجل فان التقارير التي كانت ترد من مختلف الجهات تدل
ان بكر سامي بك الذي عيّن في ولاية بيروت في ظروفها الحرجة عمداً الى
مسايرة بعض الطبقات المسيحية وتعرف بها في الاجتماعات وموائد القمار فكان
صديقاً لها ، وان هذه الصداقة وطيبة القلب السني هي ميزته كانت من الاسباب

الرئيسية لان يلعب هؤلاء في مقدرات الولاية دون ان يدرك الموالي من امرها شيئاً .

ثم ان بكر سامي بك مزينة ثانية لا تؤهله لان يكون والياً على بيروت فقد كان يحب المظاهر والحملات فبات شديد الاختلاط بالفئات الاجنبية والفئات المالية الى الاجانب وهذا الاختلاط لا يتوافق قط مع ادارة البلاد في ايام الحرب ان الظروف الاستثنائية الموجودة فيها الدولة يومئذ توجب على والي بيروت ان يكون ادارياً حازماً وقاسياً في وقت معا فوالى بكر سامي بك لم يكن متحلياً بهذه الصفات كما انه لم يكن قادراً على ادارة الحركات السياسية التي قررت حكومة الاستانة تنفيذها .

وهناك نقطة اخرى اوجبت تباعد احمد جمال باشا عن بكر سامي بك وهي ان الوالي كان يكره الوشائيات والسعايات وهذا الكره ابعده عن معرفة الحقائق لانه كان يهزأ في كل اخبار سياسي يرد اليه مع ان بعض هذه الاخبار صادق وهزوه بها جميعها هو الذي اضاع عليه معرفة الحقيقة الناصعة وقد عرف المتآمرون هذه الجفات به فلقبوا عليه في بيروت وصيدا وهو يهزأ بالاخبار التي ثرده بذلك ولو لم يفضحها اولا احمد سعيد العاملي ذلك الرجل السري المجهول لدينا وقتئذ ثم كامل بك الاسعد لاتسع نطاقها وامت الثورة البلاد السورية .

وهكذا يمكننا ان نقول ان بكر سامي بك ابله لا (حاجي بابا) كلقبه الباشا واليك الايضاح

تقدم كامل بك الاسعد من احمد جمال باشا وقال :

— تدور منذ مدة دعايات واسعد لاحداث ثورة في المنطقة السورية تبدأ في وقت واحد من جهتين من صيدا ومن زحلة فجماعة الجمعية اللبنانية يشتغلون في منطقة زحلة وجماعة الحرب اللامر كزري السوري يشتغلون من جهة صيدا .
جمال باشا — وهل الحزبان اللبناني والسوري يعملان بدأ واحدة في هذا السبيل مع اختلاف نزعاتهما السياسية ؟

— نعم انها يشتغلون معا فهم يعتقدون ان من الواجب تحقيق هدفها الاول وهو مقاومة الدولة العثمانية واحلال فرنسا مكانها .

— اذا هما لا يعملان في سبيل استقلال هذه البلاد بعد فصلها عن الساحة العثمانية — كلا

— وما هي مساعيها الجديدة ؟

— ان عبد الكريم بك الخليل يعرف حق المعرفة حقيقة موقف القوات العثمانية في هذه البلاد وهو يرى ان الموقف الحاضر خير مساعد للحركة الثورية التي يعمل في سبيلها .

ان الحلفاء يعتقدون انه ليس في مقدورهم مهاجمة هذه السواحل مها بدلوها من جهود اسببين الاول لخوفهم من القوات الوجودية وعدم فتح جبهات جديدة والثاني لعدم ثقتهم بالاهابين ولهذا ارادوا ان يهيئوا الموقف منذ الان حتي اذا قام الشعب بشورة هذه عمدوا الى العمل .

وعبد الكريم بك الخليل الذي ادخلتموه المعسكر وعرف حقيقة قواتكم ادرك ان الموقف الحاضر — خصوصا بعد ارسال نجدة من قواتكم الى المضائق — ان الوقت موافق لهذه الحركة ولهذا قام يطوف على انصاره في صيدا وبيروت يدعوهم الى الثورة

— وهل لديكم ما يؤيد هذه الامور ؟

— ان لدي دليلين على هذا الامر

الاول — الاشاعات المتواترة عن مهمة عبد الكريم الخليل في هذه المنطقة واجتماعاته المتوالية بوضا بك الصلح وعبد الوهاب الانكليزي ورفاقه

الثاني — التصريحات التي ادلى بها الشيخ محمد ابراهيم . . . فقد جاءني محمد عبد المنعم وهو من اهالي انصار وافادني ان الشيخ محمد ابراهيم من سكان قرية انصار. صرح امامه وامام كثيرين من سكان القرية الذي زاروه ان عبد الكريم بك الخليل اجتمع به واعلمه انه يعمل في سبيل احداث ثورة وقا. حان وقتها وانه

قريباً ستندلع نيران هذه الثورة وان بين الذين سمعوا هذا الحديث من عبد الكريم
الخليل كلا من الشيخ رشيد عسيران والشيخ احمد رضا والشيخ احمد عارف الزين
وان شركاءهم هم رضا بك الصلح (ورفاقة الذين لا اذكروا اسمائهم الان)



الشهيد عبد الكريم الخليل

وقد افاد كامل بك الاسعد جمال باشا ان مكانه ان يتأكد هذه الحقيقة
من قائم مقام صيدا ضياعاً بك لانه سبق وعرض عليه هذه القضية وان محمد عبد المنعم
كرر هذه التصريحات امامه مرة ثانية

وقد دارت في ذلك الوقت احاديث مختلفة بين احمد جمال باشا وكامل
بك الاسعد تتعلق في موقف قومه تجاه الدولة العثمانية فاكد البك ان مواطنيه
هم من الدولة العثمانية قلباً وقالباً وانه اذا سمح له الباشا عاد الى موطنه والى هناك
فرقا من المتطوعة تعمل على مقاومة ارباب الفساد والذود عن حياض الوطن فلا
يكون لعبة في ايديهم يستخدمونها في سبيل خدمة الاجنبي وتحقيق مطامعهم
الاستعمارية في هذه البلاد

وقد شكره احمد جمال باشا على شعوره الوطني هذا ووعدته بالمعاوضة

وفي المساء نفسه عقد اجتماع في عرفة احمد جمال باشا حضرته مع علي فؤاد بك رئيس اركان حربه وفؤاد بك سليم رئيس شعبة الشوون المصرية وفيه تقرر توقيف جميع الاشخاص الوارد ذكرهم في افادة كامل بك الاسعد وفي تقرير ضابطك قائم مقام صيدا وتحري دورهم وسائر الدور والمكائن المشتبه بها واحالة الجميع الى الديوان الحربي العرفي في عاليه .

وفي الوقت نفسه طبرت بركات الى مدير شرطة بيروت ومختلف الجهات بمراقبة بعض الاشخاص المشتبه بهم وتوقيف فئة اخرى من هؤلاء .

وقد تمت هذه التوقيفات جميعها فوراً وارسل الموقوفون مع الاوراق التي وجدت معهم الى الديوان الحربي العرفي في عاليه للبت في هذه القضية مع جميع القضايا التي تفرعت منها وفي اليوم الخامس عشر من شهر آب سنة ١٩١٥ اصدر الديوان الحربي قراراً يتضمن الحكم بالاعدام على الاشخاص الاتية اسماءهم :

المحكومون بالاعدام

ان الديوان الحربي العرفي المؤلف في عاليه حكم عملاً بالمادة ٥٤ من قانون الجزاء باعدام كل من عبدالكريم الخليل رئيس المنتدى الادبي وسليم الاحمد عبد الهادي الحامي وعضو مجلس ادارة جنين ومحمد محمود المحمصاني ومحمود العظم (تاجر) ونور القاضي وعبد القادر الخرسا ومحمد الارمنازي صحافي وصاحب جريدة نهر العاصمي) ونافيس تلو من مأموري التحصيل في المالية ومحمد مسليم عابدين مأمور اوقاف اللاذقية وصالح حيدر رئيس بلدية بانيك وحافظ سعيد من وجهاء يافا ونائب القدس السابق في مجلس المبعوثان العثماني والشيخ عبدالكريم مفتي بني صعب

وحكم بالاعدام غياباً على كل من رفيق العظم ، حقي العظم ، رشيد رضا ، داود بركات ، فارس نمر ، شبلي شمیل ، خليل مطران ، وجورج عبدالمسيح

جبرائيل اصغر ونجيب غازوري والفرد غازوري وجورج بحري وعزيز بحري
الامير خليل ابي اللح ، خليل بولاد ، هنري حبيب بولاد ، نجيب بستاني ،
يوسف بستاني ، فيليب شيحا ، نجيب قطان ، نجيب قر يصاتي ، جورج دوماني ،
جورج قر يصاتي ، كاميل اده ، جان عميد ، نجيب غناجه ، الدكتور غرزوزي



الشهيد محمد الحمصاني

نعمة الله غانم ، روفائيل غره ، ميشال لطف الله ، الدكتور يوسف كحيل ،
الشيخ يوسف الخازن ، جورج خير ، رشيد خياط ، ادمون ملحمة ، الدكتور
خليل مشاقة ، يوسف سمعان صيدناوي ، الياس زنايري ، سليم شميل ، يوسف
زنايري ، الياس زهار ، الفونس زينية ، قسطنطين بني ، عبد الغني العريسي ،
عمر حمد ، حسن حماد .

وبالسجن المؤبد على عدد آخر وفي مقدمتهم رضا بك الصلح ورياض بك
الصلح واسعد بك حيدر والدكتور حسين بك حيدر

قرار الحكم عند جمال - لم يعمد احمد جمال باشا هذه المرة الى التصديق على
احكام الاعدام فوراً كما فعل مع المحكومين العاديين السبعة الا انه قسم هذه
الوائح الى قسمين الاول يتعلق بالمحكومين غير الموقوفين والاخر يتعلق بالمحكومين

الموقوفين فمع الفئة الاولى اكتفى بنلاوة اوراق الحكم الصادرة من الديوان الحربى العرفى فقط فقدمنا اليه الاوراق على الوجه التالى :

اولا - قرار الديوان العرفى اى قرارات الاتهام التى وضعها الديوان الحربى العرفى فى عاليه

ثانيا - قرار الحكم مع حيثيات الحكم

ثالثا - تقرير دائرة الاستخبارات عن شخصية كل فرد من المحكومين غيابيا تتضمن خلاصة تاريخ حياته السياسية والعادية ، مولده وصنعتة وعمره والوقت الذى غادر فيه البلاد وعمله قبل مغادرته البلاد

ثم لائحة باسماء اقرار به المقر بين الموجودين فى الوقت الحاضر فى البلاد السورية - اللبنانية

وقد قدمنا هذه كلها الى احمد جمال باشا بعد ظهر اليوم نفسه ولما قدمتها اليه بنفسى فقال لي :

- وهؤلاء ماذا تريد ان افعل بهم ؟

- مولاي

- لم ارك تدافع عنهم هذه المرة مع انهم من وجوه هذه البلاد والمتنفذين فيها

- نعم يا مولاي الا ان هؤلاء بعيدون عن هذه البلاد واذا انتهت الحرب العالمية تبدل الموقف واعلم العفو العام وفي امكانه ان يشملهم ولهذا لم ار ما اعترض به على هؤلاء

- اذا انت تعتقد انه ليس في امكاننا ان نطالهم لينفذ بهم القانون ؟

- مولاي !

- سمأطالهم فان لم يكن هنا فى مصر عندما ندخلها قواتنا وسيري هؤلاء من يكون الفائز منا فى هذا الباب

- هذا ما ارجوه يا دولة الباشا الا ان الذى لم يدعنى ابدي رأبى فى الامر هو ان هؤلاء الاشخاص ليسوا موجودين هنا

يوقع الاوراق فوراً -- وعند ذلك تناول احمد جمال باشا قلمه وغمسه في
الدواة المركبة من الحبر الاحمر واخذ يوقع على الاوراق قائلا :
— ان كل نقطة من هذا الحبر الاحمر تذكرني بدمائهم التي ستسفك
لحياتهم امتهم ودولتهم



الشهيد محمود المحمصاني

وكان يوقع على هذه الاوراق بانفعال زائد كأنه كان يتشفى بالتصديق
على احكام الاعداء الصادرة بحقهم
نظماً لللائحة الثانية المتعلقة باسماء المحكومين وجاها بالاعداء ثلاث نسخ كما
هي العادة في مثل هذه الاحكام
الاولى — تتعلق بالاحكام الصادرة من انديوان الحربي العرفي مع بيان
الغذلكة التي وضعها المجلس
والثانية — المتضمنة قرار الهيئة القضائية التي يستشيرها عادة احمد جمال باشا
في مثل هذه الامور
والثالثة — تقرير دائرة الاستخبارات عن كل هؤلاء المحكومين بالاعداء

وهذا نص اللائحة الأخيرة كما وضعناها ورفعناها الى قائد الجيش الرابع

بتاريخ ١٩ آب سنة ١٩١٥

قيادة الجيش الرابع

شعبة الاستخبارات

عمومي ٩١٧٥

ان الاشخاص الوارد ذكرهم ادناه قد حكم عليهم الديوان العرفي
بالاعدام للاسباب الموضحة في بيانه المقدم انفا الى جانب قيادة الجيش الرابع الجليلة
وهم :

اولا - عبد الكريم الخليل تظاهر بالانتماء للدولة العثمانية والاخلاص
لصاحب الدولة احمد جمال اشا الا انه كان يعمل سراً مع رضا بك الصبح على
اثارة الفتن في البلاد واضرام نار الثورة ضد السلطنة العثمانية وكان عضواً عاملاً في
الجمعية المركزية مع انه كان يتظاهر بسخطه على الدسائس والدعايات التي تقوم
بها هذه الجمعية ضد صاحب الدولة قائد الجيش الرابع

ثانياً - سليم الاحمد عبد الهادي من اهالي جنين وعضو مجلس ادارة
المنطقة المذكورة

ليس للرجل في الحقيقة اقل تدخل في شؤون هذا الحزب الا الكتاب الوارد
من مصر والذي يثبت انه معتمد الحزب في جنين
عرف الرجل بتقربه من الدولة الا انه كان نفوراً من متصرف اللواء ولهذا
دخل في الحزب ولا توجد ادلة راهنة ضده

ثالثاً - محمد الحمصاني - كان كثير الاندفاع في تأييد الامر كزبة في
بيروت وهو من اعضائها المؤسسين وعدو لدود للدولة العثمانية واعماله وتصريحاته
المختلفة تدل على انه كان عدواً مخيفاً لتركيا لا يتأخر بوجه من الوجوه عن
الكيد للاتراك والعمل على جلب الاذى اليهم وقد اعترف في الديوان الحربي
العرفي بانه كان يكره الترك وانه كان يعمل بكل قواه في سبيل مقاومة ظلم

الأتراك وتقلص ظلهم عن البلاد العربية
وهو رجل شديد الخطر على كيان الدولة وعامل قوي في سبيل التفرقة
وعدم الاتحاد -

رابعا - محمود الحمصاني
المعرب - ردد بحق هذا الشهيد عن الاقوال الواردة بحق اخيه الشهيد
محمّد الحمصاني دون زيادة شيء عليها «



الشهيد نور القاضي

خامسا - محمود العجم - تاجر من اهالي بيروت كان عضواً في الجمعية
اللامركزية الا انه لم يكن في حقيقة الامر من الاعضاء العاملين فهو شاب متهتم
من اهالي بيروت دخل في سلك هذه الجمعية وعمل على تأييدها وكان يدفع
العائدات المترتبة عليه كل شهر الا انه لم يكن ليعمل في هذه الجمعية عملاً جدياً ولم
يكن هناك اقل خطر منه على الدولة

سادسا - نور القاضي - كان عاملاً مضراً من اركان هذا الحزب فهو الذي
كان وسيط المخازن والعامل في سبيل نقل الاوراق بين الفريقين وانوسيط في

ارسال التحارير في البريد الاجنبي

ان الرجل وان لم يكن عاملا قويا في ادارة هذه الحركات الفسادية وذا تأثير في البلاد الا انه على كل حال كان ذا تأثير في الوسط الذي وجد فيه وساعد على تأمين طرق المخابرات بين اعضاء هذه الجمعية عاملا قويا على ازدياد الانشقاق بين الترك والعرب ساعيا في سبيل تأييد النفوذ الافرنسي في البلاد ومقاومة الدعايات العاملة على توطيد الالفة والاتحاد بين العنصرين التركي والعربي

سابعا - عبد القادر الخرسا - وجيه من وجهاء بيروت دفعه انتصاره واصداقاؤه في مصر لان يكون من اعضاء هذه الجمعية فكان منها وهو وان كان قد حمل مخبرات الحزب من مصر وان كان عضوا في فرع بيروت الا انه لم يكن يهتم كثيرا لهذه الامور وهو لم يكن عدوا للترك وان كان ينظرهم بعدم محبة لهم

ان عبد القادر الخرسا ليس عنصرا خطرا على سلامة الدولة في الوقت الحاضر ثامنا - نايف تلالو - موظف في ادارة المالية في البقاع وعضو عامل في الجمعية يعتمدون عليه في كثير من المواقف ولهذا رأيناهم يعينونه معتمدا لهم عاملا في سبيل تنشيط هذه الجمعية وزيادة اعضائها في المنطقة الموجودة فيها ان هذا الرجل الذي استخدم نفوذه في مركزه كأمور تحصيل قام يندد باعمال الدولة مينا ان الاموال التي تجبى ترسل الى الترك قصد استعمار العرب ابديا وفي مثل هذه الدعايات وغيرها تمسكن في المنطقة الموجودة فيها من ان يوجد جوأ غير صاف ضد الدولة وضد الترك بوجه خاص وهو رجل عدو للدولة العثمانية يكره الاتراك ويعمل في سبيل تفرقة العرب عن الترك ، ولهذا فهو شديد الخطر

تاسعا - محمد مسلم عابدين مامور في ادارة اوقاف اللاذقية وان الادلة اثبتت انه لم يكن عضوا في الجمعية الامر كزية ولا قام باي عمل ما في منطلقاته او غيرها في سبيل تأييد هذا الحزب او غيره والرجل وان كان متمسكا في دفاعه عن اللغة

العربية الا انه لم يقوم بعمل ما نشته منه علاقته في الاعمال العدائية ضد الدولة العثمانية
او اثاره النعرات بين الترك والعرب
ان الرجل صديق قديم لحقي بك العظم وبينهما مخاضات قديمة وهذه الصداقة
هي التي دعت حقي بك لان يحرق له بعض المكاتب داعيا اياه للاشتراك



الشهيد عبد القادر الحرسا

في الحزب وهذه التحارير وحدها هي الدليل على الرجل وسبب الحكم عليه بالاعدام
ان الرجل لم يكن عدواً للدولة ولا عاملاً بين الساعين في اثاره الفتن بين
الترك والعرب ولهذا لا يوجد ما يخشى منه في هذا الوقت
عاشراً — صالح حيدر — كان رئيساً لبلدية بعلبك وهو ذو نفوذ وسطوة
في المنطقة التابع لها وجوده على رأس بلدية بعلبك ساعده على تعزيز موقف الجمعية
ونشر الدعايات لها

وصالح حيدر كان عاملاً خطراً ضد الدولة العثمانية ومن اكبر المساعدين
على ايجاد التفريق بين الترك والعرب ومن العاملين في سبيل الجامعة العثمانية وحدث
فئة في المنطقة البقاعية والبلعبكية

ان الرجل خطر شديد على سلامة الدولة والبلاد

١١ - حافظ السعيد -- وجيه من يافا خدم بلاده بامانة واخلاص وانتخب نائبا عن القدس في مجلس المبعوثان العثماني الا ان لطفي فكري بك اثر عليه في رحلته الاخيرة فجعله عدواً للاتحاديين ولهذا نقم عليهم ووجوده معتمداً للحزب في يافا لا يكون خطراً على سيادة الدولة خصوصاً وان اهله من اصـدقاء الدولة المخلصين

١٢ - سعيد الكرمي - مفتي بني صعب لم يكن مندفعاً في تأييد الامر كزبة وهو وان كان معتمداً لها في بني صعب الا انه لم يكن عدواً للتحشي خطره على سيادة الدولة

وقد اظهر في الديوان الحربي وفي مختلف الادوار رغبة اكيدة في خدمة الدولة وتأييد اواصر الصداقة بين الترك والعرب «

تصديق حكم الاعدام - هذه هي الاوراق التي رفعناها الى احمد جمال باشا عن قضية اعدام هؤلاء الاشخاص

قد ظلت اكثر من ٢٤ ساعة لديه تحت الدرس وفي النهاية صدق احكام الاعدام على تسعة اشخاص فقط واستبدل حكم الاعدام بالنفي المؤبد على كل من صالح حيدر ، رئيس بلدية بعلبك ، وحافظ بك السعيد والشيخ سعيد الكرمي وكانت للشيخ اسعد الشقير في مساعجه في سبيل انقاذ الشيخ سعيد الكرمي فنجح .

وفي ٢٩ آب نفذ حكم الاعدام بهؤلاء الاشخاص وفي اليوم نفسه نشرت الصحف بلاغا او منشوراً من القائد العام يتضمن قرار الحكم المذكور والاسباب التي دعت الى تنفيذ هذه الاحكام

الاحزاب الوطنية

عرف من الفصول السابقة الاحزاب التي اعياها دعة الامر كزبة في البلاد وما كان من تأسيسهم الجمعية الاصلاحية ومساعدتهم في مؤتمر باريس ولكن الذي

لم يعرفه القراء الان هو ما يعني جمعيتي الامر كزبة والنهضة اللبنانية وهذا ما
نريد ان نبسطه لهم بصدد المواءمة الاخيرة

الامر كزبة

في سنة ١٣٢٨ قامت فئة من العرب تعمل في مصر لحساب الاجانب



الشهيد نايف ندلو

فان السراடன் غورست قام بعد الحرب البلقانية يعمل في سبيل تحقيق
المشروع الواسع الذي تطمع به بريطانيا وحليفها فرنسا وهو يقضي ، كما تبين
من افادة عبد الغني العربي التي نشرت في الصفحة ٤٤ من الكتاب الذي
نشرته قيادة الجيش الرابع ، الى تقسيم البلاد العربية فقد صرح عبد الغني
العربي قائلا :

« يدكر لي رشيد رضا منذ سنتين ونصف السنة انه فهم من مصدر رسمي
كبير (يعني به الخديوي) ان نتيجة الحرب البلقانية ستكون تقسيم الدولة
العثمانية وان سوريا ستكون من نصيب فرنسا من خط حيفا الى اسكندرون
ولانكلترا من حيفا الى مصر مع جزيرة العرب و يتصل حكم انكلترا من مصر

الى الهند ماراً بالقسم الجنوبي من ايران الذي هو تحت نفوذ الانكليز وتمدد
انكلترا خطا غربا حديديا من مصر الى فلسطين فبادية الشام فالعراق ومنها الى
المعجم والهند .

فهذه التصريحات التي ادلى بها عبد الغني العربي دلت على مقدار اهتمام
الخلفاء في شؤون البلاد العربية ولهذا رأيتهم يشجعون حقي العظم وعبد الحميد
الزهرابي ورفيق العظم والشيخ رشيد رضا على توسيع منطقة نفوذهم حتى اذا
كان عام ١٣٣٠ هـ الفوا « حزب اللامر كزبة الادارية العثمانية » وهذا
نص قانونه :

المادة الاولى — الف حزب سياسي باسم حزب اللامر كزبة الادارية العثمانية
المادة الثانية — القصد من تأليف هذا الحزب بيان محسنات الادارة اللامر كزبة
في السلطنة العثمانية للشعب العثماني المؤلف من عناصر ذات اجناس ولغات واديان
وعادات مختلفة والمطالبة بكل الوسائل المشروعة بحكومة تؤسس على قواعد
اللامر كزبة الادارية في جميع ولايات الدولة العثمانية

المادة الثالثة — ليس هذا الحزب خفيا وليس فيه ما يعد من الاسرار فهو ينشر
مقصده المبني على المطالبة باللامر كزبة الواسعة جهراً وعلانية دون الخشية من
احد لا اعتقاده يقينا ان الدولة لا تبقي في العالم السياسي الا اذا بنيت حكومتها
على اساس اللامر كزبة الادارية

هذه هي المواد الاساسية لحزب اللامر كزبة ومع ان هذا الحزب تالف رسميا
في اوائل عام ١٣٣٠ اي ١٩١٢ فانه في اشهر قليلة لقي رواجاً عظيماً في البلاد
العربية فتأسست له الفروع والشعب في مختلف الجهات العربية

نقمة جمال على اللامر كزبين

وقد تبين لنا من الوثائق والمعلومات الواردة اليانا من وكالة العثمانية في مصر
من هناك شبه اتفاق بين الامر كزبين وجماعة حزب الحرية والائتلاف وقد
لما لنا ما يلي :

اولا — وجود اتفاق خطي بين صادق بك زعيم حزب الحرية والائتلاف
ورفبق بك العظم زعيم حزب اللامر كزية
ثانيا — ان الفريق الاول وعد بمعاودة الفريق الثاني لتحقيق مشروعه في
سبل اعطاء البلاد العربية حقوقها المعينة في منهاج الحزب على ان تظل تابعة
لامركزيا الى الدولة العثمانية



الشهيد عبد الغني العربي

ثالثا — في حال عودة حزب الحرية والائتلاف الى الحكم في السلطنة
العثمانية - وبعد قبولهم منح الولايات العربية اللامر كزية الواسعة يتعهدون باعهاد
الحكم الى شقيق بك نالو يد العظم
رابعا — يتعهد اللامر كزيون في مصر وانصارهم في البلاد العثمانية بمقاومة
الاتحاديين وتأييد نفوذ حزب الحرية والائتلاف بجميع الوسائل الممكنة لتحقيق
هذه الغاية
خامسا — ايد هذه العهود نفسها كامل باشا الذي كانوا ير يدون توليته
الصدارة العظمى في السلطنة العثمانية

حفد جمال عظيم ، . . . — وشاءت الاقدار القاسية ان يكون احمد جمال باشا
ناظرا عسكريا لاستمبول عند ما شرع حزب الحرية والائتلاف بتنفيذ مواءمته
لاتفاق مع اللامر كزية والتي قتل فيها محمود شوكة باشا وحضر فيها كامل
شا الى استمبول فان احمد جمال الذي كان يحب محمود شوكة باشا للدرجة العبادة
الذي كان اتحاديا قحيا وعدوا للدودا للائتلافيين لم ترقه مساعي اللامر كز بين
مرب مع حزب خصومه ومنذ ذلك الوقت بدأت خصومته مع هؤلاء او بدأ
بقده الشديد عليهم

ان العنفوان والاباء اللذين اظهرهما نواب العرب ورجالاتهم في استمبول منذ
بادئة عزيز علي بك المصري ضد انور وطلعت وجمال كانت من الاسباب
رئيسية التي زادت في حقد هؤلاء الذين باتت مقدرات البلاد بيدهم على العرب
عرف القراء مما تقدم شيئا عن حزب اللامر كزية وكيف تالف وعلاقاته
بقد احمد جمال باشا عليه منذ تولى حاكما عسكريا في العاصمة

وقد كان، الاتحاديون يعلمون ان هناك دعايات شديدة تقام في البلاد الخارجية
على الاخص في باريس بواسطة جماعة تعرف باسم «جمعية تنشيط الطلبة المسلمين
مرب في اوربا» كانت في الحقيقة تعمل ضد الدولة العثمانية ولهذا قررت جمعية
لاتحاد والترقي ان تعمل على مقاومة هذه الجمعية فخصصت في موازنتها مبلغ الف
يرة ذهبية في العام لتنادي استه في العاصمة الفرنسية اطلقت عليه «نادي الاخوة
الاسلامي» ووضعت تحت حماية السفارة العثمانية مباشرة

ان اعضاء النادي الاول يقولون انهم اسسوا ناديهم هذا في سبيل معاونة ابناء
مرب في مختلف الاقطار العربية وانه لم تكن لديهم دعايات مضرة بالدولة ، ولو
كانوا صادقين في مدعاهم ، فلماذا لم ينضموا الى نادي الاخوة الاسلامي وهو يملك
ا. فسيح الاركان ويحوي على سائر المعدات الموجودة في الاندية الراقية
انهم يعلمون ان هذا النادي موضوع تحت اشراف السفارة العثمانية مباشرة
هذا الاشراف هو الذي بعدهم عنه وان يكونوا يدا واحدة ضدهم مع الدول المتحالفة

مؤتمر باريس

والوثائق الموجودة لدينا تدل على ان الوساطات الفرنسية او التدخل الافرنسي المباشر في شؤون الامر كزبين بدأت يوم عيد رأس السنة عام ١٩١٣ فان شقيق بك المؤيد في الوقت الذي كان يتفق فيه مع الائتلافيين اتوطين مطالب الحزب فيما اذا عادوا الى مقاعد الحكم ، قابل السفير الافرنسي في استمبول المسيو بومبار وباحثه في الاصلاحات الواجب تنفيذها في اصول ادارة سوريا وعن الامر كزية وعن قلب ولايات سوريا الثلاث الى اماره وقد ايد هذه الحقيقة كتاب السفير الافرنسي الذي وجد في اوراق القنصلية كما ان التقارير السريّة الواردة من الشعبة المصرية دلت على ان الرجل خابر السفير في مسألة اسناد الامارة اليه اذا تحققت هذه المطالب

وهكذا لعب شقيق بك وانصاره الموجودون في مصر على الحبلين بواسطة فرنسا وانكلترا التي تؤيد حزب الحرية والائتلاف وهو كان يساوم . في ذلك الوقت على اماره سوريا الفريقين الافرنسي والانكليزي فاليه منهما عضده وعمل معه .

مؤتمر القاهرة

وايكن التصريحات التي ادلى بها عبد الغني العريسي عن تقسيمات سوريا في الحرب البلقانية كانت حقيقة وقد ايدها الخديوي عباس حلمي باشا بواسطة فريد بك رئيس الحزب الوطني المصري لانور باشا عنده ما ساله عنها في شهر ايلول سنة ١٩١٥ حيث اكّد فريد بك هذه الحقيقة واكّد وجود اتفاق بين الافرنسيين والانكليز على هذه القسمة ولهذا رأينا الافرنسيين يعملون على نشر دعاياتهم في المحيط السوري .

وقد تأقينا ونحن في مديرية الامن العام في استمبول تقريراً من المفوضية

العثمانية في القاهرة هذا نصه :

القاهرة في ٢٢ مارت سنة ١٣٢٩ «أي في ٥ نيسان سنة ١٩١٣»

رقم خصوصي - ٤١٧

رقم عمومي ١٠٨١٧ - ٩٨٢٠

شيفرة جد مستعجل

جوابا على بروتكتم المؤرخة في ١٨ مارت (اذار) سنة ١٣٣٩ :

لا يزال شفيق بك المؤيد يعمل بكل قواه في سبيل تحقيق فكرته وقد قابل الخديوي عباس حلمي باشا ثلاث مرات خلال هذين الشهرين ومع ان الخديوي نصحه في ان لا يركن الى الانكليز في خططه التي يعمل لاجلها الا انه لم يعارضه في مسألة اتصاله بالافرنسيين

ان رسلي السريين افادوني ان شفيق بك كان على اتصال دائم مع ممثل فرنسا السيامي في القاهرة وقد زاره في هذا الشهر ثلاث مرات وكان برفقته في المرة الثانية الشيخ عبد الحميد الزهراوي واسكندر عمون وفي المرة الثالثة زاره لوحده الا انه كان هناك السيد التويني احد وجهاء بيروت وثرجان القنصلية الافرنسية في بيروت

وفي ١٨ اذار عقد زعماء اللامر كزية اجتماعا في منزل اسكندر عمون ترأسه الشيخ عبد الحميد الزهراوي وتذاكروا في القضية السورية وقد افهمني مخبري وهو من المتصلين بالجماعة ومن اركانهم ان الحكومة الافرنسية افهمت المجتمعين انه ليس في امكانها في الوقت الحاضر ان تتدخل في شؤهم ونهم مباشرة مع انها تعاضدهم عمليا وان في امكانها تحقيق هذه المساعدة الفعلية اذا هم عقدوا موقفا في باريس وطلبوا معاضدتها في سبيل تحقيق مطالبهم والمخابرات التي دارت بين هؤلاء الاشخاص والقنصلية الافرنسية هي لفهامهم خطة العمل .

وفي الاجتماع الذي عقده في بيت اسكندر عمون اتخذوا مقررات جديده

وهذا ما علمته عنها :

اولا - عقد مؤتمر عام في باريس يمثل سائر البلاد العربية التي تعمل في هذا السبيل

ثانيا - منخ البلاد السورية عن جسم السلطنة العثمانية
ويقول محدثي ان في النية جعل هذه البلاد امارة على ان يتولاها شفيق بك
المؤيد الذي سعى بواسطة الممثل السياسي لفرنسا في القاهرة على تحقيها
ثالثا - ابلاغ الخطة المذكورة الى الحكومة الفرنسية
رابعا - السعي لحمل الحكومة الفرنسية على القبول بحماية هذه البلاد
خامسا - القبول بضم جبل لبنان الى الامارة السورية

اعمال المتآمرين

هذا هو التقرير الذي وردنا يومئذ من المفوضية العثمانية في القاهرة والذي اهتم
له كثير اركان حزب الاتحاد والترقي وقرءوا ان يعملوا على مقاومة هذه الفكرة
بواسطة امين سر الحزب العام وعبد الكريم بك الخليل اللذين اوفدوهما الى باريس
وفي باريس كانت مساع اخرى تبذل في سبيل مؤتمر باريس يدير

شؤونها الاستاذ شارل دباس الذي يتولى اليوم رئاسة الجمهورية اللبنانية

وهذه المساعي بدأت بمشور وزع هذا نصه :

دعوة الى ابناء الامة العربية

نحن الجالية العربية في باريس قد اوقفنا مناظرات الجرائد الاوربية ومغامز
السياسة في الاندية العمومية الى استقراء مايجري من المخابرات الدولية بشأن البلاد
العربية واخصها زهرة الوطن سوريا ولم يبق بين جمهور الناطقين بالصاد من لا
يعلم ان ذلك نتيجة سوء الادارة المركزية

فحذا بنا الامر الى الاجتماع ، وعددنا ينيف عن الثلاثمائة في هذه المدينة فجرى
البحث عن التدابير الواجب اتخاذها لوقاية الارض ، المترعة بدم الاءاء العظماء ورفات
الاجداد الاءاء ، من عادية الاجانب وانقاذها من صيغة التسيطر والاستبداد

واصلاح امورنا الداخلية على ما ينطلبه اهل البلاد من قواعد اللامر كزبسة حتى
يشند بها ساعدنا وتستقيم قاناتنا فينقطع بذلك خطر الاحتلال او الاضمحلال وتنقي
مذلة الرق ونخفق نعمة الاستعباد ويظهر لآعين جميع الشعوب اننا امة عبوقة الضير
لا تستنيم لذل ولا تستكين لمسكنة

وبعد المداولة تقرر عقد مؤتمر للعرب يقوم به السوريون في اواخر شهر ايار
القادم فتغد اليه وفود اكابر البلاد العربية وعقلاء افاضل من السور بين المهاجرين
لمصر واميركا لجنوبية واميركا الشمالية والبلاد الاوربية فتتمثل فيه الامة العربية
المنتشرة في افطار الارض وتحق كلمة التضامن الاجتماعي والسياسي لهذه الامة في
هذا المؤتمر حيث نبط اللامم الاوربية اننا امة مستمسكة ذات وجود حي لا
ينحل ومقام عزيز لا ينال وخصائص قومية لا تتزعزع ومنزلة سياسية لا تقزع
وعندما نصارح الدولة العثمانية بان اللامر كزبسة قاعدة حياتنا وان حياتنا
اقدس حق من حقوقنا وان العرب الشركاء في هذه المملكة ، شركاء في الحرية
شركاء في الادارة ، شركاء في السياسة واما في الداخلية فهم شركاء انفسهم
ومن ثم انتخبت الجالية لجنة ادارية (وهي الموقعة على هذا) لتقوم بالعمل
فوضعت خطة المؤتمر وما سيجري فيه من المباحث على مشهد من ابناء الوطن انجبد
وبعض من كبار الاوربيين وممثلي الصحف الاوربية والاميركية

وهذه هي المسائل التي ستكون اساس المذاكرات

اولا - الحياة الوطنية ومناهضة الاحتلال

ثانيا - حقوق العرب في المملكة العثمانية

ثالثا - ضرورة الاملاح على قاعدة اللامر كزبسة

رابعا - المهاجرة من سوريا والى سوريا

ومتى تمت المناقشات حمل المؤتمر قراراته الى حيث يتحتم عليها التصديق

و يحق التنفيذ

و بعد قاننا ندعو كل من يخفق قلبه لامة العرب صغيراً او كبيراً ان ياتي

داعي الوطن لا سيما ارباب الزعامات في مقاعد الجمعيات فعليهم نعتهم واليه
نتجه ، فاما ان ينضموا الى وفود المؤتمر واما ان يبعثوا اليه بالرسائل البرقية او
الكتابية يظهرون فيها ارتياحهم لنيل الغاية واشتراكهم في شريف المقصد حتى
يدلى المؤتمر لدى الامم بحجته ويستوثق بقوة امته .

وهناك ينشق اليقين فيظل على هذه الامة فجر الحياة من بين ركام الظلمات .
وسلام على من تلقى هذا النور فما اعشاه ومن عرف واجبه فاداه .

لجنة المؤتمر العربي السوري

عوني عبد اهادي ، ندره مطران ، عبد الغني العربي ، شكرتي غانم ،
جميل معلوف ، محمد محصاني ، شارل دباس ، جميل مردم بك .

المراسلات تكون باسم كاتب اللجنة وهذا عنوانه عبد الغني العربي .

١٧ شارع كلود برنار ١٧ - باريس .

فشل مؤتمر باريس - وقد اجتمع مؤتمر باريس في الوقت المعين الا انه
لم يكن ناجحا النجاح الذي سعي اليه هؤلاء لان الحكومة اوفدت مدحة
شكري بك وعبد الاكرم بك الخليل وحمل المندوبين المسلمين على عدم
الاشتراك في المؤتمر .

ومكثا كانت جلسات المؤتمر التي دامت ستة ايام لا قيمة لها قط والى
القراء المقررات التي اتخذها .

اولا - ان الاصلاحات الحقيقية واجبة وضرورية للمملكة العثمانية فيجب
ان تنفذ برجه السرعة .

ثانياً - من المهم ان يكون مضمونا للعرب التمتع بحقوقهم السياسية وذلك
بان يشتركوا في الادارة المركزية للمملكة اشتراكا فعلياً .

ثالثاً - يجب ان تنشأ في كل ولاية عربية ادارة لامر كزية تنظر في
حاجاتها وعاداتها .

رابعاً - كانت ولاية بيروت قدمت مطالبها بالائحة خاصة صودق عليها في

٣١ كانون الثاني سنة ١٩١٢ باجتماع الاراء وهي قائمة على مبدئين اساسيين وهما توسيع سلطة المجالس العمومية وتعيين مستشارين اجانب فالمؤتمر يطلب تنفيذ وتطبيق هذين الطلبين .

خامساً - اللغة العربية يجب ان تكون معتبرة في مجلس النواب العثماني ويجب ان يقرر هذا المجلس كون اللغة العربية اللغة الرسمية في الولايات العربية سادساً - تكون الخدمة العسكرية محلية في الولاية العربية الا في الظروف والاحيان التي تدعو للاستثناء الاقصى .

سابعاً - يتمني المؤتمر من الحكومة السنية العثمانية ان تكفل بمصرفه لبنان وسائل تحسين مآليتها .

ثامناً - يصادق المؤتمر ويظهر ميله لمطالب الارمن العثمانيين القائمة على اللامركزية .

تاسعاً - سيجري تبليغ هذه القرارات للحكومة السنية العثمانية عاشرآ - وتبلغ ايضاً هذه القرارات للحكومات المتحابة مع الدولة العثمانية الحادي عشر - يشكر المؤتمر الحكومة الفرنسية شكراً جزيلاً لترحابها الكريم بضيوفها .

ووضع ذيل لهذه القرارات هذا نصه :

اولاً - اذا لم تنفذ القرارات التي صادق عليها المؤتمر فالاعضاء المنتخبون الى لجان الاصلاح العربية يتنعمون عن قبول اي منصب كان في الحكومة العثمانية الا بموافقة خاصة من الجمعيات المتحمين اليها .

ثانياً - ستكون هذه القرارات برنامجاً سياسياً للعرب العثمانيين ولا يمكن مساعدة اي مرشح في الانتخابات التشريعية الا اذا تعهد من قبل بتأييد هذا البرنامج وطلب تنفيذه .

هذه هي المساعي التي بذلت في سبيل المؤتمر في باريس وسجل ونحن لا نريد ان نعود الى مجملاتها لاننا فصلناها في الاقسام الاولى من هذه المذكرات الا

اننا نريد ان نروي بعض معلومات عن الذين دبروا مؤتمر باريس وعلاقته في
اعدام الشبان اللبنانيين والسوريين بعد ما بينا ان مساعي هؤلاء بالاشتراك مع
الجمعية اللبنانية والجمعية اللامركزية سبب هذه الحوادث .

تعرفت الى شارل الدباس في ظروف خاصة ، فقد كنت في ادارة الامن
العام عندما جاء المشار اليه الى العاصمة العثمانية مندوباً من قبل حزب الاتحاد
والترقي لتحرير القسم الفرنسي من جريدة طنين .

فان الاتحاديين الذين رأوا الدعايات الواسعة تقوم بها الصحافة الاجنبية
ضدكم في البلاد والخارج وارادوا ان يدافعوا عن انفسهم ويظهروا حقيقتهم
للاوربيين لم يرضوا ان يكون هذا الدفاع عن طريق الصحف الاجنبية او
المحررين الاجانب بل عن طريق صحفهم ومحرريهم ولهذا استدعوا اليهم الدباس
من بيروت ليحرر هذا القسم الذي لم يصدر من « طنين » .

كيف تعرف المؤلف بالدباس - وفي يوم دعاني طلعت اشأ اليه واعلني
بوصول الدباس وقال :

... انهم في الحقيقة استدعوا الرجل من بيروت الانني لا اثق به واخشى ان
تتحول السياسة في الجريدة الى ما يريد الافرنسيون ولهذا فاننا نطلب مراقبته بدقه
زائدة ومعرفة الاشخاص الذين يتصل بهم .

و كانت نتيجة المراقبة التي قام بها رجالي انه ثبت لي ان الدباس كان على
اتصال بابناء وطنه السوريين وفي مقدمتهم الوزير الاتحادي سامان افندي البستاني
وأخر يدعى امين افندي تقي الدين (وهو الاستاذ امين تقي الدين الهامي والشاعر
المعرب) الا انه كان بعيداً عن الاختلاط بالعثات العربية التي كانت تشتغل في
سبيل القضية العربية .

و كان في الوقت نفسه يتردد على السفارة الفرنسية الا ان تردده هذا لم
يكن ذا اهمية لان الدباس لم يكن في ذلك الوقت ذا نفوذ في بلاده حتى يهتم
بقائته السفير او نهتم نحن من هذه الوجهة

وقد قادتني رغبة التعارف الي ان اجتمعت به في مكتب حسين جاهد بك
الذي قدمني اليه ولما كان يجهل الترقية التفت الي معذوراً عن عدم امكانه
الافصاح عن فكره بالترقية واخذنا نتبادل الحديث معاً بالفرنسية .
شعور المؤلف في شارل دباس -- ان مجرد نظرة على شارل دباس لا
تمكنك من معرفة حقيقته فهو غامض مكشوف بالامرار لا يدل مظهره على
حقيقته قط .

عندما اجتمعت به سألته رأيه في حزب الاتحاد والترقي فقال :
انني اؤيد مناجاه واستحسنه لان فيه كثيراً من الفائدة للبلاد ، الا ان
هناك نقطة لم يعرف اركان الحزب ان يستفيدوا منها وهي تقريب العرب منهم
واعتمد ان الوقت يتسع لهم لكي يصلوا الى هذه الغاية !

— ومع الخارج ؟
— اعتمد ان من الواجب التفاهم مع الفرنسيين .
— اي انك تريد منا ان نضع يدنا بيد الفرنسيين ونسلمهم اقتصاديات البلاد ؟
— كلا ليس هذا ما اعني وانما اري ان التفاهم مع الفرنسيين خير للبلاد العثمانية
— ومن اعلمك ذلك ؟

— ان صداقتي مع بعض رجالهم افهمني هذه الحقيقة .
— اذا لقد كنت صديقاً للفرنسيين والآن تريد ان نكون صديقنا
— انكم تذهبون بعيداً في تفسير قولي ، فانا وان كنت صديقاً لبعض
الفرنسيين بواسطة جريدتي التي كنت اصدرها في بيروت الا ان هذا لا يعني
ما تذهبون اليه فانا اليوم فرد من رعايا الدولة العثمانية .

— اذا في امكان حزب الاتحاد والترقي ان يعتمد عليك ؟

— بدون شك

عواطف شارل دباس — هذه خلاصة الحديث الذي كان مطويلاً والذي
دار بيني وبين شارل دباس بحضور حسين جاهد بك واحد محرري جريدته احسان

بك . الا ان الذي تبينته ان الرجل ليس في امكانه ان يكون مخلصاً للدولة العثمانية فهو وان كان قد تظاهر بهذا الاخلاص بهذه المهارة الا انه كان منتشر بامباردي ، التمسك بمحبة الاجانب كارها للدولة .

وقد تأكدت لي هذه الحقيقة بعد ايام قليلة حيث ابغني احد رجالي بان شارل دباس صرح في « سر كل دور بان » امام موسى بك سرسق وشفيق بك المؤيد « انه ما قدم استمبول الا لخدمة امته و بلاده وانه سوف لا يمكن في استمبول الا في سبيل تحقيق هذه الغاية » اي ان الرجل يريد ان يمثل دور العدو الصديق معنا .

ولكن ظنونه هذه لم تحقق لان امره ما لبث ان عرف من ار كان الحكومة تقرير ضد الدباس — وفي هذه الاثناء وردنا تقرير من احد اللبنانيين المتصلين بنا هذا نصه :

« ان شارل الدباس يعمل مع سليمان افندي البستاني وامين تقي الدين والدكتور اسعد حيدر في سبيل احداث فتنه في البلاد اللبنانية تمهيداً للحل الافرنسيين على احتلال هذه البلاد ، وقد زار الدباس في هذا الاسبوع السفارة الافرنسية ثلاث مرات الاولى صباح الثلاثاء في الساعة العاشرة وظل هناك الى الساعة الحادية عشرة .

والثانية في الساعة الرابعة من بعد ظهر الاربعاء .

والثالثة الساعة الحادية عشرة قبل ظهر اليوم (السبت) .

والذي علمته من احد المقر بين اليه ان زيارات الدباس تنحصر في المسائل المتعلقة بالحركة السورية اللبنانية وفي محاولة تنظيم جمعية سورية في استمبول » .
ان هذا التقرير الذي جاء بعد الاخبار المذكورة احدث بعض الاستياء في نفوس رجال الحكم الا ان سليمان افندي البستاني الرجل المحترم من ار كان الحزب والصديق الوفي لم وللدولة ما لبث ان سئل واظن بعد اسبوع ، عن حقيقة ما جاء في هذا التقرير فأفاد قائلاً :

انني اعرف جيد المعرفة شارل الدباس لانه مواطني وهو شاب نابذ ذكي افتخر به واتمنى له مستقلاً باهراً . الا ان الرجل لم يحاذثني في محاولته تأليف جمعية ضد الدولة ولا اعتقد انه يقدم على مثل هذا العمل » .

ولم يرد طلعت باشا ان يبين سليمان افندي حقيقة هذا التقرير الذي قدمه البنا مخبرنا وهو من كبار المقر بين من سليمان البستاني .

واذا وان كنت لا اعتقد في صحة اشتراك البستاني في هذه المؤامرات فلم اكن اعتقد باخلاص الدباس للاتحاديين وامكان العمل معهم ولهذا قلت لطلعت باشا : — ان في امكاننا اذا اردنا ان نعمل على اصدار نسخة ان نستدعي غيره و بين المسلمين من هم اكثر اخلاصاً للدولة منه ، واذا كان لا بد ان يكون المحرر مسيحياً فهناك صديقنا جورج بك حروفش الذي في امكانه ان يحقق هذه الغاية اذا اسعف بالتعهد اللازمة .

وقد اقتنع طلعت بهذه النظرية وقرر عدم استخدام الدباس في هذه المهمة فيما بعد وقد وردتنا تقارير يومية ضد الدباس اليك بعضها :

لا اعتقد دائماً في نزاهة المحررين الذين تستخدمهم الشعب السياسية في الدولة العثمانية وهم في الاكثر على قسمين :

الاول — المتطوعة الذين يتقدمون باخبارهم للوشاية بخصوصهم السياسيين او لجرد مذاهنة الاركان الحربية .

الثاني — فئة النفعيين .

فالفئة الاولى لا تستند في اخبارها الا على العاطفة العدائية فقط لا علاقة لهم في مصلحة الدولة ولا يهمهم الا الكيد لخصومهم وهو لا كانوا سبباً رئيسياً للمصائب التي احاقت بالبلاد و بهم معاً .

اما الفئة الثانية فقد كانت على عكس الفئات التي تستخدمها الدول الاوربية ان الذين يلدتسمون في دوائرنا اما ان يكونوا من الفئة التي بلا عمل وهذه لا فائدة منها قط لانها لا تكون على اتصال باحد من الذين يراد مراقبتهم او من



المرحوم سليمان افندي البستاني

بعض الدسائس وهؤلاء لا يهمهم الا تلفيق الاخبار واملاء التقارير سواء كانت حقيقية او غير حقيقية فاذا صدق ان جاءنا تقرير حقيقي فهم يبنونه على الظواهر دون ان يشكبدوا مشقة معرفة الحقيقة ، بعكس دوائر الاستخبارات الاجنبية التي ترى من رجالها عطاء ذوي مكانة ونفوذ في البلاد يطلعونها على ادق الاسرار واخفاها

وهذه الفوضى الموجودة في بلادنا هي التي جعلتنا دائماً نتلقى الاخبار غير حقيقية .

فلمجرد اعلامنا اثنين او ثلاثة من رجالنا بضرورة مراقبة شارل الدباس والمتصايين به كانت نردنا عنهم يومياً اخباراً متناقضة عن حركات الرجل واعماله فاحدهم وهو المعروف عند الدائرة بذلكائه واقتداره جاءنا يوماً يقول : « ان شارل الدباس حاول الانتحار » ولكن الرجل لم يعرف لماذا حاول الانتحار خصوصاً وقد كنا نستبعد الرواية العربية التي رواها لنا عن هذا الحادث .

وجاء غيره يقول في اليوم الذي جاءنا به الاول بروايته : « انه شاهد الدباس مع احدى السيدات في زهرة في محلة بك او غلو » ومن البديهي ان نستغرب هذه الرواية ايضاً لانه كيف يعقل ان الرجل الذي تسطر على دماغه فكرة الانتحار يكون في الساعة نفسها يتجول مع سيدة في « بك او غلو » ثم جاء الثالث يقول انه امضى نهاره بطوله في دار سليمان البستاني مع صديقه امين تقي الدين

ان هذه الروايات الثلاث المتناقضة حيرتني وبت غير قادر على نقل هذه المعلومات الى وزارة الداخلية ومركز الحزب ولا استجوبت هؤلاء المخبرين الثلاثة كل على حدة كما يوجب الامر ، اقسم كل منهم على صحة روايته وانه شاهد وسمع الامر بنفسه

تسمم الافكار — الا ان هذه الامور قد اضعفت الثقة بالرجل وجعلت

اركان الاتحاديين يبتعدون عنه رغم الوساطات التي كان يبذلها سليمان افندي البستاني حتى انه طلب ان يعين الدباس كاتباً في احدى السفارات العثمانية فرفض طلبه هذا وقد سافر اندباس الى باريس

الدباس في باريس - وفي باريس بدأت ترد الاخبار ضده من شعبة الاستخبارات الموجودة هناك فقد اكدت جميع التقارير التي وردتنا انه بات يعمل بدأ واحدة مع الافرنسيين وانه على اتصال دائم مع وزارة الخارجية الافرنسية يعمل معها في سبيل اثارة سكان سوريا ولبنان ضد الدولة العثمانية وانه كان الوسيط بين جمعيات الطلاب ووزارة الخارجية الافرنسية في تكوين عنصر معاد للدولة العثمانية في باريس وهو الذي حرض الموجودين هناك على عقد مؤتمر باريس وهذا نص التقرير الذي وردنا من باريس في هذا الصدد:

تقرير باريس ضد الدباس

باريس في ٢٠ نيسان سنة ١٩١٥

رقم عمومي ٨٤٥ - ١٢٥٠

رقم خصوصي ٦٧

شيفرة .

قبلت في هذا اليوم زيارة جميل معلوف احد الشبان العاملين في جمعية الطلاب التي انشئت في باريس وافادني ان الطلاب العرب لا يعملون هنا في سبيل مقاومة الدولة العثمانية انما ليحصلوا على حقوق لهم في هذه البلاد وقد زاد على ذلك قائله « انه يجب ان يصارحني بصفتي ممثلاً للدولة العثمانية ان السياسة التي تسير عليها الحكومة المركزية ستكون من الاسباب الرئيسية في تباعد العرب عن الترك وتمسكهم في معاضدة احدى الدول الاجنبية »

وقد فسر لي هذا الامر بان الحكومة الافرنسية اعلنتهم بواسطة المسيو مارجريري ان وزارة الخارجية الافرنسية مستعدة لمعاوضة السوريين العرب اذا هم عقدوا مؤتمراً في العاصمة الافرنسية وطلبوا مساعدتها الرسمية والفعلية ايضاً

ان جميل العلوف على اتصال دائم باثنين من المتصلين بالسلطات الفرنسية
والعاملين على تأييد سياستها وهم اشارل الدباس الذي هو على اتصال دائم مع المسيو
مارجيري وجميل مردم بك من شباب دمشق وقد حاولت الاتصال بالاول
بطريقة غير مباشرة الا ان الذي علمته من السيدة زهية مطران انه ليس هناك
كبير فائدة من هذا الاتصال لان الرجل ناظم جد النعمة على رجال الحكومة
المركزية وهو في الوقت الحاضر يؤيد المعارضة لانه لقي حفاوة لم يلقها في عاصمتنا
وقد اضافت السيدة زهية مطران على ما تقدم انه ليس هناك كبير خوف من
المؤتمر الحاضر لان القائمين به ليسوا ذوي نفوذ في بلادهم وانه في امكانها ان
تعطينا التأمينات الكافية على ذلك
الا ان مخبرينا افادونا ان اخاهما السيد ندره مطران بين المشتركين في هذه
المؤامرة .

وامس قابلت المسيو مارجيري في وزارة الخارجية الفرنسية ففاتحني في
الاصلاحات المطلوبة لبيروت وقال « انه يرى في مصلحة تركيا ان تعتمد على
الاتفاق مع ابناء سورية »
وقا، تجاهل المسيو مارجيري المساعي التي يبذلها في سبيل عقد مؤتمر باريس
واثارة شعب في البلاد ضدنا
وعند خروجي من غرفة المسيو مارجيري شاهده شكري غانم يستعد
للدخول الى غرفته وهو من العاملين ضد الدولة العثمانية ومن الذين يشتغلون
مع الدباس وجميل مردم بك في مؤامرتهم ضد الدولة العثمانية
ان الفرنسيين يبدون اهتماما عظيما للمسألة السورية ويعتقدون انه لا بد من
حل القضية الاصلاحية — كما يسمونها — في اقرب وقت ممكن والا فان العاقبة
تكون سيئة — على اعتقادهم — من جهتهم لانهم يخشون ان يعود التفاهم ثانيا
بين الترك والعرب »

هذا التقرير الاول الوارد من سفارة باريس واليك التقرير الثاني

باريس في ٢ ايار سنة ١٩١٣

السفارة السلطانية العثمانية

رقم عمومي

رقم خصوصي ٧٣٨

شيفرة

ان المعلومات الواردة الى السفارة تدل على ان شارل الدباس يعمل مع وزارة الخارجية الفرنسية في سنيل عقد مؤتمر باريس يساعد به بذلك جميل مردم بك بصفته منسبا الى عائلة معروفة في دمشق وقد قابل جميل مردم بك برفقة شكري غانم المسبو مارجيري في وزارة الخارجية الفرنسية وبين له اماني امنه وبلاده معلنا ان السور بين المسلمين لا يكرهون قط الدولة الفرنسية وان في الامكان حملهم على مصافاتها ومصادقتها اذا ما اقدمت فرنسا على مساعدتهم في سبيل تحقيق مطالبهم السياسية فوعده المسبو مارجيري بالمساعدة التامة ان بضعة اشخاص اجتمعوا اول امس ووضعوا منشورا ليوزعوه على البلاد العثمانية يدعون فيه الى المؤتمر وهو المنشور المرسل طيه العرب — المنشور في مكان اخر

وهم وان كانوا يقولون بانهم يمثلون جميع العرب الموجودين في باريس الا ان الحقيقة انهم لا يمثلون الا انفسهم والجمعيات المعادية للدولة الموجودة في خارج السلطنة العثمانية

ان الاشخاص اوقعين على هذا المنشور لا قيمة لهم في المحيط السوري في باريس الا ان الموجودين هنا وجلهم من كارهي السلطنة العثمانية لا يعارضونهم لاعتقادهم انهم يعملون لحساب الدولة الفرنسية ولهذا ترى ان لمؤتمرهم هذا قيمة واحدة وذلك من جهة انهم يعملون لحساب الدولة الفرنسية

جاء عندي اليوم عبد الغني العربي احد اوقعين على المنشور المذكور وافادني انه لا علم له بعلاقة فرنسا بهذا المؤتمر الا انه يدري ان الحكومة الفرنسية

تعطف على القائمين به ولا تعارضهم في شؤونهم السياسية ولم يسمع من احد من
اعضاء المؤتمر ما اذا كانت الحكومة الافرنسية وعدت فعلا بمساعدته

اما جميل معلوف، فافادني ان شارل الدباس وشكري غانم وجميل مردم بك
على اتصال بالمسيو مارجييري الذين ايدهم في فكرة المؤتمر

حزب النهضة اللبناني - جئنا بهذه المعلومات المختصرة لبنين لمتبني هذه
السلسلة من المذكرات بعض المعلومات عن حزب اللامر كزية الذي تأسس في
خارج البلاد والذي ذهب بعض افراده ضحية هذا العمل وقد رأى القراء ان
محمود الحمصاني وعبد الغني العريسي اللذين وقعا على النداء الاول للمؤتمر الاول
كانا بين الذين نفذ بهم حكم الاعدام في ٢١ اب

بقي لدينا الان ان نعرف القراء بالحزب الثاني الذي له دخل في هذه المسألة
وهو حزب النهضة اللبناني الذي تأسس في لبنان بصورة خفية من قبل ال
الغازن وما لبثت ان اتسعت برعاية قنصل فرنسا في بيروت الذي كان يد هذه الجمعية
بالاموال اللازمة واوجدت لها مناصرين واعضاء لفرع بيروت في مقدمتهم د عيس
المرء ووزق الله ارقش و خليل زينه ويوسف الغلبوني وغاية هذه الجمعية العمل
على تكبير لبنان والحاق مدينة بيروت بالجبل ووضع هذه البلاد تحت الحماية
الافرنسية .

غاية الجمعية - ان الوثائق التي وقفنا عليها اثناء الحرب اثبتت ان جمعية النهضة
اللبنانية كانت عبارة عن ستار وطني يستتر تحته بعض اللبنانيين العاملين في سبيل
خدمة المصالح الافرنسية واخراج هذه البلاد ليس عن حظيرة السلطنة العثمانية
فحسب بل سلخها ايضاً عن البلاد العربية وایجاد حكومة مسيحية في تلك البقعة
تكون خاضعة للنفوذ الافرنسي

ان الوثائق الموجودة لدينا اثبتت ان اعضاء هذه الجمعية سواء كانوا في
بيروت او في لبنان ام في غيرها من البلاد الخارجية كانوا يثلقون مساعدات مالية
من الحكومة الافرنسية

اركان الحزب — ولاحزب المؤسس في لبنان او في القنصلية الافرنسية
بيروت فروع ثلاثة :

اولا — في بيروت — بادارة دعبس المر ، رزق الله ارقش ، خليل زينية
يوسف الغابوني ، سعيد عقل

ثانيا — مصر — بادارة اسكندر بك عمون ومن بين اعضائه البارزين داود
بركات ، داود عمون ، شبلي شميل ، الشيخ يوسف الخازن ، يوسف صيدناوي
الفونس زينية ، سليم شميل

ثالثا — في باريس — اما في باريس فيرأس هذه الجمعية شكري غانم وامانة
السرفيها خير الله خير الله ومن اعضائها شارل الدباس والكونت قريصاتي

اتحادها مع اللامر كزية — وهكذا يري القراء ان هذه الجمعية التي تشتغل

الحساب فرنسا في البلاد اوجدت لها علاقات مع اعضاء حزب اللامر كزية الذين
يدعون انهم عاملون في سبيل خدمة بلادهم ، فمن جهة كان رزق الله ارقش
وجورج رزق الله و خليل زينية اعضاء فرع بيروت يعملون مع الاصلاحيين
ودخلوا في الجمعية الاصلاحية التي تأسست في بيروت بواسطة القنصلية الافرنسية

وتمكن هؤلاء من الاتصال بالحزب اللامر كزي في مصر بواسطة اسكندر
بك عمون الذي جمعهم في بيته لعقد مؤتمر باريس وحضر هذا الاجتماع نخلة بك
التويني ترجمان القنصلية الافرنسية الفخري في بيروت الذي كان صلة بينهم
وبين السفارة الفرنسية في مصر

واتصلوا بواسطة شكري غانم وشارل الدباس ورفاقهما ببقية السوريين
وحلهم على عقد المؤتمر الاول

تقارير والي بيروت

ان المعلومات الواردة في تقارير ابي بكر حازم بك والي بيروت السابق
تدل على ان السوريين اعضاء الجمعية الاصلاحية كانوا يعملون بوجود الجمعية
للبنانية ومساعدتها في سبيل وضع البلاد تحت النفوذ الافرنسي فكيف نوفق بين

هذه المعرفة وادعائهم في التحقيق انهم يعملون في سبيل تحرير بلادهم واستقلالها ؟
ثم ان هناك ثلاثة من الشبان المسلمين انضموا الى اللجنة التحضيرية التي القها
شكري غانم وشارل الدياس لعقد مؤتمر باريس وهم جميل مردم بك والمحمصافي
وعبد النبي العربي ومعهم جميل معروف وهل جهل هؤلاء الشبان علاقات
اركان الجمعية اللبنانية ورغبتها في وضع البلاد تحت الحماية الفرنسية
كلا فهم يدرون هذه الحقيقة والسفير العثماني في باريس اكدها في تقاريره
الرسمية التي بعث بها الى الحكومة المركزية

وعلى مثل هذا كان جماعة مصر فان الجميع كانوا يعرفون هذه الحقيقة وهي
ان فرنسا تساعد هذه الاعمال وهم يريدون مساعدتها
الدليل على ذلك — والان نختتم هذا الفصل في نشر هذه الوثيقة التي تؤيد
نيات المذكورين وقد نشرت في الكتاب الذي اصدره احمد جمال باشا خلال
الحرب العالمية تحت عنوان « ايضاحات — عن المسائل السياسية التي جرى تدقيقها
بديوان الحرب العرفي المشكل بعاليه » وهذا نصها :

قنصاية الشام الافرنسية

دمشق في ١٥ كانون الاول سنة ١٩١٣

الخلاصة بحق نخله باشا المطران من بعلبك

جناب المسيو رومبار

ان نخله باشا المطران وهو من ذوي النفوذ في بعلبك ومن طائفة الروم
الكاثوليك زارني في اواسط الاسبوع الماضي مرتين وقد كان كاتباً في سفارة
باريس العثمانية قبل سنتين او ثلاث

وهذه الوسيلة يعرف الكثيرين من رجال سياستنا وافادني انه ليس له صلة
بجمعية الاتحاد والترقي مع انه من المنسوبين اليها وبحث للداعي عن وحن ارتباطه
بها مصرحاً بافلاس سياسة جمعية الاتحاد والترقي وياس شبان الترك
وكانت زيارته بمناسبة حضوره الى الشام للملاحة مصالح بعض اخوانه في

العديلية وكان حديثه معي في هذا الاجتماع يتعلق بالقضية اللبنانية فقد صرح انه ورفاقه اللبنانيين قرروا الحاق بعلبك وسهل البقاع بلبنان لان هذه الاراضي بحسب التقسيمات الجغرافية تابعة للجبل ، و بعد ان بين لي هذه الامور قال :
الا اننا مع هذا باحتياج الى حماية حكومة فرنسا لاجل تحقيق غايتنا
ونحن عموم المسلمين والمسيحيين متفقون على ذلك وقد تقرر خطتنا
منذ زمان

وقد اتفقنانا واسعد بك حيدر زعيم الشيعيين واعظم ارباب النفوذ في
البلدة وعبد الغني (الروقة) زعيم المسلمين السنيين على الحاق بلدتنا بلبنان رضىت
الحكومة العثمانية او لم ترض ، وسنذهب الى بيروت للمفاوضة بهذا الخصوص مع
المسيو كوجه الذي له اهتمام بمسائل لبنان غير ان بعلبك داخل منطقتكم وارے
من الواجب ان اطلعكم على هذا باسمي واسم زميلي اسعد بك وعبد الغني افندي
و كنت احدث نخله باشا المطران بتمام الحبطة الا انني اوليته اهتماما زائدا فلما
زارني للمرة الثانية صرح لي مجدداً بثقته بفرنسا وافهمني انه رهن امري بكل ما
يتعلق باحوال بلدته

هذه هي اللائحة باماني البعلبكيين واليك لائحة بيروت وفيها ما يدل على
فكرة القوم وقد نشرت ايضا في الكتاب الذي اصدره جمال باشا في الحرب العالمية
بيروت في ١٢ اذار سنة ٩١٣

الى جناب المسيو كوجه قنصل فرنسا العام في بيروت

حضرة القنصل العام

ان الاعضاء الموقعين ادناه من اللجنة التنفيذية للهيئة العمومية المنتخبة من جميع
الطوائف لتنظيم اللائحة الاملاحية لولاية بيروت يعدون فرنسا حامية النصارى
العثمانيين ولذا كان لهم الشرف بعرض المطالب الانية على نظر قنصل فرنسا في
بيروت وهي :

أولاً — موقف النصارى العثمانيين .

ثانياً - اللائحة الاصلاحية التي نظمها الفرقة
ثالثاً - امال نصارى سوريا ومطالبهم
فيرجون من القنصل العام تبليغ هذه المطالب الى الحكومة الافرنسية
واستخدام نفوذه بذلك

موقف النصارى العثمانيين

ن موقف النصارى العثمانيين في المملكة العثمانية كان في جميع الازمان
موقف الالم والحزن وبعد الحرب البلقانية وهزيمة الاتراك ازداد الموقف تحرجا
بسبب زيادة الويركو وازدياد نفوذ المسلمين وتشويق نصارى سوريا على
الهجرة .

ان حكومة الاتراك ستضطر للتكاليف المرتبة على ولاياتها في اوربا الى ولايات
آسيا وقد باشرت بذلك من الان ومن يعلم ظلم الاتراك وقسوتهم وتعطيل ادارتهم
بخصوص قرض الاعشار وجبايتها لا يشك في ان العبء الجديد سيوضع على
اعناق النصارى خاصة وان تنفذ المسلمين عامل عظيم على ازدياد الاستياء من رجال
ادارة الاتراك

انهم يعدون الحرب البلقانية حرباً دينية ولهذا يظن المسلمون ان وجود
النصارى في الدولة العثمانية انما هو السبب الوحيد لاختطاطهم وانهزامهم ويرون
النصارى العثمانيين هم العدو الالذ والسبب الاصلي بهذه المصيبة التي وقعت على
السلطنة العثمانية وحينئذ اصبح النصارى من كل الوجوه هدفا للظلم والجور والجفاء
وهذا القدر لم يكن صريحا وظاهرا الى درجة تستدعي التدخل الاجنبي بل هو
غدر خفي امتازت به ادارة الاتراك الذين يفسرون القوانين بما يلائمهم
ان قدراً وافيا من مسلمي مكدونيا شرعوا منذ بدأت الحرب البلقانية
يهاجرون الى سوريا وبيروت والحركة تزداد بتشويق الاتراك وهذه كانت
سببا لازدياد هجرة النصارى الى اميركا

لائحة الاصلاحات - ان المسيو بوانكاره رئيس الوزارة اذ ذاك القى

خطاباً ، وفي اليوم الثاني دعا الحكومة التركية الى اجراء الاصلاحات في ولايات آسيا فاجابته الحكومة بانها باختيارها على اهبة لاجراء الاصلاح في ولاياتها وانها امرت الولاة بان يدعوا الاهالي لتنظيم لائحة اصلاحية غير ان النصاري نظراً لما مضى لهم من التجارب يعلمون مقدار ما يجوز ان يجعلوه اعتمادهم من صداقة الحكومة .

على انه اذا كلفت اوربا الحكومة العثمانية يوماً ما باجراء بعض الاصلاحات فتكون هذه اللائحة — لدي الحاجة — نرسا يجعل ذلك التكلف عقياً وبلا حظ ان اللائحة الاصلاحية من وضع الاهالي الا انها في الحقيقة نظمت بتلقين الحكومة وسيكون للوزارة التركية درع فيها للتخلص ولرد مطالب اوربا بصدد الاصلاحات فتدعي ان تلك لم تكن في اللائحة الاصلاحية التي وضعها الاهالي المطالب

ومع هذا فان نصاري بيروت اشتركو مع المسلمين في تنظيم اللائحة الاصلاحية وذلك ناتج عن اغفال الحكومة العثمانية الرأي العام واظهارها اللائحة الاصلاحية كأنها ذات قيمة حقيقية .

آمال النصاري ومطالبهم — لو فرضنا ان الاصلاحات طبقت سواء كان بمساعدة اوربا او بغير مساعدتها فان حل الامور على هذا الوجه لا يوافق رغبات نصاري سوريا الحقيقية لانهم مرتبطون مع فرنسا بصورة لا تقبل نقضاً ، ولا ينسون في وقت ما انهم محبسون بمدينتها وانهم مدينون لشقيقتها واهتمامهم بهم ايام اديب طالعهم

فكان من اكب آمال النصاري في سوريا ان تستولي فرنسا على البلاد الشامية .

وعليه كان الاعضاء الموقعون على اللائحة الاصلاحية يقولون باسم نصاري بيروت ان الافضل في حل المسألة حلاً يوافق سوريا سياسياً ان تجري الامور على الوجه الاتي :

اولاً - استنبلاء فرنسا على سوريا
ثانياً - اعطاء بيروت استقلالاً تاماً تحت مراقبة فرنسا وحمايتها بالفعل
ثالثاً - ان تكون بيروت ولبنان تحت مراقبة فرنسا وحمايتها بالفعل
التواقيع : ميشال التويني ، يوسف الهاني ، بترو طراد ، ايوب ثابت ، خليل
زينية ، رزق الله ارقش

. . .

يرى من هذه الفصول ان هذه الخطة من الشدة التي اتبعها احمد جمال باشا
بدأت في تموز وانتهت في اب سنة ١٩١٥ ففيها اعدم سبعة من المجرمين العاديين
والقافلة الاولى من المجرمين السياسيين وحكم باعدام العشرات من السوريين
« غايبا » ونفى غيرهم وخلال هذه المدة الغيت امتيازات جبل لبنان

الدروز بكرمون جمالا

واحد جمال باشا بعد زيارته التي قام بها الى جونية وجبيل والبترون
وبكركي وصيدا وتوابعها اراد ان يزور دروز الجبل ولكنه لا يريد ان تكون
هذه الزيارة بشكل خاص كي لا يستاء بقية سكان لبنان من الموارنة
وكان الامير شكيب ارسلان دوما بجانب احمد جمال باشا وقد ادرك
ما يقصده فاراد ان يمهده له سبيل هذه الزيارة

لماذا دير شكيب الزيارة - كانت الظروف حرجية في لبنان في شهر اب
لان اللبنانيين لا يزالون متأثرين او مدهوشين من الصدمة التي صدمهم بها قائد
الجيش الرابع ولهذا لم يكن هناك من المتنفذين المقربين من الباشا الا الامير شكيب
ارسلان المستشار الوحيد الذي يدلي الية بالاراء الصائبة عن الخطة الواجب اتباعها
في السياسة اللبنانية ولست لاروي حادثاً جديداً اذا قلت ان المشاريع التي نفذت
في ذلك الوقت كانت بناء على نصائح الامير شكيب ارسلان وارشاداته
المتعددة .

بين المؤلف والامير

و كنت في ذلك الوقت اعد لائحة باسماء زعماء البلاد وقادة الرأي فيها بناء على امر الباشا لانه احب ان تكون لديه هذه القائمة ليعرف ارباب النفوذ في البلاد حتى اذا حصل ما يخل بالامن العام اعتبرهم المسوؤلين عن الحوادث الممكن وقوعها .

وقد ساعدني الامير شكيب في هذه المهمة مساعدة جلي وهي وان كانت مستندة في بعض الظروف على حزازات شخصية ونزعات حزبية الا انها كانت مفيدة على كل حال

وفي احدى هذه الاجتماعات دار بيننا حديث حول احكام الاعداء التي صدرت من الديوان الحربي العرفي والتي لم تنفذ بعد فقال :

— اننى لو كنت مكان احمد جمال باشا لاوقفت غيرهم واعدتهم لان في هذه البلاد اشخاصا مفسدين يستحقون عقابا صارما اكثر من هذا — ولماذا ؟

— اننى شخصا اكره الاجانب وكرهى لهم منبعث عن اعتقادي في انهم لا يسايرون ابناء هذه البلاد الا قصد استعمارها ولهذا فاننا لمقت واحقر كل شخص يعمل ضد بلاده وفي سبيل خدمة الاجانب — اذن تعتقد ان الحكم باعدامهم عدل

— ليس في امكاني ان احكم على هؤلاء بمجرد الظن الا انني لا اتأخر عن الحكم على كل مجرم تثبت خيائته لوطنه — ولكن ابناء هذه البلاد لا يرون في عمل هؤلاء خيانة ، فهذا نفس ذلك ؟

— كلا بل يعتقدون انها خيانة

— عجيب

— وسري ذلك

— كيف

— انهم سيدعون احمد جمال باشا الى حفلة تكريمية

— من ؟

— ابناء هذه البلاد

— وجثث المشوقين

— انهم خونة

-- ايه ! ..

— ...

هذا هو الحديث الذي دار بيني وبين الامير شكيب ارسلان بحضور على
فؤاد بك « باشا » ومرافقي ممتاز بك

ونفذ الامير شكيب ارسلان وعده هذا باجتماع الباروك الذي وقع في اليوم
الثالث لاعداد القافلة الاولى من ابناء البلاد

كيف دبرت الحفلة — اراد الامير شكيب ارسلان في حفلة الباروك ان
يمثل روايتين الاولى لمداينة احمد جمال باشا وحمله على الاعتقاد بصداقته واخلاصه
له ليوم من فوزه في مضمار السياسة اللبنانية ولتعيين اخيه الامير عادل ارسلان في
قائمة الشوف والثانية ليبين للباشا انه رجل ذو نفوذ مطلق على اخوانه الدروز
في الجبل وعلى غيرهم من سكان الجبل الموارنة ، ولهذا رأيناه يث رسله بين
عائلات الجبل اندرزية ليوعده مع احمد جمال باشا الى حفلة تكريم تقام له في
الباروك .

الوفود لدي جمال باشا — وفي يوم الخميس ٢٣ اب اي بعد يومين من اعدام القافلة
الاولى من رجالات سوريا جاء الى صوفر لتحية احمد جمال باشا وفد من دروز
الجبل يتقدمهم كل من عجاج بك العاد وتامر بك وفرحان بك ابي علوان وقابلوا
الامير شكيب ارسلان ثم قصدوا معه غرفة احمد جمال باشا الذي انبى قبل
بواسطتي عن قدوم هذا الوفد استقبلهم الباشا بحفاوة زائدة وفي هذا الاجتماع اعرب

الوفد لجمال باشا عن محبة الدروز لشخصه وتعلقهم بالسدة السنية ودولة الخلافة العثمانية ورجوه ان يقبل دعوتهم بحضور الحفلة التكريمية التي ستقام خصيصا في الباروك نهار السبت في ٢٥ اب فوعدهم خيراً ثم اخلى احمد جمال باشا بالامير شكيب ارسلان بضع دقائق فلما خرج الامير اعلن الوفد ان الباشا قبل الدعوة وفي اليوم المعين اقيمت في الباروك حفلة تكريم احمد جمال باشا حضرها جمهور كبير من الدروز ووجوه تلك المنطقة تليت فيها القصائد وخطب الترجينية بالقائد الكبير

وقد تسكلم في هذه المأدبة الامير شكيب ارسلان شاكراً للاحمد جمال باشا مساعيه وخدماته العديدة في سبيل الوطن العثماني وحفاظته على استقلال البلاد واعلن في الوقت نفسه انه ليس بصفته ممثلاً لدروز حوران بل باسم دروز الجبل اللبناني يشكر لاحمد جمال باشا مساعيه العديدة في سبيل لبنان والغاء الامتيازات الاجنبية التي كانت تحول دون تمسك لبنان بعنصره العثماني وانه بهذه المناسبة يرفع ايات الشكر لصاحب الدولة احمد جمال ولصاحب الجلالة الخليفة واركان الحكومة المركزية لضم جبل لبنان الى اقسام السلطنة العثمانية وتسكلم في الحفلة نفسها عجاج بك العباد مؤيداً اقوال الامير شكيب ارسلان وتعلق الدروز بالدولة العثمانية

تعليق على حفلة الباروك — كانت حفلة الباروك فخرة جداً تناول خلالها احمد جمال باشا واركان معيته والامير شكيب ارسلان ورجالهم للطعام على نبع الباروك ذلك الموقع الجميل الخلاب من اقسام الجبل اللبناني وقد كنت في ذلك الوقت اتساءل : هل يجوز هؤلاء ان يقيموا مثل هذه الحفلة في مثل هذه الظروف الحرجة من تاريخ البلاد

انهم يمدحون احمد جمال باشا ويكيلون له الثناء جزافاً نهار السبت في ٢٥ اب وقبل اربعة ايام اي - في ٢١ اب - اعدم عدد من كبار رجالهم ونفى العدد الاخر انني كنت اعتقد ان هؤلاء المعلومين جماعة خانوا بلادهم ومالاً والاجنبي

ولكن هل هذا هو اعتقاد الامير شكيب ارسلان ورفاقه ؟
قد يكون هناك من يقول ان الامير شكيب ارسلان يكره الاجانب ولا
يعتبر المدومين انهم ابناء وطنه
ولكن كيف نجتمع بين موقفه ذاك وموقفه اليوم الذي يعتبر فيه هؤلاء
من شهداء بلاده

ان الامير شكيب ارسلان رجل لبناني وكان عليه وهو اللبناني
المولد ان لا يقيم مثل هذا الاحتفال لاحد جمال باشا في الاسبوع الذي اعدم
فيه ابناء وطنه

مقال ذلك ١٠٠٠ - ولكن للامير شكيب ارسلان عنراً في ذاك
وردناه في غير هذا القسم من المذكرات فهو يطمع في ان يسود في المنطقة الدرزية
من لبنان على غيره من زعماء الدروز ولهذا يسعى باستمالة احمد جمال باشا اليه وكان
من نتيجة سعيه ان استحصل له احمد جمال باشا في شهر ايلول على الوسام المجيدي
من الدرجة الثانية وفي الرابع من شهر تشرين الثاني سنة ١٩١٥ عين اخاه الامير
عادل ارسلان قائماً للشوف . . .

وهكذا نال الامير شكيب ارسلان بعض ما اراده من الرغبات في استمالة
احمد جمال باشا

. . .

بدأت الازمة الاقتصادية تؤثر على ابناء البلاد في السلطنة العثمانية والمال الذي
اخذته الدولة من فرنسا نفذ مع الاموال التي اخذتها من المانيا وفكرت الحكومة
في ايجاد حل لهذه الازمة فلاح لها في اصدار نقود جديدة ولهذا قرر مجلس الوزراء
في جلسة المنعقدة بتاريخ ١٠ كانون الثاني سنة ١٩١٥ اصدار اوراق نقدية
جديدة تحمل مكان النقود الذهبية والفضية التي بافت قليلة

وفي اوائل آب سنة ٩١٥ صدرت هذه الاوراق بسهر ليرة عثمانية ذهباً لكل
ليرة نقدية وقد راجت هذه الاوراق في بادئ الامر لمدة محدودة جداً الا ان

أسعارها نددت حتى باتت في آخر الحرب العالمية تساوي ما بين عشرة غروش و ١٢
غرشا أي ان كل ٩ ليرات نقدية بليرة عثمانية ذهبا

رواج هذه العملة ! — لم ترج هذه العملة في سائر مناطق الجيش الرابع لان
الفلاحين وأصحاب الاراضي رفضوا قبولها حتى ان أحد جمال باشا عندما طالبهم
بكمية من الحبوب لاحتياجات الجيش رفضوا بيعها له الا اذا تقدم ثمنها عملة فضية
او ذهبية ومثل هذا الامر كان مع سكان المدن الداخلية حتى اننا كنا نضطر أن
نأخذ العملة التي نتقاضاها من رواتبنا الى السوق لنستبدلها بنقود فضية لكي نتمكن
بهذه الوساطة من مشتري حاجتنا

وعجز قائد الجيش الرابع عن اجبار الاهالي على قبول هذه العملة فهم
يحتجون بان الفلاح يرفضها واجبار الفلاح قد يؤدي الى اخفائه محصوله أو تمرده
على الدولة وتلك الظروف الحرجة التي كنا فيها لا تساعدنا قط على اجبار الاهلين
واكرامهم

واذا كانت هناك مدينة تتعامل بالعملة النقدية التركية فهي بيروت وحدها
التي كانت مظلومة بكل شيء

فهي والحقيقة تقال ظلمت في الاوراق النقدية !

ظلمت في الاعاشة ؛

ظلمت في استبداد الموظفين بها !

ظلمت في شبابها !

ظلمت في أخلاقها

ظلمت أعيانها

ظلمت في فئة من المحتكرين ما كانوا ليراعون حقوقها

نعم ان بيروت وحدها منيت بكل هذه المصائب وتبعها في ظلها جب لبنان

الفقير بكل شيء

ولهذا كانت حصّة الجيش الرابع من الاوراق النقدية العثمانية التي صدرت

نصيب بيروت

التعامل بالذهب — ومع هذا فقد قامت فئة في البلاد تعمل للتجار سراً بالذهب وكانت تجارتها هذه من الاسباب الرئيسية التي ساعدت على سقوط الليرة الجديد ولها أصدر أحمد جمال باشا مقررات عن العملة ومجازاة الذين يتجرون بها ولكن دون جدوى لان التعامل بها ظل مستمراً بسبب الارباح التي كان يجنيها المتعاملون وبسبب رشوتهم رجال الشرطة والموظفين المحتاجين دفع رواتب ذهبية — والدولة نفسها كبدت هذه العملة خسائر جمة فان تمنعها عن اجار المزارعين والعربان على قبول الورقة النقدية زاد في سقوط هذه الورقة حتى اضطرت الحكومة في النهاية الى مشتري الحطب من تجاره في الداخلية بنقود فضية والى دفع قسم من رواتب موظفي الداخلية ذهباً

بناء سوق الهال

الحروب خلقت الدمار ولكن أحمد جمال باشا يريد أن يحولها العمران ولهذا رأيناه في الوقت الذي يعمل فيه على خراب البلاد من جهة يعمل على عمرانها من ثانية . وقد بدأ عمله هذا بإنشاء الهال المعلق ليبيع الخضرة وقد وجد ان بيروت بحاجة ماسة الى هذا العمل خصوصاً وان لديها من الاراضي البور ما يصلح لتحويل المدينة الى جنات تجري من تحتها الانهار ، فوقع اختياره على ساحة الشور لتشييد الهال المذكور ، وهي ساحة وسبعة كائنة على بعد ٣٠٠ او ٤٠٠ متر من ساحة البرج المتوسط في مدينة بيروت وبين هذه الساحة ودار الحكومة المعروفة هناك بقشلاق رشيد باشا ولهذا وضعت خارطة هذا الهال دائرة هندسه الجيوت الرابع التي يرأسها أحد الالمانيين على الطريقة الالمانية وضع الحجر الاساسي — وعين اليوم الثالث والعشرين من شهر اب سنة

٩١٥ موعداً لوضع الحجر الاساسي لبناء الهال الجديد وقد كان أحمد جمال باشا يومذاك في صوفى وكان في نيته حضور هذه الحفلة الا أن ظروف القاهرة حالت

دون قيامه بهذه المهمة ثم انه كان يرغب في أن يقرب صديقه عزمي بك من أهالي بيروت بصفته والياً عليها ففوض اليه هذه المهمة
وفي اليوم المذكور اقيمت الحفلة لوضع أساس البناء برئاسة والي بيروت عزمي بك وحضور اركان الحكومة المحلية ورئيس مجلس بلدية بيروت واعضاء البلدية وهيئة مجلس ادارة بيروت

المدعايات الالمانية

ان الامة الوحيدة والحكومة الوحيدة من حكومات العالم التي لا نحسن الدعايات لنفسها هي الحكومة العثمانية

فان سيطرت الاجانب على مدرات الامور في السلطنة العثمانية لم تدع مجالاً لان تفكر في الدعايات حتى ولا ان تفكر بالرأي العام العثماني وهو في نظرها مهمل للغاية

ان السلطان عبد الحميد باشرافه الدائم على اقسام السلطنة العثمانية ظل عارفاً بموقف كل قسم من اقسام هذه الدولة وطبائع سكانها والطرق التي يمكنه ان يتخذها في سبيل استئالة هذه الشعوب وقد مكنته هذه السياسة من معرفة كل شيء ومقاومة كل فكرة ثورية يمكن ان تدور في خلد احد من الزعماء المتنفذين .

وموقف السلطان عبد الحميد هذا وان لم يكن جائزاً دولياً الا انه على كل حال كان احسن من موقف الحكومات الدستورية اي لم تكن تملك معلومات راهنة عن حالة البلاد الموجودة تحت نفوذها حتى انك اذا اردت الحصون على معلومات من وزارة انداخلية عن حالة سوريا مثلاً وهي اقرب البلاد العثمانية تناولا من العاصمة عن غيرها من البلاد العربية لما وجد فيها شيء واف عن تلك البلاد ولا عن اشخاصها ولهذا سارت من سيء الى اسوأ دون ان تشعر الحكومة بامرها .

ووقعت الحرب العالمية وجام وقت الدعايات ورأينا كل امة من الامم الحاربة

تعمل على نشر ادعايات لها .

ولكن دولتنا لم تفكر بذلك

رب قائل يقول انها اسست شعبة الاستخبارات العثمانية الا ان هذه الشعبة ما كانت تملك الوسائل الكافية لهذه المهمة كما انها ما كانت تعلم قط الطرق الواجب سلوكها ولهذا رأينا الالمان يسيطرون على الموقف ويسخرون ليس الشركات البرقية فقط لدعاياتهم بل الصحافة ايضا حتى انك لا تفتح جريدة من الجرائد العثمانية الصادرة خلال الحرب العالمية الا وثرها مملوءة بالادعايات والبرقيات الالمانية الحاملة اخبار الانتصارات الوهمية التي احرزها الالمان

مطامع الالمان في سوريا

والالمان مطامع في البلاد السورية بدأت منذ زيارة الامبراطور غليوم الى تلك البلاد سنة ١٨٩٨ فان الالمان كانوا يعتقدون كغيرهم من الدول الاوربية ان السلطنة العثمانية مصيرها الى الاضمحلال فاذا خرجت ظافرة من الحرب العالمية بسط الالمان والتمساريون نفوذهم على البلاد العثمانية واذا خرجت مندحرة كانت هذه البلاد من حصة الحلفاء

ولهذا قام الالمان في مختلف فروع الجيش والادارة بيسط نفوذهم عليها فالالمان ادر كوا انه ليس في مقدور المدارس العثمانية سد الفراغ الذي يحدته المدارس الاجنبية وعلى الاخص مدارس الارساليات الدينية ثم رأوا انه ليس في مقدور الاتراك استمالة سكان البلاد من المسيحيين وحب الافرنسيين والروس متمكن من قلوبهم ولهذا قاموا بنشر الدعايات لهم في البلاد العربية فأسسوا مكاتب استخبارات خاصة بهم مستقلة عن الاستخبارات العثمانية ، وبات في مقدورهم معرفة ما يريدونه من اسرار البلاد واحوالها ومسااعي ابناء البلاد فيها واسرار دواثرنا الاستخبارية جميعها حتى وقفوا على كل سر من اسرارها وزادوا على ذلك انهم استخدموا بعض رجالنا من ضباط وجنود في سبيل التجسس على ضباطنا وقوادنا وتمكنوا من استمالة احد مراقبي جمال باشا لمعرفة حركات

الإشياء واستمالوا وصيغته لمعرفة اسرار العائلة

مقتطف الاخبار — ورأي الانسان ان يسوعوا طريق الدعاية لرجالهم
فانشأوا ناديا في «ساحة البرج» في الجهة الشرقية منه . اطلقوا عليه اسم «مقتطف
الاخبار» وهو بناء مدخله شبه مخزن الا انه يتسع في الداخل عن صالون ذي
بابين الاول مطل على ساحة البرج والثاني يطل على شارع بسول وقد اقاموا
وسطه مائدة طويلة وصفوا عليها الجرائد والمجلات وزينوا جدران هذه الدائرة
بإثاث الرسوم لامبراطور المانيا وامبراطور النمسا وسلمان تركيا وقائد الجيش
الرابع وغيرهم من قواد الدول المتفقة ومعاركهم وانتصاراتهم . وكانوا قد
مدروا في بلادهم مجلات خاصة تحبب بالالمانية والتركية والعربية يرسلونها
بعضها الى هذه البلاد

افتتاح مقتطف الاخبار — وفي اليوم التاسع والعشرين من شهر آب سنة
١٩١٥ افتتحوا هذا النادي الذي عهدوا بإدارته الى احد البيروتيين المعروف
بوالاثة لحزب الاتحاد وهو محمد افندي الرئيس وبرئاسته الى احد كبار جواسيسهم
في بيروت المهر كارل هوبل وقد عاش هذا النادي او «مقتطف الاخبار» الى
انز الحرب العالمية

النخبصات المالية — كانت الدعايات الالمانية كثيرة في البلاد وعلى
الاخص في المحيط البيروتي والفلسطيني لاستمالة اليهود والمسلمين وبعض العناصر
المسيحية في بيروت

والمعلومات الرائنة الموجودة لدينا تدل على ان شعبة الاستعلامات السرية
الموجودة في بيروت كانت تدفع شهريا مئة الف مارك ذهبيا الى جواسيسها وعمالها
المربين وتصرف هذه الاموال بواسطة مصرف «دوش اور يانت بنك» على
الوجه التالي :

اولا — عشرة الاف مارك ذهبيا معارفات دائرة «مقتطف الاخبار» مع

مصارفات خمسة من الجواسيس الذين يترددون على هذه الدائرة ويقدمون لها المعلومات الرسمية

ثانياً — خمسة الاف مارك ذهباً الى اصحاب الصحف البيروتية والى ثلاثة من المحررين

ثالثاً — ٥٠ مارك ذهباً الى كل من الثمانية المخبرين التابعين للدائرة المذكورة والمجموع ٤٠٠ مارك شهرياً

رابعاً — ٢٠ الف مارك الى المؤسسات الالمانية الموجودة في بيروت والتي تشغل لصالح المانيا

خامساً — سبعة الاف مارك الى الكنيسة البروتستانتية والى بعض رجالها مقابل تأييد الدعاية الالمانية

سادساً — ١٣٦٠٠ مارك الى شعبة الاستخبارات الالمانية في الجهات اللبنانية التابعة لمركز بيروت

سابعاً — ٢٤ الف مارك الى الجنود والضباط العثمانيين المستخدمين في المنطقة بصورة سرية لاطلاع الشعبة على ما تريده من اخبار عن حركة احمد جمال باشا وكبار القواد الاتراك والخطط التركية السرية

ان هذا المبلغ الذي تدفعه ادارة الاستخبارات الالمانية والذي نقلناه عن احدى الاوراق التي عثرنا عليها والمؤرخة في ٤ شباط سنة ٩١٦ رقم ١٨٥٠ و ٦٣٥٩ مع مذكرة دوتش اور يانت بنك المؤرخة في ٣٠ كانون ثاني سنة ٩١٦ رقم ١٨٠ تدل على مقدار اهتمام الالمان في هذه الامور والتجسس علينا

ضرب السواحل

وفي هذا الوقت الذي كان فيه احمد جمال باشا منهمكاً في القضية اللبنانية كانت الدارعة الافرنسية «جان دارك» تقوم بمطاردة السواحل اللبنانية فقد بدأت حركتها هذه بضرب ساحل اسكندرون يوم ١٨ اب سنة ١٩١٥ والقت ٢٠ قذيفة من مدفعيتها على هذا الساحل وقد قتل ثلاثة من الاهلين كانوا مارين صدقة

واكتفت بذلك وتابعت سيرها الى مرفا انطاكية القريب من ازمير فالقت عليه ٣٠ قذيفة احدثت بعض الاضرار في ابنية الحكومة المحلية وفي مخفر الدرك الذي هدمته وقد نتج من جراء هذا الحادث ان قتل خمسة من الجنود وجرح ١٢ جراحا بالغة ثم تابعت الدارعة سيرها الى «رشادية» فالقت عليها ١٢ قذيفة ثم الى فارغي فالقت عليها ٢ قذيفة ثم الى «بابروثي» فالقت عليها خمس قذائف ومن ثم عادت الى السواحل اللبنانية وقد كانت الخسائر في المراكز الاخيرة طفيفة جاكالا تتعدي قتيلا وثلاثة جرحى

ان هذه المناورة التي قامت بها الدارعة الافرنسية «جان دارك» كانت ترمي الى الاستكشاف فقط ولا غاية احتلالية لها

تدابير سريعة — ومع هذا فقد اتت هذه الحادثة بالفائدة التي يرجوها العدو وهي حيويل قسم من القوات التركية الى السواحل لان القيادة العامة اعتقدت ان العدو يقصد من وراء محاولاته هذه اخراج قوات جديدة من جنوده في السواحل اللبنانية او الاناضولية

وقد كان الخوف في بادئ الامر ان يقدم العدو على اخراج قوات من جيشه في الاسكندرونة بحيث يقطع خط الرجعة بين البلاد العربية وتركيبا من اسكندرون الى حلب فاقبل وصل حيث يتصل بالقوات الانكليزية ولهذا اتخذت الاستعدادات اللازمة لهذا الامر حتى اذا نشبت ثورة اورفه الارمنية التي دبرها الحلفاء لهذه الغاية واخذت عاد الحلفاء وعدوا عن هذه الخطة على امل اجرائها في جهات مرسين

ومضت الايام ولم يقع الاخراج المتظر في تلك الجهة ايضا وكان من جراء ذلك ان حدثت عدة حوادث مؤسفة هناك دون فائدة وان ارسلت القيادة العثمانية قوة من رجالها وضعتهم طيلة الحرب العالمية لحماية السواحل خشية ازال قوات فيها

الدفاع ؟ — وبهمننا في هذا الصدد ان نقول هل يجوز والحالة هذه ان

تضع القيادة العثمانية قوات من جيشها لحماية السواحل اللبنانية والاناضولية ؟
من المؤكد ان السواحل السورية المطلة على الجبل اللبناني هي اكثر البلاد
مساعدة للدفاع ومع هذا لم يكن في مقدورنا قط ان ندافع عن تلك الجهات لان
اقل حركة ازال كافية لان تقيم سكان البلاد ضدنا وبذلك نصبح بين نارين نار
العدو ونار ابناء البلاد من الداخل وفي ذلك قسط كبير على جميع الجنود
الموجودة في البلاد

لهذا لم يقدم احمد جمال باشا على اقامة تحصينات وافية في منطقته وانما اكتفى
بادخال الرعب في قلوب السكان فقط

وهذه الخطة هي التي حفظت سلامة الجيش الى اخر الحرب ولو ظل احمد جمال
باشا في سوريا الى النهاية لما وقعت الفواجع التي اصابته القوات التركية حين
تراجعها عن سوريا

نفي الايطاليين — دخلت ايطاليا الحرب العالمية ضد حليفاتها وانضمت الى
دول الحلفاء وفي اليوم الاخير من شهر اب سنة ١٩١٥ اصدر قائد الجيش الرابع
تعميما على جميع رؤساء البوليس في المناطق التابعة له بتوقيف رعايا ايطاليا
الموجودين في منطقة الجيش الرابع وابعادهم الى — اورفه — اذ تقرر جعل هذه
المدينة منفى لهم وفي الوقت نفسه صدرت الاوامر بمصادرة جميع المؤسسات
الايطالية .

انتحار غالب بك — وفي الاسبوع الثاني لاعدام اولاد المحمصاني اقدم غالب
بك المدير العام للبرق والبريد في ولاية بيروت على الانتحار بان اطلق رصاصة
على صدره اودت بحياته وقد سكنت يومئذ عن سبب انتحاره قبيل ان نوبة عصبية
اصابته ادت به الى الانتحار وقبل ايضا ان تلاعبه بالاموال المودعة اليه كاد يفضح
فحملة على الانتحار على ان الحقيقة بعيدة عن هذا وذاك فالرجل اقدم على الانتحار
لاسباب سياسية لان توقيف المحمصاني وجلبه امام القضاء جعل سبيلا الى ان يتهم
احمد جمال باشا غالب بك بانه لم يحسن القيام في وظيفته وطلب ابعاده عن مدينة

بيروت .

وغالب بك كان تركبا الا انه من طراز والي بيروت يومئذ بكر سامي
بك محب للعرب كثيراً فقد كان يتعد كثيراً عن تنفيذ واجبه في مراقبة
التحارير والبرقيات ويدارت عدة مخبرات سرية في دائرته بين بعض الموظفين
والخارج فكان يميل هو الامر ليس عن خيانة لوطنه بل لاعتقاده ان سكان
هذه البلاد على حق في عملهم هذا وقد اكتشف احمد جمال باشا هذه الحالة وامر
بنقله فاقدم على الانتحار وعين بدلا منه توفيق بك وهو من اصدقاء احمد
جمال باشا .

الكتابة الاجنبية - وفي هذا الوقت صدرت الاوامر من نظارة البوستة
والتلغراف في استمبول الى جميع دوائر البرق والبريد بوجوب نزع الكتابات
الافرنجية عن شبابيك دوائر البريد مثال ذلك ان النافذة المعدة لاستلام التحارير
المضمونة كان مكتوبا عليها بالتركية والافرنسية انها تقبل التحارير المضمونة
فحذفت الجملة الافرنسية واستبدلت بالعربية والتركية ومثلها على بقية النوافذ
وهذا العمل كان مقدمة لالغاء اللغات الاجنبية في الدوائر والمؤسسات
الرسمية .

تجنيد اللبنانيين

الذي في آخر تموز سنة ١٩١٥ الامتياز او الامتيازات التي يتمتع بها الجبل
اللبناني الا ان هذا الالغاء الذي حصر فقط في حق تعيين المتصرف والاشراف على
الادارة الرئيسية لم يغير بقية الامتيازات التي يتمتع بها الجبل اللبناني فقد ظل
اللبنانيون معينين من الخدمة العسكرية ومن دفع بقية الضرائب التي يدفعها سكان
الولايات العثمانية

واكن رئاسة شعبة اخذ العسكر في بيروت ارسلت نسال قيادة الجيش
الرابع عن التدابير الواجب اتخاذها تجاه اللبنانيين الموجودين في بيروت وفي بقية
انحاء الولاية فردت عليها القيادة العامة بتحرير هذا نصه :

قيادة الجيش الرابع
رئاسة اركان الحرب

شعبة المخابرات

رقم عمومي ١١٧٥

رقم خصوصي ٩٢٩

في ٥ اب سنة ٣٣٢ (١٨ اب سنة ٩١٥)

لرؤساء شعب اخذ العسكر العامة

ج . على سواكهم الرسمي المؤرخ في اول اب رقم ٩٧٨١٢٠
لما كان اامرسوم الشاهاني الصادر بالغاء العهود القديمة المتعلقة بتصرفية جبل
لبنان المستقلة قد حفظ اللبنانيين حقوقهم المنصوص عنها في الاتفاقات الدولية
الملغاة .

ولما كانت وكالة القيادة العامة في منشورها العام الصادر في ٢٠ تموز الماضي
قد وافقت على استثناء اللبنانيين من الخدمة العسكرية
بناء على ما يراه الجيش الرابع ووزير البحرية يلزم العمل على الوجه التالي :
اولا - ان اللبنانيين يعفون تماما من الخدمة العسكرية طيلة النفير العام
ثانيا - ان اللبنانيين الموجودين بصورة مؤقتة في الولاية يعفون من الخدمة
العسكرية .

ثالثا - ان اللبنانيين الساكنين بصورة غير مؤقتة في الولايات يعتبرون
كساكن الولاية ويخضعون للخدمة العسكرية

رئيس الاركان الحربية

في الجيش الرابع

علي فواد

وبعد اسبوع نقلت قيادة الجيش الرابع سواكهم الاثانيا من رئاسة شعبة اخذ
العسكر تحت رقم عمومي ٩٤٧٠ رقم خصوصي ١٢٠ تسأل فيه عن رأي قيادة

الجيش الرابع في الموظفين اللبنانيين فردت عليها قيادة الجيش الرابع بموجب قرار رقم عمومي ٢٠٠٢ وخصوصي ١٠٢٥ جاء فيه ما يلي :

اولا - ان الموظفين في المؤسسات غير الحكومية يخضعون للاوامر الصادرة في التعميم الماضي

ثانيا - ان اللبنانيين المستخدمين في دوائر الحكومة والمؤسسات الرسمية وان كانوا من سكان الجبل يعتبرون كأنهم من أبناء الولاية ويخضعون للخدمة العسكرية الاجبارية

ثالثا - تطبق بحق هؤلاء الوارد ذكرهم في الفقرة الثانية من هذا الامر سائر القوانين المتعلقة بالموظفين العثمانيين الخاضعين للخدمة العسكرية من جهة الزاتب والتخصيصات التي تعطى لهؤلاء

وقد نفذت هذه الاوامر كما هي ولم يؤخذ طيلة النفي العام احد من اللبنانيين الساكنين في الولاية بصورة موقته الى الخدمة العسكرية

• • •

اعدام !! اعدام !!

لم ينته شهر اب بهدوء ولم تقتصر حوادث الاعدام فيه على المحرمين السبعة الذين اعدموا في اوله والمحرمين السياسيين الذين اعدموا في واسطه بل انتهت أيامه ايضا بعدة حوادث اعدام وقعت في مختلف البلاد العربية واليك هي :

اولا - في اليوم الثالث والعشرين من شهر آب سنة ١٩١٥ نفذ حكم الاعدام في بعابك بقاصم سيف الدين من اهالي بر يتال لانه أقدم قبل شهر واحد على قتل احد مواطنيه

ثانيا - اعدم في اليوم الثامن والعشرين من شهر اب نفسه في يافا اصبا عيل علو، ودادو الدبس من اهالي يافا لاقدامهما على قتل قائد در كهما الامير عارف ثالثا - وفي اليوم الاخير من شهر آب اعدم في محلة المزة في دمشق محمد حمد سريول من اهالي دوما لقتله أحد مواطنيه

اعدام الفارين - وفي هذا الشهر اعدم اخرون لفرارهم من الخدمة العسكرية .

فالعرب الذين اندفعوا في بدء الحرب العالمية الى التطوع في الخدمة العسكرية أو دخول السلك عند طلبهم منقادين اخذوا في الاشهر القليلة التي مرت على اعلان الحرب يفرون من صفوف الجندية

لقد قالوا أن الاثراك ظلمهم وآكن الامر عكس ذلك لانه في الوقت الذي نسرد هذه الحوادث كان الترك يدافعون عن استقلال البلاد في الجبهة الحربية في المضائق وكان ابناء العرب في بلادهم وبين نسايتهم ولهذا رأينا العجب عندما تردنا الاخبار بان ابناء العرب كانوا يفرون الواحد تلو الاخر من الخدمة العسكرية الامر الذي دعا القيادة العامة ان تصدر الاوامر اللازمة للتشديد على الفارين الا ان هذه الاوامر لم تفد شيئاً ولم ترد هؤلاء عن تعنتهم فاضطرت القيادة العامة الى تطبيق اشد احكام القانون وهو الاعدام بحق الفارين من الخدمة العسكرية وفي اليوم التاسع والعشرين من اب ١٩١٥ نفذ في بغداد حكم الاعدام بالاشخاص الاتية اسماؤهم :

اولا - خضر عباس من مواليد سنة ١٣١٣ من اهالي بغداد لارتكابه جرم الفرار من الفيلق العسكري في كوت العمارة مع سلاحه وبيعه السلاح الى بعض العربان بعشر ريات مجيدة

ثانيا - سعيد عبد القادر من اهالي الموصل ومن مواليد سنة ١٣١٤ فر من الجندية في الجبهة العراقية عند الشروع في الهجوم وقد اخذ معه ثلاث بنادق له ولرفاقه وقد نفذ به حكم الاعدام في اليوم الثامن والعشرين شهر اب

ثالثا - حنا عبد الغفار من اهالي البصرة ومن مواليد ١٣١٤ فر من الجبهة قبل دخول المعركة بعد ان اخذ بندقيته الحربية واسلحته الاخرى وهو يحاول اجتياز الجبهة ليستسلم الى العدو وقد نفذ به حكم الاعدام في اليوم التاسع والعشرين من شهر اب

رابعاً - مصطفى بومصلح من اهالي المتفك ومن مواليد سنة ١٣١٣ فر من الجيش مرتين وقد عفي عنه للمرة الاولى للبسالة التي ابرزها في معركة ٧ تشرين ثاني الماضي الا انه في هذه المرة فر من الجندية بسلاحه وحاول ان يحرض بقية رفاقه الجنود العرب على الفرار معه فاعدم في اليوم التاسع والعشرين من شهر اب .

خامساً - عبد الستار ال قاسم من اهالي بغداد ومن مواليد سنة ١٣١٥ فر من الجبهة بعد ان سرق من المعسكر عشر مسدسات باعها بـ ٢٠ ريالاً مجيدياً وحاول الالتجاء الى البادية وقد اوقفته دورية البادية ونفذ به حكم الاعدام في اليوم السابع والعشرين من شهر اب .

سادساً - عيد الستار بن احمد من اهالي بيروت ومن مواليد سنة ١٣١٣ فر من الجبهة في « قلعة النخل » التابعة فلسطين مع بندقية وخمسمائة خرطوشة ولما حاولت دورية الجيش توقيفه اطلق عليها الرصاص فقتل احمد الاطنهلي وجرح يوسف كمال وقد نفذ به حكم الاعدام في اليوم الاخير من شهر اب .

سابعاً - صفوت الادم من اهالي الشام ومن مواليد ٣١٢ فر من الجبهة الحربية في قلعة النخل وحاول الالتجاء الى العدو بسلاحه الحربي فاعتقل واعدم في اليوم السابع والعشرين من شهر اب .

ثامناً - احمد مصطفى الصائغ من اهالي دمشق ومن مواليد سنة ١٣١٢ فر من الجبهة الحربية في منطقة غزة على زورق تداركه محاولاً الالتجاء بسلاحه الى دوارع العدو وقد اطلق الرصاص من بندقية على دوريات الساحل حتي اضطر المدفعية العامة الى اطلاق عشرات من قنابلها على البحر ظناً منها بوجود العدو فيه وقد اعتقل على اثر ذلك ونفذ به حكم الاعدام في اليوم الاخير من شهر اب .

الفصل الثالث والعشرون

لعبت الجاسوسية في لبنان دوراً هاماً ولست مغاليا اذا قلت ان سكان هذه البلاد من غير المسلمين هم اعداء الدولة الداء يعملون بكل ما في قواهم في سبيل معاكسة الدولة العثمانية والكيد لرجالها

وفي مقدمة الجواسيس الذين اشتغلوا لحساب فرنسا وانعبونا كثيراً بشاره البواري فان هذا الرجل الذي خدم الافرنسيين خدماً جلي عظيمة لعب دوراً خطيراً في الجاسوسية في الوقت الذي كانت قواتنا السرية والنظامية تطارده في جونييه كنت نراه قد وصل الى هدفه عن غير هذه الطريق وعاد هازناً بالجميع كأنه لم يكن مطارداً ، وهذه جراءة عظيمة لا تشمن بشمن

ففي اليوم العاشر من شهر اذار سنة ٩١٥ تلقينا اشعاراً سرياً من مديرية شرطة بيروت يفيد ان بشاره البواري الذي فر الى جهة العدو قد عاد الى بيروت واجتمع ببعض الاشخاص فيها وانه على اثر هذا الاجتماع ارسلت قوة من الشرطة لتوقيفه ولكنها لم تجده قط لان الرجل اختفى بصورة فجائية مع ان ٣٠٠ جندي اقيموا في ذلك الوقت على جميع المناطق الساحلية لتوقيفه ففشلوا في مسعاهم هذا وعاد الرجل الى البحر تحت حماية الافرنسيين دون ان ينشئ امراً

التعميم بقتله — وفي اليوم السابع من شهر ايار اصدرت القيادة العامة بلاغاً سرياً الى مديرية الشرطة وروساء خفر السواحل تحت رقم ٨٢٥ جاء فيه ما يأتي :

« ان من بتمكن من توقيف بشاره البواري وارساله الى القيادة العامة يتناول جائزة قدرها مايتا ليرة مع ترفيع رتبته فوراً »

الا ان هذا البيان لم ينفذ شيئاً لان الرجل تمكن من دخول البلاد والخروج منها بكل سهولة حتى اضطرت القيادة بموجب الامر الذي اصدرته بتاريخ ٢٠ ايار ٩١٥ رقم ١٢٦٧ مريان تضاعف الجائزة الى خمسمائة ليرة تركية مع ترفيعه فوراً رتبته اذا هو نجح في توقيف الرجل

وفي الامر السري الذي اصدرته بتاريخ ١٨ حزيران سنة ٩١٥ رفعت الجائزة لمن يوقف الرجل حياً الى الف ليرة تركية وفي الوقت نفسه هدرت دمه ومنحت كل من يأتيها بجثته خمسمائة ليرة تركية

اعدام البواري — وفي الوقت الذي اباحت فيه القيادة العامة دم بشاره البواري ارسلت اوراقه الى الديوان الحربي العرفي في عاليه تتهمه بالجاوسية فحاكمه الديوان الحربي العرفي غيابياً في اليوم الثالث من اب سنة ٩١٥ فحكم عليه بالاعدام غيابياً وبمصادرة جميع امواله املاكه واعطائه مهلة عشرة ايام وذلك لتسليم نفسه .

وفي اليوم السادس من شهر اب سنة ٩١٥ اصدرت القيادة العامة في التقرير اليومي الامر التالي :

« بناء على قرار الديوان الحربي العرفي المؤلف في عاليه باعدام بشاره البواري اللبناني الفار من وجه العدالة

ولما كان بشاره المرقوم رجلاً شديداً لخطورة يهدد دوماً سلامة الدولة والجيش معا

فان يجب على كل من يطلع على تقريرنا اليومي هذا توقيفه حياً او مبتاً وارساله الى النيابة العامة في الديوان الحربي العرفي في عاليه فوراً

وموجب ان يحيط العموم علماً بان القيادة العامة قد عينت جائزة قدرها الف ليرة تركية لمن يأتيها حياً وخمسمائة ليرة لمن يأتيها به مبتاً »

اهتمام الجنود - ولكن كل هذه المساعي لم تات باقل فائدة لان مقاومة الجاسوسية وتوفير الجواسيس لا يمكن ان يتم قط على هذه الصورة التي ارادتها القيادة العامة لان رجلا ذكيا يقطا كبشارة البواري له رفاق ومناصرون في داخلية البلاد لا يمكن توقيفه قط على هذه الصورة فهو وان كان لا يعرف مكان الجنود الا ان هناك من يرشده الى اماكنهم ولهذا ففي مقدوره والحالة هذه ان يتجنبهم تماما

لقد كان من الواجب على الدولة في مثل هذه الاحوال ان توجد شبكة قوية لمقاومة خطة الجواسيس

ان احمد جمال باشا في مساعيه هذه اعتمد على بعض المخلصين له من الضباط اللبنانيين وفي مقدمتهم حنا بك الضاهر الا ان هذا القائد وان كان قد اظهر اخلاصا ومقدرة في كثير من المواقف قد كان والحالة هذه عاجزا عن مطاردة البواري الذي كان يسرح في منطقته دون ان يتمكن من توقيفه مع انه كان شديد الرغبة في ذلك ، ولهذا عرضت على احمد جمال باشا فكرة تأسيس شعبة لمقاومة الجاسوسية وقد رفض هذا الامر لانه وجد ان هذه الشعبة التي اقترحتها تكلفه خمسة الاف ليرة في الشهر مع ان الذي علمته من القواد الامانيين ان مثل هذا المبلغ يدفعه الالمان لاقول من رجل من الرجال الذين يشتغلون في شعبة مقاومة الجاسوسية في المانيا معتقداً ان جواسيسه الذين وعدت بالكلام عنهم في فصل خاص قادرون على تحقيق ما يريد

الشرطي الجاسوس - كنت مع احمد جمال في صوفرا اتلو عليه التقارير الواردة من مختلف الجهات عن اعمال الجاسوسية التي يرد في اكثرها ذكر بشاره البواري فالتفت الي عذقا وقال :

- من هذا المخلوق القدر (كذا) الذي لم تتمكنوا من توقيفه

- لقد بينت امره الى دولتكم

- نعم ولكن بتقارير لا فائدة منها

— وهذا ما اعتقده أنا أيضاً لأن هؤلاء الجواسيس لا يعرفون شيئاً فهم يجلسون في المقاهي والاندية العمومية يلتقطون من الناس ما يردونه وهذا لا فائدة منه والجوهرى ان يطاردوا هؤلاء الجواسيس مطاردة فعلية

— هذا امر يتعلق بك وليس بي

— نعم ولكن جواسيسنا لا يتناولون الا رواتب ضئيلة ومن الضروري انشاء شبكة لمقاومة الجاسوسية وهذه يلزمها المال

— عدنا الى المال !

— نعم هذا هو الحل الوحيد في هذه البلاد

— ولكن هناك من يتطوع لهذه الخدمة بدون مال

— ماذا

— ولماذا تعجب ؟

وحقني اني اعجب لاننى لم اعتقد قط ان في سوريا ولبنان ، من يخدم الدولة لجرد كونها دولته فالمسلمون لم يكونوا كثيرى الا خلاص لهذه الدرجة والمسيحيون معروفون بعدائهم للدولة ، ولهذا وقفت تجاه جمال باشا حائراً ولكنه لم يدعنى طويلاً في حيرتي ودعا مرافقه نصرت بك وقال :

— دع الرجل يدخل علي

وبعد دقيقة دخل علينا شاب في منتصف العقد الثالث من عمره وانحني الى الارض امام جمال باشا وبعد ان قام ببراسم التعظيم وقف جانباً وأنا والباشا نفوس فيه ثم بادره الباشا قائلاً :

— اسمك ؟

— عبد الله رشيد يامولاي من مرتبات شرطة بيروت

— معلوماتك !

— بلغني ان بشاره البوارى يتردد الى بيروت ويخرج به نقولاً ربيع الى الر و يساعده في مقاصده وقد كان هنا في الاسبوع الماضى وتتبع ثاره الا انني لم

اتمكن من توقيفه اذ لم يكن معي سلاح

— ولماذا لم تعد لمطاردته؟

— لانني خاضع يامولاي لا واور رومائي لا يسمحون لي بالتغيب عن
مركز وظيفتي كما انني غير واثق من رئيسي الذي اخشى اذا فاتحته بالامر الا
يسمح لي بمتابعة مهوتي هذه فاضطر والحالة هذه الى ...

— نعم الى مشار كته في الجائزة الموضوعه لهذه الغاية

— كلا يامولاي فاننا اقوم بخدمة دائرتي وبلادى باخلاص لا اطلب على

ذلك ثنا .

— حسن والان ماذا تريد

— ان تعطني مأذونية اكون فيها حراً في عملي هذا

— انك حر اذهب وقم بواجبك على أن تأتيني بالنتيجة القرينة

ذهب الشرطي عبد الله رشيد من حضرة جمال باشا معتمدا المضي بوظيفته

وهي القبض على بشاره البواري الذي تعبنا في حوادثه الجاسوسية التي قام بها
— في لبنان .

وفي اليوم الثاني لذهابه تلقت اشعاراً هذا نصه :

« ان بشاره البواري يصل هذا المساء سأتابع مطاردته واخباركم بامره

ولكن عبد الله رشيد لم يتممكن من توقيف البواري في ذلك اليوم حيث

جائني مساء وقال :

— ذهبت الى جونية نهار امس فوجدت الخوري بولس (كذا) يحمل رزمة

كان قد اتي بها من بكركي هي على ما اعتقد صورة عن مخابرات نقالها الى

الافرنسيين بواسطة بشاره البواري ولكن الخوري بولس يدري ان الرقبة الشديدة

عليه موجودة ولهذا سلم هذه الرزمة الى سامين جرجس من اهالي بيت مري وقد

جاء الرجل الى بيروت و بات فيها و بقيت في مراقبته واعتقد انه يعرف تمام المعرفة

مقر بشاره البواري ولهذا اردت أن الحق به وقد جئت الان لاعلامكم بالامر

حذاقة الشرطي رشيد - وقد كانت معلومات هذا الشرطي قيمة في الحقيقة لانه عرف كيف يتتبع خطوات الرجل و كان في امكانه ان يصل الى النتيجة في اقرب وقت ، بعكس بقية الجنود ورجالنا السريين المنتشرين بالعشرات على طول الخط دون ان يتمكنوا من القيام باي عمل كان فيه خدمة للدولة ولهذه المداخلة ولهذا نقدته ٥٠ ورقة تركية لاشجعه على متابعة عمله ومراقبة الرجل بدقة زائدة وصرفته بعد ان طلبت اليه موافاتي يوميا باخباره في أي وقت كان عن المسائل الهامة الممكن ان تقع

الشرطي في بيت مري - وفي صباح اليوم الثاني تلقيت من الشرطي مذكرة هذا نصها :

« ان ساسين جرجس حضر في مساء امس الى بيت مري وقد زار بعد وصوله بساعة دار خليل العازار ومكث فيها ساعتين »

وبعد الظهر تلقيت منه اشعاراً ثانياً هذا نصه :

« قرعت اليوم باب خليل العازار مدعياً بانني رجل فار من الجندية وطلبت منه مساعدته الا ان الرجل رفض السماح لي بدخول منزله مع ان عادة اللبنانيين اكرام الضيف والعطف عليه وقد رأيت في نظراته الى ربة المنزل التي دخلت بعد مشاهدتها اياي ما يريب خصوصاً وانني كنت قد سمعت حركة في داخل المنزل تلاشت عقب دخول السيدة اليه . سأتابع المراقبة بدقة زائدة واخبركم النتيجة فيما بعد . »

وفي صباح اليوم الثاني تلقيت منه مذكرة هذا نصها :

« في الساعة الثامنة لم اجد شيئاً مريباً حول منزل خليل العازار الا انه في الساعة الثامنة والنصف حضر الى زيارة المنزل راهب القرية وساسين جرجس ويوسف عبد الله

ورغم اننا في اواخر فصل الصيف والهواء عليل فان نوافذ المنزل المطلة على الطريق كانت مغلقة وفي الجهة الثانية منه كانت زوج الرجل وثلاثة من الاولاد

يسهرون الواحد تلو الآخر كأنهم يتولون المراقبة وقد حاولت تساق المنزل في الساعة التاسعة والنصف لأرى من فيه إلا أنني لم أتمكن من ذلك وفي الساعة العاشرة والنصف رأيت الراهب يخرج لوحده إلا أن أمره رابني لاني وجدت في مشيته شيئاً غير عادي فلحقت به فوجدت أن هناك من يتعقبني واعتقدت أنهم شعروا بي ولهذا تواريت عن انظارهم ولم أتمكن من متابعة الرجل لمعرفة ما اذا كان هو الراهب أو غيره

والحركة التي شعرت بها بعدئذ دلّني على أن الجماعة قد شعروا بانها تحت المراقبة ولهذا قررت أن لا أظهر لهم في النهار على أن أمسجهم في الليل واري أن ترسلوا الأوامر إلى قائد قوة بيت مري لمساعدتي عند اللزوم وعلى اثر هذا التقرير أرسلت أمراً إلى قائد قوة بيت مري هنا نصه :

« عليكم بمساعدة الرجل الذي سيتقدم اليوم أو غداً باسمي وتنفيذ سائر الأوامر التي يعطيكم أياها حرفياً وإفادتي بالنتيجة »

ومضى ذلك اليوم وليله ولم اتلق اشعاراً جديداً من الشرطي عبد الله رشيد مع أنه كان من واجبه أن يرسل تقارير خلال هذه المدة وفي صباح اليوم التالي تلقينا بزيّة هذا نصها :

« وجدت جثة رجل قد مرّ بها الرصاص ملقاة على قارعة الطريق العام في بيت مري وقد وجدت في جيبه أوراق هويته التي تدل على أنه الشرطي عبد الله رشيد »

والدرك اللبناني الذي أرسل هذا التقرير عن الحادث باعتباره جريمة عادية لم يقدر خطورة هذا الاخبار الذي نهتم به مع القائد العام أحمد جمال باشا ولهذا امرت بأعداد السيارة وذهبت بنفسى إلى بيت مري لأجرا التحقيق عن الحادث بعد أن اعلت الباشا تلفونياً به فاستاء استياء شديداً واصدر إلى أوامر مشددة لو عمدت إلى تنفيذها لكان من الواجب توقيف معظم سكان بيت مري والقائمين في غياهب السجون لمعرفة حقيقة هذه الجناية الفظيعة

الا انني لم اعد الى هذه الخطة القاسية التي طلب الباشا لي تنفيذها بل استدعيت الي غقب وصولي الى بيت مريم زعماء القرية وامرتهم باظهار القاتل في مدة عشر ساعات والا فاني مضطر الى توقيفهم جميعا واعتبارهم مسؤولين عن قتل احد رجال الشرطة بتلك الصورة الفظيعة

ثم استجوبت بعض الموجودين عما اذا كان احدهم رأى الشرطي قبل مقتله ومن بينهم خليل العازار وساسين جرجي فانكر رواية الا انني بعد ان وصفت لهم كيفية مقابلتهم اياه وكيفية ابعاده عن المنزل عاد خليل العازار واعترف بروايته الا انه انكر معرفة اسباب قتله

وعندئذ امرت بتوقيفه مع ساسين جرجس وارسلتهما الى الديوان الحربي العرفي بحالته بتهمة قتل الشرطي عبد الله رشيد واخفاء الجاسوسين نقولا ربيز وبشاره البواري وبذلك انتهت التحقيق في الفصل الاول من هذه الرواية المؤلفة ١١١٠٠٠

لم تتمكن من توقيف بشاره البواري ورفيقه نيقولا ربيز وقد زادت جهودها بان انضم اليهما ايوب ثابت (وهو غير الدكتور ايوب) ثابت وزير الداخلية السابق) وايوب البواري وقد صدرت على هؤلاء وغيرهم من الذين اشترى كوا مع بشاره البواري عدة احكام بالاعدام غيابيا دون فائدة لانهم ظلوا على اتصالهم الدائم مع العدو يروحون ويحيثون دون ان تتمكن من توقيفهم كما سيحي ذلك في سياق سرد حوادث هذا الشهر

جاسوس اخر -- ولم تكن حركة الجاسوسية مقتصرة على بشاره البواري وحزبه او رفقته كما يتبادر الى اذهان القراء بل ان سكان لبنان كانوا بأجمعهم ضدنا لا يتأخرون قط عن التجسس علينا لحساب العدو لانهم يعتقدون اننا اعداء الداء كما يرون بالافرنسيين اصدقاء حماة لهم في هذه البقعة العثمانية

الا ان اللبنانيين ينقسمون في هذه العاطفة الى فئتين فئة تعتقد بحماية الافرنسيين لها وثرى واجبا عليها خدمة الافرنسيين ولو بطريق التجسس على الدولة التي تدافع

عن استقلال بلادها

وفئة ثانية تعمل لحساب الافرنسيين لجر مغنم مادي ومن هذه الفئة بشاره البواريه ورفاقه الذين كانوا يندفعون في محاربتنا والتجسس علينا ولو دفعت لهم الحكومة العثمانية يومئذ الاموال لما تاخروا قط عن التجسس لها ضد الافرنسيين انفسهم

ومن هؤلاء الجواسيس عبده جوزيف من اهالي قرية بدره اللبنانية فقد تلقينا اشعاراً من قائد مخفر (العبد) يفيد ان زورقا عاديا رسا على الساحل في تلك الجهة ونزل منه احد البحارة المدعو يونس سمعان ولدى استجوابه افاد انه يذهب في بعض الايام الى الجهة الشمالية من الساحل حيث يري بانتظاره احدهم فينقله بزورقه الى احد المراكب الاجنبية الواقف بانتظاره وافاد انه رغم معرفته الاكيدة بان في هذا العمل خيانة للدولة فانه قبل به لانه بحاجة الى المال لا طعام عياله

وفي الحال اصدرت الاوامر الى قائد مخفر العبد بان لا يحرك ساكناً وان يحتفظ بالرجل الى ان ارسل اليه احد رجالي وفي الوقت الذي ارسلت فيه هذا الامر استدعيت احد رجالي الاذ كباء الملازم عثمان جمال وهو حلبي الاصل وولجته التحقيق في هذه القضية وقد قام بمهمته هذه وارسل الي التقرير التالي :

(في اليوم الخامس من شهر آب اجتمعت في مخفر العبد بالجلاويش بيروتلي كمال فعلت منه ان يونس سليمان لم يكن الاسم الحقيقي للرجل الموقوف لان التحقيقات التي اجراها بصورة سرية اثبتت له ان الرجل يدعى عبده جوزيف من اهالي بدره وانه لم يقاتحه بالامر قط وانما تحراه مع زورقه بدقه فوجد فيه ورقة ذات طبعتين فيها ما يلي النصف الموجود يحمل ثلاثة ارقام غير تامة وفي الاعلى رسم بشكل زاويتين يرجح انهما حرف (م) الافرنسي والثاني باسفله رقم ١٢ بالفرنسية وفي الاسفل حرفي ل . ي متصلين الامر الذي دلني على انه هذه

القسيمة المقسومة شطرين هي كلمة التعارف مع الخارج حتي اذا جمعت مع رفيقتها
تعارف الجميع

ولهذا اردت استخدام هذه القسيمة للوصول الى مراكب العدو ومعرفة
حقيقة الامر

وفي مساء اليوم السادس من شهر اب شاهدت على بعد ثلاثة اميال من
الساحل باخرة فرنسية بادرتني باشارات لم افهمها ورأيت الباخرة تقترب مني
ويسألني ركبها عن حالي فقلت انني يونس سمعان فاذا هو الاسم المتعارف به مع
الرجل واذ ذاك خاطبني أحدهم باللغة العربية سائلا عن سبب عدم اعطائي الاشارة
المتفق عليها بالنور فاجبته ان العياء الشديد قد نال مني فممت ولم افق الا والباخرة
بالقرب مني فصدقوا مني هذه الرواية وأصعدوني الى الباخرة ويظهر ان هذا
الترجمان جاء للمرة الاولى و كان لا يعرف الجاسوس الحقيقي

وطلبوا مني القسيمة وجمعوها الى قسيمة ثانية كانت مع الربان فكانت
الحروف التالية (م) و ١٢ ١١ ولبنان وبعد التعارف سألني الربان عن الموقف
وعن القوات الجديدة التي ارسلت الى المضائق وعن موقف جمال باشا وعن
التدابير المتخذة في البلاد فبينت له هذه الامور كما اريد ورأيت موافقا لمصلحة
البلاد والجيش معا ثم زودني بمعلومات جديدة تلخص بما يلي :

اولا - مقابلة الخوري يوسف واغلانه ان الجاعة ينتظرون تعليماته

ثانيا - معرفة القوات الحقيقية الموجودة في السواحل بين طرابلس واللاذقية

ثالثا - اخذ رسوم الاستحكامات الحربية

رابعا - معرفة موقف احمد جمال باشا

خامسا - موقف الشريف فيصل من احمد جمال باشا والاثراك وذلك

بواسطة الاب يوسف

فوعدهم خير آثم تناولت من الربان خمس ليرات عثمانية ذهبية واهلها لقاء
خدماتي او الاخبار التي قدمتها له

ومن ثم عدت الى الزورق دون ان يشعروا بحقيقة امري حتى اذا وصلت الى الساحل بادرت الى ارسال هذا التقرير على ان ارسل لكم غداً تفاصيل مقابلاتي للجاسوس ومعرفة هذا الخوري الذي يساعد في مهمته هذه وحمله على الاعتراف بجاسوسيته التي اقترفها)

وقد كان هذا التقرير كثير الخطورة لانه دلني على ان الضابط الذي اوفدته لهذه الغاية كان ذكياً يعرف كيف يطارد هؤلاء المجرمين وفي ٧ اب تلقيت منه ما نصه :

« بعد عودتي من الباخرة استدعيت الى منزلي يونس سمعان وقلت له — والان هل تريد ان تعترف لنا بالحقيقة

— هي التي قلتها لك قبلاً وانا لا اعرف من امر الرجل شيئاً
— حسن ولكن اتعلم بانك ستقاد الى الديوان العرفي وربما الى المشنقة بتهمة الجاسوسية وانت بريء منها
— رحمة انتي رب عائلة و...

— اعرف ذلك يا عبده
لفظت هذا الاسم وانا اتفرس بالرجل فرأيت الاضطراب يعلو محياه ثم غيرت فجأة موضوع الحديث وقلت :
— اقد استدعينا امس الخوري يوسف فقال انك رجل شقي . تستحق العقاب الصارم

— وهل جرى كل ذلك
— وهل تعرف أنت الخوري يوسف
— نعم اعرفه وهو كاهن قريشنا
— وهل هو الذي دفعك الى الجاسوسية
— ولاي
— لا لزوم الى الانكار فانا اعرف الحقيقة كلها فانت من اهالي بديره وتستغل

جاسوس الحساب فرنسا واسمك مسجل عندهم تحت رقم ١١١٢ وشعار التعارف
بينكما ثلاثة انوار متقطعة واسمك مع بيان القسيمة

— مولاي وهل انت معهم

— صه انني لست خائن لبلادي مثلك

— مولاي از الحاجة هي التي دعنتي الى ارتكاب هذا الجرم

وبعد هذه المحادثة التي اعترف بها الرجل بكل هذه الحقيقة استدعت الجاويش
كمال البيروتي والاونباشي حسن الزين فاعترف امامهما ايضا بهذه الحقيقة ثم وقع
عليها بصمة اصبعه وسارسله اليكم مخفورا بعد ظهر اليوم تاركا امر الخوري يوسف
اليكم (مولاي) الامضاء : عثمان جمال

لم اجد من لزوم لتكرار استجواب الجاسوس الذي احيلت اوراقه حسب
الاصول الى الديوان الحربي العربي فحكم على عبده يوسف من اهالي (بده)
بالاعدام ونفذ به حكم الاعدام في اليوم الثالث من شهر ايلول سنة ١٩١٥

جاسوس علوي -- ولاسباب ضرورية لم نر في ذلك الوقت ان نوسع
التحقيق مع الخوري يوسف الذي اكتفينا بابعاده الى الاناضول كي لا تتكرر
منه هذه الخيانة وفي الوقت نفسه اوفدت الملازم عثمان جمال افندي لمتابعة البحث في
في قضية الجواسيس الذين يشتغلون لحساب فرنسا فتمكن من معرفة جاسوس اخر
هو محمد الياس العلوي فارقه ونفذ به حكم الاعدام في اليوم العاشر من شهر
ايلول سنة ٩١٥

حادثة مضحكة — ووقعت حادثة اخرى ادت الى نتائج غير مستحبة فقد

ذهب عثمان جمال لمطاردة جاسوس ثالث يعمل في المنطقة ذاتها وفيما هو يطارده الرجل
في زورق امام الساحل القريب من باناس اذ باقوة من خفراء الساحل تعقله وتودده
الى باناس بصورة محزنة ، فعثمان جمال لم يكن يحمل في ذلك الوقت اوراقه
الحقيقية كما انه ليس من الصواب ان يحمل هذه الاوراق وضباط الساحل لا
يعرفون من امره شيئا مع ان الواجب يقضي ان يكونوا على علم بهذا الامر او على

الاقبل ان ترسل الى قيادهم اشارة يتعارفون بها معه ولكن القيادة العامة لا تثق بهؤلاء الذين لا يتأخرون عن بيع هذه المعلومات الى العدو بقطعة فضية لاذهنية لاقى الملازم عثمان جمال بك مشقات عظيمة جداً كانت سبباً في توقيفه بالسجن طيلة ذلك الليل والنهار الثاني ثم ارسل مغفورا الى طرابلس وفيها عرفت حقيقته واخلي سبيله

وكانت هذه المدة كافية لفرار الجاسوس الذي كان يطارده عثمان جمال وافلاته من حبل المشنقة

جاسوس اخر - ولكن اذا افلت ذلك الجاسوس من يد عثمان جمال بك فانه لم يفلت منه غندور يوسف سعيد من اهالي بيروت فانه بعد حادثة توقيفه على تلك الصورة المؤسفة غادر طرابلس قادما الى بيروت وركب عربة لاحدى الاهلين وعند وصوله الى جبيل طلب اليه احدهم ان يركب معه العربة ومع انه كان متأثراً فقد استقبل هذا الضيف بسرور لانه سيمكنه من المحادثة معه وتضيئة الوقت

ولكن كم كانت دهشة الضابط عندما رأى جليسه يحادثه بامر اعتقاله ويسأله عن نجاحاته فاعلم انه نجح لانه بريء فابتسم جليسه وقال :

- اعرف مقدار براءتك فنعن اذا خدمنا الافرنسيين فلاننا نعتقد بان خلاصنا عن يدهم بعكس اولئك الاتراك الذين يعتقلوننا لمجرد اننا عرب فلو كنت انت تركيا لما اعتقلت

فقال عثمان جمال : صحيح

- والان ماذا تريد ان تعمل

- ذاهب الى بيروت

- انك مسلم وفي امكانك ان تخدمنا في محيطك

- وكيف ؟

- ساقول لك ذلك فيما بعد والان فكللا

— ولكن كيف اعرف مقره

تحضر لعندي الى محله مار الياس في بيروت

وقد عرف عثمان جمال بك ان الرجل يدعى غندور يوسف سعيد من اهالي بيروت ومن مواليد سنة ١٩١١ وهو ارثوذكسي اي انه الجاسوس الارثوذكسي الاول الذي تراه في صفوف الاعداء وقد تمكن عثمان جمال من توقيفه في اليوم التاسع عشر من شهر ايلول سنة ١٩١٥ بعد ان اتفق معه على ان يتزلا البحر من جهة رمل بيروت وهو ينقل معه عشرة رسوم البعض المراكز العسكرية والتدابير المتخذة في جهات طرابلس وطرطوس تمكن من الوصول الى اخذها بمهارة زائدة وقد اعتقل على الشاطيء هو والضابط نفسه كي لا يرتاب به كما ان عثمان جمال بات معه في السجن يومين اخذ منه خلافا بعض المعلومات القيمة عن الجاسوسية واعمالها وفي اليوم العاشر من شهر تشرين الاول اعدم غندور يوسف سعيد شنقا بناء على قرار الديوان الحربي العرفي الذي اثبت جاسوسيته

ضد الجاسوسية — وقد انصرف عثمان جمال منذ ذلك الوقت الى مطاردة

الجواسيس في البلاد وقد طلبنا اليه في الوقت نفسه ان يعمل على مطاردة بشاره البواري الذي اتعبنا وذهب ضحيته احد رجال الشرطة وقد تمكن خلال شهري ايلول وتشرين الاول من مطاردة هؤلاء الجواسيس مطاردة فعلية وتوقيف خمسة جواسيس وسوقهم الى المشنقة وهذه هي اسماؤهم مع التهم الموجهة اليهم :
اولا — يوسف ضحى من اهالي صيدا ومن مواليد سنة ١٣١٢ اعتقل قرب الدامور وقد صودرت منه مذكرة تحوي بعض تعليمات عسكرية كما انه وجدت في جيبه ثلاث ورقات من فئة الالف فرنك من طبع الحرب ووجدت معه قسيمة تثبت علاقاته بالجاسوسية الافرنية

نفذ به حكم الاعدام شنقا في اليوم الاول من تشرين الاول سنة ١٩١٥
ثانياً — بطرس بن حنا مارون من اهالي جونيه ومن مواليد سنة ١٨٨٢ اوقف وهو عائد من مقابلة العدو في الدارعة (ارنست، رينان) وقد صودل منه ٥٠٠

دولار اعترف باخذها من الدارعة الا انه صرح بان ريان الدارعة سلمه هذا المبلغ بعد ان اوقفه وهو يصطاد السمك وطلب اليه ارسال هذا المبلغ الى اصحابه في الجبل وسلمه لائحة باسماء هؤلاء الا ان هذه اللائحة فقدت منه

وفد ثبت لدى التحقيق ان الرجل قام بعدة جولات في البحر رغم الاوامر الصادرة بمنعه عن ذلك وان المال مرسل الى مصدر اخر امتنع عن ذكره وقد ثبت الديوان الحربي العرفي في عايله من هذه التهم فحكم على الرجل بالاعدام ونفذ به حكم الاعدام في اليوم السادس من شهر تشرين الاول سنة ١٩١٥

ثالثاً - عبد المنعم محمد المصري من اهالي القاهرة حضر على الدارعة «دوستره» وقد تمكن عثمان جمال بك من مشاهدته وهو ينزل على صخور محلة المنارة فلحقه الى ان وصل المدينة وتزل في دار عبد السلام الصيداني في محلة حمام الصغير فتركه هناك ثم اوقفه صدفة في اليوم الثاني بواسطة الشرطة فانكر انه جاء حديثاً وادعى انه موجود منذ القدم في بيروت الا ان عثمان مالبث ان اثبت جاسوسيته وحكم عليه مع عبد السلام الصيداني بالاعدام فنفذ بهما حكم الاعدام في اليوم الثامن من شهر تشرين الاول سنة ١٩١٥

رابعاً - طانيوس حنا مارون من اهالي راشيا ومن مواليد سنة ١٨٨٠ اوقف في جهات صور بينما كان يحاول ركوب زورق ينحس عبد الحسن الصوري ليذهب الى ملاقات باخرة العدو الراسية بالقرب من تلك الجهة وقد وجد معه ثلاثة مكانيب بدون توقيع اثبت ان الرجل كان يحمل معلومات عن الحالة في منطقتي صور وصيدا وجهات جبل عامل الا ان الرجل انكر معرفته الاشخاص الذين سلموه هذه التحارير واست انكر هنا ان الرجل لاقى مشقات عظيمة اثناء التحقيق في الديوان الحربي وفي التحقيق الابتدائي الا انه كان مصراً على السكوت لا يريد ان يبوح بشيء عن مرسلتي هذه التحارير حتى انه لما نفذ به حكم الاعدام صباح تشرين الاول قدم عنقه الى الموت مختاراً دون ان ينبس ببنت شفة

خامساً - سعد الدين مصطفى رضوان شاب من اهالي ياقا ومن مواليد

سنة ١٣١٣ اوقف في جهات عكا حيث كان يتجسس على اعمال الفرقة فيها وعلى الموقف العسكري هناك

وقد اوقف على الشاطئ في جهة (قيسارية) حيث كان يعطي الدارعة الحربية اشارات بالنور بواسطة فانوس كان يحمله بيده وقد شوهدت الدارعة ترد على اشاراته وعلى اثر ذلك ارسل الى الديوان الحربي الذي حكم عليه بالاعدام ونفذ به حكم الاعدام في الساعة الخامسة من صباح ٢٠ تشرين الاول سنة ٩١٥

. . .

في بيروت فئة لا تعرف مقدار خطورة الموقف وتعتقد ان ظروف البلاد الاستثنائية هي نفس الظروف التي كانت قبل الحرب ولهذا لا تمتلك عاطفتها لجرد اختلاف بسيط يقع بينها وبين احد لجرد حادث بسيط

وحالة (القضايات) في بيروت سيئة جداً فترى الواحد منهم يقدم على قتل رفيقه لا شيء الا لان ذلك الرفيق التفت اليه شزراً او لم يلق عليه التحية وكان سليمان حسين من هؤلاء القضايات الذين يعتقدون ان كل شيء يجب ان يسير حسب مشيئتهم

وسليمان حسين الجويني شاب في العقد الثالث من عمره من اهالي الشباج او برج البراجنة لا اذ كرماء الا انه عرف في محيطه بشراسته وهو بدلا من ان يذهب الى الجهة لبدافع عن بلاده وحريتها واستقلالها كان يسرح ويمرح في بيروت لانه لبناني ومنتمتع بامتياز الاعفاء من الخدمة العسكرية

وفي اليوم العشرين من شهر ايار جاء سليمان الى بيروت ولما وصل الى فرن الشباك وقف في منتصف الطريق على خط الترامواي يتطلع الى السماء لانه سمع ازيز احدى الطائرات فوقه يتطلع اليها وهو غير حافل بالقطار القادم الى جهته وكان سائقه يقرع بالجرس ليعده عن الخط الحديدي

ولما اقترب القطر منه وهو واقف في مكانه شتمه سائق الترامواي لذهوله قائلا له :

— هل انت حيوان لا تسمع

ماذا ؟ يجروء السائق ان يقول له حيوان وهو ذلك (القبضاي) الذي يجب ان يخضع له الجميع . ولهذا ما كاد يسمع هذه الجملة حتى ثارت ثائره وتناول مسدسه وافرغ رصاصاته على السائق فلم يصبه الا ٠٠٠ . يجرح بسيط في الديوان الحربي -- وهكذا ادى نزق (القبضايات) بالوجل الى اطلاق الرصاص في الوقت الذي كانت فيه الطائرة على مقربة منه وعلى علو قريب جداً حتى ان من في الطائرة سمعوا دوي الرصاص بدليل ان الطائرة ارتفعت بصورة فجائية ثم ذهبت وبعد نصف ساعة عادت ومهما سرب من الطائرات اخذت تحوم فوق المنطقة التي اعتقد ان الرصاص كان موجه اليها . وكان في نيته ان يقوم بمحاولة عدائية لو تكرر اطلاق الرصاص

ولا تسل ساعتئذ عن التأثير الذي احدثه هذا الحادث في المعسكر العام وفي الجيش فان عشرات التلغونات ارسلت الى مدير شرطة بيروت للقبض على سنيان حتى اذا حل مساء اليوم نفسه كان سليمان الجويني في سجن الديوان الحربي العربي في عاينه

استجواب الجويني — عندما استجوب سليمان الجويني لدى الديوان الحربي العربي بصورة مريبة قال :

— ان السائق قال انه سيري هذه الطيارات تنفذ البلاد قريبا من الدولة العثمانية وانه تأثر منه لقوله هذا فاراد ان يسقط الطائرة بمسدسه — ولكن هل في امكانك ان تسقط الطائرة بمسدسك

— نعم

— واذا اسقطتها ماذا تكون نتيجة ذلك — نتقم من بعض اعدائنا الذين فيها . . ولكن هذا العمل قد يؤدي الى اعتداء العدو بقوة كبري على بيروت — لم يخطر لي هذا الامر في بال وقد تأثرت من رؤية طيارات العدو تحوم فوق سماء بلادي فاردت الانتقام منها و كنت اعتقد ان عملي هذا سيلاتي تنسيطا

- من دولتي وتعهد الى مساعدتي
- ولكن الا تعلم ان الدولة حظرت اطلاق الرصاص على طية ارات العدو
- واطلاق أي نار حين مرورها فوق سماء البلاد
- كلالا علم لي بشي من هذا
- انك مخطيء في عملك
- كلا
- ولماذا اطلقت الرصاص على السائق
- لانه حاول ان يهين بلادي
- ولكن المعلومات الرسمية تدل على عكس ادعائك
- ان المعلومات الرسمية تخطي دوما وانا فيما ا قوله لكم صادق واقدم على ذلك بشر في

الحكم على الجويني - ولكن هذه المحاكمة في التخلص من الجريمة لم تنفذ

الرجل من الحكم الصارم الذي صدر باعدامه في اليوم الثاني من شهر حزيران سنة ٩١٥ وفي اليوم نفسه ارسلت اوراقه الى قائد الجيش الرابع احمد جمال باشا الذي اقر الحكم فوراً وفي صباح اليوم الثالث من شهر حزيران نفذ به حكم الاعدام بعد ان علقت على صدره لائحة بيضاء كتب عليها ان الرجل اعدم لانه حاول باطلاقه الرصاص على احدى طيارات العدو احدث شغب في البلاد فنفذ به حكم الاعدام وهكذا ذهب هذا الشاب المتهم ضحية غروره وعدم تمسكه بالقوانين الحربية الصارمة الموجودة في البلاد في تلك الظروف الاستثنائية الحرجة

اعدام اخر - وفي هذه المناسبة نروي حادثاً ثانياً وقع بعد شهر من قاتل شاباً من اهالي بيروت او من ولاية بيروت لا اذكر بلده تماماً يدعى عبد الحفيظ سعيد الصاوي اوقف على رمل بيروت حيث التقى طور بيلا في البحر لصيد السمك ولسو حفظ هذا الشاب البالغ من العمر ٣٠ سنة انه عندما اطلق هذا الطور بيل في البحر كانت ثلاث طيارات فرنسية تحوم في سماء بيروت جفت

حين سمع من فيها دوي الطور بيل. فذهبت وصادف اذ ذاك مرور احدي
مفرزات الحدود فلحقت بالشاب الذي القى الطور بيل فاوقفته وقادته الى
الديوان الحربي .

ورغم ان الجميع مقتنعون بحسن نية هذا الشاب و بانه ما أقدم على هذا العمل
الا املا باصطيد قليل من السمك يعول به والديه وزوجته وأولاده الذين لا
معين لهم فقد حكم عليه بالاعدام ونفذ به الحكم في اليوم العاشر من شهر آب سنة
١٩١٥ لانه علي زعم القابضين على ازمة الحكم حاول في عمله هذا اثارة قن في
البلاد باطلاقه ذلك الطور بيل

الفصل الرابع والعشرون

اليهودية الحسنة

عين جواد رفعت يدي رئيساً للشعبة الاولى في الاستخبارات وبعد اسبوع من استلامه وظيفته تلقيت منه تقريراً هذا نصه :

« لفت نظري بوجه خاص فتاة اسرائيلية حسنة تدعى المداموازيل سيمون تتردد على ضباط المعسكر العام فان هذه الفتاة الحسنة التي تعرف بها ضباط الاركان الحربية في القدس عندما كان المعسكر هناك انتقلت معهم الى دمشق وباتت معشوقة الجميع على اختلاف رتبهم والتحقيقات التي قت بها دلتي على ان هذه الفتاة رغم ظهورها بمظهر البنات غير الشريفات فانها تقصر علاقاتها على ضباط الاركان الحربية في المعسكر العام فهي من جهة تقيم لهم الحفلات البهجة الفخمة في رذعات فندق دامسكوس بالاس مدخلة على قلوبهم الفرح والغبطة تقيم لهم من جهة ثانية حفلات سرية غامضة في بعض الدور في الحي الاسرائيلي في دمشق وبات وجودها في دمشق مدار غبطة وسرور ومرح لسائر ضباط المعسكر وقد حاولت بواسطة رسلي السريين ان احملها على استقبال بعض الثوريين او الضباط غير التابعين للاركان الحربية فذهبت محالولاتي سدى مما زاد في انتباهي الى تمسك هذه الفتاة في امر ضباط خاصين :
وقد زاد اهتمامي بامر هذه الفتاة الحديث الذي ادلى به اليوزباشي احسان لك اذ جاءني قائلاً :

— هل صدر الامر بسفري الى الجبهة ؟

— لا ادري . . . ولماذا ؟

— سأنتدب لتفتيش المدفعية فيها ومعرفة التبديلات الواجب ادخالها

-- ومن اين لك ان تعرف هذه الحقيقة

— عرفتُها من المدموازيل سيمون

— اه . وهل تعرف هذه الفتاة حتى هذه الامور الدقيقة

-- انها جميلة فتاة وانتم لم تشاهدوها بعد وهي معبودة الجميع وتعرف كل شي .

لأننا نحبها جميعا وهي صديقة مخلصنا

— وهل سبق لها ان عرفت مثل هذه الامور

— دوما .

نعم ان هذه الاسرائيلية الحسنة كانت تعرف كل شي ، ومعرفتها متى يسافر هذا الضابط الى الجبهة ومتى يعود منها والمهمة المذهب بها اليها بدلي على ان الفتاة كانت تعرف كل شي . وفي امكانها معرفة ما تريده من اسرار المعسكر العام ولهذا اردت ان اضع رقابة جديدة حول هذه المرأة على ان اتولى معظم شؤونه هذه المراقبة بنفسى

وفي اليوم نفسه ايزقت الى جواد رفعت بك اطلب اليه صرف جهوده لمعرفة سر هذه الفتاة فجاء في منه في اليوم الثاني تقرير هذا نصه :

« في الوقت الذي كنت اواصل فيه بحث قضية الفتاة والتدابير الواجب اتخاذها لمعرفة اسرارها جاءني ياسين بك الجاى ضابط التبليغات (امر ضابطي) في القباى الموجود في دامسكوس بالاس وطلب الي مراقبته في ذلك المساء الى حفلة ساهرة ستقام في فندق دامسكوس بالاس وتحضرها الانسة سيمون ومع انني كنت شديد الرغبة في حضور هذه الحفلة لمعرفة اسرار الفتاة الا انني اجبته بلهجة لا تجلب انتباهه وقلت :

— ان هذه الابواب ضيقة علينا يا عزيزي لانه ليس في امكاننا بروتينا الضئيلة

هذه ان ندخل مثل هذه المحلات الفخمة

وهنا ابتسم الكلامي وقال :

— وماذا بهم يا عزيزي مرة في العمر علينا ان نفتح الفرص لنعيش حياة سعيدة
وغداً سنموت ولا يعود في امكاننا والحالة هذه ان نعيش أكثر من ذلك ان نريد
ان نترك ثروتنا لغيرنا

— ولكن ؟

— لا اعرف ذلك فانت ضيفي في هذا مساء ولا اقبل لك عذراً

فظاهرت بالرضوخ لحججه وقبلت الدعوة وساحضر سهرة هذا المساء
ان حديث ياسين بك ادخل في نفسي شبهة جديدة لانه من اين لهذا
الضابط ان يقيم هذه السهرات التي تكلفه الاموال الطائلة ؟ هذا ما سابعثه وانقله
اليكم في تقاريري التالية»
قال جواد رفعت :

« لما دخلنا الى ردهة الطعام في فندق دامسكوس بالاس لم نجد فيها الا
ضابطين شابين جالسين لوحدهما على مائدة منفردة احدهما سري بك وهو اليوم
رئيس اركان حرب فبلق استمبول (البناشي سري بك) والثاني كمال بك (وهو
اليوم قائد فرقة السيارات في استمبول) والاول يشغل احدى مفرزات المهجين
والثاني ضابط الامر في معسكر الفرقة

ثم اخذ الضباط يتوافدون الى القاعة وقد مضى وقت الطعام وايس فيه اقل
حادث و بعد ان انتهينا من الطعام جلسنا ندخن فاذا بي ارى رفيقي ياسين بك
يضطرب وتسقط السيكارة من يده فالتفت الى الجهة الثانية فاذا بي اجد الاسرائيلية
الحسنة تتقدم منا فوقفنا لها وعرفني بها وقد ادركت من اول هذه المقابلة انها
ذات دهاء خصوصاً وانها كانت تظهر انها بعيدة عن عالمنا مظهرة الكبر والخيلاء
ملتفتة الى المائدة متقدمة قلة الترتيب والنظام بها وبعد ان انتهت هذه الامور الطفيفة
التفتت الى ياسين بك واخذت تحدثه بالعربية واغتنمت هذه الفرصة ووجهت

الى سوء الا عما اذا كنت اعرف اللغة العربية فاجبتها اعرف من اللغة العربية بضع
كلمات لا تمكنتني من محادثتها

— اذاً بآية لغة يمكنني محادثتك وانا اجهل التركية

— اعرف قليلا اللغة الافرنسية

— هذا حسن وفي امكاننا والحالة هذه ان نفهم باللغة الافرنسية فابتسمت
وابتسمت ومضت هذه السهرة بسرور حتى اذا انتهينا قامت تودعنا الواحد تلو الآخر
وابقتني الى الاخير حتى اذا صاحقت يدها مودعا التفتت الى قائلة :

— انني جد مسرورة من هذه المقابلة واوهم ان تشرف منزلي

ثم التفتت الى رفيقي ياسين بك وقالت :

— ارى ان تأتني في احد الايام لزيارتي مع رفيقك هذا وارجو ان
يكون بعد غد نهار السبت في الساعة التاسعة والنصف ، فاخني رأسه دليل
الطاعة وانصرفنا

وفي اليوم الثاني استدعيت معاوني الملازم الاول شريف افندي ورئيس
دائرته ضابط الاحتياط سيف الدين افندي

وكان الاول قد رفع الى قائد فيلق دمشق لائحة جديدة باسماء بعض
الدمشقيين الذين يرى وجودهم خطراً على سياسة الدولة في دمشق طالبا ابعادهم الى
خارج حدود سور يا اي المنطقة الاناضولية فسألته عن السبب الذي حذا به الى
طلب تهجير هؤلاء الاشخاص وهم ابناء عائلات معروفة ومحترمة في دمشق
فاجاب قائلاً :

— ان وجودهم خطر على الفيلق الثامن ومن الضرورة تهجيرهم من بلادهم
« الا انني لا ارضى في هذا الامر ولست من الاشخاص الذين يسخرون
ضميرهم في سبيل القيام بعمل مضر مثل هذا ولهذا اصررت عليه بطلب الدليل على
اسباب طلبه نفي هؤلاء فقال :

— ان ايجاد ادلة واثباتات على خيانة هؤلاء صعبة جداً الا انني اعرف ان

وجودهم خطر على سلامة البلاد وهذا كل ما لدي من ادلة كان يقبلها سلفكم
واصف صفا بك

-- انني لا اقبل قط مثل هذه الامور فذا كان واصف بك قد خالف ضميره
فانا لا اقبل

والاسكت مزقت هذه اللائحة التي يريد بها نفي بعض المظلومين وسألته عن
حركة الجواسيس في دمشق فقال انه لا يعرف عنها شيئا وعندها امرته بكتابة
ما يلي :

«الآنسة سيمون في باب توما زقاق المحمودية المنزل رقم ٥٣» وقلت ان
قيادة الفيلق تعتقد بان هذه الفتاة جاسوسة لحساب العدو والذي نطلبه منك ان
تحقق عن هذه الفتاة وتأتينا بكل المعلومات عنها ولكن على شرط ان تكون
سريّة جداً وحياتك هي الضمان على كتمان السر، قلت ذلك وامرته بالانصراف
ثم استدعيت رفيقه ضابط الاحتياط سيف الدين ايضا فاعطيته نفس العنوان والتعليمات
واوصيته بالكتمان حتى عدم ذكر مهمته للملازم شرف بك ثم سألته اين ينام فقال
في المعسكر فقلت

انك منذ اليوم ستنام خارج المعسكر وعليك ان تذهب الى محلة باب توما
وتستأجر منزلا او غرفة في دار احدى العائلات اليهودية لمراقبة الآنسة سيمون
وزائريها وفي امكانك طيلة مدة وظيفتك هذه ان تغيب عن المعسكر العام
وتقدم الي تقريرك مساء الى مقهى (زهرة سوريا) حيث تتظاهر انك شاهدتني
صدقة وتزودني بمعلوماتك التامة وسيدفع لك رئيس لوازم الفيلق نصرت بك
ما انت بحاجة اليه من مال وقد امرته بان يدفع لك الان على الحساب خمس
ليرات ذهبية

هذا هو الموقف الاول وفي اليوم الثاني قصد جواد رفعت بك دار اليهودية
حيث سمعها تسأل ياسين بك عن موعد سفر الفيلق الثامن الى معان الامر الذي
اثار شبهته فعاد الى المعسكر وكتب ما يلي :

لما عدت الى المعسكر استدعاني رئيس اركان حرب مصطفى عزت بك
واقادني بان القائد واركان حرب به سيقومون برحلة تفتيشية حتى معان
وهنا ادر كـت الخطر !

نعم لانني تخيلت هذه الفتاة اليهودية التي لم تغادر في ذلك اليوم منزلها وهي
تسأل رفيقي عن ميعاد سفر اركان الحرب الى معان ونحن رؤساء الشعبة
الاستخبارية نجعل ذلك ؟

فن اين لهذه الفتاة معرفة هذا الامر ؟

ومن الذي اطلعها على ذلك ؟

هذا ما اعمل على درسه والحقيقة هي ان هذا من الخطورة بمكان لان هذه
الرحلة التفتيشية ستبدأ نهار الجمعة صباحا وتبلغ في اليوم نفسه ببرقية شيفرة الى
قائد الفيلق الثامن نفسه فكيف عرفت به هذه الفتاة في مساء ذلك اليوم ؟
ان الفتاة عندما القت سؤلها على جواد رفعت بك لم ترد التحق بما اذا كان
المعسكر العام منتقلا ام لا بل تريد معرفة اليوم الذي ستبدأ به هذه الرحلة التي
هي على تأكد منها

والرحلة ستبدأ نهار الثلاثاء والتقرير وصلني الاثنين ومن الضروري والحالة
هذه اتخاذ تدابير سرية لحماية الموقف

وعلى اثر هذا تلاذبت بوقية من جواد رفعت بك هذا نصها :

« قابلت رئيس اركان الفيلق الثامن مصطفى عزت بك و بينت له ضرورة
ارسال قطار حربي مصفح لحراسة القطار الحديدي وتفحص الخطوط قبل سير
قطار القيادة فضحك وقال انه لا يرى هناك اقل خطر يوجب هذا الامر الا انني
افهمته ان اورانس بعد تغلغله بين العشائر بات خطراً علينا وان من الضروري
اتخاذ هذه التدابير فوافق عليها

و بعد ساعة استدعاني اليه جمال باشا وقال :

« لا اعتقد ان هناك موجبا لزيادة الاهتمام بالمحافظة على حياتي فانا جنسدي

وسأقتل سواء أكان في الحرب ام في القطار
الا انني لم اوافق على فكرته هذه ورجوته ان يترك لي امر اتخاذ هذه
التدابير التي اراها ضرورية فابتنسم وقال : « افعل ما تريد شرط ان لا تهتم
كثيراً بامر حياتي »

لورانس في الشام

وقد كان اسم لورانس في ذلك الوقت ماثلاً لتقارير دوائر اركان الحرب فان
هذا الضابط البريطاني الذي جاء الى جزيرة العرب حاملاً معه مئات الألوف من
القطع الذهبية الواجبة تمكن من استمالة ليس عرب البادية وامرائها فحسب بل انه
الف العصابات السرية في داخل منطقة الجيش الرابع وتمكن حسب التقارير التي
تبثناها من الوصول الى دمشق قبل اعلان الثورة العربية وبعد اعلان هذه الثورة
وكان في مقدوره عندما يقصد دمشق ان يجد في (غوطتها) وبساتينها عشرات
من المنازل يقطنها رجاله من ابناء هذه البلاد فيزدودونه بما هو بحاجة اليه من المعلومات
ويسهلون له السبيل الى الهدف الذي يريده

و كنا نحن نعرف هذه الحقيقة الا ان رداثة المصاحبة الاستخباراتية الموجودة لم
تكن تمكننا قط من معرفة الرجل ونوقيفه ولا من معرفة الذين يساعدونه من
ابناء البلاد وقد رأى القراء كيف تمكن هذا الضابط الفطن جواد رفعت بك في
مدة اسبوعين من الوصول الى الحركة الاولى من اعمال هذه الجاسوسة باكتشافه
العنصر الخطير

ولهذا امرعت الى دمشق فوصلتها في منتصف الليل و كأن قلبي كان
يحادثني بضرورة الحضور الى دمشق لاسمع بالفاجعة المؤلمة التي وقعت بعدئذ
ونسف فيها القطار

سفر قائد الفيلق الثامن - وبأكرنا صباح اليوم الثاني الى محطة القدم لوداع
قائد الفيلق الثامن واركان حربه ومع اننا وصلنا الى هناك باكراً جداً فقد وجدنا
هناك مفرزة من الجند مصطفة لوداع القائد وتراقبها موسيقاها وجهور من كبار

رجال المكية والعسكرية وبعد دقائق حضر القائد مع اركان حربه وبعد ان
تفقدوا القطار وصافحوا الحضور استقلوا القطار الخاص الذي اعد لهم وسافروا
كانت الساعات القليلة تمر وانا اشعر بانقباض في نفسي وانا جالس في قشلاق
المشييرة اترقب النتيجة وانباء الفاجعة التي كان قلبي يحذني بوقوعها .
و كنت اذهب في كل ساعة الى غرفة الشعبة الاولى اترقب الاخبار الى ان
رن جرس الهاتف فتناولته بسرعة ولهفة بعد ان وقف جواد رفعت بك على
السماعة الثانية فاذا صوت عامل السنترال في الجيش يقول .
ف آلو . هنا سنترال الجيش الرابع ان محطة درعة تطلبكم فتكلموا معها .
آلو . هنا الفيلق الثامن الشعبة الاولى ماذا تريد .

— هنا سنترال درعا ان الملازم الاول نيازي بك يريد محادثكم .
— آلو انا الملازم نيازي ان القطار المقل قائد الفيلق الثامن واركان حربه
نقلب عن الخط عند الكيلومتر الرابع والتسعين على اثر انفجار قذيفة ميكانيكية
وضعت في طريقه فقتل الباور الاول حسن بك وأنجدي احمد اونهاشي وجرح
قائد الاستحكامات مخلص بك وخمسة من الجنود . وقد سافر قائد فرقة الخيالة
حامد فخري بك مع رجاله على قطار النجدة الى محل الحادث . ان قائد الفيلق
سينابع رحلته في طريقه ، وقد امر باقامة احتفال فخم للشهيد والاعتناء التام
بالجرحى نظموا اعمالهم عملا بهذا الامر وضاعفوا جهودهم في اكتشاف هذه الديسة»
بعد الفاجعة - هذا هو الامر التلفوني الذي تلقيناه والموجه الى رئيس الشعبة

الاولى في الفيلق الثامن وقد وقفنا تجاه هذه الحادثة المؤسفة التي ذهب ضحيتها
ثمانية اشخاص بينهم اثنان من كبار ضباطنا وقد توجهت توالى الى محل الحادث في
الكيلومتر ٩٤ فبين لي ان الذين اقدموا على وضع هذه القذيفة هم من عرب قبيلة
« عودة ابي تاية » وقد تمكنت من اعتقال احد هؤلاء البدو وكان من المعتدين وهو
البدوي حمد وتحت تأثير الوعد والوعيد قال :

انني بريء لان عودة هو الذي امرنا بان تستعد لان نذهب معه فلبينا الامر

و كنا ٢٥ خيالا ومعنا عودة بوتايه وذلك الرجل الانكليزي الذي ما كاد يستعرضنا حتى فتح كيسه ونقد كل مناليزتين ذهبيتين فهتفنا له جميعنا ومرنا الى ان اقتربنا من الخط الحديدي قاوفنا على مقربة منه بعد ان امرنا بالسكوت التام ثم تقدم مع ضابط حضري كان معه ، اخذا يحفران تحت الخط الحديدي مدة قصيرة وعادا البنافسألها عودة عما صنعا فاجابه رفيق الانكليزي قائلا :

— لقد تم كل شيء

ثم امرونا بالتراجع الى الورا حيث انتظرنا هناك مقدار نصف ساعة ثم رأينا القطار يندفع بسرعة الى تلك الجهة . نتي اذا وصلها سمعنا دويًا عظيمًا ارتج له القفاز فحاولنا الاسراع الى محل الحادث انهب القطار الا ان الانكليزي منعنا عن ذلك فاضطررنا الى العودة ادراجنا وقد ارسلوني انا وعماد لمعرفة مايجري هناك فقتل الجنود رفيقي واعتقلوني .

— ومتى اتى هذا الانكليزي الى القبيلة ؟

— منذ يوم مع ذلك الشامي الحضري وكان قبلا اتى لوحده منذ يومين وهو ياتي لمقابلة ابي تايه من وقت لآخر

وهنا وصف لي البدوي بقدر ما يحده عزة الصغير حياة هذين الرجلين واعتقد ان الاخر الذي باتقه بالشامي هو احد جواسيسه الذين تمكنوا من دخول دمشق والاخر هو لورانس الانكليزي

ثم ارسلت الرجل الى الديوان الحربي العرفي في دمشق فحكم عليه بالاعدام واعدم

لمقاومة الجواسيس

وعلى اثر اشتداد حركة التجسس التي كثرت في المدة نفها استدعت ثلاثة من الضباط السوريين وهم عارف وسامي ونصرت وعينتهم لمراقبة الاندية الاسرائيلية بعد ان امرتهم بخلع ملابسهم العسكرية واستبدالها بملابس مدنية وابتوت يومذاك الى فائد منطقة فلسطين يونس حيدر بك بروقة هذا نصها :

« ان قيام احدى الدواغ الانكليزية في كل يوم لترصد منطقةكم في ساعة

ووقت معين لامر يوجب الشبهة و يتركنا نعتقد انها قادمة لامر معين
ان قدوم هذه الدارعة الى منطقة واحدة وفي ساعة معينة يدلنا على ان
قدومهم - ليس لترصد عسكري بل لاجل اخذ تعليمات من الجواسيس اليهود
الكثيرين في منطقتكم

لذلك يجب اتخاذ التدابير اللازمة لاكتشاف هذه الاسرار وافهامنا النتيجة
ان شريف وسامي وعارف واحد عهد اليهم في هذا ووضعوا تحت تصرفكم
فيجب ان تقدموا لهم التسهيلات اللازمة واعلامنا بما يجد فوراً
وقائد هذه المنطقة يونس حيدر بك من الرجال المخلصين الغيورين فهو لا
يمضي وقته في التزعة والراحة بل كان دوماً يجتهد في سبيل اكتشاف الاعمال
الجاسوسية ولهذا استقبل الضباط الاربعة الذين اوفدتهم اليه وقام معهم بعمل يجد
واجتهاد عظيمين في سبيل معرفة اسرار هؤلاء الجواسيس حتى تمكنوا من ذلك والى
القراء تقريرهم

«بينما كان الدركي محمد اوغلو خليل ابراهيم من اهالي قرية «الاحمر»
الناطقة للقدس ماراً من امام قرية «زمارين» اليهودية في احدى الليالي شاهد على
الشاطئ البحرى وميض نار وتبين له على ضيائها خيال واقف على الساحل يشعل
عبدان الكبريت من وقت الى آخر فاشتبه الدركي الامين بهذا الرجل واختلس
الخطوات حتى صار على قرب معه فتطلع الى البحر فاذا به يجرد سفينة مظلمة لا
تحمل الا ضوءين خفيين الاول في مقدمتها والثاني في مؤخرتها ولما كان هذا
الدركي خبير مستخدم في الاستخبارات لهذا لم ينتظر النتيجة ليعرف ما سيجري به
لانه لم يتمكن من تمالك شعوره واقض على الرجل وضربة بعقب بندقيته على
رأسه فلقاه فاقد الارشد على الارض ثم اخذ في جره الى ان احضره الى مقر قائد
الطقم وقد تبين انه يدعي بعقوب ابراهيم وهو يهودي وقد حاول الرجل رشوة ذلك
الدركي الفقير الباسل فرفض بشهامة تاماً مصراً على تسليمه وبذلك قام الجندي
بواجبه خير قيام .

وارسل لنا يونس حيدر بك البرقية التالية :

الى قيادة الفيلق الثامن

بينما كان احد انفارنا ذاهبا الى مركزه في الطقم شاهد على الساحل
ال قريب من زمار بين شخصين مريبين كان يعطي بعض الاشارات بواسطة عود
الثقاب فوقفه فوراً واحضره الى المركز وعرف انه يدعى يعقوب ابراهيم خابون
ثم ارسل الى المعسكر

وفي افادته الاولى التي ادلى بها البنا وانكر كل شيء واصر على القول بانـه
اشعل اعواد الثقاب لمجرد اللعب فقط

ان محاكمة الرجل في ديوان حربي خاص بوالف في هذه المنطقة لاستجوابه
واظهار شركائه بالجريمة امر تتركه الى دولتكم
استرحم صدور اوامركم بهذا الشأن مولاي

القائمقام — يونس حيدر

وقد احال قائد الفيلق الثامن هذه البرقية فوراً البنا لاختراؤنا في هذه
القضية فرأينا ان نوافق على اجراء التحقيقات فقط وابرقنا بما نصه:

الى القائد يونس حيدر بك

ان توفيق يعقوب ابراهيم خابون الذي هو فرد من عصابة واسعة النطاق
تعمل لحساب العدو ضد الجيش في تلك المنطقة امر يساعد هذه القيادة على
معرفة اسماء بقية المتآمرين

فن الضروري والحالة هذه اجراء التحقيقات الاولى في منطقة الناصرة وتوقيف
شركاء الرجل وسوقهم الى الديوان الحربي العرفي في الشام لحاكمتهم

في انتظار ورود تعامياتكم المفصلة عن نتيجة هذه المفاوضات تفضلوا ..
وابرق قائد الفيلق الثامن الى القائد يونس حيدر بك بما نصه:

الى القائد يونس حيدر بك

ان قائدة الفيلق رغم الاعذار الواهية التي يظهرها الرجل يعتقد اعتقاداً

وطيداً بأنه يعمل مع عصابة قوية في الناصرة وضواحيها ويتجسس علينا لحساب العدو
فمن الضروري والحالة هذه استعمال الشدة مع الرجل الموقوف ومعرفة جميع
شركائه وإرسالهم فوراً إلى دمشق
يصل اليكم علي رضا بك معاون ورئيس الاطباء البيطريين توفيق بك
ليساعدكم مع مندوبينا الاولين في هذا الامر
بلغونا نتيجة مساعدكم في هذا الشأن فوراً

قائد الفيلق الثامن

توسع الحركة — ويتبين للقراء من هذه المعلومات والبرقيات التي تبودلت
ان الموقف تبدل وانني وصلت الى الهدف الذي عملت لاجله في سبيل ايجاد
شبكة منظمة ضد الجاسوسية فتصين حيدر رفعت بك في الشعبة الاولى في الفيلق
الثامن ثم انتداب هذا بعض رجاله للعمل سرّاً في دمشق ثم انتدابنا ستة ضباط اخرين
لنعمل في منطقة الناصرة ٠٠ كل ذلك تدابير حازمة كان في الامكان ان تعود
علينا بفوائد جمة وتقطع دابر الجواسيس لو اننا عمدنا الى تنفيذها في بدء الحرب الا
ان رفض القيادة يومئذ اقتراحي هذا لم يحل دون اتمامه في المدة الاخيرة فحوادث
منطقتي الشام والناصرة انى منطقتين قويتين لمقاومة الجواسيس بعد ان تسلمت انا
بنفسي ادارة مثل هذه الاعمال في بيروت وفي المنطقة اللبنانية

عود الى الانسة سيمون

والان لنعد ونبسّط للقراء ما كان من امر الامرأئيلية الحسناء الانسة
سيمون .

فقد تبين من التحقيقات التي اجريت فيما بعد ومن اعتراف الانسة سيمون
نفسها انها كانت من اشد مندوبي عصابة «ارانسون» .
ولهذا كنا نراها في دمشق تنصرف الى الاجتماع بالضباط الالمان والأتراك
التابعين للاركان الحربية وقد ساعدها جهاها الخلاب وتكاوينها الجذابة وحديثها

الطلي فمدت سيطرتها على الجميع واستدراجهم باحاديثها وو بهائها و بجاذبيتها على معرفة ما تريد من اسرار دون ان يفطن لامرها احد

من المؤكد ان الحب الزائد الذي اظهرته الانسة سيمون للضابط ياسين بك ليس الا لين ملمس الافاعي فان هذه الفتاة التي عرفت الشاب عندما كان ضابط الامر في الفيلق الثاني ثم عندما كان رئيسا لدائرة الاستخبارات فلعبت دورها معه بمهارة زائدة وكان من واجبه ان يبعد هذه الفتاة عنه كرئيس فرغ من فروع الاستخبارات ولكنه لم يقو وزادت هذه الحسنة بانها اخذت تسرق منه الاسرار العسكرية التي لا يجوز لضابط ان ييوح بها

ان الضابط ياسين بك العربي كان يعطيها كل ما تطلبه من ايصاحات وليس في امكاني الجزم اذا كان يعطيها هذه المعلومات عن اتفاق سابق وعلم بوظيفتها الشائنة ام عفواً الا انه على كل حال قد ارتكب جنابة عظيمة في رده على استئنها .

ولهذا اخذت من يد الرجل شؤون الاستخبارات واودعت لعمدة غيره

خائن آخر

ولم تقف الخيانة في معسكر الفيلق الثامن عند حد هذا الضابط العربي ياسين بك ولئن كانت القيادة العامة تثبتت من خيائنه الا انني لا ارى ثمة خيانة لان الرجل كان يجب على اسئلة توجهها اليه الفتاة مندفعاً بعامل الحب الذي اعماه عن معرفة الواجب .

ولكنني ارى الخيانة مجسمة فيمن كان يعطيها المعلومات عن معرفة بمر كزها لشائن وهو احد ضباطنا الاتراك جو بان او غلوزكي بك من كبار ضباط لار كان الحربية في الفيلق الثامن فان هذا الضابط الكبير الذي يتمتع بثقة رؤسائه وبمر كزه السامي كان يبيع كل هذه الامور في سبيل ليلة يقضيها مع لامرأثيلية الحسنة وهو عارف باعمالها الشائنة ودناءتها وخيائنها لوطنه فهو نائن اكثر منها .

انني على ثقة تامة بان الضابط العربي ياسين بك لم يكن خائناً وانما اندفع وراء غرامه بسرد معلومات يعتقد انها بريئة اما ذلك الخائن فهو ذلك الضابط التركي جو بان او غلوزكي بك فان هذا القائد هو الذي اخبر الجاسوسة الحسنة بعزم قائد الفيلق الثامن واركان حرب به السفر الى معان.

ولم تكن الحسنة لتثق به لانها على اعتقاد تام — وفي على حق في اعتقادها هذا — ان من يخون امته وبلاده يجب ان لا يؤمن جانبه ولهذا كانت تأخذ معلوماته وتعمد الى تمحيصها ولهذا القت ذلك السوءال على ياسين بك عما اذا كان حقيقي ما بلغها عن «قائد الفيلق الثامن الى معان ذلك السوءال الذي القته على ياسين بك امام جواد رفعت بك بذلك اللهجة التي حاولت ان تعتمد بها البراءة والذي كانت ترمي من ورائه لتأكد من اخبار جاسوسها زكي بك

وانا على ثقة تامة بان ياسين بك عند ما رد عليها كان بريثاً من معرفة حقيقة امرها لانه لو فطن اليه او كان على معرفة من حقيقة امرها لكان على الاقل قد نبه اخاه رئيس مرافقي قائد الفيلق اليوز باشي حسن بك الذي ذهب ضحية القنبلة التي وضعها لورانس في طريق القطار

فهل يعقل والحالة هذه ان يعرف ياسين بك هذه المؤامرة المدبرة او يعرف حقيقة هوية المرأة ويسكت وهو يعرف بان القطار الذي يقل قائد الفيلق يقل اخاه ايضا

ان الرجل تالم كثيراً عند ما بلغه نبأ مصرع اخيه في القطار حتى انه سقط في اليوم الثاني مريضاً ولازم فراشه مدة ولما عاد الى صحته ومزاولة اعماله ذهبت منه نفسه تلك الروح المرحية وتلك الرغبة في ارتياد الملاهي والحفلات حتى ان جسد رفعت بك دعاه في احد الايام للنزهة بعد انتهاء عمله فاجاب لقد حرمت علي الراحة والنزهة بعد فقد سندي واخي

— ماذا صار يا صديقي هل خربت الدنيا وكلنا سنسير على هذه الطريق السننا ضباطاً معرضين في كل ساعة للموت في ساحات القتال

— انك على حق في اننا كلنا سنموت ولكن هل تعتقد ان من كان مثلي في
في امكانه ان يفرح بعد المصاب الذي الم به فقدت اخا كالطور الراسي مملوفاً
حياة وعافيه انني ارى الدنيا باجمعها قد انهارت بي ولم تعد لي من رغبة في شيء
ان من كان هذا شعوره كما وصفه لي زكي بك لا يصح ان يكون خائناً بل
هو عاشق قد افقده العشق معرفة الحقيقة

ولهذا لم يشر كه الديوان الحر بي في هذه القضية

الجواسيس اليهود — رفض يعقوب ابراهيم خابون ان يصرح بشيء عن
رفاهة الجواسيس اليهود الذين يساعدونه في مهنته السافلة ولهذا قصدت الناصرة لجله
على الاقرار الا ان جهودي ذهبت هدرآ لان الرجل اصر على الادعاء ببراءته
وانه ضحية الاقتراء

وفي اليوم الثاني لوصولي الى الناصرة استدعيته ثانية وحاولت انتزاع الحقيقة
منه دون فائدة وعندئذ قلت له :

— انك ستعاد الان الى السجن ولديك مهلة حتى الغد فافكر جيداً فاذا
كنت تريد حقاً انقاذ نفسك من الموت فعليك ان تعترف بالحقيقة التامة والافان
دماءك تهدر وتكون انت السبب فيما يصيبك . وكن على ثقة تامة بانك ما من
مجال للنجاة الا بالاعتراف بالحقيقة

ثم امرت الرجل بالانصراف فاخذه الجنديان الى السجن الخاص
اعتراف الرجل — وفي اليوم الثاني اعلمني الضابط خليل بك ان مدير السجن
يسأل عني بالتلفون فدخلت غرفتي وتناولت الساعة فاذا المدير يقول : « ان المتهم
يريد الاعتراف بالحقيقة فاذا تأمرون » .
— سأحضر فوراً .

ثم قصدت السجن وامرته باحضار السجن الذي ما كاد يراني حتي بادرنى قائلاً :

— اذا رويت لك الحقيقة هل تغفو عن حياتي؟

اذا رويت لنا الحقيقة التامة فأساعدك على نوال العفو ولكنني اعدك اذا رويت

الحقيقة بالآمان على حياتك .

— انني رجل بريء وذو اولاد وعبال واست مجرمًا قسط فاذا كان مولانا
الباشا يعفو عن حياتي فانا اعترف بالحقيقة والا فافضل السكوت .

وعندها تناولت آلة التلفون وخاطبت بها احمد جمال باشا الذي وافق على
حفظ حياة الزجل شرط ان يعترف بالحقيقة التامة وعندها التفت اليه وقلت .

— ان الباشا يعطيك وعداً بالعفو عن حياتك شرط ان تعترف بكل شيء
بصراحة تاماً ووضوح .

— الرحمة ايها السادة ، لقد قلت بانني ساقول لكم الحقيقة اي الحقيقة التي اعرفها
وهذا ما سافعله فهناك من يعطوننا التعميمات و يستخدموننا كالعبيد دون ان تعرف
من امرهم شيئاً وكل هذه المصائب التي تحبظ بنا منهم فاذا لم ننفذ نحن البؤساء
اوامرهم يطردوننا و يقطعون ارزاقنا . ولهذا نخاف منهم .

ق اذا انت تعتقد ان هؤلاء الناس هم اقوى من الحكومة والقانون ؟

— كيف يمكن ان يكونوا اقوي من الحكومة ، الا انهم اخذونا تحت
ادارتهم ووضعونا بقبضة ايديهم ولهذا ليس في امكاننا عارضتهم والحكومة
نفسها لا تسمع كلامنا اذا شكوناهم وانما نسمع كلامهم

— حسن جداً من هم هؤلاء الاشخاص الذين تعنيهم ، اذكر اسماءهم
تخلص حياتك ونراهم بين يدي الحكومة والقضاء .

وعندها اعدت الرجل الى سجنه وامرت بتوقيف الرجلين

— جوزيف طوبين ونعمان بلكند . . .

تنفيذ هذا الامر -- وفي اليوم نفسه نظم يونس حيدر بك قائد منطقة الناصرة

قوة من جنوده المشاة والدرك وغادر بها ليلاً المنطقة ولم يفلن لامره احد لان
وجودنا في ذلك الوقت بحالة حرب وانتقال الجنود من مراكزها بصورة دائمة لم
تلفت الانظار قط ولهذا سارت هذه الجنود دون ان تعرف الغاية من حركاتها الى
ان وصلت قرية زمارين المعروفة لدى اليهود باسم زيكرين جاكوب وعند

منتصف الليل كانت مخيطة بالقرية من سائر جهاتها وليس في امكان اي كان الدخول او الخروج منها دون ان يشاهده الجنود

وفي ذلك الوقت تقدم القائد يونس حيدر بك ومعه ٢٥ دركيا الى القرية فاقطوا المختار وطلبوا منه ان يقودهم الى دار نهيمان بلكند فقادهم اليه وفيه اوقفوه وكان غارقا في نومه فاقطوه وتحروا منزله وصادروا ما وجدوه من اوراق ومن ثم ذهبوا الى منزل جوزيف طوبين واوقفوه وكان نائما ايضا وتمت عملية توقيف الرجلين بكل هدوء وسكينة دون ان يشعر بها احد وعهد يونس حيدر بك الى استجواب الرجلين الذين انكرا كل شيء واصرا على انهما بريئين وعلى هذا لم يتمكن من معرفة شركائهما واكتفى بسوقهما الى الناصرة

في دمشق — وفي اليوم الذي سبق توقيف هذين الرجلين اضطرت ان تغادر فلسطين الى دمشق لحادث هام وقع هناك ولهذا تلقت فيها برقية من يونس حيدر هذا نصها :

« بناء على اوامركم الصادرة تمكنا من توقيف جوزيف طوبين ونهان بلكند وقد اصرا على الانكار وانهما برئين من التهمة التي وجهت اليهما وانه ليس لهما شركاء الا اننا تمكنا من الحصول على اوراق ووثائق قيمة والات فوتوغرافية عديدة قيمتها ٣٠ الف ليرة وقد افادوا انها يستخدمان هذه الالات في التجارة ولكن سكان المنطقة ينكرون اتجار هذين الرجلين بهذه البضاعة

بانتظار اوامركم تفضلوا . . .

وعلى اثر ذلك ابرقنا الى القائد بما نصه :

يجب ارسال جوزيف طوبين ونهان بلكند تحت خفارة قوة من الجند الى دمشق مصحوبين بجميع الوثائق والادوات التي صودرت من منزلها .
وبعد ثلاثة ايام كان الرجلان في دمشق وبدأنا باستجوابهما .
جوزيف طوبين — ونرى الآن ان نعرف القراء بهذين الرجلين الذين لعبا

دورا رئيسيا خطيرا في الجاسوسية ضدنا في فلسطين فاولها جوزيف طوبين رجل معتدل القامة ذو عينين شحلاو بن يظهر في مظهر الذوات ، ليس في مكانه وسكنا ما يربب فهو ساكن يجيد تمثيل دوره كامهر الممثلين ، ينظر اليه عندما نحقق معه كصديق له معرفة قديمة بنا ، وله اسلوب في الكلام والحديث حتى ان من يسمعه لا يعتقد انه امام جاسوس حقير بل تجاه شخصية بارزة ذات افكار عالية .

الا ان هذا الرجل الذي ظهر في هذا المظهر العظيم لم يتمكن من تمثيل دوره الى النهاية لاننا ما لبثنا ان حملناه على الاقرار حتى نبذات لهجته فخفت صوته وكسرت معنوياته واحنى ظهره وبات في حالة يوءسف لها ، فقد عرف كيف يمثل دور العظمة والغرور والاباء ، كما عرف ان يمثل في النهاية دور الدل والانكار . هذا هو جوزيف طوبين احد رؤساء الجواسيس .

نهمان بلكند - اما الثاني نهمان بلكند فقد كان غير الاول ومن غير طرازه . فهو دائم الحركة طويل القامة معتدل الجسم ذو رأس كبير وعينين تتحرك مع تحرك جسمه ويلعب بحفيته بصورة متبادلة وبحركة سريعة دائمة يتكلم و يظهر الكلام من حنجرتة وليس هو كجوزيف طوبين حاكما على ارادته

وفي الوقت الذي نرى فيه الاول يقدم على مجاہتنا كاصدقاء له نرى هذا يضطرب ويكاد يسقط من شدة خوفه ، ينظر حوله باضطراب وخوف ، يخاطبنا كما يخاطب كل جندي رئيسه الاعلى وهذا هو الزعيم الثاني الخطير لعصابة الجواسيس اليهود في منطقتنا

وسلم هذان الرجلان الى الديوان الحربي العربي في عاليه الذي شرع يحقق معهم كما تولينا نحن من جهة اخري التحقيق معهم فاذا كان احدهما في الديوان الحربي العربي كان الاخر في دائرتنا وهكذا عملنا معا في سبيل معرفة الحقيقة منها وقد استدعينا في بادئ الامر جوزيف طوبين الذي دخل الى دائرتنا وهو

رافع الرأس متنفخ الاوداج وما ان دخل حتى تقدم البنا بخطي هادئة كأنه صديق
قدم الى زيارة صديقه ووقف امام المكتب محاولاً ان يد يده لمصافحتنا مبالغة في
تمثيل دوره الا اننا امرناه بالجلوس وسألناه

— جوزيف طر بين افندي من اي بلاد جئت الى هذه البلاد

— من روسيا

— اذا غادرتم مسقط رأسكم

— لاننا مهاجرون

— ولماذا هاجرت

— تعلمون الغاية : وهي الهجرة الى مسقط رأس اجدادي في فلسطين

— وهذه البلاد لمن ؟

-- للدولة العثمانية

— وهل اعطوكم اراضي فيها

— نعم

— انكم والحالة هذه جئتم الى هذه البلاد واقتطعتم الاراضي والارزاق وبتتم

تلكون الدور والحقول والمزارع وانتم في رفاه من العيش اليس كذلك ؟

— نعم وشكراً لله وجلالة مولانا السلطان الذي ندعو الله ان يطيل عمره

— شكراً لله وجلالة السلطان هذا امر لا ينتظر منكم . الا ان الذي اطلبه

منكم ان تجاوبوا على اسئلتي

الستم اكثر سعادة ورفاهية في هذا الوطن من وطنكم الاصلي ؟ اما تتمتعون

فيه بخيرات لا يملكها ولا يحلم بجزء منها ابنا . هذه البقعة من العرب التمساء

ان ابنا هذه البلاد فتحوا امامكم ابواب بلادهم واكرمواكم فامتلكتهم الاراضي

والمزارع والثروات ، اليس كذلك ؟

— هذا بفضلهم

— اذاً لماذا ختمونا ؟

ان ابناء هذا البلد من العرب اكرمواكم فالتزعتهم اللقمة من افواههم ، ثم يقولون
لنا ان حياتكم هنا وتمتعكم بهذه السعادة بفضلنا فلماذا ختمونا اذا ؟

— ليس لنا اقل خطيئة ولم نخنكم قط

— اذا لماذا هذه الآلات الفوتوغرافية وتوابعها

— هي امانة عندنا

— لمن ؟

— هي لبعض التجار النمساويين جاءوا بها للبيع في فلسطين ولما نشبت الحرب

العالمية خشوا ان تصادرها السلطة فاودعها مندوبهم امانة لدينا

— ومن هو هذا المندوب ؟

— اهر باناق

— من هذا الرجل وما هو عنوانه وما هي جنسيته واين هو الان وما هي

معلوماتكم عنه ؟

— لا اعرف عنه شيئا .

— كيف لا تعرف عنه شيئا وانت تقول انه اودع عندك مثل هذه الكمية

الهائلة التي يقدر ثمنها بثلاثين الف ليرة تركية

— اقسم انني لا اعرف غير اسمه فقط

— ولكن كيف يترك عندك مثل هذه الثروة ولا تعرف غير اسمه

— لا اعرف

— اذاً من هم التجار النمساويون اصحابها الاصليون

— لا اعرفهم

— اذا انت يا جوزيف افندي لا تريد ان توضح لنا ادوار هذه الجناية التي

ارتكبتها ولا تريد ان تعرفنا عن حقيقة اخوانك

— لا توجد ادوار كي اعرفك عنها وانا رجل يري .

— انا اعرف بان هناك جناية فظيعة انت متهم بها فاذا كنت لا تريد ان

تحدثنا عنها بهذا الملوب الحسن الذي نكلمك به فان هناك العصي الضخمة
والكر باج وغير ذلك مما سيكرمك على الاعتراف بالحقيقة

— انني بريء واطالب العدالة وهي خير حام لي

الاعتراف — لم تبدأ طريقة التعذيب لحل هؤلاء الجواسيس على الاعتراف
بحقيقة جرمهم واخراجهم عن حد قولهم « لا نعرف شيئاً » بل بطريقة اخرى فقد
اقترح رئيس اطباء الفيلق نديم بك ان نجرب طريقة الاينوتيزم العلمية والفنية
لحملها على الاعتراف فاعلمنا بالامر رئيس اطباء الجيش الرابع نشأت عمر بك
فوافق واوصانا بمراجعة استاذ الامراض الداخلية والعصبية في كلية بيروت الطبية
الدكتور البيسكولوجي عبيدي مختار بك وعلى اثر ذلك ايقنا الى الاستاذ الطبيب
واستدعيناه من بيروت الى دمشق حيث احتل غرفة مستشار الفيلق الثامن العدلي
خليل رفعت بك (العرب : اليوم في دمشق) واخذ في استجواب الجواسيس
دون ان يحضر جلساته هذه احد منا وكان استجوابها بالطريقة العلمية والفنية بعد
ان فشلنا نحن في استجوابهم بالحسنى

ان هذه الطريقة العلمية والفنية التي اتبعها الدكتور عبيدي مختار بك وان
كانت لم تأت بالفائدة التامة المطلوبة الا انها على كل حال لم تكن خالية من
الفائدة فانه تمكن من حل عقدة لسانهم

وكان اول من دخل على الدكتور عبيدي مختار بك نهجان بلكند الذي
اعترف بما يلي

انه يحب فتاة اسرائيلية من قرينه حياجنونيا وقد تواعدا على الزواج وفيما هو
يستعد للزواج وبعد معداته وقعت الحرب العالمية فغادرته الفتاة وفرت مع غيره
فاستاء من هذا الامر وقام يتحرى اثرها قرية فقريه ومزرعة فزرعة وقد قادته
خطواته الى منطقة اشتغال العدو فوقع اسيراً بيده ووضح لهم الغاية من رحلته
والاسباب التي ادت به للوصول الى حدوده وصدق الانكليز ما قال لهم واشفقوا
عليه وسمحوا له بالعودة الى بلاده على شرط ان ينقل اليهم عن المنطقة التركية

حركات التترك العسكرية وموقفهم والموقف في مؤخر الجبهة الانكليزية فوعدم
بتحقيق ما ارادوه وعاد الى المنطقة التركية الا انه لم يقم بما وعد به الانكليز
من المعلومات

هذه هي التصريحات التي ادلى بها نهمان بلكند الى الدكتور عبيد مختار
بك والتي اعتقد ان في امكانه ان يبلغنا بها ويبرر الاسباب التي دعت له لانه
يتجسس علينا

اما رفيقه جوزيف طوبين فانه لم يصل في تصريحاته الى صد رفيقه والاعتراف
بالجاسوسية تبرير موقفه بل اصر على براءته وعدم معرفته شيئا من كل هذه الامور
التي بسأل عنها

الوثائق المثبتة - ولكن هذا الانكار لم يفد الرجل شيئا لاننا في الوقت
الذي كنا نحرب فيه هذه الطريقة الجديدة تلقينا اشعاراً من قائد منطقة الناصرة
يفيد انه عاد وكرر تفتيش منزل جوزيف طوبين فاشتبه بصندوق خشبي كان
الرجل يحفظ فيه ثيابه فاذا به يبيد في هذا الصندوق طبقة خشبية ارضية غير ظاهرة
فانزعها ووجد ضمنها وثيقتين كتبنا بخط الرجل ولم يتمكن في ذلك الوقت من
ارسالهما فاخفاهما في هذا المكان السري من الصندوق وهذا نص احدهما :

« وصل انور باشا وزير الحربية الى الشام ومن هناك توجه الى لبنان
فبيروت . لم يرقه وجود القطع المولفة من اكثرية عربية . وقد سافر انور باشا
مع قائد الجيش الرابع جمال باشا الكبير وقائد الفيلق جمال باشا الصغير على
القطار الحجازي الى المدينة

ان هذه الرحلة ذات علاقة بموقف المدينة والجللاء عنها الا ان قائد الحامية
هناك فخر الدين باشا معارض في الجللاء عن المدينة وقد صرح لهم بانه مستعد
للدفاع الى آخر نفس والى آخر جندي موجود تحت امره .

والمظنون ان وكيل القائد العام وبقية القواد مهالون الى فكرة الجللاء عن
المدينة . ثوداد حركة الاستيلاء في المدن والجماعة يستفحل امرها كثيراً .

هذا هو التقرير الاول الذي وجد في صندوق الرجل والذي اعتمدنا لاول
وهلة انه كتب بقلم احد ضباط ار كان حرب الجيش لانه تضمن معلومات خطيرة
بالنسبة لذلك الوقت ومن المؤكد ان محتويات هذا التقرير كانت مضبوطة وعلى
الاخص فيما يتعلق بالمدينة المنورة وفكر القواد انور واجالين وفخر الدين باشا .
وكانت هذه المعلومات معروفة من هؤلاء القواد ومن رؤساء ار كان
حربهم فقط حتى ان الكثيرين من ضباط ار كان الحرب كانوا يجلبون حقيقة
ذلك فمعرفة الرجل هذه الحقيقة وكتابتها في تقريره امر يدل على مقدار غفلتنا لان
امثال هذه الاخبار غير معروفة الا في المركز الرئيسي في دمشق فكيف عرفها
هذا الجاسوس بتلك الصورة المضبوطة وهو في الناصرة ؟
وهذه هي الوثيقة الثانية :

« ان الآلاي ١٣٧ الموجود في لبنان والذي لم يشترك بعد في المعارك
الحربية وصل الى الناصرة قادما عن طريق صيدا - طبريا وبعد ان يستريح
افرادهم سيتوجه الى الرملة ومنها الى غزة
ان قائد هذا الآلاي هو عبد القادر بك طرابلسي عربي ، وقائد الطابور الاول
هو البكباشي حسني وهو تركي ، وقائد الطابور الثاني هو البكباشي لطيف بك
من بغداد وقائد الطابور الثالث هو ضيا بك من الشام عربي . ان ٦٥ بالمائة من
افراد هذا الآلاي من الجنود العرب . ويظنون انه ليس لهذا الطابور اقل قيمة
او اهمية حربية

وقد كثرت حوادث الفرار من هذا الطابور حتى بلغ عدد الجنود الذين
فروا منه منذ مغادرتهم المنطقة اللبنانية حتى وصولهم الى الناصرة ٢٠٠ جندي
الوثائق الاخرى - ولم تقتصر الوثائق التي عثرنا عليها على الوثيقتين المار
ذكرهما بل عثرنا على عشرات من الخرائط والخطط التي رسمها هؤلاء والتي تبين
مواقع قواتنا وحرركاتها وعلى اثر وصول هذه الوثائق لدينا استدعينا جوزيف
طوبين وعرضنا عليه هذه الوثائق وسألناه رأيه بها وقلنا :

- جوزيف افندي هل زأبتم هذه الوثائق ؟ وهل تتصورون بعد هذا ان هناك من فائدة لكم بالانكار والاصرار على عدم الاعتراف بالحقيقة ؟
... هذا ما قدره لنا الله

- وما العلاقة بين مقدرات الله عز وجل وخيانتكم للامة والبلاد التي اوتكم واكرمتمكم .
- هذا جزاء اعمالنا .

- نعم هذا حقيقي الا ان في امكانكم ان تحصلوا على شيء من الامل اذا ما ادليتم الينا بالمعلومات الممكن ان تؤدبى الى معرفتنا جميع ادوار هذه القضية مع تفرعاتها

- لم يعد من مجال للانكار فنحن الذين ارتكبنا هذا العمل وقد ادى سوء طالعنا الى كشف هذه الحقيقة

- هل انتم وحدكم في هذا العمل ام ان هناك من يقود خطاكم ؟ ومن هم رفاقكم ؟

- ان الرئيس الاعلى لنا هو اراتسون

- اين هو هذا الرجل ؟

- هو الان بالجانب الانكليزي

- كيف تؤمنون علاقاتكم ومخبراتكم معه ؟

- تمر في كل مساء احدى القطع الحربية الانكليزية من المنطقة الساحلية فنشير اليها من المنطقة الخالية من السكان فتقف الدارعة عند هذه النقطة حيث نلقي اليها تقاريرنا ضمن زجاجات محتوية ترسل زورقا فيلقطها

- الا يوجد غيركم في القرى والمناطق التابعة لنفوذنا اليوم

.....

- لا مجال للسكوت ومن الواجب ان تذكروا اسماءهم لانه لا فائدة لكم من الانكار الا زيادة الجرم المرتب عليكم فذكر اسماء هؤلاء خير لكم

وهنا اخذ جوزيف يف يفرك راحتيه واطهر شيئاً من التردد ثم اخذ يقترب منا
بشرف محاولاً تقبيل ايادينا والارتقاء على الارض وهو يردد طلب الرحمة والشفقة
واجباً ان يعفو عن حياته واعداً انه سيقول كل شيء فلاطفناه وهذا أنا خوفه
فسكت بضعة دقائق ثم قال :

— لا اريد منكم شيئاً الا ان لا تفرطوا بحياتي ، اسجنوني قدر ما تريدون اما
حياتي فاحفظوها لي

— اذا رويت لنا الحقيقة التامة الناصحة رجونا القائد العام ان يعفو عن حياتك
— استمعناكم بالله وبنبيكم الكريم وبرأس اولادكم وبين تحبون ان تعذوني
بمحافظة حياتي وانا اقول لكم كل شيء

— جوزيف افندي اننا لانملك الصلاحية التامة للعفو عن حياة من كان
مثلك متهماً بمثل هذه التهمة الشنعاء على انه اذا كشفت الحقيقة وافدتنا بما كان من
ادوار هذه القضية من البداية الى النهاية رجونا القائد العام ان يعفو عنك وقد نتناول
عفو المطلق فاختر لنفسك ما يحلو

تاكيد افادته — وعلى اثر ذلك احاط الرجل الى حياة تحقيق مؤلفة من
رئيس الشعبة الاولى جواد رفعت بك واحمد دورمن بك والمستشار الحقوقي
للفيلق الثامن خليل رفعت بك

وقد افادني جواد رفعت بك ان الرجل اكده امام هذه الهيئة ما صرح به
امامي وازاد اليه معترفا باسم وكيل اراندون وهي السيدة سارا التي اوقفت في
اليوم الثاني وعلى اثرها تلقينا برقية من بونس خيدر بك يعلمنا بها ان الفتاة غادرت
الناصره بالقطار تحت حماية قوة من الحرس وعلى هذا غادرنا صوفر الى دمشق
ونحن على اشد ما نكون شوقاً لرؤية هذه الفتاة ومعرفة اسرارها العجيبة

رؤية الفتاة التي قاومت لوحدها مجموع تنغيمات الجيش الرابع وهزأت بها
وسارت تتجسس عليها ممكنة من اخفي الاسرار فمقلتها وارسلتها الى الاعداء ،
وكان الكل يتربصون بمجيء هذه الفتاة الدامية ليعرفوا حقيقتها العجيبة الا ان

آمال الجميع ذهبت ادراج الرياح لان الفتاة انتحرت قبل ان تصل الى دمشق
وهذا ما نفع البنا اليوز باشي نجم انديس بك عن الحادث قال :

كيف انتحرت الجاسوسة

عهد الي والى الملازم الاول مظهر بك بحراسة الفتاة من الناصرة الى الشام
وكانت جالسة بجاني من جهة النافذة ورفيقي مظهر بك جالسا على المقعد المقابل .
وكانت الفتاة ودیمة مطیعة لنا تتودد طيلة الطريق ولا يظهر منها اقل علامات
النفور حتى انها اخذت تحدثننا خلال الطريق باحداث نسائية مسلية وتنشدنا بعض
اغانيها اللذيذة دون ان يظهر عليها اقل دليل على نيتها الهائلة .

وكانت في بعض الاوقات تستأذن بالذهاب الى المرحاض فنظل نراقبها عن
بعد فتعود مبتسمة ودخل بنا القطار وادي الشها وهو يسير مندفعاً فاستأذنتنا الفتاة
ودخلت المرحاض وجلست وانا ورفيقي نتطلع الى ذلك الوادي الهائل الذي هو
عبارة عن صخرة نائته حادة وفجأة رأينا جسماً يندفع من باب العربة الى الصخور
النائية واذا به جثمان الجاسوسة التي انتقت مكاناً خطراً جداً وألقت بنفسها على اطرافه
الناتئة فزقتها وتركتها جثة هامة .

وعلى الاثر اوقفنا القطار فاذا بالفتاة مقطعة ار باوم كذا ضحت هذه الاسرائيلية
الحسنة بنفسها في سبيل القضية التي تشتغل لاجلها وكي لا تنفي الاسرار التي
تحيط بها وهي لو وصلت سالمة الى الشام لكان في امكاننا ان نأخذ منها اسراراً
عظيمة اكبر من هذه ولكان في امكاننا ونحن ندون هذه الحقائق في مذكراتنا
ان ننقل الى الناس معلومات قيمة وخطيرة عن عشرات الجواسيس الذين اشتركوا
معا الا ان الفتاة ضحت في حياتها لتتخذ رفاقها ولتسدل الستار على اعمال الجواسيس
الذين يعملون تحت ادارتها .

بقية الجواسيس — وفي هذا الوقت الذي وقعت فيه حادثة الانتحار كان
الدبوان الحربي العرفي في دمشق يحقق مع جوزيف ظوبين ونهمان بلكنند
والهيئة المنتدبة من قبله تحقق في حيفامع بنجامين وروتنبرغ وجول وايزاك

وايرن الذين اوقفوا في الجاعونة مشددة عليهم الخناق لمعرفة الامرار التي يخفونها .

وقد كان من نتيجة هذه التحقيقات الدقيقة التي قامت بها الهيئتان ان بدأ هؤلاء يعترفون باسماء رفاقهم الجواسيس الذين يشتغلون معهم واقف في «طبريا» انسول وفي «كفر قنه» واينبرغ

وهذه الاسماء التي ذكرنا الان وقبلها هي اسماء رؤساء اليهود الذين كانوا يشتغلون بالجاسوسية في بلادنا .

وقد زاد عدد هؤلاء الجواسيس واتباعهم الذين اوقفوا في مختلف جهات فلسطين على المئات حتى لم يبق في سجون دمشق مكان لهم فاضطرت القيادة والحالة هذه الى وضعهم في مراكز اخرى تحت المراقبة الدقيقة ، حتى ان والي دمشق تحسين بك راجع القيادة العامة يشكو اليها امتلاء السجون هؤلاء اليهود وازدحام كل قطار قادم من حيفا بالعشرات منهم معلنا انه بات يخشي نتيجة هذه التوقيفات المستمرة راجبا وضع حد لكل هذه الامور خوف ان يستفحل الامر و يقوم هؤلاء بالاتفاق مع العرب بمحوادث مؤسفة

وقد اُحالت قيادة الجيش الرابع هذه الملاحظة الى قائد الفيلق الثامن جمال باشا الصغير موجبة عليه الامراع في حل قضية الجواسيس

في الوقت الذي تلقينا فيه ملاحظة والي سوريا تحسين بك التي يشكو فيها من توالي توقيف اليهود وامتلاء السجون بهم كان في سجون دمشق قيد التحقيق ٨٧٣ سجيناً من اليهود اتهموا جميعاً بالاشتراك في حركات الجاسوسية ولكن ماذا كان في امكاننا ان نعمل وحادث توقيف هؤلاء الجواسيس كان في اشد ايامنا محنة وفي الوقت الذي ثار به العرب ضدنا وقاموا بولفون العصابات الثائرة لقص مضاجعنا

ولهذا اعلنا والي تحسين بك بواسطة مرافقه العسكري نامق بك انه في حال الاستمرار على هذه الحركات المشتبها بالخطرة التي تهدد سلامة الجبهة

الخلفية فأننا مضطرون الى اتخاذ تدابير اشد واقوى من التدابير المتخذة حالياً وان سلامة الجبهة توجب علينا حثاً اتخاذ هذه التدابير القاسية

الحالة في دمشق

كانت الشام ساهرة لان هذه المدينة التي هي مركز القواد تشهد في كل يوم حركة نقل الجواسيس ومحاكمتهم من جهة وتشاهد من جهة ثانية حركة فوق العادة في مقر القيادة بسبب انهمالك القواد

ورغم فوزنا في القضاء على هذه العصابة وتوقيفنا معظم افرادها فان حركات الخيانة في هذه المدينة الدائمة الحركة لم تتمطع قط

فالاساعي مبذولة بهمة شديدة في سبيل انقاذ الزعماء من التوقيف وتزوي فئات محتلغة تعمل في سبيل انقاذهم مضحية في ذلك كل مرتخص وغال

واليهود يعرفون مقدار قوة المرأة واهميتها ولهذا استخدموا كل ما في مقدورهم بواسطة النساء لانقاذ هؤلاء الجواسيس الاديباء من ايدينا

الآنسة سيمون

وفي الوقت الذي تمت فيه حوادث الجواسيس اليهود وفي الوقت الذي انتحرت فيه السيدة سارا رأيت ان اشد الرقابة على الآنسة سيمون اذ من يوم كد لي ان هذه الفتاة الجميلة الخلابه لا تكون اكثر خطراً من السيدة سارا خصوصاً وانها كثيرة الاختلاط بضباط ار كان حرب الفيلق الثامن ولهذا اصدرت الاوامر بضرورة الاطلاع على اسرار هذه الفتاة وهذا ما كتبه لنا جواد رفعت بك رئيس الشعبة الاولى عنها

« اعثت الآنسة سيمون هذا المساء بغرفتها اعتناء شديداً حتى من يراها تلك الليلة يعتقد انها عروس تستعد لاستقبال عريسها ، فقد ازدانت الغرفة بالازهار البديعة الخلابه ورصفت الاقداح على مائدة مجللة بالبياض وقد جلست معها جنباً الى جنب وتناولات كثيراً من العرق كما اكدت من الاناشيد العربية التي احبها كثيراً وقد اشفت عاينها من نديجة الافراط في الخمر ونهيتها عنها فقالت :

وايرن الذين اوقفوا في الجاعونة مشددة عليهم الخناق لمعرفة الامرار التي يخفونها .

وقد كان من نتيجة هذه التحقيقات الدقيقة التي قامت بها الهيئتان ان بدأ هؤلاء يعترفون باسماء رفاقهم الجواسيس الذين يشتغلون معهم واقف في «طبريا» انسول وفي «كفر قنه» واينبرغ

وهذه الاسماء التي ذكرنا الان وقبلها هي اسماء رؤساء اليهود الذين كانوا يشتغلون بالجاسوسية في بلادنا .

وقد زاد عدد هؤلاء الجواسيس واتباعهم الذين اوقفوا في مختلف جهات فلسطين على المئات حتى لم يبق في سجون دمشق مكان لهم فاضطرت القيادة والحالة هذه الى وضعهم في مراكز اخرى تحت المراقبة الدقيقة ، حتى ان والي دمشق تحسين بك راجع القيادة العامة يشكو اليها امتلاء السجون هؤلاء اليهود وازدحام كل قطار قادم من حيفا بالعشرات منهم معلنا انه بات يخشي نتيجة هذه التوقيفات المستمرة راجبا وضع حد لكل هذه الامور خوف ان يستفحل الامر و يقوم هؤلاء بالاتفاق مع العرب بحوادث مؤسفة

وقد اُحالت قيادة الجيش الرابع هذه الملاحظة الى قائد الفيلق الثامن جمال باشا الصغير موجبة عليه الاسراع في حل قضية الجواسيس

في الوقت الذي تلقينا فيه ملاحظة والي سوريا تحسين بك التي يشكو فيها من توالي توقيف اليهود وامتلاء السجون بهم كان في سجون دمشق قيد التحقيق ٨٧٣ سجيناً من اليهود اتهموا جميعاً بالاشتراك في حركات الجاسوسية ولكن ماذا كان في امكاننا ان نعمل وحادث توقيف هؤلاء الجواسيس كان في اشد ايامنا محنة وفي الوقت الذي ثار به العرب ضدنا وقاموا بولفون العصابات الثائرة لقص مضاجعنا

ولهذا اعلنا والي تحسين بك بواسطة مرافقه العسكري نامق بك انه في حال الاستمرار على هذه الحركات المشتبها بالخطرة التي تهدد سلامة الجبهة

الخلفية فإننا مضطرون الى اتخاذ تدابير اشد واقوى من التدابير المتخذة حالياً وان سلامة الجبهة توجب علينا حتماً اتخاذ هذه التدابير القاسية

الحالة في دمشق

كانت الشام ساهرة لان هذه المدينة التي هي مركز القواد تشهد في كل يوم حركة نقل الجواسيس ومحاماتهم من جهة وتشاهد من جهة ثانية حركة فوق العادة في مقر القيادة بسبب انهماك القواد

ورغم فوزنا في القضاء على هذه العصابة وتوقيفنا معظم افرادها فان حركات الخيانة في هذه المدينة الدائمة الحركة لم تنقطع قط

فالمساعي مبذولة بهمة شديدة في سبيل انقاذ الزعماء من التوقيف وتزوي فئات مختلفة تعمل في سبيل انقاذهم مضحية في ذلك كل مرتخص وغال

واليهود يعرفون مقدار قوة المرأة واهميتها ولهذا استخدموا كل ما في مقدورهم بواسطة النساء لانقاذ هؤلاء الجواسيس الاديان من ايدينا

الآنسة سيمون

وفي الوقت الذي تمت فيه حوادث الجواسيس اليهود وفي الوقت الذي انتحرت فيه السيدة سارا رايت ان اشد الرقابة على الآنسة سيمون اذ من يؤكدها ان هذه الفتاة الجميلة الخلابه لا تكون اكثر خطراً من السيدة سارا خصوصاً وانها كثيرة الاختلاط بضباط اركان حرب الفيلق الثامن ولهذا اصدرت الاوامر بضرورة الاطلاع على اسرار هذه الفتاة وهذا ما كتبه لنا جواد رفعت بلك رئيس الشعبة الاولى عنها

« اعثت الآنسة سيمون هذا المساء بغرفتها اعتناء شديداً حتى من يراها تلك الليلة يعتقد انها عروس تستعد لاستقبال عريسها فقد ازدانت الغرفة بالازهار البديعة الخلابه ورصفت الاقداح على مائدة مجللة بالبياض وقد جلست معها جنباً الى جنب وتناوت كثيراً من العرق كما كثرت من الاناشيد العربية التي احبها كثيراً وقد اشغقت عايتها من نتيجة الافراط في الحرة ونهيتها عنها فقالت :

— ان وجداني ومعنوياتي غير مرتاحة ولهذا اثر كني هكذا لارى ما
يكون من امري
— كيف يمكن لفئة جميلة جذابة مثلك ان تكون معذبة في
وجدانها ومعنوياتها

— ستعرف ذلك ، ستعرف كل شيء ، ستعرف كم اتا تعب معذبة
قالت ذلك واجهشت في البكاء ثم لما هدأت ثأرتها اخذت تروي لي
حكايتها وليس في امكان المرء مها كان قاسيا ان يسمع حديث حياتها الحزينة
وذكرياتها المؤلمة ويقف هادئا غير متأثر .
ولا انكر انني شعرت باضطراب وآلام محزنة تمزق قلبي وانا اسمع لها
وصف تلك الحياة المعذبة الشقية وقد كنت من جهة اشفق عليها باعتبار انها تروي
لي الامها الحقيقية ومن جهة ثانية كنت متردداً افكر فيما اذا كانت هذه الحوادث
عبارة عن رواية منمطة تمثلها امامي ، ومع هذا فقد كانت الفتاة في هذا المساء ناثرة
القلب تردد كل ما في امكانها قوله ثم قالت :
— ان الله وهبني هذا الجمال الخلاب الذي يسحر الكل لخدمتي ولكنه لم
يعطيني معه حظاً

نعم انني جميلة الا انني فتاة سيئة الحظ مجهولة الابوين وهنا اضطرب جسمها
واصفر وجهها وقالت بضوت مؤثر :
— وقد اكون ايضاً لقبطة
— هدي من روعك يا سيمون
— استمع لي ولا تقاطعني
— انني فتاة لا اب لي وقد اكون لقبطة ومن ثمار الفحشاء ، والذي اعرفه
ان امرأة تدعى مدام راينو قتش التقطتني ورييتني
(المعرب : ان مدام راينو قتش سبدة معروفة في بيروت مع زوجها يديران
اليوم فندقاً في محلة الزيتون قرب مربع الكبت كات)

وقد ربّنتني هذه السيدة تربية حسنة وعلّمتني في القدس تعلّماً راقياً ولم اشعر خلال وجودي تحت ظلها بضيق الحياة أو الاحتياج إلا أنني ما لبثت أن وقعت في سوء والام ، فقد أحبت يروتشتاين وهو نسيب مدام راينوفتش وقد أعرب الشاب في بادئ الأمر عن حبه لي وأنا خلية فتملك حبه من قلبي حتى بنّا مرتبة طين يجب مكين لا يمكن أن يفترقه إلا الموت ولكن الحرب العالمية فرفت بيننا وما كادت أوروبا تدخل الحرب حتى غادر الشاب هذه البلاد تلبية لنداء الجمعية الصهيونية وسافرت عائلة راينوفتش إلى بيروت وبقيت أنا في القدس وهناك بدأ عذابني لأن جالي جمع حولي الضباط الأتراك والألمان الذين أخذوا يحومون حولي وقد عرف مسيو راينوفتش التابع مصلحة الاستخبارات البريطانية تأثيري على هؤلاء الضباط الذين كنت ابتعد عنهم فأمرني بأن اظل على تماس معهم لآتمكن من أخذ المعلومات العسكرية منهم وإعطائه إياها .

وقد حاولت الامتناع إلا أنه ذكرني بفضل علي وأنه سبب حياتي وسعادتي ووجودي ، ثم أخذ يهددني بالموت إذا أنا لم أواصله بالمعلومات فقبلت بادئ بدء قصد اظهار معرفة الجليل والان باتت حياتي بيد غيري وصرت مجبورة أن اتجسس لولي نعمتي والا كان الموت نصيبي

— ولكن لا يوجد حكومة تشكين لها امرك وهل نحن في روهوس الجبال — صحيح ولكنهم لا يخافون الحكومة بل لا يخافون الله نفسه فاذا اراد هؤلاء الجواسيس اليهود التابعين لمصلحة الاستخبارات الانكليزية الخلاص من احد الذين يخونهم لا يخشون احداً ويقضون عليه دون ان يعرف بامرهم انسان

— حسناً ياسيمون ، تكلمي فانا اسمع حديثك

— كن على ثقة تامة بأنني لم اخن هذه البلاد ولم اقم تجاهها بعمل شيء فانا لم اعط هؤلاء الاشخاص سراً ولا معلومات تفيد . نعم انني اجتمعت في

القدس والشام ومصايف لبنان ببعض ضباطنا الاتراك والالمان ولكن كن على ثقة تامة بانني لم افكر في وقت من الاوقات باخذ اي خبر من هؤلاء الضباط ونقله الى تلك الشبكة الواسعة من الجواسيس اليهود . حتي انني احببت احد هؤلاء الضباط . ماذا تريد ان يكون من امر ضابط شاب وفئة فتية جميلة غير ان يتعابا وهي سنة الله في خلقه

— لماذا اخفيت عني كل هذه الامور الى الان هل كنت تشكيني

-- ما كنت لاشك انما اخاف

— ممن ؟

— من كامباس ذلك المصور الموجود اليوم في دمشق والذي يدخل في كل مكان والابهي هو مندوب راينفوتش او مندوب الجاسوسية اليهودية السري في دمشق

— لي سؤال اخر اريد القاءه عليك، فهل في امكانك افهامي علاقتك بياسين بك (المعرب بياسين بك الجايي)

— تعرفت بياسين بك في فندق فاست بالقدس حيث اجتمعنا صدفة في ذلك الفندق. وتعددت زيارتنا وهو شاب لطيف وكنت اشعر بمودة خاصة له واستطلفه الا انه مالبت ان اكثر من ترده علي حتي بات لا يفارقي صباحا ومساء وبتنا في النهاية صديقين

— والان لا يزال يتردد عليك

— الغريب انه بعد ان عرفني بك بات كثير الابتعاد عني حتي انه اصبح لا يرد لي التحية واذا صادفني في الطريق يتظاهر بعدم معرفتي

— والى ماذا تعزى السبب

— ...

ان الآتسة سيمون تعرف تماما ان انقطاع ياسين بك عن زيارتها وتجنبها لم يكن لغيرته عليها ولروايته اباي بجانبها وانما نظرا للحوادث التي بدأت في ذلك

الوقت باكتشاف عصابات التجسس اليهودية وخوف ياسين بك من ان تعرف علاقاته الخاصة مع الآنسة سيمون اذ تبين انها جاسوسة يهودية ، والآنسة سيمون وان كانت تعرف هذه الحقيقة فانها لم تجب الا بالسكوت ولهذا عدلت السؤل وقلت - كيف يمكن ان تنقطع هذه الصداقة الطويلة دفعة واحدة لم تنحري السبب في هذا الانقطاع .

- والله لا اعرف ! انت بدأت في التردد علي وهو قطع علاقتي بي
- هل اعطاك ياسين بك المعلومات التي توافق خطتك

- يعني

- مثلاً الحوادث التي تجري في المعسكر وحر كات قائد الفيلق وار كان حربه وغيرها من المسائل العسكرية الاخرى

- كن على ثقة تامة انه لم يعطني شيئاً من هذه الاخبار . ومن المؤكد لدي ان ياسين بك رجل لا يحب الاتراك وهو يضر في قلبه حقداً لهم وهو لا يبيغض الاتراك فحسب بل يبيغض الضباط الاتراك الذين يشتغل معهم في معسكر واحد وهو وان كان لا يظهر لكم شيئاً من حقه عليكم الا انه قلباً عدو للدود اسكم

- اعتقد يا آنسة سيمون انك فهمت عزم قائد الفيلق الثامن وار كان حربه السفر الى عمان في سفرتهم الاخيرة من هذا الضابط اليس كذلك

- نعم الا انه لم يبحث لي في ذلك عن قصد خاص كما انني لم اسأله بقصد خاص فقد كنا نتحدث فاخذ اثناء الحديث من هنا وهناك يروي لي عن فراغ المعسكر العام قريباً من الضباط وعن سفر قائد الفيلق الثامن الى الجنوب ، الا انه روى لي هذه الاخبار بصورة غير مباشرة وبطريقة لم استدرجه اليها و يجب ان لا يغرب عن بالك ايضاً ان اخاه سقط قتيلاً في هذه الحادثة

اننا لذلك الوقت لم نعين موقف ياسين بك من هذه الحادثة بصورة قطعية .
نعم ان بعض الضباط في معسكر الجيش الثامن وانا منهم كنا نشك في هذا

الضباط (ضباط الامر في الفيلق الثامن) والذي يعتمد عليه قائد الفيلق جمال باشا المرسينلي اعتمادا كليا ولكن لم يتيسر لنا اقل دليل الى ذلك الوقت لاثام الرجل في هذا الحادث الفظيع . والذي كنا نعتقه به ، نحن الضباط الاتراك ، ان الرجل عربي متطرف بمقيدته العربية وعدو لدود للاتراك غير ان هذا الشعور الذي يكنه ياسين بك والذي هو محتمر في رؤوس قبة الضباط العرب لا يكون دليلا يحملنا على اتهاما بتلك التهمة التي قتل فيها اخوه .

والانسة سيمون نفسها التي كان ياسين بك على اتصال بها والتي كنا نظن انه اعطاها هذه المعلومات ونقلتها الى العدو ما كانت بوجه من الوجوه جاسوسة علينا لان اعترافاتها الصريحة الاخيرة التي ارشدتنا بها الى بواطن الامور تدل بصراحة تامة على ان الفتاة لم تعط العدو المعلومات عن سفر الفيلق الثامن ولا غيرها من المعلومات العسكرية

— واعتقدنا ان هذه الفتاة اشتركت بالجاسوسية عن خوف من مربيها ومن بقية رجال الجاسوسية

وقد يكون شكنا في امر الانسة سيمون متوفدا عن وجودها بين ظهرائنا مدة طويلة نتحدث الى ضباطنا وتأخذ امراهم

هذه هي المعلومات التي ادلى بها جواد رفعت بك عن حادثة الانسة سيمون او الامرائيلية الحسنة كما كان يلقبها ضباط الفيلق الثامن ، والحقيقة هي ان الانسة سيمون لم يكن لها اقل دخل في شئون اليهود ومساألهم الاستخبارية فهي فتاة عمومية اثر جم لها بالضباط الذين اخذوا يرتمون تحت اقدامها لواحد تلو الاخر حتى عرفت كيف تستفيد من ورائهم في سبيل اقتناص بضع دربهات امضت فيها خلال الحرب العالمية اياما زاهرة في الوقت الذي كان فيه مئات بل الوف من اتراها يتضورون جوعا في ذلك الوقت ولا يجدون من يقدم لهم احتياجهم

الا ان الفتاة على كل حال كانت امرائيلية وكانت تسعى بكل قواها في سبيل خدمة بني قومها واتقاذهم من وهدة الذل والسجن ولهذا توسطت لدى

الذين جوزي بعضهم وباللأسف العميق بالنقل صابا علي . ظنيتهم واخلصهم
لقضيتهم وقد كانت ادارة اللسان في ذلك العهد بمثابة ناد سياسي عام يرتاده
المشتغلون في القضية الوطنية على اخلاقهم وبينهم فريق من عيون اعيان المسلمين
واصحاب المكانة والوجاهة والفضل منهم كما يذكر ذلك جيداً كثير من الاحياء
في الوقت الحاضر .

ولعل واضح مذكرات الاستخبارات وهم قائد توكي قديم نقر على وتر
الطائفية عملاً بالسياسة التي كانت متبعة في العهد عثماني البائد وهي سياسة التفريق
عن طريق الطائفية عملاً بمبدأ (فرق تسد)

بيد ان تلك المذكرات قد اصابت قلب الحقيقة بقولها ان لسان الحال كانت
تسعى الى غاية خاصة دون ان يكون لها اقل مأرب مادي كاستفادتها مالياً من
الدول الاجنبية . وانها كانت تؤذي رواتب محرريها ن صندوقها في سبيل
خدمة قضيتها مما جعل جمال باشا يحترمها على كونها مخاصمة ويرسل مرافقه
لتعزية ال مر كيس بوفاة صاحب هذه الجريدة في ايلول سنة ١٩١٥ كما جاء في
المذكرات والصحيح ان مؤسس لسان الحال جاور ربه في ايار سنة ١٩١٥
لا ايلول »

كلمة الشيخ فؤاد العازار

حضرة الاديب فؤاد افندي ميداني المحترم
تحية واحترام وبعد فقد قرأت في العدد ٢٠٤٩ من الأحرار الزاهرة الصادرة
في ٢ الجاري جواب حضرة عزمي بك احد ولاية بيروت أثناء الحرب العالمية على
سؤالكم الشفوي المتعلق بقضية رفري الى القطر المصري باواخر سنة ١٩١٧
بمهمة عهد الي بها احمد جمال باشا المعروف والتي بسببها طلب الى الاستانة تحت حجة
دعوة امبراطور المانيا المخلوع له لمناولة طعام الغداء على مائدته الامبراطورية وكان
ان عقب تلك الدعوة بقاءه بعيداً عن سوريا الى نهاية الحرب مما سأورد
تفصيلاته قريباً

ولقد اضحككني نفي عزمي بك لحادثة القبض علي في جنونية كما ضحكتم
لا عارتكم نفيه جانب الاهتمام الى حد انكم صدقتموه وثبتتموه في سياق مباحث
المذكرات التي تعرض بونها الرئيس دائرة الاستخبارات في الجيش العثماني الرابع
والتي بعضها من الاهمية بمكان لتضمنها حوادث تاريخية تزيح الستار عن كثير
من الحقائق التي لم يزل كثيرون من اصحاب الغايات يلبسونها الثوب
الذي يريدون

وفي معتقدي انكم تدركون فوراً ان عزمي بك لم يكن في وسعه ان ياتي
اليكم بغير جواب النفي وانكم انما اثبتتم جوابه لتستفروني الى التعجيل في مناقشة
الحساب في هذه القضية وسواها من حوادث وقعت بيني وبينه . وقد كنت اعد
لها العدة لاثباتها بعد انجازكم ترجمة سلسلة الاسرار التي باشرتوها . اما وقد اردت

ذلك معجلاً فاهلاً يريح من مهب زرود

انني قبل كل شيء ابدى عجبى الشديد من محاولة عزمي بك في واقعة يعلمها
الخاص والعام . وهي مشهورة حتى عند صبيان الازقة في جوبه يوم اعتقالي
وبين افراد الدرك والبوليس الذين كان عزمي بك نفسه قد امرهم بالمكن لي على
الطريق العام بين جوبه وبكركي ومحلة الرامية بعد المعاملتين . ولهذا قرأ
الكثير من الاحياء هذا النفي وهزأوا به لان الحقيقة لا تزال عالقة بالاذهان

ان عزمي بك بتعقبه لي بالذات بواسطة قومندان درك بيروت ومدير البوليس
فيها وبضعة عشر من افراد التحري انما كان يرمي الى تبرئة موقفه السليبي في
المذاكرات التي دارت بين قيادة الجيش الرابع وبين ولاية البلاد العربية يوم
عهدت اليهم المذاكرة بالمهمة التي قمت بها في القطر المصري . واجتمعوا لاجلها
في الشام ونابلس . ووقف عزمي فيها موقف المعارض لاتمام المفاوضات الودية
على يدي لعدم ثقته بي كسيحي . بل ذهب الي ابعد من ذلك بان طلب اعطاء
القرار باعدامي او بتبعيدي الى الاناضول اذ لم ير يومئذ من الحكمة بقائي على الشواطئ
البحرية وفي لبنان بعد اتصالي بالفرنسيين وعرفاني منهم اموراً يجب الحذر منها
على سلامة الجيش في سور بابل لبنان . وقد دار بينه وبين محمد جمال باشا الذي
خلف احمد جمال باشا في القيادة العثمانية العامة في عربستان جدال حاد تدخل فيه
تحسين بك والي سور يا اذ وقف كلاهما في وجه عزمي وعاكسا طلبه المتعلق بي
وعندها خطرت له احدى خططه الشيطانية فطلب ان يعهد اليه و بؤذن له بمراقبتي
- ولكن بلطف وحذر - حتي اذا وقعت بين نايبه متلبسا بجريرة الخيانة
لمصلحه الدولة العثمانية ، على زعمه ، اعدمت او على الاقل ابعدت الى حيث اراد .

وللقاريء ان يتصور مقدار السرور الذي تولي حضرة عزمي بك في تفويض
القيادة اليه ذلك التفويض في حقي وكم بات يضع من الخطط للمراقبة والايقاع
توصلاً من وراء ذلك الى ما هو اثن من عنقي لديه الا وهو ان يثبت للقيادة العليا
في الاستانة ان مقدرته الفكرية فوق احمد جمال باشا ومحمد جمال باشا وسواهما من

القواد العسكريين وانه ادهى في السياسة والحذر من تحسين بك والي سوريا وغيره من عظماء الاداريين الملوطة بهم مصلحة الدولة ، فيكون عند ذلك من مصلحتها ان تعطي اليه — اي الى عزمي بك — سلطة المراقبة العليا على الاحوال العسكرية والملكية في عربستان ولا سيما فيما يتعلق بشؤون الاعاشة العمومية المعهود بها يومئذ الى تحسين بك والي سوريا

وكان اول عمل اتاه من ضروب الرقابة علي ان بعث فاستقدم اليه في بيروت السيد خير الدين عبد الوهاب من طرابلس وقاطبه مراقبتي واحصاء حركاتي وسكناتي في بيروت ولبنان ودمشق وزحله وطرابلس وخير الدين افندي هذا كان في ساعة القبض علي في جنونيه وهو لا يتأخر عن الجهر بهذه الحقيقة مع مساهمة تقدمها من حركات عزمي بك وملاعيه في طريقة تعقبني واعتقالي . وفيها قصة شيطانية لا تصدر الا عن دفاع عزمي بك ساذكرها بالتفصيل في مذكراتي الخاصة التي سأبشر نشرها قريبا .

ولما باء عزمي بك بالفشل ولم يجد ما يستند اليه في بلوغ غايته مني عاد يتظاهر بالثقة الى البكباشي توفيق بك قومندان الشواطي والبحرية اللبنانية يومئذ . علي اني في كل حال احسب الآن لحضرة عزمي بك منة في عني انكاره الحالي لحقيقة ما جرى لانه اخرجني به عن خطة السكوت التي لزمتهالي اليوم علي تشدقات بعض اخساء الذين تنقصهم المقدرة الشخصية فلا يعتقدون بوجود مقدرة شخصية لسواهم تسهل التقرب من كبار اولياء الامور الا الوشاية والتجسس وكل اذاء بالذي فيه ينضح — ولحضرة علي منة كبرى هي ايقافي علي حذر منه في خطته العدائية المريبة التي ظهرها نحوي في مواقف كثيرة اراد اتخاذي بها سلما للوصول الي تعليق رقاب الكثيرين من اهل البلاد . ذلك الموقف الخطير شاهد بعضه و يشهد به طبعا سماحة الشيخ محمد الجسر يوم دخل علي مكتب عزمي بك في سراي الجديدة التي هي اليوم دار الانتداب وكنت فيها منفرداً مع عزمي بك وهو يرغي ويزيد النار تقدح من غيبه الي حدانه او عزالي سماحة الشيخ بالخروج من ناديه بالفاظ

احتكرها عزمي لنفسه . ثم هجم على محمود العجوز يصفعه مثني وثلاثا ثم مكينه
الشيخ محمداً من الدخول علينا وهو في تلك الحال من الوعيد والانداز يرجو أن
ينتزع قسراً من صدري بعض معلومات تتعلق بعلاقة الحلفاء مع أبناء البلاد
ان في مفكراتي كثيراً من مدمشات الوقائع ارجي نشرها الى ان ينجز
تعريبكم لسلسلة المذكرات التي وضعها رئيس دائرة الاستخبارات الذي كان لي
ولا ريب محال الصلة والتعارف بحضرته . واعتقد انه لن يهمل ذكرى في
مذكراته هذه . لانه ان كان هو من عرفت بصفة رئيس دائرة الاستخبارات
في الجيش الرابع في الجلسة التي استدعيت اليها رسمياً عندما كنت قائمقام الكورة
سنة ١٩١٦ وكان الحاضرون فيها على منيف بك المتصرف يومئذ . ووحيد بك
قوماندان الدرك ورضا باشا قوماندان منطقة لبنان العسكري وادهم بك رئيس
الديوان العرفي في عاليه وملحم بك حماده احد أعضاء ذلك المجلس فهو سيد كر
ما دار بيني وبينه مما اترك البحث فيه مؤجلاً الى الاتي القريب
وتفضلوا يا حضرة الاديب بقبول فائق احترامي
فؤاد العازار

رد عبد الرحيم بك النصولي

ما «الاحبار» في هذا البلد الا حديقة ادب غناء غنية بما تحمل بين صفحاتها من روائع النظم والنثر وكل فريد وغريب من حوادث الماضي والحاضر والطف ما تقع عليه العين تلك الحوادث التاريخية التي يعنى بتعريبها الاديب المعروف السيد فؤاد الميداني والتي كان لها الوقع الجليل في نفوس القراء وخصوصا الذين اشتهر كوا شخصيا او اطلعوا على هذه الحوادث ومعظمهم احياء . يزقون الا ان ما يعكر عليهم صفاءهم تشويه بعض الحقائق التاريخية عن قصد او غير قصد حتى تكاثرت الردود من بعض السادة الذين وردت اسماءهم في تلك المذكرات ولقد احببت كثيراً وانا من الذين عاشوا طيلة الحرب في مقري الفيلق الثامن والجيش الرابع وقد رأيت من الوقائع في منطقته ما يحمانى على ان اصحح بعض الحوادث التاريخية على ضوء الحقيقة التي لا يمكن دحضها وخصوصا لانني كنت ملحقا باركان حربية الشعبة الاولى وهي التي تفرع منها شعبة الاستخبارات والمراقبة وسواها . وهذا ما يجعل لكامتي قيمة تاريخية . لان المذكرات التي تعربونها قد اطلعت على حوادثها وعرفت معظم اشخاصها . ولكنني كنت اؤثر ان تتم الترجمة وان اعرف اسم المؤلف لكنني وصلت الى نقطة لا يصح السكوت عليها . وهي التي اشرت اليها في اعدادكم الاخيرة والتي لها علاقة بشاب من خيرة شباننا علما وارقيا واخلاقا واخلاصا . وله صفحات مجيدة من الاعمال الانسانية في اثناء الحرب العمومية يعرفها الكثيرون من ابناء الوطن كلها تدل على شهامة وشجاعة نادرين واخلاق كريمة فاضلة ولقد قدر فيه جميع

روء سانه مزياه الساميه فاسندوا اليه ادارة اركان حريه الشعبه الثانيه وهي التي تسيطر على القواد والضباط والجنود . فكان كبار الضباط ينظرون اليه بعين الحسد والغيره .

لم يمر يوم الا وكنت استنجد به لدفع دسيه تحاك ضد كرام العائلات او لدحض وشايه يقدم عليها جاسوس لثير ومساعده الشبان المتجندين والمسجونين الا برىاه فكان يهب لمناصرتهم و يبذل جهوداً جبارة لاعانتهم .

هذا هو ياسين بك الجايي كما عرفته اثناء الحرب العظمى وكما عرفه كثيرون ممن كانوا متصلين بالفيلق الثامن المسيطر على مقدرات سوريا وفلسطين ولبنان فلاغروا اذا رأينا من يدعي بانه كان مدير الاستخبارات فيلوث سمعته النقيه بناء على تقارير الضابط جواد رفعت بك المغلوطة في مواقع شتى حتى انه يغلب على ظني بان معظم تقاريره مبنيه على الخيال والسمع وبرهاني على ذلك ما سأبسطه في الاسطر التاليه :

ان شعبه الاستخبارات هي فرع من الشعبه الاولى في الاركان الحريه . كان يرأسها في الفيلق الثامن القائد احمد دورمش بك وليس احمد دورمن كما ورد خطأ في المذكرات وكان يعاونه ضابطان احدهما يدعى رشدي بك والثاني هذا الداعي . وذلك اثناء الحوادث التي اتت على ذكرها وبما ان معظم ما عر بتموه لم يكن مطابقا لما جرى كما يعرف ذلك كل مطلع على الحقائق اتيت راجبا تصحيحه ليقى كتابكم درسا تاريخيا خليا من الاغلاط تستفيد منه الاجيال القادمه

اكتشاف الجاسوسيه -- لم يكن اكتشاف الجاسوسيه من بنات الصدف بل بناء على تعليمات مريه وردت من المقر في الجبهه الالمانيه الى قيادة الجيش الرابع قسم (الاستخبارات الالماني) وذلك بعد القاء القبض على بعض الجواسيس اليهود في فينا عامه النمسا حيث كانوا يسكنون في نزل (اورباوتيل) واقعد اعترفوا بان لهم فرعا في فلسطين عندئذ شددت المراقبه واتت بالتائج التي تفضلتم بتعريبه

ساره ارانسون — انني كنت مثلكم اترجم لجمال باشا قائد الفيلق الثامن دفتر صغيراً «نوت» وجد بين البسة السيدة ساره ارانسون وفيه تفصيلات كثيرة عن رحلاتها في منطقة الجيش الرابع بوثيقة رسمية معطاة لها من اخيها المسيو ارانسون الذي كان وكيلاً وناظراً لمزارع روتشلد في المستعمرات اليهودية ولقد قدم الى جمال باشا الكبير في لوكندة فكتور يا في دمشق وذلك حينما انتشر الجراد في سور يا وفلسطين الجواجا ارانسون عالماً ومزارعاً كبيراً عهد اليه بمهمة اباداة الجراد وسمح له بانتخاب من يريد من الجنود اليهود لمساعدته ولم يدر بخلفه انه يخاطب اكبر جاسوس وكل له مهمته فهاك من حول الجيش شبكة للجاسوس انتخب رجالها من ذوي انهاء فانتشروا حينما انتشر الجراد فارتدوا بحكم الوظيفة البسة الجنود وكانت تحاربهم لا تراقب لانها تابعة لمصلحة الجيش الرابع ، ثم فرز جل الى سويسرا بطريق الاستانة وبعده افضح امره ، هــذا ما عرفناه من الجاسوس بلكند وليشانسكي اللذين اعدما في دمشق .

ولقد كان دفتر ساره ارانسون يضم تعليمات كثيرة افادت الاستخبارات فائدة كبرى دينها مدير هذه الدائرة يؤكده انه لم يعثر عندها على اية وثيقة ولقد اعمل ذكر الدفتر الصغير ذي اللون الخري الذي اثار للمحققين طريقهم كما اهل ذكر هذا الحادث الهام

مقتل ساره ارانسون — وهناك حادث اهم واعظم يذكره كل من كان يسكن في عتيت وزمارين وضواحيها وهو مقتل ساره ارانسون التي يقول مدير الاستخبارات انها اُقت بنفسيها من نافذة القطار وتحطمت الخ .

انما الحقيقة الثابتة هي : انه بعدما بقي القبض عليها التهمت من بونس حيدر بك قائد فرقة الناصرة وكان اذ ذاك مع جمال باشا وباسين بك و خليل رفعت بك وسواهم من الضباط في منزل مختار قرية زمارين . التماسا ان تذهب لجمع البسة استعداداً لسفرها الى سجن الناصرة فامروا الملازم ايوايم بك بمرافقتها مع كوكبة من الجنود . وسمح لها بان تبديل البسة

ولما انفردت بغرفتها أطلقت على نفسها ثلاثة عبارات نارية اصابتها في رأسها وفهما
فامرغ الحضور لتضميد جراحها وخف على الاثر الضباط المشار اليهم ، فلما وقعت
عينها عليهم ادرتهم بقولها : « انني اسفة لان الرصاصة الاولى لم تقض علي . انا
كل شيء في القضية وليس لسواي دخل فيها . ووصيتي الوحيدة هي ان لا
تمسوا والذي المسن العاجز بسوء . ولقد نقلت الى المستشفى وفاضت روحها
بعد ثلاثة ايام من انتحارها

فاين هذا الحادث من ادعاء مدير الاستخبارات بانها القت بنفسها من القطار
وماتت على الاثر

ان الذي القى بنفسه من القطار هو رجل من زمرة جواسيس عتليت
والثالث شقن نفسه في سجن الناصرة بجزائه الجلدي الاول من عائلة شواردة والثاني
لا اذكر اسمه

الآنسة سيمون — اما بيت القصيد او بطلنة الرواية الآنسة سيمون التي
تغزل بها ضابط الاستخبارات ما شاء له الهوى ثم رمى الضابط ياسين بك بلا اثم
ولا حرج بشباك غرامها (ياتمر بأمرها و يقيم الدعوات لرفقائه و يدعوهم لتمضية
السهرات وارتشاف كوء وس الانس عندها وتحت رعايتها) هي اولا ليست
سيمون كوهين بل سيمي بسماخ كما يعرفها كل اهالي القدس واصلها اسباني
من باغادور .

لقد غلط الصديق جواد بك ليس فقط باسمها بل بتصويره ياسين بهذا
الضعف وهو الضابط الذي كان ينفر من كل اجتماع من هذا النوع لانه كان
يراقب بشدة من قبل رؤسائه وخصوصا لانه كان يحمل مفتاح البرقيات الرقية
(الشيفره) وهي حياة الجيش و بيت اضاراه وكان يتبعد عن كل اجتماع فيه
عبث ولهو حتى انه كان يمنع سواء من ارتياده
وفضلا عن ذلك فلقد كان صلبا في دينه متينا في عقيدته لم يتناول في حياته

مسكراً بينما الضباط كانوا يغرقون في الدعوات و يسرفون في مشربهم
وماكلهم . ولقد سافر على صهوة جواده ، و كنا اذ ذاك في بئر السبع ، فحضر
من القدس الى عين هجرة ومنها الى المقر صائماً حتى ان القائد لامله والضباط
ضحكوا لشدة تعصبه فقال لهم : هي عادة الفتى ، وعقيدة احب المحافظة عليها .
فرجل هذه اخلاقه ومكانته هل ينزل الى حب سيمون او سواها وهو لم ينزل هذه
المنزلة عند رؤسائه الا بمحافظته على آدابه وقيامه بامانه على واجبه كما يعرفه حتى اليوم
كل من عاشره واختبره

اما حقيقة الآتية سيمي او سيمون كما يدعوا المؤلف فكان المعروف عنها
انها صديقة لبعض كبار الضباط في القدس ولذلك وضعت تحت المراقبة وارسلت
الى الشام فاقامت بدم مكوس بالاس (كما يعرف اصحابها حتى اليوم وتزوجت
بعد الاحتلال من ضابط بريطاني تعيش معه في القاهرة وهي لو سئلت لاجابت بانها
لم تهوى سوى الدرام ولم تحب الا اكثر الضباط كراما واكبرهم مرتبة

كانت نساكن امها وشقيقتها في شارع (ما هنا لودا) في القدس . ولم تكن
لقبلة او ربيبة لمدام (راينو قتش) بل هي كانت تفاخر بجماعها وتباهي باصحابها
الاسباني واوراق هويتها وشخصيتها كانت محفوفة في شعبة الاستخبارات . ولقد
كانت تقوم بدور سمسارة تنقاضي من الاهالي اجرا لقاء خدمات تقوم بها ومساعدات
تجمل الضباط على بذلها في سبيل الذين تلتبس لهم مكانا امينا في الجيش او
المستشفيات من المتجندين حديثا او اخذ وثائق جلب الاعاشة وما شا كل

والظاهر ان معظم تقارب العزيز جواد بك مستمدة من خياله الخصب ولو
كانت تقدمت تقارب من هذا النوع ضد ياسين بك او سواه لكان على الاقل
جوزي باعباده الى الجبهة الجنوبية . والحال ان ياسين بك بقي يشغل وظيفته في
الفيلق حتى استشهاد المرحوم اخيه الباور الباسل حسن بك ثم نقل الى معية عوني
باشا في المنزل العمومي ملحقا باركان حربية الشعبة الاولى ثم التحق باركان

حرية جيش الصاعقة وهناك سقط اسيراً . انني اؤيد ياسين بك فيما ذهب اليه من ان واضع المذكرات لم يكن يوماً مديراً للاستخبارات في مقر الجيش الرابع لانني كما قلت في هذه الدائرة في الفيلق الثامن وكان رئيسها احمد دورمش ثم نقلت الى مثل هذه الوظيفة في الجيش الرابع وكان رئيسها شمسي بك هو اليوم اميرالاي ار كان حرب ورئيس المدرسة الحربية في الاستانة والحوادث التي صححتها مبنية على الوسائق والمستندات الرسمية التي كانت محفوظة في شعبة الاستخبارات بدائرة ار كان حرية الجيش الرابع

جواد رفعت بك صاحب النقرير - عرفته حينما نقل من الفرقة الـ ٤٣ العسكرية في عاليه الى مقر الفيلق الثامن ومكثنا سوية في مقر الجيش الرابع حتى الاحتلال . فهو شاب متحمس ذكي واديب و يعد بين طبقة الكتاب الراقين لذلك كانت دهشتي عظيمة لارتكابه مثل هذا الشطط في مذكراته . وابي الان ان يؤيد اقوالي بجملته للحقائق فلقد وصاني منه منذ يومين فقط عدد من مذكراته يقول : « اتانا يوماً شاب اتى الملبس حسن الهندام يدعى الامير يوسف ابو الملع من قرية بكفيا في لبنان ولما علمنا ان هذا الشاب العربي الاصل لديه معلومات يريد بيانها قبلناه ولقد اعتقد هذا البك الدرزي اي الامير يوسف ابو الملع ان اخبار القيادة بامور تتعلق بالجيش شهد وقائعها بنفسه هو عمل شريف . فتحمل مشاق سفر طويل وانفق مصاريف كثيرة حتى وصل الى دمشق والبكم ماله : ذهبت الى جونه لبعض الاشغال فسالني صاحب النزل الذي اقمته فيه المسمى « نسان » (كذا) من اي البلاد انا ؟ ولما علم باني لبناني ظن انني مسيحي وطلب مني معلومات عن الجيش الخ .

لو كان لجواد بك الذي يحرر هذه المذكرات كوثائق تاريخية اقل المام بمعرفة هذه البلاد لكان على الاقل يعرف ان عائلة ابي الملع الشهيرة هي عائلة مسيحية ولعلم بان محدثه محظي ، ولو سألنا الامير يوسف نفسه لانكر هذه التهمة التي وجهها اليه جواد بك في جريدته

والحاصل لقد رأيت بعدما استشهد بي الاخ يس بك الجابي بوده ان الواجب
يقضي بارسال هذا التصحيح خدمة للحقيقة والتاريخ . كما واني عاتبت جواد بك
على اقتزائه ولست ادري بماذا سيجيب ولكن كل ما ا قوله ان الرجل الذي دافع
عن كرام اهل هذه البلاد وكرامتهم خالق بان تحترم كرامته وتصف
سميته السلام

عبد الرحمن نصولي

٩ اذار سنة ١٩٣٣

رد ياسين بك الجبالي

دمشق في ١٧ شباط سنة ١٩٣٣

حضرة الاستاذ الفاضل رئيس تحرير الاحرار الغراء المحترم
تحية واحتراما وبعد فقد نهني بعض الاخوات منذ يومين الى هنا تتضمنه
المذكرات التي تنشرها جريدتكم من الحديث المغلوط عني ، وقبل بيان عورات
هذا الحديث اري حقا علي ان اشكر ناقل تلك المذكرات الى العربية لعنايته
بإذاعتها على الناس قبل ان يطوي اللحد حياة الذين شوهت من سيرتهم او حياة
معاصرهم وبذلك فقد فسح المجال لتصحيح حقائق كان يحتمل بقاؤها مشوها لولا
عمله المذكور

ويوسفني اني لم اتابع المذكرات من اولها لاعرف صاحبها من اسمه ان
كان قد ذكر او من بين طبقات اسطره ان كان لم يذكر فان معرفته ذات شان
كبير في تفنيد مزاعمه واستجلاء مقاصده وما يوصف به في اعلى الحقول اليومية
من المذكرات بانه رئيس الاستخبارات في الجيش الرابع لا يكفي لتعيين شخصه
اذ لم يكن يومئذ موظف معين يحمل هذا اللقب على ما اذكر . والذي استطعت
تاكده من قراءة الفصول المنشورة في الاعداد الاربعة الاخيرة هو ان صاحب
المذكرات اما ان يكون متحلا صفة العارف المطلع على بواطن الامور واما ان
يكون متعمداً الخداع والتضليل لغاية في نفسه اذ لولا ذلك لما وقع فيه من الاخطاء
الفاضحة التي كان لا يزال يعرف صحتها عدد وافر من رجال ذلك العهد وموظفيه
فالسفر المشؤوم الذي استشهد فيه اخي المرحوم حسن لم يكن معلوما امره

لدى احد من موظفي سور بالا في الجيش الرابع ولا في الفيلق الثامن ليلظن بان

ان ينتشر الخبر و يتلقفه الجواسيس من احد في سهرة او زيارة
ولم اكن تلك الليلة في حفلة او سواها بل كنت حين ورد الامر في مقر
الفيلق اقوم بواجبي وقضيت الليل في تشاحن مع المرحوم اخي فيمن يجب ان
يسافر منا اذ كان في دور النقاهة من مرض الم به و كنت ارى صحته لا تحمل
ذلك السفر الشاق ولولا استعانتة بجمال باشا لما تركته يسافر ابدا

اما التعرض للقطار فقد كان مديراً على ما عرف بعدئذ لقطع المواصلات مع
القدس على ذلك الطريق و يكاد يكون موء كدأ ان مهاجبي القطار لم يعدوا
بوجود ركب الباشا فيه الا بعد مروره بدرعا وحصول الاستقبال الشائق له فيها
كذلك فان المرحوم اخي لم يذهب ضحية نفس القطار مباشرة ولكنه
استشهد اثناء الملحمة التي حصلت بعد الانفجار بين المهاجرين و بين ركاب القطار
وواضع المذكرات يغفل ذلك بتاتا و يزعم انه لم يحضر بعد الانفجار الا بدويان
قتل احدهما واخذ الاخر اسيراً وهذا من الغرابة بمكان

ومتى عرفنا ان الحادث كان على هذا الشكل امكننا ادراك الاختلاق
العجيب الذي بنيت عليه الفصول الموضوعه حوله و كنت في غني عن التعمق
في الرد على كل نقطة من نقاط تلك الفصول وعن الاستشهاد بالموجودين من
رجال ذلك العهد مثل المشاور العدلي يومئذ خليل رفعت بك النائب العام حالياً في
دمشق وقائد موقع دمشق محمد علي بك وعبد الرحمن بك النصولي الموظف في
الفيلق الثامن والوجيه المعروف في بيروت وغيرهم كثير .

ولا اريد الاسهاب في نفي ما يصفني به واضع المذكرات من التعلق بحياة
المرح والاهو فان اخواني يعرفون الحد الذي ركب عليه طبعي ، هذا عبدا ان مثل

تلك الحياة تحول دون بقائي والمرحوم أخي في المركز الذي اشغلناه في الفيلق الثامن في زمن اشتدت فيه النعمة على أبناء العرب بحيث كانت الاوامر تنري بين آونة واخرى بلزوم ارسالنا الى الجهات القاصية فلم يكن لنا من شفيع الا انصرافنا الى العمل وحرصنا على واجبنا مما نال اعجاب جمال باشا الصغير قائد فيلقنا وجعله يدافع عنا حتى الزمن الاخير كما هو معلوم لدي الجميع .

وعلى الرغم مما اختصني به واطمع المذكرات من العطف المتجلي في نفيه الحياة عتي وتحربه اثبات حسن نيتي اجدني مضطراً للتعجب عليه لما نسبته الي من الاعمال التي لا تتعادل نسبتها مع دفاعه معها كان مخلصاً ومجيداً .

وليت صاحب الكتاب الذي اشار اليه حضرة الناقل في عدد يوم الجمعة يظهر نفسه لناقشه فيما ذهب اليه من تأييد المذكرات وازياده من الحجج الراضة ان كان يرغب بعد هذا البيان من مزيد

وما كنت احب اثاره هامة المذكرات الموجهة وانكن الحقيقة تتطلب منا مناصرتها ولو بايلام نفوسنا ومن اجل الاجيال المقبلة فارجو نشر بياني في اول عدد من جريدتك الغراء ليطلع عليه قارئوا تلك المذكرات ولكم الشكر ومزيد الاحترام .

باسين الجاني

مقال للمغرب في الاحرار

اطلعت في « الاحرار عدد يوم الاثنين في ٢١ تشرين ثاني سنة ١٩٣٢ على المقال الذي بعث به حضرة الامير شكيب اربلان الى رئاسة التحرير وادرج في الجريدة دون اطلاعي عليه ولذلك اعود اليوم واقول ا
بدأ حضرة الامير رده بقوله « وقد رأيت في هذا الكتاب خطأ كثيراً مما يتعلق بالحوادث التي انا مطلع عليها تمام الاطلاع ولم اعجب من ذلك لان مهمة مثل هؤلاء انما هو سوق جميع الاخبار ونقلها بدون تدقيق ولا تمحيص الخ »
وحضرة الامير يخطي كثيراً في هذه المقدمة لاسباب :

اولها - ان المؤلف في سرده الحوادث كان يذكر الاسماء والتواريخ وقد تكلم عن مئات من ابناء هذه البلاد فروي الوقائع مع ذكر الاسماء . كنت عند ما اقبل احد هؤلاء الذين ورد ذكرهم بصادقون على ما ذكر حتى ان بعضهم راجع مفكرته فوجد ان اليوم والتاريخ الذي عينه المؤلف هو اليوم والتاريخ المذكور في مفكرته ولهذا لا يصح ان يقال « ان في هذا الكتاب خطأ كثيراً ثانياً - ان ما ذكره مؤلف في صدد مساعدة الامير شكيب اربلان والمرحوم كامل الاسعد لاجد جمال باشا فانه مثبت بمذكرات جمال باشا المرسني في الصفحة ٢١٧ ابتداء من السطر العاشر ، وفي مذكرات علي فود باشا منذ الصفحة ١١٢ ، وفي مذكرات احمد جمال باشا نفسه في الصفحة ١٨١

ثالثاً - اذا رجع حضرة الامير شكيب اربلان الى الصحف الصادرة في بيروت في اواخر عام ١٩١٥ وجد فيها ايضا بعض هذه الحقائق وحضره الاستاذ

محمد الباقر صاحب جريدة البلاغ في قيد الحياة وفي امكانه ان يطالع لنا اعداد
البلاغ الصادرة في ذلك الوقت وياتينا فيها بما يؤيد هذه الرواية
لا نتهم الامير — لم اكن من رجال ذلك العهد لاجادل الامير في رواياته
هذه ، كنت حديث السن .

واست هنا في صدد الدفاع عن المؤلف وهو صديق لي ، حديث ، وصديق
قديم للامير ، ولا في صدد احول معه اتهام الامير في مسائل هو براء منها وانما اقول
ان الالوف من قراء هذه المذكرات يوافقون على ما فيها ولم احد من يكذبها
الا الامير فلماذا ؟ .

لقد قابلني بعض اصدقاء الامير شكيب ارسلان في بيروت وسألوني لماذا
احمل على الامير شكيب ارسلان في المذكرات التي اعر بها فاجبتهم .
— لا اعرف الامير ولا هو يعرفني وليست بيننا عداوة لا شخصية ولا
حزبية وانما اعرب هذه المذكرات باخلاص وامانة ، واعتقد ان المؤلف نفسه قد
نقل وينقل ايضا ما يعرفه بامانة تامة لاننا نراه ينقل سائر الاسماء فيشير الى سيئة
الاشخاص وحسناتهم فهو قد دافع عن فرانكو باشا بقوله انه كان مخلصا لامتيازات
لبنان ، ودافع عن المثلث الرحمت غبطة البطريرك الماروني ، وأشار الى الادوار
التي تخللت قضية الغاء امتيازات الجبل فلماذا دافع عن هؤلاء وقال عن الامير
وكامل بك الاسعد انها ساعدت جمال باشا ، وعن الشيخ اسعد الشقيري بانه الواسي
على القافلة الاولى من ابناء البلاد وشهدائها فهل كتب ذلك لغرض ؟ .

ثم ان الامير يقول في دفاعه (افي لما انتدبت ١٢ رجلا من جماعتي وذهبت
بهم عن طريق معان الى قلعة النخل فالترعة لم اكن اقصد استرضاء جمال باشا
ولا كان هذا الامر هو الذي يهمني وانما كنت انا والمرحوم كامل بك الاسعد
وغیره من زعماء البلاد والمئات والالوف وعشرات الالوف تخدم في ذلك الوقت
دولتنا وملتنا ونحرص على ان لا تطأ ارضا الاجانب الخ . .) .

ونحن لا نريد ان نجابوب على هذا الدفاع باقوال مؤلف هذه المذكرات بل

بما ذكره جمال باشا في مذكراته في الصفحة ١٨٣ حيث قال :
 جاءني في أحد الأيام اسعد الشقيري وبحث معي في بعض الأمور المفسدة
 التي ظهرت في سوريا وقال ان في امكاني التعرف الى الحقائق لو استدعيت الي
 كامل الاسعد ، فابرت اليه فوراً وبعد يومين كان عندي في القدس وهو الذي
 قال « سولاي انكم تظهرون اعتماداً زائداً على هؤلاء الاصلاحيين وتتركونهم
 احراراً في البلاد وانا اخاف من ان يسيء هؤلاء استعمال هذه الثقة فنائب بيروت
 الساق رضا بك الصلح يعمل مع عبد الكريم الخليل لاشعال نار الثورة بين
 صيدا وصور واذا بادرتهم فوراً الى اجراء التحقيق ظهرت لكم الحقيقة الناصعة
 وادركتم خيانه هؤلاء ، وقد ايد الامير شكيب ارسلان اقوال كامل بك فيما
 تقدم الخ ٠٠ » حرفياً — الا يرى حضرة الامير في هذا القول خيانه ؟ فجمال باشا
 يتهم كامل بك بالسعاية ضد القافلة الاولى من شهداء البلاد وان ذهابه بالمتطوعة
 للقتال كان في آف وهذه المقاتلة وقعت في حزيران فما راي حضرة الامير بذلك ؟
 ولماذا لم يكن عليها وقد قال جمال باشا ان الحديث جرى بحضور الامير

يحصصر حضرة الامير رده على الفقرة الصادرة بالعدد ١٩٩٨ من « الاحرار »
 القائلة « بان احمد جمال باشا راغب في الغاء امتيازات لبنان يظهر فيها ان اللبنانيين هم
 الراضون ولهذا قام اعوانه يهدون له السبيل . ففي الوقت الذي كان فيه الامير
 شكيب ارسلان يعمل على استمالة الدروز الى جانب الباشا الخ ٠٠ » والامير في
 رده ينفي ذلك ويستشهد بدروز لبنان البالغ عددهم خمسين الفا وهو في شهادته
 على حق لان دروز لبنان لم يرضوا بهذا وهو ونفوذ واموال الدولة لم يتممكن
 الا من جمع ١٢٠ متطوعاً وهذه حقيقة اثبتتها مذكرات علي فواد باشا في الصفحة
 ٨١ ومذكرات المؤلف ومذكرات احمد جمال باشا نفسه

ثم ان الامير يبرر موقفه بقوله « ولقد اتيت في رسالتي السابقة على ذكر
 التقارير التي قدمتها لطلعت وانور بشأن بقاء امتيازات الجبل واستشهدت ايضا
 علي منيف بك » نعم ان الاحرار ذكرت ذلك الا ان الامير لم يرسل نص

هذه البرقيات او بعضها لتؤكد كدها دفاعا عن الحقيقة

امثلة تريد جوابها — هذا ما رأينا ان نقوله بصدد دفاع الامير شكيب
ارسلان عن فقرة واحدة وردت بحقه في العدد ١٩٩٨ ونحن كلبنايين نريد
من وراء مررد هذه الحوادث ونريد ان نعرف المناقضة بين قول الامير «ولم يعرف
هذا المسكين ان صليتي بانور باشا ورجال الدولة انما كنت احرص عليها
لاستعمالها في المحافظة على ابناء وطني وصيانة حقوق بلادي» وبين قول المؤلف
يا حضرة الامير «المؤلفين الاتراك يهتمونك بانك كنت عاملا على توطيد
نفوذ احمد جمال باشا مساعداً له في الغاء امتيازات لبنان
ان المؤلف في العدد رقم ١٩٩٩ يقول بعد ان يصف مساعي كامل بك
الاسعد ما نصه :

ان الامير شكيب ارسلان فقد كانت مطامعه اعم فهو يريد ان يكون
المستشار الاول لجمال باشا لسكي يصبح السيد المطلق على مواطنيه ما دام غير قادر
ان يكون حاكم الجبل او اميره وكان له شيء من النفوذ الموقت الذي احرزه
لدى جمال باشا وقد خدم في الوقت نفسه اخاه الامير عادل ارسلان الذي كان
مراقبا بسيطا على التحارير في ادارة بريد بيروت . وقد ادى لنا في الحقيقة خدمات
جلي في هذه الوظيفة التي توجب عليه قراءة كل تجرير يرد او يصدر واطلعنا في
ذلك باخلاص بشكر على كل الامرار التي وردت له في التحارير عن مواطنيه
وكان من جراء ذلك ان جمال باشا ولاء قائمقامية الشوف عقب تعيين منيف بك
في المتصرفية . فما رأي الامير بذلك ؟

ان فرائكو باشا رفض المتصرفية وسليمان بك رفض الحاكمية التي عرضت
عليه كي لا يفرط بامتيازاته الجبل
فكيف رضي الامير عادل ارسلان ان يكون موظفا بسيطا في ادارة
عثمانية مهمتها «تفتيح» المكاتب ؟

فؤاد ميداني

رد الأستاذ شبلي بك صوط

حضرة مدير جرادة الأحرار الغراء المحترم
ينبغي اليوم صباحاً احداً صحياناً الى الكلمة التي تناولني بها السيد فؤاد
مبداني معرب خفايا تاريخ العصر الحديث في نشرة «الأحرار» الصادرة امس
لجنة فاطمت عليها وكادت «الأحرار» باستنكارها ما حوته تلك الكلمة من
التحامل تكفيني مؤونة الرد عليها ولم اشعر ان ذلك القلم الذي يدعى انه قلم
استخبارات في الجيش الرابع قد استقى اخباره من مصادر محلبة لا يصح الركون
اليها لفرط ما يعتور رواياتها من النقص ومقصور حيناً ومن التصحب والموجدة
حيناً آخر وهو الامر الذي يبرأ منه خدمة التاريخ المحققون اذ ان للتاريخ منطقاً
جزلاً ووتيرة مثلي لا يجوز معها الاسترسال للهوى وحزازات النفوس من اجل
ذلك ترعى المؤرخين الامناء في سرد الحوادث وذكر الاشخاص اذا كتبوا
اوردوا الحقائق بريئة من التزويق والطلاء واحاطوا بها من جميع وجوها والا فها
الفرق بين التاريخ والشعر وبين الخيال والحقيقة . على ان ذلك كله موقوف على
نزاهة المؤرخ وسعة علمه واطلاعه وتوجيه الصدق وعدم الاستسلام الى النفسيات
ومن المأسوف له ان الكلمة التي خصني بها واضع الاستخبارات في الجيش
الرابع لم تكن منطقية على شيء من القواعد التي ذكرتها بل رأيت خضرة
الواضع يخطأ خطاً في مغالطه حتى لبشر القاري . انبىه أنه ومخبريه لم يتمخضوا
بتلك الكلمة رغبة في خدمة التاريخ وجلاء الحقائق .

من ذلك قولهم وهو لا يدل على شيء . من التدقيق ان جمال باشا عيني مديراً
للقلم العربي والحقيقة المسجلة هي انه لما احبل المرحوم خليل بك الخوري على التقاعد
عهد الي وكيل متصرف لبنان وقتئذ حليم بك بصفتي باشكاتب ذلك القلم ان
اتولى ادارته وهو امر بدعي لا جميل فيه لزيد او لعمرو ولا يحتاج الى الاستعانة
بجمال باشا الذي لم يكن يتدخل بالتعيين ولا الى تلك القرعة التي لجأ اليها واضع

تلك الاستخبارات وزعم اننا لاجل ذلك ملأنا الارض والسماء قصائد من
الشكر وهو ومن لف لغه لو استقروا الحقائق اعلوا انه لم يكن يوجد واحد ذو
شعور في جبل لبنان يزاحم او يخطر بباله مزاحمة المرحوم خليل بك على وظيفته
ومثل هذا الامر يعلمه الذين رافقوا حكومة لبنان القديم حقيقة كالامير فائق
شهاب مثلاً والكولونيل الشيخ خليل الخازن ووديع عقل صاحب الراصد وغيرهم .
ثم ذهب واضع تلك الاستخبارات الى ما يدل على عدم التدقيق ايضاً وهو
ان الدولة العثمانية عشت بامتيازات جبل لبنان في الحرب والحقيقة ان تلك الامتيازات
خلا الوجهة العسكرية ومنصب المتصرف وبعض الوظائف لم تتعرض لها الدولة
بدليل ان شعبة اخذ العسكر في بيروت لم تكن تتحرش بلبناني يحمل وثيقة
لبنانية من مجلس ادارة لبنان وكانت اذا تعرضت للبناني وثبت لمنصرف لبنان
التركي انه لبناني ومعه وثيقة ابي تسليمه الى الشعبة المذكورة وقد وقع من هذا
القبيل عدة حوادث . ثم لم تضرب الدولة ضريبة ولا عشرت ارضاً في لبنان ولما
جرى البحث حول هذا الموضوع في مجلس النواب العثماني قامت البقية المتحركة
في لبنان فتحتج وفيما اذكره ان متصرف لبنان اسماعيل حتي اوقفني عن تكملة خطابي
الاحتجاجي على فكرة الاعشار في احدى حفلات الحكومة اللبنانية الرسمية .
و كنت اود لو ان المشتغلين بوضع تلك الاستخبارات اكثر ندقياً
وتحقيقاً لا اذ يشوهوا وجه الحقائق ويفقدوا ثقة المطلعين وتثور عليهم عواطف
التكذيب والنقيج .

كما اني كنت اود لو كانوا اقل تطيلاً وتزويراً لتلك الوثيقة التي تبرع بها
جمال باشا علينا عفواً بلا طلب في الحفلة التي دعته اليها فاشرة لواء الانسانية
والفضيلة السيدة ليبي فيليب ثابت ليري بأمر المين جمهور البنات البنات اللواتي
كانت ترعاهن السيدة انماشار اليها في الشدائد وتدر بهن على الاشغال اليدوية .
اجل انها وثيقة تستحق ان تبطنها التاريخ الحديث لانها بيضة الديك ولانها
دفعت ثمناً لاربعة ابيات من الشعر ليس الا قيلت بلسان يعامى المشتغل وبني بها

الشاعر القصور واقتني البساتين واشترى المركبات والسيارات ؟! لا نرون خج
الله بصائركم اثر النعمى المتلائة علينا ؟؟

ومما لا يحتمل التصديق ان ينسب واضبع تلك الاستخبارات الى جمال باشا
قولا يكذبه واقع الحال لاننا لم نسأل نحن مرة في قصائدنا ولا هو اعطى بدون
سؤال اللهم ما خلا تلك الوثيقة الواحدة التاريخية التي عبرنا بها ذلك الذي
كان يدعي انه كان رفيق جمال

و بلغت به القصة ان يتعرض لنا في كيف صرفناها ؟؟

ثم هو يزعم اننا كنا نقول الشعر لسبب وبدون سبب وينسب هذا القول
ايضاً الى الباشا الذي كان يعلم انني لا احضر حفلة من حفلاتهم الا متدبياً
رسمياً او شبه رسمي كما هو شائي قبل الحرب وفيها وبعدها اذ لم اتعرض من
عند نفسي للقول في حفلة ولا استعنت مرة بشفيغ اليها ولوسئل السواد الاعظم
اليوم وقبل اليوم ممن يهتمون باقامة الحفلات اشهدوا بانهم يدعونني مراراً ولا
البي دعوتهم الا مرة في الحسين . وكان الاولى بذلك الواضع ومخبريه اذا
ارادوا خدمة التاريخ فعلا ان يكونوا على بينة من تلك الحفلات الكبرى
التي حضرها جمال باشا و كنت مندوباً للكلام فيها وهي :

الاولى : في حديقة المرحوم الفرد سرسق وقد شهدها فريق كبير من ضراة
بيروت رجالا ونساء وذلك بمناسبة عيد الفطر

و كان مطلع قصيدي : رمضان ملل صائموك و كبروا .

و كان جمال باشا قد تعهد الفقراء بكليات من لوازم المعيشة فقلت منها :

اما نبو الفقراء الا الى اسيتهم فقد اثنوا وفقيرهم بك موسر

وتعلت اظنانهم وعيالهم والله يوصي بالفعال ويأمر

حمل الثناء اليك شاعرهم ولو عرض الخطاب مشي اليك المنبر

والثانية في فندق البحار في عاليه وقد اقيمت اكراماً لانيور باشا وحضرها

جمال ولا اذكر شيئاً مما قلته فيها . والثالثة في دار الحكومة اللبنانية في بعدا

وكانت اشاعة ان الدولة تنوي بيع سوق ابناء لبنان الى الجندية قلت :
ما غاب عن لبنان انك ناصر لبنان دون تخرص الاضداد
كذب الا الى اهتموه وهو كما ترى ورأيت صاحب نخوة ومبادي
والرابعة في الحفلة الكبرى في القدس وكنت مندوباً عن لبنان قلت :
عودة لبنان معروفاً ومكرمة واليوم لبنان لا يزرق ولا مال
هب المطاعم فيه لا تعد وما فيها كفاف فماذا تفعل الحال ؟
ثم هناك قصيدتان احدهما يوم ارسل جمال باشا الى قراء لبنان نحو مئة
وستين قنطار حنطة واربعة آلاف ليرة ومطعمها :

اغلي الثنا في مذهب الشعراء ما رصعته مدامع الفقراء
فاملأ به صور الشام وآية قد قدمت من زفرة وبكاء
والثانية يوم رجعت من القدس وارسل جمال باشا قنطاراً من الحنطة لبوزع
بمعرفة بطر يرك الموارنة على قراء لبنان ولا اذ كر منها سوي البيت الاخير هذا :
وان اردت من يامى ومن جزعي يارب عطفاً على الباقي بلبنان
اما الحفلات الخيرية التي لم يحضرها جمال باشا فواحدة في زهرة سوريا
والثانية في معهد الالباء اليسوعيين وكانت تحت رعاية بكر سامي بك صديق
البيروتيين الذي دعاني للكلام فيها فقلت من القصيدة الاولى في خطاب بكر سامي :

سرت البسلاذ بظلمة وسرى بنو بيروت فيك بظل لبيل مقمر
وتعزت الفقراء انك ركنها ومعينها في الموكب المستوعر
وقلت من الثانية وكان الجوع قد بدأ يدب في البلاد :
والفقراء تحترم الاجسام وطأته والجوع يلعب فيها دور نبيرون
بكت عليها الليالي في تقاياها سبا السبايا على اطلال صهيون
لو لم يكن سامي والياً حشروا منها المقابر مدفوناً لمدفون
رد الجماعة عنها جهده وسعى مسعى ولي على الارواح مأمون
فماذا يقول حضرة الواضع استخباراته هل ماقلناه كان اسباب او كان بدون سبب ؟

بقيت مسألة الطنطنة بمديرية القلم العربي واسدال ستائر الاحاجي حولها وهي التي بينت ظروفها في صدر هذا المقال .

ولو علم اولئك التار يخيون ايقاربطة من الصداقة القديمة الموروثة بتزبطنا بالمرحوم خليل الخمري واصرته وعرفوا موقفنا وموقفهم قديما في حالي السراء والضراء ، ودرسوا شيئا من مبادئ ومبادئ اخي الذي كان رفيق خايل بك الدائم وصديقه الحميم وسمعتني سنة ٢١ واقفا على قبره ارضيه وابسكيه لفهموا اذا كانوا من ذوي الادمغة الى تلك الوظيفة لم تخطر لنا ببال اذ كانت لخليل بك وهو الامر الذي يعرفه اقرب الناس اليه ولا اظن كبيرهم يجهل من كانوا خصوم ابيه ومن هم موتى الضمائر في لبنان ؟ اما كلتنا الاخيرة فهي اتنا لم ننكر مرة اتنا انشدنا جمالا الاقصاد في ايام الحرب على ما فصلته واوضحته في رسالتي المسبهة المستفيضة المفخمة التي بعثت بها الي اخواننا في المهجر بتاريخ ٢١ حزيران سنة ٢١ بعنوان « واذا رميت اصابني سهمي » وهي المنشورة في الصفحة ١٠٢ من ديواني فليطالعها من شاء ليعلم عدد الحسنات والخدم التي قام بها هذا العاجز نحو بني قومه من وراء الشعر حسنات وخدم لا أمن بها على احد ولكن اخرجني بعضهم قديما فاخرجني ورأيتني مضطرا الى سردها كما اخرجت اليوم واضطرت ان اردد تلك النعمة البالية التي لا يفتأ بعض الناعقين في التيه منذ خمسة عشرة سنة يعددون اليها و يقلقون راحتي واعتزالي كلما ثارت موجدة لهم وعجزوا عن غمز قناتنا بما نحن براء منه امام الله والناس والخلاسة انا حر بشعري وكبائي على شرط ان لا يجر ذلك ضره رأ بغيري فاذا كان هناك من شخص واحد جابنا عليه اقل الاذى فايدل الينا ببرهانه القاطع واما ان يرسل القول على عواهنه مبنيا على موجدة بدون برهان فليس لنا الا ان ندفع ترهاته ونقول له كلمة مرة واحدة ونمشي ولينعق الناعقون وضوءا العقول ما شاءوا . ورجائي الخاص الى جريدة « الاحرار » الكبرى ان تتدبر امر تلك النشريات وتتهمد باقلامها المثقة بوضع النقص والخطا فيها رحمة به ادا الله والتاريخ وسلام الله عليها السبت في ١٧ - ١٢ - ٣٢ شبلي ملاط

